الجزء الثاني من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامة المقرى
رحمه
الله

م

(تنبيه) قد جعلنا عدد صحائف هذا الجزء الثاني من أعلى وأسفل تابعا لعدد صحائف الجزء الاول وكذلك نمر صحائف الجزء الرابع متممة لنمر صحائف الجزء الثالث تعريفا بذلك من أول الامر لكل مطالع حيث اقتضى الحال هذا التقسيم بعد تكميل الطبع والتتميم

(فهرسة الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)

طالوت

صحيفه

زريق

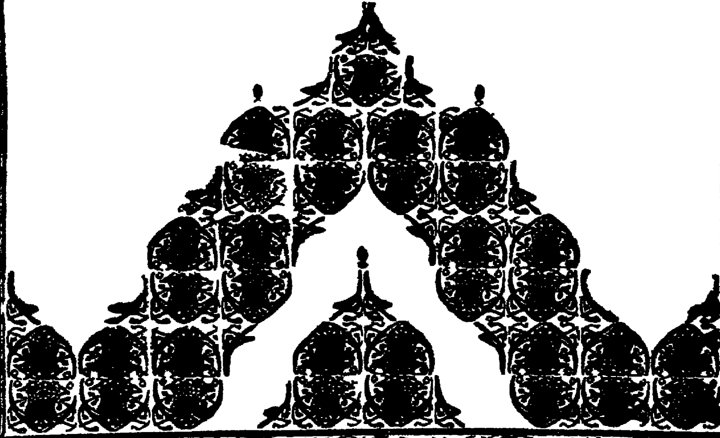
صحيفه

من

صحيفه

تمت فهرسة الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب

الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامة المقرى
رحمه
الله
٢



(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الامام النحوى اللغوى نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن حمدون الحميرى الاندلسى المالقى قال شرف الدين الصابونى أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فؤاد بأيدى النائبات مصاب * وجفن لفيض الدمع فيه مصاب
تناءت ديار قد ألفت وجيرة * فهل لى الى عهد الوصال اياب
وفارقت أوطانى ولم أبلغ المنى * ودون مرادى أبحر وهضاب
مضى زمنى والشيب حل بمفرقى * وأبعد شئ أن يرد شبابه
اذا مر عمر المرء ليس براجع * وان حل شيب لم يفده خضاب
نحل حمام الشيب فى فرق لمتى * وقد طار عنها للشباب غراب
وكم عظة لى فى الزمان وأهله * وبين فؤادى والقبول حجاب
فدع شهوات النفس عنك بمعزل * فعذب الليالى مقتضاه عذاب
وسل فؤادا عن رباب وزينب * فما القصد منها زينب ورباب
وأنوى متابا ثم أنقض نيتى * فربع صلاحى بالفساد خراب
أقر بتقصيرى وأطمع فى الرضا * وما القصد الا مرجع ومتاب
ويعتبنى فى العجز خل وصاحب * وهل نافع فى الجامدات عتاب
أطهر أثوابى وقلبى مدنس * وأزعم صدقا والمقال كذاب

وفارقت

وفارقت من غرب البلاد مواطنا * فيسّر ربّى غرب البلاد مصاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
وما بلغ المملوك قصدا ولا منى * ولا حط عن وجه المراد نقاب
وأخشى سهام الموت تفجأ غفلة * وما سار بى نحو الرسول ركاب
وقلبى معمور بحب محمد * فمالى فى غير الحجاز طلاب
يحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فأسعد أيامى اذا قيل هذه * منازل من وادى الحمى وقباب
بجسمى فى مصر وروحى بطيبة * فللروح عن جسمى هناك مناب
على مثل هذا العجز والعمر منقض * تشق قلوب لا تشق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحى محمدا * وما كل مثن فى الزمان يثاب
به أخمدت من قبل نيران فارس * وحقق من ظبى الفلاة خطاب
وكم قد سقى من كفه الجيش فارتووا * وكم قد شفى منه العيون رضاب
أجيب لما يختار فى حضرة العلا * وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولا شغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات ما يحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته * فامدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهى مدائحى * وان رجائى راحة وثواب
اذا قيل من تعنى بمدحك كله * فأنت اذا خبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب
فأنت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله يرثى العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك نقاد بها وبصير
عجبا لمغتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فسليمها للنائبات معرض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن أن العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهى طويلة ولم يحضرنى سوى ما ذكرته *(ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم ابن عبد الرحمن الغسانى الوادى اشى أبو محمد وله أخبار كثيرة فى الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما نعم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء

فديتك بالنفس التى قد ملكتها * بما أنت موليها من الكرم المحض
ترديت للحسن الحقيق بجبة * فصار لها الكلى فى ذاك كالبعض

ولما تلالا نور غـــــرتك التى * تقسم فى طول البـلاد وفى عرض
تلقفتها خضراء أحسـن ناظر * نبت عنك اجلالا وذا الثمن الفرض
وأسدلت حمراء الملابس فوقها * بفرق تاج المجـد والشرف المحض
فأصبحت بدرا طالعا فى غمامة * على شفق دان الى خضرة الارض

وقال رحمه الله تعالى

أحبنا ورمحى ناصرى وحسامى * وعجزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منـك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله ويحامى

وقال رحمه الله تعالى لما أسن يستأذن مخدومه فى الحج والزيارة

امنن بتسريح عـلىّ وفعـله * سبب الزيارة للحطـيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * درست معالمه وأنكر مذهبى
فقالى مالى مللت وانما * عمرى أبى حمل النجاد ومنكبى
وعجـزت عن أن استثير كميتها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه الله تعالى ولا خفاء ببراعته

فدى مخضلا ذا الجناح المنمنما * وسقيا وان لم تشك يا ساجعا ظما
أعدهنّ ألحانا على سمع معرب * يطارح مرتاحا على القضب معجما
وطرغير مقصوص الجناح مرفها * مسوّغ أشتات الحبوب منعما
تخلى وأفراخا وكـكرنا نوما * ألا ليت أفراخى معى كنّ نوما

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا أن الرماح صقيلة * وان الشبا رهن الصدى بدمائه
وان بيـاديق الجوانب فرزنت * ولم يـعد رخ الدست بيت بنائه

وكان رحمه الله تعالى من جلة الادباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير أبى زكريا يحيى بن اسحق بن محمد بن على المسوفى الميرقى الثائر على منصور بن عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى أيام الرشيد منهـم وكان منقطعا اليه وممن صحبه فى حركاته وكان آية فى بعد الهـمة والذهاب بنفسه والغناء فى مواقف الحرب والجنسية علة الضم اذ ابن غانيـة كان غاية فى ذلك أيضا ووجهه الميرقى المذكور عشية يوم من أيام حروبه الى المازق وقد طال العراك وكاد الناس ينفصلون عن الحرب الى أن يباكروها من الغد فلما بلغ الصدر اشتد على الناس وذمر أرباب الحفيظة وأنهى اليهـم العزم من أميرهـم فى الجلاد فانهزم عدوهـم شر هزيمة ولم يعد أبو محمـد الا فى آخر الليل بالأسلاب والغنيمـة فقال له الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذى عملت هو شانى واذا أردت من يصرف الناس عن الحرب ويذهب ريحهـم فانظر غيرى وتشاجر له ولد صغير مع ترب له من أولاد أميره أبى زكريا فنال منه ولد الامير وقال وما قدر أبيـك فلما بلغ ذلك أباه خرج مغضبا لحينه ولقى ولد الامير فخاطب لولده فقال حفظك الله تعالى لست أشك فى أنى خديم أبيك ولكنى أحب أن أعرفك بنفسى ومقدارى ومقدار أبيك اعلم أن أباك وجهنى رسولا

الى

الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد انزلت فى دار اكتريت لى بسبعة دراهم فى الشهر وأجرى علىّ سبعة دراهم فى اليوم وطولع بكتابى وقيل من المبرقىّ الذى وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربىّ ثائر على استاذه فأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الىّ وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره فأعدت الى محل اكترى لى بسبعين درهما وأجرى علىّ مثلها فى اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لى شئ له خطر من صلته وانصرفت الى أبيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدرى وترجمته رحمه الله تعالى واسعة *(ومنهم عبد المنعم بن عمر الغسانىّ الوادى اشى المؤلف الرحالة المتجول ببلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التى منها جامع أنماط السائل فى العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

توفى سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبىّ الخزرجىّ كان اماما فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه الله تعالى

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه انى * أرى البستان يحمله قضيب

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ *(ومنهم أبو العباس القرطبىّ صاحب المفهم فى شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصارىّ المالكىّ الفقيه المحدّث المدرّس الشاهد بالاسكندرية ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا فى الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن أخذ عنه القرطبىّ صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم فى شرح مسلم وهو من أجلّ الكتب ويكفيه شرفا اعتماد الامام النووىّ رحمه الله تعالى فى كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة ومنها اختصاره للصحيحين كما مرّ وله غير ذلك وتوفى رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف فى بلاده بابن المزين وله كتاب كشف الاقناع عن الوجد والسماع أجاد فيه وأحسن وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعانى بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطىّ أخذت عنه وأجاز لى مصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها *(ومنهم العارف الكبير الولىّ الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعىّ الاندلسىّ أحد الاعلام المنقطعين المقربين أولى الهداية كان رضى الله تعالى عنه ونفعنا به كثير

قوله ابن محمد فى نسخة ابن علىّ اه

الاتباع بعيد الصيت فذا شهيرا قال الحافظ ابن الزبير هو أحد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وحفظ نصف المدونة وأقرأها وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها أخذ عن أبوى الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقى فى رحلته من الاندلس جلة أكبرهم الولى الكبير سيدى أبو مدين شعيب أفاض الله تعالى علينا من أنواره وانتفع به ورجع عنه ببجاية فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه بركته توفى رحمه الله تعالى فى شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة فى الاحاطة ملخصها ما ذكرناه * (ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الانصارى الشاطبى الفقيه القاضى الصدر المتفنن المحصل المجيد له علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق وحج وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا الى نبل وكان متثبتا فى فقهه لا يستحضر من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية واصول الفقه ومشاركة فى اصول الدين له شرح على الجزولية وكان أبوه قاضيا وبيتهم بيت قضاء وعلم وسودد متوارث ومجد مكسوب ومنسوب ثم ولى قضاء بجاية فكان سالكا فى قضائه على سنن الفضلاء وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى أن لا يقدم الشهود الا عند الحاجة وأما ان حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ويرى ان الكثرة مفسدة وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدمتموه وأخرتموه وكان اذا اجرى الامر فى مجرى الشهادة وما قاله القاضى بن العربى أبو بكر وغيره من أنها قبول قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذى لا يليق أن يمكن منه الا الآحاد الذين تبين فضلهم فى الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد اغاهى فى صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وقد سئل من أولياء الله فقال شهود القاضى لانهم لا يأتون كبيرة ولا يواظبون على صغيرة وان كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شئ أجل منها وان كانت خصة لا صفة فلا شئ أحسن منها ولما كانت واقعة ابن مزين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال والله لا أفسد دينى ولما توفى عجز القاضى الذى تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه الذى اقتفاه قال هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبرينى فى عنوان الدراية فى علماء بجاية * (ومنهم محمد بن يحيى الاندلسى اللبسى بلام فوحدة فسين قاضى القضاة أخذ عن الحافظ ابن حجر ونوه به عند الاشرف حتى ولاه قضاء المالكية بحماه وسار سيرة السلف الصالح ثم حج على نائبها فى بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر فى بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة فى الفنون قاضى الجماعة وقال انه انسان حسن امام فى علوم منها الفقه والنحو واصول الدين يستحضر علوما كانها بين عينيه ووصفه أيضا بعلامة دهره وخلاصة عصره وعين زمانه وانسان أوانه جامع العلوم وفريد كل منثور ومنظوم قاضى القضاة لا زالت رايات الاسلام به منصوره وأعلام الايمان به منشوره ووجوه الاحكام الشرعية بحسن نظره محبوره ولد سنة ٨٠٦ وتوفى

ببرسا من بلاد الروم أواخر شعبان سنة ٨٨٢ قاله السخاوى فى الضوء اللامع *(ومنهم الوزير الشهير أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ذو الوزارتين رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه فى باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبى بكر بن الحكيم ولا بأس أن نزيد هنا ماليس هنالك فنقول ان من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوى أبا الحسن على بن يوسف العبدوى السفاح أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبى القاسم ابن الايسر وأخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ فى رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر فن شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الامام الجزائرى جزائر العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفاء خليل بن أبى بكر المرادى الحنبلى لقيه بالقاهرة والشيخ رضى الدين أبو بكر القسمطينى والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى امام الديار المصرية فى الحديث وحافظها ومؤرخها والشهاب بن الخيمى قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التى أولها

يا مطلبا ليس لى فى غيره ارب * اليك آل التقضى وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذى وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشى ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحرانى والشيخ أبى الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبى محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان فى طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ ببجاية عن خطيبها أبى عبد الله بن رحيمة الكنانى وبتونس عن قاضيها أبى العباس بن الغماز البلنسى وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبى الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبى الربيع القرشى ومن شعر ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

قوله الجزيرة فى نسخة الجيزة اه

هل الى ردّ عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال
حالة يسرى بها الوهم الى * انها تثبت برءا باعتلال
وليال ما تبقى بعدها * غير أشواقى الى تلك الليال
اذ مجال الوصل فيها مسرحى * ونعيمى آمر فيها ووال
وللالات التراضى جولة * مرحت بين قبول واقتبال

فبوادى الخيف خوفى مسعد * وبأكناف منى أسنى موال
لست أنسى الانس فيها أبدا * لاولا بالعذل فى ذاك أبالى
وغزال قد بدالى وجهه * فرأيت البدر فى حال الكمال
ما أمال التيه من أعطافه * لم يكن الا على خصل اعتدال
خص بالحسن فما أنت ترى * بعده للناس حظا فى الجمال
من تسلى عن هواه فأنا * بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبنى حبى له * فلكم نلت به أنعم حال
اذلا لى جيده من قبلى * ووشاحاه يمينى وشمالى
خلف النوم لى السهد به * وترامى الشخص لاطيف الخيال
فتداوى بلماه ظمئى * مزجك الصهباء بالماء الزلال
أو اشادات بناء الملك الاوحد الاسمى الهمام المتعالى
ملك ان قلت فيه ملكا * لم تكن الا محقا فى المقال
أيد الاسلام بالعدل فما * ان ترى رسما لاصحاب الضلال
ذو أياد شملت كل الورى * ومعال يالها خير معال
همة هامت بأحوال التقى * وصفات بالجلالات حوال
وقف النفس على اجهادها * بين صوم وصلاة ونوال

وهى طويلة ومنها

أيها المولى الذى نعماؤه * أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا أنشدكم مهنئا * من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبد الذى حبكم * لم يزل والله فى قلبى وبالى
أورقت روضة آمالى بكم * مذ تولاها الرباب المتوالى
واقتنيت الجاه من خدمتكم * فهى ما أذخره من كنز مال

ومنها

يا أمير المسلمين هذه * خدمة تنبئ عن اصدق حال
هى بنت ساعة أو ليلة * سهلت بالحب فى ذاك الجلال
ما عليها اذ أجادت مدحها * من بعيد الفهم يلغيها وقال
فهى فى تأدية الشكر لكم * أبدا بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله تعالى يخاطب أهله من مدينة تونس

حى حيى بالله يا ريح نجد * وتحمل عظيم شوقى ووجدى
واذا ما بثثت حالى فبلغ * من سلامى لهم على قدر ودى
ما تناسيتهم وهل فى مغيبى * هم نسونى على تطاول بعدى
بى شوق اليهم ليس يعزى * لجميل ولا لسكان نجد
يا نسيم الصبا اذا جئت قوما * ملئت أرضهم بشيح ورند

فتلطف عند المرور عليهم * وحقوقا لهم على فأد
قل لهم قل غدوت من وجدهم في * حال شوق لكل رند وزند
وان استفسروا حديثي فاني * باعتناء الاله بلغت قصدي
قلها الحمد إذ حباني بلطف * عنده قل كل شكر وحمد
وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر أبي اسحق ابراهيم بقصيدة أولها
ذكر اللوا شوقا الى أقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه في خده * لقرأت سر الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلربما * أفضى عتابكم الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه * لاتنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لاسرار الهوى * لو أن جند الصبر من أنصاره
ماذنبه والبين قطع قلبه * أسفا وأذكى النار في اعشاره
بخل اللوا بالساكنيه وطيفهم * وحديثه ونسيمه ومزاره
يا برق خذ دمعي وعرج باللوا * فاسفحه في باناته وعراره
واذا القيت بها الذي بإبانه * ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبتي * فيه وترفيعي الى مقداره
والمم بسائر اخوتي وقرابتي * من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم الا أخ أو سيد * أبدا أرى دأبي على اكباره
فابثث لذا الحي أن أخاهم * في حفظ عهدهم على استبصاره
وقال رحمه الله تعالى في غرض كلفه سلطانه القول فيه
الا واصل مواصلة العقار * ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال * يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص * تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام * فصار معرفا بين الدراري
رماني قاسم والسين صاد * بأشفار تنوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه * على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعي عليه * وتلك النار من فرط استعاري
عجبت له أقام بربع قلبي * على ماشب فيه من الاوار
ألفت الحب حتى صار طبعا * فما أحتاج فيه الى ادكار
فمالي عن مذاهبه ذهاب * وهذا فيه اشعاري شعاري
وقال العلامة ابن رشيد في ملء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا

قوله سنة ٦٨٤ في نسخة سنة ٦٧٤ اه

لتلك الآثار واعظاما لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء فأنشد لنفسه فى وصف الحال قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا * بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا * شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع فى عرصاتها * ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائى دونه لخسارة * ولو أن كفى تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلى لاتعدد كثرة * وبعدى عن المختار أعظمها ذنبا

انتهى

وخط الوزير ابن الحكيم فى غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله تعالى أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين فى الاحاطة ومن نثره فى رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ماصورته وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام واشتهر فى آفاق الاقطار اشتهار الصباح فى سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا فى أن تكون كلمة الله هى العليا ونسمح فى ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وانا ماقصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الارسال حتى اقتحمنا بأنفسنا اللجج الهمار فسمحنا بالطارف من أموالنا والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد واشترينا بما أنعم الله به علينا مافرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده ولا بين قبوله ورده الا كما يحسو الطائر ماء الثماد ويأبى الله أن يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه ولا يجعل فيها شيأ الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغريبة الى مناويه وبقى المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه القينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام وشمرنا عن ساعد الجد فى جهاد عبدة الاصنام واخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا فى سبيل الله أخذ الاعتزام فأمدنا الله تعالى فى ذلك بتوالى البشائر ونصرنا بألطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قود العساكر ونقلنا على أيدى قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ماغدا ذكره فى الآفاق كالمثل السائر وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وكيف يحصيها المحصى أو يحصرها الحاصر وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا واتنشقنا نسائم النصر الممنوح عبقة الريا استخرنا الله تعالى فى الغزو بنفسنا ونعم المستخار وكتبنا بما قد علمتم الى ماقرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الاجناد والمطوعين وغدوا بحكم رغبتهم فى الثواب على طاعة الله مجتمعين خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقتضى بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسأل الله

قوله عن قود فى نسخة عن وفود اه

تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضى الى بلوغ الامنية والمأمول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها وقال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم فى الدولة ماصار كالمثل السائر وخدمته العلماء الاكابر الاخيار كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم ردت الايام منه ماوهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من أمواله وكتبه وتحفه مالا يعلم قدره الا الله تعالى أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم *(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الامير القائد أبى على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسى ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من أبى بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزد وطائفة وبواسط من أبى الفتح بن الميدانى وبأصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المؤيد الطوسى وأبى روح وأصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطه مليح مغربى فى غاية الدقة وكان كثير الاسفار دينا متصوفا كبير القدر قال الضياء فى حقه رفيقنا وصديقنا توفى بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جنب قبر سهل التسترى رضى الله تعالى عنه ومارأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال مفضل القرشى كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل العلم بماله وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للشرف المرسى رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابو بكر بن العربى الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير أبى بكر بن العربى قرأ لنافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفى وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فأخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير *(ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبو زكريا القرطبى سمع من العتبى وعبد الله بن خالد ونظرائهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزنى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى بن أبى عقيل وغيرهم وسمع بمكة من على ابن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد بن عثمان الاعناقى وسعيد بن حمدوابن أبى تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزنى ورسالة الشافعى وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل فى فقهه الى مذهب الشافعى وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى وأضرابه وحدث عنه من أهل الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عبادة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفى سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه *(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين أبو بكر

قوله سنة ٧٥٨ فى نسخة سنة ٧٠٨ اه

قوله وسنة فى نسخة وسند اه

قوله الزقاق فى نسخة ابن الزقاق اه

قوله سنة ٦١٢ فى نسخة سنة ٦١٦ اه

قوله ابن بشير فى نسخة وابن بشير اه

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الشريشى المالكى كان من أكابر الصالحين المتورعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفى برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ فى ٢٤ رجب ودفن قبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصرى فلما توفى قاضى القضاة جمال الدين المالكى ولوه مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل وبقى فى المشيخة الى أن توفى رحمه الله تعالى ونفع به وبأمثاله آمين

*(ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن على بن ياسر الجيانى) المحدث الشهير ذكره ابن السمعانى وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف فى بلاد خراسان وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت حصر قال ابن السمعانى وله أنس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٥٤٩ مع جماعة من أهل الجاز لدين له عليهم وسمعت منه جزءا خرجه من حديث يزيد بن هرون مما وقع له عاليا وجزءا صغيرا من حديث أبى بكر بن أبى الدنيا واحاديث أبى بكر الشافعى فى احد عشر جزءا المعروف بالغيلانيات بروايته عن أبى الحصين عن ابن غيلان وكان مولده بجيان سنة ٤٩٣ أو فى التى بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف فى أواخر سنة خمسين ولم أسمع منه شيأ ثم قدم علينا ببخارى فى أوائل سنة احدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السرى الكوفى بروايته عن أبى القاسم سهل بن ابراهيم المسجدى عن الحاكم أبى عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخى عن الحاكم أبى الفضل محمد بن الحسين الحدادى عن حماد بن أحمد السلمى عن مصنفه وأخبرنا الجيانى بسمرقند أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد ابن سلمة أنبأنا يزيد بن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناداهم مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعانى أيضا وأخبرنا الجيانى المذكور بسمرقند أنبأنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد أنبأنا أبو طالب بن غيلان أنبأنا أبو بكر الشافعى أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى أنبأنا محمد بن حسان أنبأنا مبارك بن سعيد قال أردت سفرا فقال لى الاعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فان مجاهدا حدثنى قال خرجت من واسط فسألت ربى أن يرزقنى صحابة ولم أشترط فى دعائى فاستويت أنا وهم فى السفينة فاذا هم أصحاب طنابير وقال ابن السمعانى أيضا أخبرنا أبو بكر الجيانى المغربى بسمرقند سمعت الامام أبا طالب ابراهيم بن هبة الله ببلخ يقول قرأت على أبى يعلى محمد بن أحمد العبدى بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبى الحسين بن يحيى فى كتاب العين باسناده الى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان في بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتي ثم هرتي ثم شاتي * فاذا ما وضعن كن ربيعا
زوجتي للخبيص والهر للفا * ر وشاتي اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد في العين أن المجيع أكل التمر باللبن انتهى *(ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسي المرى ذكره الحميدي في تاريخه وأثنى عليه وقال كان من أهل العلم والادب والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فأكثر ورحل الى المشرق ناحتفل في العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه في غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفي ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدث عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري ويعرف بابن الافليلي الاندلسي النحوي وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني ذكره ابن بسام في الذخيرة والحجاري في المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستأذنه في الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع في طريقه كتاب صحيح البخاري وعنه أخذه أهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شيء سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابي من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب أمل بين أثناء المحاذير مدبج ومحبوب في طي المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام في الجدب ويستصحب الحسام في الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الارض رش وطل * ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء أجل * وانجدوا سيفا عليكم يسل

وسبب قتل بني عباد لأبي حفص الهوزني المذكور تسبب ابنه أبو القاسم في فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى أزال ملكه ونثر سلكه وسبب هلكه كما ذكرناه في غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده في محاله وبيت بني الهوزني المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي الفقيه المالكي أحد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يعجز توفي سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨

قوله المعتمد بن عباد مقتضى ما تقدم له قريبا ان يقول المعتضد أي ابن المعتضد أو يبدل المعتمد بالمعتضد تأمل اه مصححه

ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن أنس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه أحمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت في داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به *(ومنهم أبو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الفزاري الالبيري الزاهد سكن قرطبة قال ابن الفرضي كان منقطع القرين في العبادة بعيد الاسم في الزهد حج وعني بعلم القرآن والقرا آت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطي وابن الورد وابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الا أن العبادة غلبت عليه وكان العمل أملك به ولا أعلمه حدث توفي رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ودفن في مقبرة الربض وصلى عليه القاضي محمد بن اسحق بن السليم ثم صلى عليه حيان بن مرة ثانية رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين *(ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن ابراهيم الصدفي الاشبيلي الاديب البارع له نظم حسن وموشحات رائقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكر راجعا الى المغرب فتوفي ببرقة رحمه الله تعالى وكان من النجباء في النحو وغيره ومن نظمه من قصيدة

مابي موارد أمر بل مصادره * اللحظ أوله والحد آخره
أرسلت طرفي مرتادا فطل دمي * روض من الحسن مطلول أزاهره
رعيت في خصبه لحظي فأعقبني * جدبا بجسمي ماروبه هامره
وبي وان لم أكن بالذكر أشهره * فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهي طويلة وأثنى عليه أثير الدين أبو حيان وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني الذي حدث به عن علي بن عبد العزيز بن الجمحي عن الزبير وروى موطأ مالك بن أنس رواية أبي مصعب أحمد بن عبد الملك الزهري عن ابراهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيباني والقزاز في آخرين وقدم الاندلس وكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولي عهد فسمع منه أكثر رواياته وسمع منه جماعة من أهل قرطبة وكان ثقة مأمونا ولي قضاء بلده تطيلة احدى مدائن الاندلس بعد عمر بن يوسف بن الامام *(ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد أبو الحسن الانصاري البلنسي المحدث رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسي الصيني وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي وسمع بها أبا عبد الله النعال وطرادا وغيرهما وباصبهان أبا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وأبو موسى المديني وأبو اليمن الكندي وأبو الفرج بن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير في آخرين وتأدب على أبي زكريا التبريزي وتوفي في المحرم سنة ٥٤١

قوله أبو بكر في نسخة أبو زكريا اهـ

رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوى والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر جنازته قاضى القضاة الزينبي والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام أحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه *(ومنهم أبو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجي سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبي دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابي وببغداد من أبي علي الصفار وجماعة وبها مات *(ومنهم أبو عثمان سعيد الاعناقي ويقال العناقي القرطبي كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا بعلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشني وغيرهم ورحل فلقي جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين في آخرين حدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد ابن قاسم وابن أبي زيد في عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفي سنة ٣٠٥ بصفر والاعناقي نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق *(ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبي الاقليشي روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم الجريطي وأبي ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبي بكر الآجري وأبي حفص الجمحي وبمصر من أبي اسحق بن شعبان وروى عنه كتاب الزاهي جميعه وقد قرئ عليه جميعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز ابن علي المعروف بابن الطحان الاشبيلي المقرى ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلبا وتوفي بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء في الوقف والابتداء ومقدمة في مخارج الحروف ومقدمة في أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعيني خطيب اشبيلية وأبي بكر يحيى بن سعادة القرطبي وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشائقها
وعاد النفس مصطبرا * ونكب عن خلائقها
هلاك المرء أن يضحى * مجدا في علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبي العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبي عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي وروى مصنف النسائي عن أبي مروان بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلي الحافظ وعلي بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالمغرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبي العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافرى قدم

قوله سنة ٥٠٢ في نسخة سنة ٥٠٦ اهـ

مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدث بالموطا عن سليمان بن أبي القاسم أنبأنا أبو عمر بن عبد البر أنبأنا سعيد بن نصر عن قاسم بن اصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه *(ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدي الشاطبي قدم مصر ودمشق طالب علم وسمع أبا الحسن بن أبي الحديد وأبا منصور العكبري وغيرهما وصنف غريب الحديث لابي عبيد القاسم ابن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفاني وتوفي بأرض حوران من أعمال دمشق في رمضان سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى ورضي عنه *(ومنهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني وهو عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد فدخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان أديبا فاضلا له شعر مليح المعاني أكثر في الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وأراد القاضي الفاضل أن يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بيسان وبيت المقدس ومن شعره قوله

خبرت بني عصري على البسط والقبض * وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فأنتج لي فيهم قياسي تحللا * عن الكل اذ هم آفة الوقت والعرض
الازم كسر البيت خلوا وان يكن * خروج ففردا ملصق الطرف بالارض
أرى الشخص من بعد فأغضي تغافلا * كمشدوه بال في مهمته يمضي
ويحسبني في غفلة وفراستي * على الفور من لحي بما قد نوى تقضي
أجانبهم سلما ليسلم جانبي * وليس لحقد في النفوس ولا بغض
تخليت عن قومي ولو كان ممكني * تخليت عن بعضي ليسلم لي بعضي

وقال

قالوا انقبضت عن الاكابر تعرض * وسواك زوار لهم متعرض
قلت الزيارة للزمان اضاعة * واذا مضى زمن فما يتعوض
ان كان لي يوما اليهم حاجة * فبقدر ما ضمن القضاء نقيض

وقال

حاول مفازك قبل أن يتحولا * فالحال آخرها كحالك أولا
ان المنى من المنية لفظة * لتدل في أصل البناء على البلا

وسماه بعضهم عبد المنعم وذكره العماد في الخريدة وقال هو صاحب البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد

أتى العسكر المنصور الناصرى سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أفنى العداة حسامه * ومنجعا أفنى العفاة ابتسامه
لقد أوليتونا فى الزمان سعادة * فكيف بشاوفى حمالك حمامه
وعبدك شاكر برشه وهو شاكر * نداك الذى يفنى الغمام غمامه
ولى فرس أصماه سهم فرده * أثافى تربع بالثلاث قيامه
تعمر فيه بالجراحة ساحة * وعطل منه سرجه ولجامه
أتينا لما عودتنا من مكارم * يلوذبها الراجى فيشفى غرامه
فرجك الغوث لا يغب نصيره * ونعماك غيث لا يغب انسجامه

وله رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة *(ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبى" مؤلف المفتاح فى القرا آت ومقرى أهل قرطبة رحل وقرأ القرا آت على أبى على "الاهوازى" وبحران على أبى القاسم الزيدى" وبمصر على أبى العباس بن نفيس وبمكة على أبى العباس الكازرونى" وسمع بدمشق من أبى الحسن بن السمسار وكان عجبا فى تحرير القرا آت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه فى وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات فى ذى القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف ابن النحاس وجماعة رحمه الله تعالى *(ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر ابن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلى" الاندلسى" ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصعيد مصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ وأنشأ له فى معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا فكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب" والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصورى" ونصر الهيتى وغيرهما كعرقلة" وفيه نزهات أدبية ومفاكهات غريبة ممزوج جدها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبى الحكم الملقب بافضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمطايبة وكان اذا أتاه الغلام ومابه شئ فيجس نبضه ثم يقول له تصلح لك الهريسة وكان اعور فقال فيه عرقلة

لنا طبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ماعاد فى صبحة يوم فتى * الاوفى باقيه رثاه

وله يرثيه

ياعين سحى بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم
قد كان لارحم الرحمن شيبته * ولاسقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قوله سنة ٤٨٦ فى نسخة سنة ٤٩٩ اه

ومن كتابات أبي الحكم المستحسنة قوله

ألم ترني أكابد فيك وجدي * وأحمل منك مالا يستطاع
اذا ما أنجم الجوّ استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * في حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في الجامع

*(ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافي الغرناطي" التيساني" وتيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكي" ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب في الحسبة وله شعر حسن توفي بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى *(ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافري" الاندلسي" دخل مصر وحج ولقي امامنا مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فخار بهم وقتلهم وفرّ من بقي منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودي" ثم ترامى على صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذ له امانا من الحكم فوشى به الى الحكم وأحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لي أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم اني قد سمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استتر فقال عند يهودي" مدة عام ثم اني قصدت هذا الوزير فغدر بي فغضب الحكم على أبي البسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فروى أبو البسام بعد ذلك في فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن علي" بن محمد بن علي" بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خروف الاديب القيسي" القرطبي" الغذائي" الشاعر قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل في التي بعدها وقيل سنة خمس وستمائة وله شرح كتاب سيبويه به وجله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجي وكتب في الفرائض ورد على أبي زيد السهيلي" وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله في كاس

أنا جسم للحميا * والحميا لي روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم واروح

وقال في صبي حبس

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا جمال * ولم تحبسه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * في ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح

ليست

ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذاقي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانواء * من جدواك جلد ابي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السيراء ويحب الصلاة من أجل القراء ويمن على الحروف النبيه بجلد أبيه فانى الصباغ قريب عهد بالدباغ ما ضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا طهر اهابه يخافه البرد ويهابه أثيث خمائل الصوف يهزأ بكل هوجاء عصوف مافي اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذاعرى من ورقه الغصن النضير والمولى يبعثه فرجي النوع أرجي الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرّا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو الممزق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فجام أو عزاه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الحرباء الذي يرعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم لازال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول *(ومنهم مالك بن مالك من أهل جيان رحل حاجا فأدى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدي مما دفعت له * فلست منه على ورد ولا صدر
الامر ما أنت واليه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

*(ومنهم ابو علي بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمي من أهل المرية سمع من أبي عبد الله البوني وابن صالح وأخذ عنهما القراآت وروى أيضا عن الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي وأبوي القاسم بن رضا وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عمرو الخضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفي وغيره *(ومنهم منصور بن لب بن عيسى الانصاري من أهل المرية يكنى أبا علي أخذ القراآت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفي في صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى *(ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد ابن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله رصدر عن المشرق معه فاجتهد

فى العبادة والتبذعن الناس ثم كرراجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى أن مات فقبره هنالك وقال فى حقه أبو عمرو عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى أن مات بها رحمه الله تعالى *(ومنهم محبب بن الحسين من أهل الثغر الشرقى" كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من أبى عبد الله بن سفيان الكنانى" الهادى فى القرا آت من تاليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبى" من شيوخ أبى مروان بن الصيقل *(ومنهم مساعد بن احمد ابن مساعد الاصبحى" من أهل اوريولة يكنى أبا عبد الرحمن ويعرف بابن زعوقة روى عن ابن أبى تليد وابن جحدر والحافظين أبى على" الصدفى" وأبى بكر بن العربى" وكتب اليه أبو بكر ابن غالب بن عطية ورحل حاجا فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فأدى الفريضة سنة خمس بعدها ولقى بمكة أبا عبد الله الطبرى" فسمع منه صحيح مسلم مشتركا فى السماع مع أبى محمد بن جعفر الفقيه ولقى ابا محمد بن العرجاء وأبا بكر بن الوليد الطرطوشى" وأصحاب الامام أبى حامد الغزالى" وأبا عبد الله المازرى" وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم وانصرف الى بلده فسمع منه الناس وأخذوا عنه لعلو روايته وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال وأبو الحجاج الثغرى الغرناطى" وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم وأغفله ابن بشكوال فلم يذكره فى الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه أبو الحجاج الثغرى" الغرناطى" أخبرنى أبو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال أخبرنى الحاج أبو عبد الرحمن بن مساعد رضى الله تعالى عنه انه لقى بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ لا أذكر له صاحبا فأنشدت

طلعت شمس من أحبك ليلا * واستضاءت فمالها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب دون غروب

ولد فى صفر سنة ٤٦٨ وتوفى باوريولة سنة ٥٤٥ قاله ابن شعبان *(ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم قال ابن الابار أظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من أبى الطاهر السلفى" وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهرى" انتهى *(ومنهم النعمان بن النعمان المعافرى" من أهل ميورقة منسوب الى جده رحل حاجا فأدى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفى سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن أبى ثور الحضرمى" من أهل طرطوشة أو ناحيتها رحل الى المشرق وأدى الفريضة ولقى بمكة أبا عبد الله الاصبهانى" فسمع منه سنة ٤٢٢ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير *(ومنهم ثابت بالنون ابن المفرج بن يوسف الخثعمى" أصله من بلنسية وسكن مصر يكنى أبا الزهر قال السلفى" قدم مصر بعد خروجى منها وتفقه على مذهب الشافعى" وتأدب وقال الشعر الفائق وكتب الى" بشئ من شعره ومات فى رجب سنة ٥٤٥ بمصر *(ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسى" رحل

الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن يروى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسى وممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الخشاب البغدادى من شيوخ الدارقطنى قال ابن الابار هكذا وقع فى نسخة عتيقة من تأليف الدارقطنى فى الرواة عن مالك فى باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت فى رواية أبى زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطنى وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفى حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضى من تاريخه والاول عندى أصح والله تعالى أعلم انتهى *(ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبى فريعة واسمه زيد مولى عبد الرحمن بن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل لبلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازى *(ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر المعافرى من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبى عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدى الفريضة وكان من أهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية أبو محمد الباجى وقال كان لى خير صديق أنتفع به وينتفع بى وأقابل معه كتبه وكتبى ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفى فى آخر خلافة عبد الرحمن الناصر ه(ومنهم أبو محمد عبد الله ابن حود الزبيدى الاشبيلى ابن عم أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى اللغوى كان من مشاهير أصحاب ابى على البغدادى ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافى ببغداد الى أن توفى فلازم بعده صاحبه أبا على الفارسى ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجانى أن أبا على البغدادى غلس لصلاة الصبح فى المسجد فقام اليه ابو محمد الزبيدى من مدود كان لداته خارج الدار قد بات فيه أو ادلج اليه ليكون أول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال أنا عبد الله الاندلسى فقال له الى كم تتبعنى والله انه ليس على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة وأهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرحا لكتاب سيبويه ويقال انه توفى ببغداد سنة ٣٧٢ *(ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبى رحل من الاندلس فأوطن القيروان واختص بأبى عمران الفاسى وتفقه به وكان أديبا شاعرا عفيفا خيرا وفى شيخه أبى عمران أكثر شعره ورحل حاجا فأدى الفريضة وتوفى فى انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وأنشد له ابن رشيق فى الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير أعمالك الرضا ٭ بالمقادير والقضا
بينما المرء ناضر ٭ قيل قد مات وانقضى

وقوله

سأقطع حبلى من حبالك جاهدا ٭ وأهجر هجرا لا يجر لنا عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده ٭ ويلقى ببشر من يسر له البغضا

قال فى الانموذج وأراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ

عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما تقدم له من أنه أدّى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو بكر اليابري ويكنى أيضا أبا محمد وهو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله أصله من يابرة ونزل اشبيلية وروى عن أبي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الاندلس منهم أبو بكر بن أيوب وأبو الحزم بن عليم وأبو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وعاق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جلاءً في العامة وكان متكلما وله رد على أبي محمد بن حزم وكان أحد الائمة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن أبي بكر محمد بن زيدون بن علي كتابه المؤلف في الحديث المعروف بالزيدوني وألف كتابا في شرح صدر رسالة ابن أبي زيد وبين ما فيها من العقائد وله مجموعة في الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام على مذهب مالك الامام ألفه للامير علي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وذكر في فصل الحج منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٤ هـ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة وبها توفي رحمه الله تعالى روى عنه أبو المظفر الشيباني وأبو محمد العثماني وأبو الحجاج يوسف بن محمد القيرواني وأبو عمرو عثمان بن فرج العبدوي وأبو محمد بن صدقة المكي وأبو عبد الله بن يعيش البلنسي وغيرهم وكان سماع أبي الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٦ هـ رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق اليحصبي الاندلسي رحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية أبو الطاهر السلفي كتاب طبقات الامم لابي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي وحدث به عنه عن ابن برال عن صاعد *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الصريحي المرسي ويعرف بابن مطحنة روى عن أبي بكر بن الفرضي النحوي وتأدب به ورحل الى المشرق ولقي أبا محمد العثماني وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما وأنشد رحمه الله تعالى قال أنشدني أبو محمد عبد الله بن البياسي بالاسكندرية لنفسه

يمدّ الدهر من أجلي وعمري * كما اني أمدّ من المداد

لنا خطان مختلفان جدا * كما اختلف الموالي والمعادي

فأكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولي خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد

فأكتبه سوادا في بياض * وتكتبه بياضا في سواد

وبعضهم نسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ فالله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى الشلبي سمع من الصدفي وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد وامتحن بالامراء في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى أدّى ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية

قوله ابن احمد في نسخة ابن محمد اهـ

فلقى بها المازرى وأقام فى صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقى بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوربولى فى هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها أعواما وطار ذكره فى هذه البلاد وعظم شأنه فى العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه فى بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفى بهراة سنة ٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد فى الخريدة والسمعانى فى الذيل وأنشد له

تلونت الايام لى بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت أدبرت عنها وان نأت * فأهون بمفقود لاكرم فاقد

ولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى الازدى المرسى ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضى الشهيد أبى على الصدفى ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشى والانماطى والسلفى وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزيها سالم الباطن وحكى عن شيخه أبى عبد الله الرازى عن أبيه انه أخبره أن قاضى البرلس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ وأسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ماشاء الله تعالى أن يصلى فسمع قائلا يقول

لولا أناس لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت فى صلاتى وأدرت طرفى فما رأيت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت أن ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله تعالى أنشدنى أبو عامر قال دخلت بعض مراسى الثغر فوجدت فى حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولى أمل عودة * ولكننى لست أدرى متى
ودافعنى قدر لم أطق * دفاعا لمكروهه اذ أتى
ومن أمره فى يدى غيره * سيغلب ان لان أوان عتا
فيا نازلا بعدنا ههنا * فحييك ان كنت نعم الفتى

فسألت عن منشدها فقيل لى هو أبو بكر بن أبى درهم الوشقى وكان قد حج وأراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو أصوب وأبدل قوله يا نازلا يا ساكنا والخطب سهل فيه وبعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدانى الاصبحى لازم ابن سعد الخير واحتذى أول أمره مثال خطه فقاربه وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من أبى الطاهر بن عوف والسلفى وغير واحد قال التجيبى كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها وبقراءته سمعنا صحيح البخارى على السلفى سنة ٥٦٣ قال وأنشدنا الشيخه الاستاذ أبى الحسن على بن ابراهيم بن سعد الخير البلنسى

يالاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا

قوله سنة ٥٦٣ فى نسخة سنة ٥٧٣ اه

والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبي مروحاً ومبكرا
أو لا ترى أن المحب مقبل * طللاً وان لم يلف فيه مخبرا

وقد سبق ابن سعادة أبو عبد الله وهو غير هذا والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله ابن يوسف القضاعي المري) سمع من أبي جعفر بن غزلون صاحب الباجي وغيره واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من السلفي والرازي وتجول هنالك وأخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسي وغير واحد وقال ابن المفضل أنشدني المذكور قال أنشدني أبو محمد بن صاره

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذني خلفه لهبه
كفارس حل اعصار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

*(ومنهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي الحنفي) سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب وأقام بها وصار من العدول المبرزين في العدالة بحلب يعرف النحو والعروض ويشتغل فيهما وله انتماء الى قاضي القضاة الناصر بن العديم قال الصفدي رأيته بحلب أيام مقامي بها سنة ٧٢٣ فرأيته حسن التودد وأنشدني لنفسه من لفظه

مالاح في درع يصول بسيفه * والوجه منه يضيء تحت المغفر
الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

قال الصفدي جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وبين قول أبي بكر الرصافي

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى * يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه الى حلب قاضي القضاة

يمن ترنم فوق الايك طائره * وطائر عمت الدنيا بشائره
وسودد أصبح الاقبال ممتثلا * في أمره ما أخوه العز آمره

ومنها

من مخبر عني الشهباء أن كما * ل الدين قد شيدت فيه مفاخره
وان تقلده الزاهي وخلعته التي تطرز عطفيها مآثره
بالنفس أفديك من تقليد مجتهد * سواه يوجد في الدنيا مناظره
أنشدت حين أدار البشر كأس طلى * حكت أوائله صفوا أواخره
وقد بدت في بياض الطرس أسطره * سود التبدي ما أهدت محابره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
وخلعة قلت اذ لاحت لتزرينا * بالروض تطفو على نهر أزاهره

قوله غزلون في نسخة غزيون اه

وقد رآه اعدوك كان يضمرلى * من قبل سوءا نخانته ضمائره
ورام صبرا فاعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره
بعودة الدولة الغراء ثالثة * أمنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر فى الوغى نيران حرب * بايديهم مهندة ذكور
ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول بعد أقلتها بدور

وقال ملغزا فى قالب لبن

ما آكل فى فين * يغوط من مخرجين
مغرى بقبض وبسط * وماله من يدين
ويقطع الارض سحبا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدى ولما كنت فى حلب كتب الى أبياتا انتهى * (ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسى) قال أبو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبى جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبى سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه فى الصلاة على ما صح فى الحديث فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضجر من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها لجدير أن يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر أن يبيض راسى لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسى
وكان شعارا فى الهوى قد لبسته * فرأسى أموى وقلبى عباسى

قلت لو قال شيعى لكان الغاية وأنشد له بعضهم

فلا تعجبا ممن عوى خلف ذى علا * لكل على فى الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ورحم الله بعض الاندلسيين حيث قال فى رجز كبير

ومن يكن يقدح فى معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد أبو حيان للمذكور

أرى الدهر ساد به الارذلو * ن كالسيل يطفو عليه الغثا
ومات الكرام وفات المديح * فلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالى فى الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا

وأهل ود أسأل الله ان * يمتع بالبقيا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت أنى أتى * بل لم أكن ألتذ بالمحيا

وقال أبو حيان فى هذه المادة

أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت انى لا أعد من الاحيا
فمنها رجائى أن أفوز بتوبة * تكفر لى ذنبا وتنجح لى سعيا
ومنهن صونى النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشى الى بابه مشيا
ومنهن أخذى بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أنترك نصا للرسول وتقتدى * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا انتهى

*(ومنهم الاستاذ أبو القاسم ابن الامام القاضى أبى الوليد الباجى سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته فى حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تآليف تدل على حذقه منها العقيدة فى المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية فى الورع توفى بجدة بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم الامام الفاضل الاديب أبو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلى الغرناطى قال العز بن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى المغرب فى هذه السنة وبلغنا انه توفى بمراكش سنة نيف وأربعين وسبعمائة وأنشدوا الذى قصيدة من نظمه امتدحه بها وأنا أسمع ومن خطه نقلت وهى

قفا مورداعينا جرت بعدكم دما * أناضى أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تناقل أنجما * ورحن حنيات تفوق أسهما
يجشمها الحادى الاحرين حمرا * ويوطئها الحادى الاخيرين هيما
على منسميها للشقائق منبت * وفى فويها للشقائق مرتما

الى أن قال

وتعسا لآمال جهام سحابها * تزجى ركاما ما استهل ولا همى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة * ومن لم يجد الا صعيدا تيمما
فهل ذمم رعاه ليل طويته * طوانى سرا بين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسما * وأرشف من بهماء ظلمائه لمى
الى أن تجلى من كنانة بدرها * فعرس ركبى فى حماه وخيما
ثمال اليتامى حيث ليس مظلل * وكهف الايامى أيما عزمرتما

ومنها

فيا كفه أأنت أم غيث ديمة * أسالت عبابا فى ثرى الجود عيلما
ويا سعيه يهنيك اجر تنيه * على معطفى علياه بردا مسهما
قضى بمنى أوطار نفس كريمة * وروى صداها حين حل بزمزما
وناداه داعى الحق حى على الهدى * فأسرج طوعا فى رضاه وألجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى * ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقاما لديك الدين فرضا وألزما

وهى طويلة * (ومن الراحلين من الاندلس) الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بابى ركوة وأظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية وأخرج لهم أرجوزة أسندها الى مسلمة ومنها فى وصفه وابن هشام قائم فى برقة به يقال عبد شمس حقه يكون فى بربرها قيامه وقرة العربية لها اكرامه واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم فالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر باديس الصنهاجى صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر وأحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه فى الوصول الى أوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بمحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى أن هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فأمر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ولما حصل فى يد الحاكم كتب اليه

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه فى الارض هاربه
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعى الموت الذى أنا شاربه
وقد قادنى جرمى اليك برمتى * كما خر ميتا فى رحى الحرب سالبه
وأجمع كل الناس أنك قاتلى * فيارب ظن ربه فيه كاذبه
وماهو الا الانتقام وينتهى * وأخذك منه واجبا وهو واجبه

ولابى ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها فى ديار العدا * تملا وعر الارض والسهلا
فلا سعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلى يحيى بن سليمان قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات فى الادب ومن نظمه قوله

أرض سقت غيطانها أعطانها * وزهت على كثبانها قضبانها

ومنها

فتمسكت بالباب الكثاة فسيفها * من طرفها وسنانها وسنانها

لم يبق شخص بالبسيطة سالما * الا سبى انسانه انسانها

ومنها

وتصاحبت وتجاوبت أطيارها * وتداولت وتناولت ألحانها

وشمت وتبسمت أيامها * وتملت وتكاملت أزمانها

بمديرها ومنيرها وغديرها * ومعيرها حسنا جلاه عيانها

*(ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبي المعروف بالمفيلي) سمع من محمد بن عبد الملك بن أيمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من أبي سعيد بن الاعرابي وكان بصيرا بالعربية والشعر ومؤلفا جيدا النظر حسن الاستنباط حدث وتوفي فجأة في شهر ربيع الاول سنة ٣٦٩ قاله ابن الفرضي *(ومنهم الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصاري الغرناطي) قدم المشرق وتوفي بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصوري قال قاضي القضاة عبد العزيز بن جماعة الكناني في كتابه نزهة الالباب أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام أن يعود اليهما فلم يتيسر له

لئن بعدت عني ديار الذي أهوى * فقلبي على طول التباعد لا يقوى

فحدث رعاك الله عن عرب رامة * فاني لهم عبد على السر والنجوى

فان مت شوقا في الهوى وصبابة * فيا بشرى ان مت في حب من أهوى

فيا أيها العذال كفوا ملامكم * فما عندكم بعض الذي بي من الشكوى

ويا جيرة الحي الذي ولهي بهم * أما ترجوا صبا يحن الى حزوى

ويا أهل ذياك الحمى وحياتكم * يمين وفي صادق القول والدعوى

ملكتم قيادي فارحموا وترفقوا * فأنتم مرادي لا سعاد ولا علوى

فمالي سواكم سادتي لا عدمتكم * فجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى انتهى

*(ومنهم الفاضل الاديب أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي) قال ابن جماعة في الكتاب المسمى قريبا أنشدني المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه

يا سيد الشهداء بعد محمد * ورضيع ذي المجد المرفع أحمد

يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم * سرج المعالي والكرام الجحد

يا أيها البطل الشجاع المحتمى * دين الاله بيأسه المستأسد

يا نبعة الشرف الاصيل المعتلي * يا ذروة الحسب الاثيل الاتلد

يا نجدة الملهوف في قحم الوغى * عند التهاب جحيمها المتوقد

قوله ابن محمد في نسخة ابن يحيى اهـ

قوله ابن علي بن محمد بن يحيى في نسخة ابن علي بن يحيى وكذلك قوله ابن سلمة في نسخة ابن مسلمة اهـ

ياغيث ذى الامحل البعيد مرامه * ياغوث موتور الزمان الانكد
يامن لعظم مصابه خص الاسى * قلب الرسول وعم كل موحد
ياحمزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المجد
واقاك ياأسد الاله وسيفه * وفد أتوا من حال نجع مهد
جئناك ياعم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
واسأل الهك فى اغتفار ذنوبنا * شيم المزور قيامه بالعود
اذ نابجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
ياابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف جناب ساحتك التى * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أبا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك فى هدانا واقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدى بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتقدنا منك خير وسيلة * نرجو بها حسن التجاوز فى غد
لم لا نؤم وأنت عم محمد * ولدينه قد صلت صولة أيد
وصحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان وباليد
وبذلت نفسك فى رضاه بصولة * فقتلت فى ذات الاله الاوحد
يجزيك عنا الله خير جزائه * وسقاك سحا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفى بالمدينة الشريفة طابة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧١٥ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى * (ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المايرقى) من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة فى العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل واديه موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذى هيف راق العيون انثناؤه * بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة * فوقع لا خوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لام لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذى القرنين بن حمدان

انى لاحسد لا فى أحرف الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام والالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من لوعة الاسف

وأحسن من هذا قول القيسرانى

أستشعر اليأس من لا ثم يطمعنى * اشارة فى اعتناق اللام والالف

وكانت وفاة أبى الحسن المذكور فى ربيع الاول سنة ٦٥٥ . ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى والابيات التى أولها القضب راقصة الى آخره نسبها اليونينى وغير واحد والصواب انها ليست له وانما هى لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثيرا ما يقع والله تعالى أعلم * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) ابن عتبة الاشبيلى وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال تغيرت عليه البلاد وتبدلت به الاحوال فلما سئل عن حاله بعد بعده عن أرضه وترحاله بادر وأنشد

أصبحت فى مصر مستضاما * أرقص فى دولة القرود
واضيعة العمر فى أخير * مع النصارى أو اليهود
بلدة رزق الانام فيهم * لا بنوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من يراعى * معنى قصيد ولا قصود
أود من لؤمهم رجوعا * للغوب فى دولة ابن هود

وتذكرت بقوله ارقص فى دولة القرود ماوقع لابى القاسم بن القطان وهو مما يستطرف ويستظرف وذلك أنه لما ولى الوزارة الزينبى دخل عليه أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعاله واظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر وارقص للقرد فى دولته * (ومن المرتحلين) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الهراوى من أهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة فى الاحاطة ذكرناها مع زيادة عليها اذ تعرضنا اولا دلسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ورحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان وسكن حلبا وله أمداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر وأمداح نبوية فى غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله تعالى مور يا بأسماء الكتب

عرائس مدحى ككم أبين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا
فوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها تحسن المشارق للعلا * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لانت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر للقالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض وغيره

والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف فى فنه مثله والرسالة لابن أبى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازى والغاية للنووى وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتى يا نور عينى لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالى اذا حدثت لا المعاولا * جملا لايضاحى بها من تكمله
عندى جوى يذر الفصيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فسير * تجى اصلاحه والعين سحب مثقله

وقد أوردنا فى ترجمة أبى عبد الله بن جزى الكاتب الاندلسى جملة مستكثرة فى التورية بأسماء الكتب فلتراجع ثمة *(رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تضمينه للابيات المشهورة

لم يبق فى اصطبار
مذ خلفونى وساروا
وللحبيب أشاروا
جار الكرام فجاروا
لله ذاك الاوار
يا نوافا الدار دار
يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجرى
كانوا من الود أهلى
ما عاملونى بعدل
أصموا فؤادى بنبل
يا بين بينت ثكلى
يا روح قلبى قل لى
أهم دعوك لقتلى
وحرموا لك وصلى * وحللوا لك هجرى
حسبى وماذا عناد
هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا

أو جاملونى وجادوا
يامن به الكل سادوا
والكل عندى سداد
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

وتذكرت بهذا قول أبى البركات أيمن بن محمد السعدى رحمه الله تعالى

للعاشقين انكسار * وذلة وافتقار
وللملاح افتخار * وعزة واقتدار
وأهل بدرى أثاروا * وودعونى وساروا
يابدر الخ

كتبت والوجد يملى * جد الهوى بعد هزل
وحار ذهنى وعقلى * ما بين بدرى وأهلى
يابدر فاحكم بعدل * اذا أتوك بعذل
وحرموا الخ

لولاهوائ المراد * ما كنت ممن يصاد
ولا شجانى البعاد * يابدر أهلك جادوا
غلطت جاروا وزادوا * لكنهم بك سادوا
فليفعلوا الخ انتهى

(رجع) الى ابن جابر فنقول توفى رحمه الله تعالى فى البيرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ومن نظمه قوله

يا أهل طيبة فى مغناكم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق

وقوله

أما معانى المعانى فهى قد جمعت * فى ذاته فبدت نارا على علم
كالبدر فى شيم والبحر فى ديم * والزهر فى نعم والدهر فى نقم

وقال

ولما وقفنا كى نودع من نأى * ولم يبق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للمحب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

وقال

ضحكت فقلت كان جيدك قد غدا * يهدى لثغرك من جواهر عقده
وكأن ورد الخد منك جنانه * قد شاب عذب لماك حالة ورده

وقال

منعتنا قرى الجمال وقالت * ليس فى غير زادنا من مجال

فأقنعا على الرحال وقلنا * مالنا حاجة بحط الرحال

وقال

عذب قلبي رشا ناعم * أسهر طرفي طرفه الناعس

يحرس باللحظ جنى خده * يا ليته لو غفل الحارس

وقال

وافيت ربعهم وقد بعد المدى * ونأى الفريق من الديار وسارا

ما كدت أعرف بعد طول تأمل * دارا بها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس * همومهم موافاة الرجال

أطالوا في الندى اهلاك مال * فعاشوا في الانام ذوي كمال

وقال

أيها المتهمون نفسي فداكم * أنجدوني على الوصول لنجد

وقفوا بي على منازل ليلى * فوجودي هناك يذهب وجدي

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة في صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بيانها فأثمرت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات وسمعت الآذان ضجة الاذهان بهذه الابيات

هذي فصول الربيع في الزمن * كم حسن أسندت الى حسن

رقت وراقت فمن شمائلها * بمثل صرف الشمول تتحفني

كم ملح قد حوت وكم ملح * يعجبني لفظها ويعجزني

كم فيه من نفث ومن نكت * أشهدني حسنها فأدهشني

جمع عدمنا له النظير فلا * يصرف عن خاطر ولا أذن

يا حبر أهل العلا وبحرهم * أي بديع الكلام لم ترفه

بدرك في مطلع الفضائل لا * يكون مثل له ولم يكن

هذي الفصول التي أتيت بها * قد أفحمت كل ناطق لسن

كم فن معنى بها يذكرني * شجوى لشدو الحمام في فنن

فمن نسيب صح النسيم به * لطفا فأزرى بالجوهر الثمن

وحسن سجع كالزهر في أفق * والزهر في ناعم من الغصن

له معان أعيت مداركها * كل معان بنيلهن عني

لازال راق للمجد راقيها * ذا سنن حاز أحسن السنن

فصول هي للحسن أصول وشمول لها على كل القلوب شمول ليس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها وصول ولا انتهى قس الايادي الى هذه

الايادى ولا الظفر بديع الزمان بهذه البدائع الحسان لقد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بن لطافة فضله وفضل ذهنه نزهت فى طرف حماتاها ونبهت بلطف شمائلها تالله انها السحر حلال وخلال ماشابها اخلال كلام كله كمال وجمال لا يرى فيه الاجمال راقم بردها وناظم عقدها فى كل فصل جاء بكمال فصل وفى كل معنى عمر بالبراعة مغنى أعرب فأغرب وأوجز فأعجز وأطال فأطاب وأجاد حين أجاب فما أنفس فرائده وأنفع فوائده وأفصح مقاله وأفسح مجاله وأطوع للنظم طباعه وأطول فى النثر باعه أزاهر نبتت فى كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عذاب ومواهب لا تدرك بيدا كتساب سبحان من يرزق من يشاء بغير حساب فصول أحلى فى الافواه من الشهد وأشهى الى النواظر من النوم بعد السهد سبك أدبها فى قالب النكت الحسان وذهب بمحامد عبد الحميد ومحاسن حسان فما أحقها أن تسمى فصول الربيع وأصول البديع لا زال حسنها يملأ الاوراق بما راق ويزين الآفاق بما فاق ولا برحت حدائق براعته نزهة للاحداق وحقائق بلاغته فى جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله تعالى وكرمه انتهى * وحيث جرى ذكر نسيم الصبا فلا باس أن نذكر تقاريظ العلماء له * فمن ذلك قول القاضى شرف الدين بن ريان وقفت على هذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنفه وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه وعرفت مقدار ما فيه من الانشاء وأين من يعرفه فوجدته ألطف من اسمه وأحسن من الدرر فى نظمه وأطيب من الورد عند شمه هبت على رياض فصوله نسيم صباها ففاقت الازهار فى رباها وتشوقت قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وفاضت عليه أنوار البدر فأغنى سناها عن الشمس وضحاها وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم ومن معانيه بالعقد النظيم وترنحت أغصان فنون الفصاحة لما هبت عليها ذلك النسيم كل فصل له فى الفضل أسلوب على بابه وطريق انفرد به منشئه محاسن لا توجد الا فى كتابه صدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق وقريحة اذا ذقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فالله تعالى يبقى مصنفه قبلة لاهل الادب وبديعه و يبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه انتهى *وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان ابن داود المصرى على فصول الحكم من هذه الفصول ووجد من نسيم الصبا أمارات القبول ونزه طرفه فى رياض هذا الكتاب وخاطب فكره العقيم فى وصفه فعجز عن رد الجواب

ماذا أقول وكل وصف دونه * أين الحضيض من السماك الاعزل

يالها كلمات نقصت قدر الافاضل وفضحت فصحاء الاوائل وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل وزادت فى البلاغة على فريد وغيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا وملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نوّرا

وخطاب أعجز الخطباء وصفه وجواب ألغى البلغاء رصفه وغرائب تعرّفت بجديها وشوارد تألفت بهديها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها عين ناظر ولا يد جان معان تطرب السمع لها حكم وأحكام وألفاظ هي الارواح لا أرواح أجسام فلما ألقى فهمه عروة المتماسك وضاقت عليه في وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطا يسبي الطرف ويستغرق الشارف نسج قلمه الكريم من وشي البلاغة ديباجا واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا فألفى ألفات كاعتدال القدود ونونات كأهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر جعل للاقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الاسماع بحلية زائدة على الشنوف فعطف ساعة يطنب في دعائه وشكره وآونة يميل من طربه بألفاظه وسكره فلله در ألفاظك ودرر فضلك وأحسن بوابلك الهاطل بالبيان وطلك

لسانك غوّاص ولفظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ويوضح منهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شئ قدير * وكتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في تقريظ الكتاب المذكور مانصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوّقت سهمي تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى ما يضيء أخا الحجا أسهل الطرائق فاعال صداى كنسيم الصبا ولا كمثله سهما صائبا صبابه من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجيء من ملح الكلا * م بطارف أو تالده
كالسم نوابغ نحو آ * فاق المطالع صاعده
لو رامها قس لما * ألفى أباه ساعده
أبدى نتائج عيبه * في ذي المعاني الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلي عندها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بها احسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكي انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذى أشبه الدر في انتظامه والثغر في ابتسامه وقطر الندى في انسجامه وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحرسه أبدع في تأليفه وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو في اللطافة كالماء في اروائه وكالهواء المعتدل في ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا اتسق بجوهره وأجيد في انتقائه قد أينعت ثمرات فضائله فأصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدورها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول

مقاطعه التي هي في الحقيقة لآذان الجوزاء شنوف فأكرم به من كتاب ما الروض بأبهى من وسميه ولا الريحان بأعطر من شميمه ولا المدامة بأرق من هبوب نسيمه ولا الدر باسنى زهرا بل زهوا من رسومه اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين واذا تأمله الاريب نزه طرفه في رياض البساتين تدبر على كل نوع من البديع باب لا يدخله الا من خص من البلاغة باللباب والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ويمتع بفضائله التي شهد بها أهل العلم وذوو الالباب بمنه وكرمه وكتبه محمد بن يعقوب الشافعي * وكتب الصفدي شارح لامية العجم بما نصه وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا والتأليف الذي لو مر بالبادرين لما ألف ليلا ولا مال الى الصبا ولا صبا والانشاء الذي ان شاء قائله جعل الكلام غيره في هبات الهواء هبا والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الابريز وسبا والكلام الذي نباعنه الجاحد جاحدا وماله ذكر ولا نبا فحسدت جواهر حروفه لمن أوجده في هذا العصر وعلمت ان ألفاظه ترى قلوب حساده بشرر كالقصر وتحققت أن قعقعة طروسه أصوات أعلامه التي تحقق له بالنصر وتيقنت أن سطوره غصون لا تصل اليها كف جناية بجنى ولا هصر

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا * تراتبها مصقولة كالسجنجل
وميلوا بأعطاف التعجب انها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ولما ملت بعد ما ملت وعزلت بعد ما هزلت جردت من نفسي شخصا أخاطبه وأجاريه في أوصاف محاسنها التي أناهبه منها وأناهبه فقال لي هذا الفن الفذ والنثر الذي قهر أقران هذه الصناعة وبذ والادب الذي سد الطرق على أوابده فما فاته شئ ولا شذ وهذا الانشاء الذي ماله عديل في هذا العديد ولا ضريب وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فالحبيب بن أوس حسن ابن حبيب فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحره والفوائد التي أيقظت جفن الادب بعد ما كان بالساهره ومتع الله تعالى الزمان وأهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز البض والبديع الذي رتع ما تشعث من ربع هذا الفن ورض واقتض المعاني أبكاره وافتض وأرسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانفض وانقض وأنبط ماء الفصاحة لما تحدر وارفض واستمال القلب الفظ لما فك ختم ذهوله وفض انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدي انتهى *(ومنهم الاديب أبو جعفر الالبيري رفيق ابن جابر السابق الذكر وهو البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه قوله

أبدت لي الصدغ على خدها * فأطلع الليل لنا صبحه
خدها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقوله وقد دخل حمص

حمص لمن أضحى بها جنة * يدنو لديها الآمل القاصي
حل بها العاصي الا فاعجبوا * من جنة حل بها العاصي

وقوله

ان بين الحبيب مدى موت ❊ وبه قد حييت منذ زمان
ليت شعرى متى نشاهده العين وتقضى من اللقاء الامانى

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

ومورد الوجنات دب عذاره * فكانه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته تفلى أودع ورده * مافى وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا فى مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز خصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا الجيد الاحسان محليا ومنهم من عاد قبل الغاية مرليا ❊ (رجع) ومن تآليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال فى خطبته لما كانت القصيدة المنظومة فى علم البديع المسماة بالحلة السيرا فى مدح خير الورى التى أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبى عبد الله بن جابر الاندلسى نادرة فى فنها فريدة فى حسنها تجنى ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها المعانيها ويبدى غرائب مافيها لموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل فخير الامور أوسطها والغرض مايقرب المقاصد ويضبطها فاعرب من ألفاظها كل خفى وأسكت من لغاتها عن كل جلى والله أسأل أن يبلغنا ماقصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحله وشفاء الغله ومما أورده رحمه الله تعالى فى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ماأطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالترب منها عنبر طيب
ياطيب عيشى عند ذكرى لها * والعيش فى ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى فى هذا الشرح بعد كلام مانصه واذا أردت أن تنظر الى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلى كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال
ياد ارغيرك البلى ومحاك فأحزن فى موضع السرور وأجرى كلامه على عكس الامور وانظر الى قول القطامى

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فانظر كيف جاء الى طلل بال ورسم خال فأحسن حين حياه ودعاله بالسلامة كالمبتهج برؤية محياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس المسامع بأوفى التحية وأزكى السلامه والذى فتح هذا الباب وأطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللواء ومقدم الشعراء حيث قال

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال

قيل وهذا البيت الاخير يحسن أن يكون من أوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لا توجد الا فى الجنة انتهى وقال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة وأعلام نجد تلوح وحمائمه تشدو على الايك وتنوح

ولما وقفنا للوداع وقد بدت * قباب نجد وقد علت ذلك الوادى
نظرت فالفيت السبيكة فضة * لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى
فلما كستها الشمس عاد لجينها * لها ذهبا فاعجب لاكسيرها البادى

والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله تعالى

هذه عشرة تقضت وعندى * من أليم البعاد شوق شديد
واذا ما رأيت اطفاء شوقى * بالتلاقى فذاك رأى سديد

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية

خذها اليك هدية * ممن يعز على أناسك
اخترتها لك عندما * أضحت هدية كل ناسك
أرسلتها طاقية * لتنوب فى تقبيل راسك

وله من رسالة وافى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار وابهى من حسن الحباب على الانهار يشرق اشراق نجوم السماء ويسمو الى الاسماع سمو حباب الماء وقال رحمه الله تعالى فى العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولا تخالط منهم * أحدا ولو اصفى اليك ضمائره
ان الموفق من يكون كانه * متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة * لكنه ما نال ذلك سالك
أضحى بدائرة له متقارب * يرجو الخلاص فعاقه متدارك

وله

دائرة الحب قد تناهت * فما لها فى الهوى مزيد
فبحر شوقى بها طويل * وبحر دمعى بها مديد
وان وجدى بها بسيط * فليفعل الحسن ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو البعلى قال أبو جعفر المترجم به أنشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماه

وبى عروضى سريع الجفا * يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر * لكنه يمنع من قطفه

قال وأنشدنا أيضا لنفسه

وبى عروضى سريع الجفا * وجدى به مثل جفاه طويل

قلت له قطعت قلبي أسى * فقال لي التقطيع دأب الخليل انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة في ذلك

ان صدّ عني فاني لا أعاتبه * فما التنافر في الغزلان تنقيص
شوقي مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وأنشدنا في ذلك أيضا

عالم بالعروض يضنين قلبي * في مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الردف يبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

سبب خفيف خصرها ووراءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

وله

صدوده لي مديد * وأمر حبي طويل
وفيه أسباب حسن * وتلك عندي الاصول
فخصره لي خفيف * وردفه لي ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادي اسقني كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتي للساقي
حيّ العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
يا حسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

واورد له أيضا

يا حسن ليلتنا التي قد زارني * فيها فأنجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * في عقرب الصدغ الذي في خده

*(رجع) الى أبي جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر فذلكة الحساب فقال هي التي يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبي * بالحاظ وأحداق
له الثلثان من قلبي * وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى * وباقي الثلث للساقي
وتبقى أسهم ست * تقسم بين عشاق

قال مانصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقي الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثي ثلثها وهو اثنان وبقي من الثلث واحد أعطاه للساقي فبقي من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقي سهم واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى في علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر

قسم القلب في الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه في هواه يا قوم حالي * ضاع قلبي ما بين ضرب وقسمه

وأنشد له في الهندسة

محيط بأشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وأنشد له في خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق * قد بدا تحته بياض وحمره
قيل ماذا فقلت أشكال حسن * تقتضي أن أبيع قلبي بنظره

وأنشد له في علم الخط

قد حقق الحسن نور حاجبه * وخط في الصدغ واو ريحان
ومد من حسن قده ألفا * أوقف عيني وقوف حيران

وأنشد له أيضا

ألف ابن مقلة في الكتاب كقده * والنون مثل الصدغ في التحسين
والعين مثل العين لكن هذه * شكلت بحسن وقاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت * حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذي قد خط تحت الصدغ من * خيلانه نقطا بجلب فنون
باللرجال ويا لها من فتنة * في وضع ذاك النقط تحت النون

وأورد له في ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وقته أجفان
خد عليه رقاع الروض قد جعلت * وفي حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطومار العذار به * سطرا ففضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبري عن هواه ومن * توقيع مدمعي المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
أقسمت بالمصحف الشامي وأحرفه * ما مر بالبال يوما عنك سلوان
ولا غبار على حبي فعند لك لي * حساب شوق له في القلب ديوان

وأنشد له

يا صاحب المال ألم تستمع * لقوله ما عندكم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت به مخلد

وله

ان شئت أن تجد العدو وقد غدا * لك صاحبا ولي الجميل ويحسن
فاعمل كما قال الخبير بخلقه * في قوله ادفع بالتي هي أحسن

وله

اذا اشتد عوز قابلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك فى قوله * ومن يتق الله يجعل له

وأورد له أيضا

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الخير فى أشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين
دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * تخف من لا يكون له حياء
فقد قال الرسول بأن مما * به نطق الكرام الانبياء
اذا ما أنت لم تستحي فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد * فخيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لاشك فى سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدى

ان البراعة لفظ أنت معناه * وكل شئ بديع أنت مغناه
انشاد نظمك أشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهى طويلة فأجابه الصفدى بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا باللآلى فى هداياه
خصصتنى بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه
من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان فى زواياه

وهى طويلة *(رجع) الى نظم أبى جعفر فن ذلك قوله

تريك قدا على ردف تجاذبه * كخوطة فى كثيب الرمل قد نبتت
ريا القرنفل فى ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوى قد التفتت

عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس

اذا التفتت نحوى تضوع ريحها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وأورد له قوله

ولولا خباء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق فى الركب محرم
ففوق ذرى المتنين بردمهلل * وتحت رداء الخز وجه معلم

عقد في الاول قول ابن الخطيم

ديار التي كانوا نحن على منى * تحوط بنا لولا نجاء الركائب

وعقد في الثاني قول ابن أخي ربيعة

أماطت رداء الخز عن حر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهللا

وأورد له قوله

ان ادعى لك مروان الجلال فقل * لا يجهل المرء بين الناس رتبته
ان الجلالة حقا للمقول له * هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

وقوله

من منصفي يا قوم من ظبية * تسرف في هجري وتأبى الوصال
وكلما أسأل عن عذرها * تقول لي ما كل عذر يقال

وقوله

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا * وكم حسدوا فصار لهم فرار
وهاجر عندما هجروا فأضحى * لخيمة أم معبد الفخار

وقوله

بحسبك أن تبيت على رجاء * ولو خطبتك للبأس الخطوب
ومهما أكربتك صروف دهر * فقل ما قاله الرجل الاريب
عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقوله

خليلي هذا قبر أشرف مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
رويدكما نبكي الذنوب التي خلت * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
منازل كانت للتصابي فأقفرت * لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السقط وقال قبله انه أخذ أعجاز هذه القصيدة من أولها الى آخرها على التوالي وصنع لها صدورا وصرفها الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فجاء في ذلك بما لم يسبق اليه ولم يقف أحد في تلك المعاني على ما وقف عليه انتهى وقوله

كم ليال خلت بكم كاللآلي * نظمتها لنا يد الازمان
أيها النازحون عن رأى عيني * وهم في جوانحي وجناني
ما ألذ الوصال بعد التنائي * وأمر الفراق بعد التداني
قد وكانا كم لرب كريم * غيروان عن عبده في أوان
ما رحلنا عن اختيار ولكن * رحلتنا تلونات الزمان

وقوله

تشتكي الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم فى أوله الدال

دفاع لمكروه أمان لخائف * سحاب لمستجد هلال لمستعدى
دروب على الحسنى عفوّ لمن جنى * منيب لمن أثنى مجيب لذى قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذ أهدى دع البدر اذ يهدى

وقوله

غزال ماتوسد ظل بان * بهاجرة ولا عرف الظلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع الخصر فوق منصوب ردف * وبجزم القلوب فرعيه جرّا
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * تاه درّا أرخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العلا * قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم * أسدى الينا من اياد
قد زانها بحلى البلا * غة منعما فى كل ناد
قد قرّ فى بطن الثرى * متفرّدا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح اليه النفس ويلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام نخام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
فيفعل فى فقر المقلين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

*(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الاعباسقتها ازال جنبيها ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التى * جاءت بحسن ما ألفه
عانقته فكأننى * لام معانقة الالف

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لا تعتبن على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا قلم
فالسين من طرّتى واللام مع ألف * من عارضى وهذا الميم ميم فى

وقال رحمه الله تعالى

لا يقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم
فالله قد قال قولا * وهو الجواد الكريم
نبئ عبادى أنى * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له * فبالقرب يقطع منه الوتين

قوله الاعباسقتها الخ هكذا فى نسخة المؤلف رحمه الله تعالى اه من هامش

فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه ما نصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذى لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فسد صلى الله عليه وسلم خلته وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه فى نفسه وأهله مراده وذلك بعد اهدار دمه وما سبق من هذر كلمه محت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الامل فهى حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب انشدها بين يديك فقال نعم وأنا أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك انتهى

وقال رحمه الله تعالى

لقد كثر العذار بوجنتيه * كما كثر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العذار
فقلت لناظرى لما رآها * وقد خلط السواد بالاحمرار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وقال

قالوا عشقت وقد أضر بك الهوى * فأجبتهم ياليتنى لم أعشق
قالوا سبقت الى محبة حسنه * فأجبتهم ما فاز من لم يسبق

ولما أنشدنا رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب فى المستضىء بالله

وردا الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم
ظمآن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

قال ما نصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء فى سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد فى حلاوته مع أن ناظمهما ما خرج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما فى الحسن ما لهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب نعم هذه المحاسن الوافيه ما سلما من

عيب القافية انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خير الليالى ليالى الخير فى اضم * والقوم قد بلغوا أقصى مرادهم

ما نصه يقول ان خير الليالى التى تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالى الخير فى اضم حيث التنزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا أقصى مرادهم فى ذلك الحرم *(ومن الراحلين الولى الصالح أبو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسى) وهو ابن أخت ابن صاحب الصلاة البجانسى نسبة الى بجانس قرية من قرى وادى آش وكان رحمه الله تعالى أواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن يحيى الازدى القشتالى فى تأليفه الذى سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه راضوا نفوسهم لتنقاد للمولى سرا وعلنا وزهدوا فى الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا واتبعوا القول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التأليف المذكور سألت الشيخ أبا مروان يوما فى مسيرى معه من وادى آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت يا سيدى لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للمشرق ولا سافرت مع عالم تقتدى ببركته فى هذا الطريق فقال لى أقام الله تعالى من باطنى شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لى أمر نظرت فى خاطرى فيخطر لى خاطران فى ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت أجتنب المذموم وأرتكب المحمود فاذا وصلت الى أقرب بلد سألت عمن فيه من المشايخ والعلماء فاسأله عن ذلك فكان يذكر لى المحمود محمودا والمذموم مذموما فأحمد الله تعالى أن وفقنى ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم أعتمد على ما يقع بخاطرى من الامور الشرعية الى الآن حتى أسأل عنه من حضر من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التأليف المذكور قوله فى حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم هو طريق الحق نحا ماهم ونور بصائرهم فأصمهم عن الباطل وأعماهم وأهانوا فى رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى وما أحسن قوله فى التأليف المذكور يا هذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن أخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى *(ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقى) نزيل القاهرة وهو الذى عناه ابن سعيد فى كتابه المغرب بقوله وقد جمع أبو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشان حشر فيه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقى وكتاب الزهراوى وكتاب الشريف الادريسى الصقلى وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية فى مقصده انتهى وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته فى غير هذا الموضع فليراجع وكان ابن البيطار أوحد زمانه فى معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه فى الادوية والحشائش وجعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان خطيبا

عنده الى أن توفى بشعبان سنة ٦٤٦ التى توفى بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع فى الادوية المفردة وكتاب المغنى أيضا فى الادوية وكتاب الابانة والاعلام بما فى المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبه والخواص الغريبه وشرح كتاب ديسقوريدوس قال الذهبى انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه وتوفى بدمشق انتهى * (ومنهم الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن على القرشى البسطى الشهير بالقلصادى بفتحات كما قال السخاوى الصالح الرحلة المؤلف الفرضى آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الاندلس وأكثر تصانيفه فى الحساب والفرائض كشرحيه العجيبين على تلخيص ابن البناء والحوفى وكفاه فخرا أن الامام السنوسى صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه جميع مروياته وأصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقسطى وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومر بتلمسان فأخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن مرزوق والقاضى أبى الفضل قاسم العقبانى وأبى العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشانى وحلولو وغيرهم ثم حج ولقى أعلاما وعاد فاستوطن غرناطة الى أن حل بوطنه ما حل فتحيل فى خلاصه من الشرك وارتحل ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جدت به الرحلة الى أن وافته منيته بباجة افريقية منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتأليف ومن تآليفه أشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وهداية الانام فى شرح مختصر قواعد الاسلام وهو شرح مفيد وشرح رجز القرطبى وتنبيه الانسان الى علم الميزان والمدخل الضرورى وشرح ايساغوجى فى المنطق وله شرح الانوار السنية لابن جزى وشرح رجز الشراز فى الفرائض الذى أوله

بحمد خير الوارثين أبتدى * وبالسراج النبوى أهتدى

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز أبى عمرو بن منظور فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وشرح البردة ورجز ابن برى ورجز شيخه أبى اسحق بن فتوح فى النجوم الذى أوله

سبحان رافع السماء سقفا * ناصبها دلالة لاتخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة فى السياسة العامة والخاصة وهداية النظار فى تحفة الاحكام والاسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الاسرار عن علم الغبار والتبصرة وقانون الحساب فى قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان للتلمسانية كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية فى الفرائض وغنية النحاة وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث

قوله ابن مقرعة فى نسخة أبى مقرعة اه

قوله وابن الشاط فى نسخة وابن الشاد اه

وشرح

وشرح مختصر العقباني ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد في النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجي وملحة الحريري والخزرجية ومختصر في العروض وغير ذلك وأخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويري وأبي القاسم النويري والعلامة الجلال المحلي والتقي الشمني وأبي الفتح المراغي وغيرهم حسبما ذكر ذلك في رحلته الشهيرة وهي حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من أخبارهم رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو عبد الله الراعي وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الأندلسي الغرناطي ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشأ بها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسي وسمع على أبي بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافري ابن الدب ويعرف بابن أبي عامر والخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن الحفار ومحمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذه الجرومية بأخذه لها عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين للقاضي أبي بكر بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الانصاري بأخذه لها عن مؤلفها وأجازله أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي والقاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندري والزين أبو بكر المراغي والزين محمد الطبري وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسي في آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما في العربية بل هي كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوي كتبت عنه منه الكثير ومما لم أسمعه منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنفه في نصرة مذهبه وأثبته دفعا لشيء نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ماشئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعد
فمالكهم والشافعي وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل * لذي الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواء في وجيبة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد
وحبهم دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العجيسي أضر بآخرة ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

أفكر في موتي وبعد فضيحتي * فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي
وتبكي دماعيني وحق لها البكا * على سوء أفعالي وقلة حيلتي
وقد ذابت أكبادي عناء وحسرة * على بعد أوطاني وفقد أحبتي
فمالي الا الله أرجوه دائما * ولا سيما عند اقتراب منيتي
فنسأل ربي في وفاتي مؤمنا * بجاه رسول الله خير البرية

قال السخاوي وعما كتبته عنه

ألفيته حول المعلم باكيا * ودموعه قد صاغها من كوثر
نثر الدموع على الخدود وخلتها * درا تناثر في عقيق أحمر

وقوله

عليك بنعمة رب العلا * وراعى الملوك لرعى الذمم
وذو العلم فارع له حقه * والا تفارق وتلق الندم
فهذا مقالي فلتسمعوا * نصيحة حبر من أهل الحكم
اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم

وقال

للغرب فضل شائع لا يجهل * ولأهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حققت * ما قاله خير الانام المرسل
من انهم حتى القيامة لن يزا * لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا

وعمن حدث عن الراعي الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعي ومن تآليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك في كراريس أربعة حسن في موضوعه وله النوازل النحوية في عشرة كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وأبحاث رائقة تكلم معه في بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمساني وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء الى آخر الكتاب انتهى وجرت له في صغره حكاية دلت على نبله وهي انه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة فسألهم عمن كان وراء امام فحدث للامام عذر ذهب لاجله مثل الرعاف مثلا فصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم قدموه فيما بقي فهل تصح صلاتهم أم لا فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك في شرحه للجرومية الذي سماه بعنوان الافادة في باب النعت اذ قال ما نصه كنت جالسا بمسجد قيسارية غرناطة أنتظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن علي بن سمعت رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذ ذاك من أصغرهم سنا وأقلهم علما فدخل سائل سأل عن مسئلة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزأ من صلاة ثم غلب عليه الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزأ من الصلاة ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة أم لا فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب فقلت أنا أجاوب فيها بجواب نحوي فقال هات الجواب فقلت هذا

اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستظرفها مني من حضر لصغر سني ثم طلبنا النص فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسنا انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولي الذكا والعلم والطعميه
ماكلمات أربع نحويه * جمعن في حرفين للاحجيه

يعني فعل الامر للواحد من وأى بنى اذا أضمر فانك تقول فيه ايازيد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل اونقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهي كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن في حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا في ذلك أيضا

في أي لفظ يانحاة المله * حركة قامت مقام الجمله

وبالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن فوائده قوله حكى لي بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعي فقال الشيخ في مسئلة مذهبنا كذا في مسئلة لم يقل فيها الشافعي بما قال وانما نسبها البلقيني لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية ويقولون له أنت شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي فقال فان قلتم يامالكية لسنا بمالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم شافعية وقد اجتمعنا الكل في مالك قال وهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفاء مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضي جمال الدين ابنه مالكم يامالكية لاتكونون مثل القاضي عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لاتقول للشافعية مالكم ياشافعية لاتكونون مثل القاضي عياض ومن فوائد الراعي في باب العلم من شرحه على الالفية في الكتاب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير لايزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لايكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين ويرضى من الدنيا بأدنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعي أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذا حضر شيء من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشيء وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصري رحمه الله تعالى ورضي عنه بمنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير في بعض مايحتاج اليه الفقير في غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد ممتعة * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الازرق قال السخاوي انه لازم الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح

مفتى غرناطة فى النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جل انتفاعه به وحضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السمرقسطى العالم الزاهد مفتيها أيضا فى الفقه وبجالس الخطيب أبى الفرج عبد الله بن أحمد البقنى والشهاب قاضى الجماعة بغرناطة أبى العباس أحمد بن أبى يحيى بن شرف التلمسانى انتهى وله رحمه الله تعالى تآليف منها بدائع السلك فى طبائع الملك كتاب حسن مفيد فى موضوعه لخص فيه كلام ابن خلدون فى مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف فى فنه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما أنشده لبعض أهل عصره مما يكتب فى سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضى
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلى الماضى

ومن انشائه فى التأليف المذكور ما صورته قال ولقد كان شيخنا العلامة أبو اسحق ابراهيم بن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع له قبولا ورحبا بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على ما خاص له تحقيقه ووضح له فى معيار الاختبار تدقيقه والا فقد كان ما يلقيه غاية ما يحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتأصل انتهى وهو يدل على ملكته فى الانتهاء ويحقق ما يحصله الا أن ذلك اذا طال حتى وقع الملل والضجر أو كاد فينبغى الامساك عن البحث لئلا يفضى الحال الى ما نهى عنه قال ومخالفة التلميذ الشيخ فى بعض المسائل اذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والاجلال الملائم فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم وقد كان أخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وانما أخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من أشياخه وخالف الشافعى وابن القاسم وأشهب مالكا فى كثير من المسائل وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعى وقال لا أحد أمن على من مالك وكاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته فى عدة مسائل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتذة الى زماننا هذا قال وشاهدنا ذلك فى أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى قال ولا ينبغى للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذى وصفناه والله تعالى أعلم انتهى ولما أنشد ابن الازرق المذكور فى كتابه روضة الاعلام قول القائل فى مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدؤلى * عن أمير المؤمنين البطل
بدأ النحو على وكذا * ختم النحو ابن عصفور على

قال بعده ما نصه على أن صاحبنا الكاتب الاديب الابرع أبا عبد الله محمد بن الازرق الوادى آشى رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الاستاذ المحقق أبى الحسن بن الضائع عليه ولقد أبدع فى ذلك ما شاء لما تضمن من التورية

بضائع ابن الضائع الدب قد أتت * بحظ من التحقيق والعلم موفور

قوله ابن أحمد فى نسخة ابن محمد اه

فطرت عقابا كاسرا أو ماترى * مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور انتهى
وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار في جامعه وأثنى عليه غير واحد ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل في شرح مختصر خليل وقد توارد معه الشيخ ابن غازي على هذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدي سعيد بن أحمد المقري رضي الله تعالى عنه قال لي حين سألته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شفاء العليل بالعين قلت يبعد ذلك أن جماعة من تلامذته الاكابر كالوادي آشي وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين فبان انه من توارد الخواطر وأن كلا منهما لم يقف على تسمية الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا أدري هل أكمله أم لا لان تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها في أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر في شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الاندلس فكان كمن يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد الكلام في غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفي به بعد سنة خمس وتسعين وثمانمائة حسبما ذكره صاحب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل فليراجع فانه طال عهدي به ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله في المحبيات

وربة محبوبة تبدت * كأنها الشمس في حلاها
فاعجب لحال الانام من قد * أحبها منهم قلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذري في هذا الدخان الذي * جاور داري واضح في البيان
قد قلت بهاز خرفا * ولا يلي الزخرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيع نضارة * وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت في غصون الدوح قس فصاحة * لتعلم أن النبت في الروض باقل

وقوله

وقائلة صف للربيع محاسنا * فقلت وعندي للكلام بدار
هي بطاح الارض صوب من الحيا * فللنبت في وجه الزمان عذار

وقوله

تعجبت من يانع الورد في * سقي وجنة نبتها بارض
ولم لا يرى وردها يانعا * وقد سال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته

تقول لي ودموع العين واكفة * ما أفظع البين والترحال يا ولدي

فقلت أين السرى قالت لرحمة من * قد عز في الملك لم يولد ولم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود ومما ألفيته بخط قاضى الجماعة أبي عبد الله بن الازرق عن على رضى الله تعالى عنه من أراد أن يطول الله عمره وينظره بعدوّه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوّة الا بالله العلىّ العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك قال وبخطه أيضا لنيل الرزق ومارادي يا باسط يا جواد يا على في عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لى رزقك وسخر لى خلقك وبخطه أيضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحىّ القيوم القوىّ القادر الولىّ الناصر الغالب الذى لا يضرّ مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم وبخطه أيضا يا فتاح يا عليم يا نور يا هادى يا حق يا مبين افتح لى فتحا تنوّر به قلبي وتشرح به صدرى واهدنى الى طريق ترضاه ويسر لى أمرى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى وقال رحمه الله تعالى مورّيا

من تكن صنعته الانشاء لا * يشكر الرزق لاقصى العمر
ولو استملى على السبع الدرا * رى بما في غيره من درر
فأنا الكاتب لكن لو بيا * ع الى العتق لكنت المشترى

هكذا رأيت نسبتها اليه ولنختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للاسلام بجاه النبىّ عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع * تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يا لائمين على الهوى * فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة * ومن لى بجفن تنتهى منه أدمع
رويدك فارقب للطائف موضعا * وخل الذى من شره يتوقع
وصبرا فان الصبر خير غنيمة * ويا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم * فألطافه من لمحة العين أسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجا له * فسوف تراه في غد عنك يرفع
وكن راجعا لله في كل حالة * فليس لنا الا الى الله مرجع

(الباب السادس)

في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين في قصدهم اليها بنور الهداية المضىء المشرق والاكابر الذين حلوا بحلاها فيها الجيد منها والمفرق والمفخرون برؤية قطرها المونق على المشئم والمعرق اعلم أن الداخلين للاندلس من المشرق قوم

كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس امنيته *(فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر الذى يقال انه صحابى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار فى التكملة المنيذر الافريقى له صحبة وسكن افريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطى ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الحبلى انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليمانى وذكر البخارى انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنيذر لكونه من أحداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازى وذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقى وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له وذكره البخارى فى تاريخه الكبير اذ قال ابو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا الزعيم لآخذن بيده فادخله الجنة كذا ذكره البخارى بالكنية وهذا الحديث هو الذى رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب مسند الصحابة له فقال المنذر اليمانى اما من مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا *(ومن التابعين الداخلين الاندلس أميرها موسى بن نصير وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية *(ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعانى وفى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو على ويقال أبو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر وافريقية والاندلس فقال انه كان مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فأتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه وكان أول من ولى عشور افريقية فى الاسلام وتوفى بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تمارى فى آية نظر فى المصحف واذا جاءه سائل يستطعم لم يزل يصيح بأهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى وهو الذى أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك فى غير وقت الأذان فقال له أصحابه فى ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر فى تاريخه وطول ترجمته وقال ان

صنعاء المنسوب اليها قرية من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يروعن حنش الشاميون وانما روى عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت أن تلقى الله تعالى وسيفك حليته حديد فافعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين فحفظ له ذلك فعفا عنه حين أتى به فى وثاق حين ثار مع ابن الزبير وسئل أبو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقب له وان اسمه حسين بل اقتصر على اسمه حنش ولعله الصواب لا ما قاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفى تاريخ ابن الفرضى أبى الوليد أن حنشا كان بسرقسطة وانه الذى أسس جامعها وبها مات وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربى المدينة وفى تاريخ ابن بشكوال انه أخذ أيضا قبلة جامع البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذى هو فخر الاندلس *(ومن التابعين الداخلين للاندلس أبو عبد الله على ابن رباح اللخمى ذكر ابن يونس فى تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك وكان أعور ذهبت عينه يوم ذات السوارى فى البحر مع عبد الله بن سعيد سنة أربع وثلاثين وكان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذى زف أم البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك ثم عتب عليه عبد العزيز فأغزاه افريقية فلم يزل بافريقية الى أن توفى بها ويقال كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال أهل مصر يقولون على بن رباح بفتح العين واما أهل العراق فعلى بضم العين وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين فى الباب الثانى وقال ابنه موسى بن على من قال لى موسى بن على بالتصغير لم أجعله فى حل *(ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى الجبلى قال ابن بشكوال انه روى عن أبى أيوب الانصارى وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر البخارى فى تاريخه الكبير انه يعد فى المصريين وذكر ابن يونس فى تاريخ المغرب انه توفى بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله تعالى ويذكر أهل قرطبة انه توفى بقرطبة وانه دفن بقبليها وقبره مشهور يتبرك به والله تعالى أعلم بحقيقة الامر فى ذلك *(ومن الداخلين من التابعين حيان بن أبى جبلة ذكر ابن بشكوال انه مولى قريش ويكنى أبا النضر وذكره أبو العرب محمد بن تميم فى تاريخ افريقية وقال حدثنى فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل افريقية منهم حيان بن أبى جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم ويقال توفى بافريقية سنة ثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة وذكر ابن الفرضى انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفى به قال وقال لنا أبو محمد الثغرى بين قرقشونة وبرشلونة مسافة خمسة وعشرين ميلا وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مرية ذكر أن فيها سبع سوارى فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحزم الانسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط هكذا نقله ابن سعيد عمن ذكر والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من التابعين فيما

ذكر المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة العذري روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ويروى عنه مالك في موطئه وذكره البخاري في تاريخه الكبير وفي كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر *(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي ذكر ابن حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وانه من جملة التابعين رضي الله تعالى عنهم قاله ابن بشكوال في مجموعه المترجم بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد سمعته من أبي الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار في موضع آخر ما صورته رجاء ابن حيوة مذكور في الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفي ذلك عندي نظر وما أراه يصح والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق حيوة بن رجاء فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر في ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهري من خيار التابعين ذكره ابن حبيب في الاربعة الذين حضروا غنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم عبد الله بن سماسة الفهري ذكر ابن بشكوال انه مضري وأن البخاري ذكره في تاريخه *(ومنهم عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري جده عبد الرحمن أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم منصور بن حزامة فيما يذكر قال ابن بشكوال قرأت في كتاب روايات الشيخ أبي عبد الله بن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين ما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المختزنة انه قال طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلثمائة يذكر انه منصور ابن حزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل وانه شهد صفين وأن حزامة اعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا أصل له ورحم الله تعالى حافظ الاسلام ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة أشج العرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الامن نمط عكراش والله تعالى يحفظنا من سماع الاباطيل بمنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن علي بن عثمان بن خطاب وانه يعرف بأبي الدنيا وانه كان معمرا مشهورا بصحبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وانه رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ووصفهم بصفاتهم وانه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم ابن الناصر وهو ولي عهد وسأله أبو بكر بن القوطية عن مغازي علي وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره في كتبهم وتواريخهم فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب دجال مائن جاهل فاياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد التميمي انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس سنين قال تميم واتصلت بنا وفاته ببلده في نحو سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له

قوله عبد الله بن سماسة في نسخة أبو عبد الله بن شماسة اهـ

قوله على كذبه أي كذب ترجمة المذكور بمعنى خبره فلذا ذكر الضمير تأمل اهـ مصححه

وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الاندلس على أن التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد وانما هم نحو خمسة أو أربعة كما أعلمنا به في غير هذا الموضع والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين الى الاندلس مغيث فاتح قرطبة وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان والحجارى "انه رومى" زاد الحجارى "وليس بروحى" على الحقيقة وتصحيح نسبه انه مغيث بن الحرث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغسانى "سبى من الروم بالمشرق وهو صغير فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد وأنجب فى الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا فى قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس وغيره ونشأ مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فاتحها وجاز على ما فى طريقهما من البلاد الى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى بن نصير سيد طارق فرحل معهما الى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما الى الاندلس وانسل "بقرطبة البيت المذكور وفى المسهب انه فتح قرطبة فى شوال سنة ٩٢ ثم فتح الكنيسة التى تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر فى محرم سنة ٩٣ ولم يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجارى "انه تأدب بدمشق مع بنى عبد الملك فأفصح بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب وأخذ نفسه بالاقدام فى مضايق الحروب حتى تخرج فى ذلك تخرجا أهله للتقدم على الجيش الذى فتح قرطبة وكان مشهورا بحسن الرأى والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة وأسره ملكها الذى لم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه امانا ومنهم من فر الى جليقية وذكر الحجارى "انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كانها بينهن بدر بين نجوم وهى تكثر التعرض له بجمالها وكل بها من عرض عليها العذاب ان لم تقر بما عزمت عليه فى شأن مغيث وانه قد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر فى شأنه فأقرت انها أكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد أعدت له خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله تعالى على ما ألهمه اليه من مكرها وقال لو كانت نفس هذه الجارية فى صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة" وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق فى شأن سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا فى تولية طارق وقال له كيف أمره بالاندلس فقال لو أمر أهلها بالصلاة الى أى "قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا ففعلت هذه المكيدة فى نفس سليمان وبدا له فى ولايته فلقيه بعد ذلك طارق فقال له لبتك وصفت أهل الاندلس بعصيانى ولم تضمر فى الطاعة ما أضمرت فقال مغيث لبتك تركت لى العلج فتركت لك الاندلس وكان طارق قد أراد أن يأخذ منه ملك قرطبة الذى حصل فى يده فلم يمكنه منه فأغرى به سيده موسى بن نصير وقال له يرجع الى دمشق وفى يده عظيم من عظماء الاندلس وليس فى أيدينا مثله فأى "فضل يكون لنا عليه فطلبه منه فامتنع من تسليمه قال ابن حيان فهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث فقيل له ان سرت به معك حيا

ادّعاه مغيث والعلج لا ينكر ولكن اضرب عنقه ففعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ في اذايته عند سليمان وذكر الحجاري في المسهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفي منه هذا قوله

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيث في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف لسانك فقال لساني كالمفصل ما كفه الاحيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد بن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فاعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فوفد معه فوجدوا الوليد قد مات فخدم بعده سليمان بن عبد الملك *(ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب اللخمي) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وأن أهل اشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بامرهم ستة أشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر واليا على الاندلس في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه افريقية فمنهم أول طوالع الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت ولايته بعد قيام أبي أيوب بن حبيب اللخمي *(ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني) ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم قال وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر ابن حيان ان قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذي بنى قنطرة قرطبة بعد ما استأذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال استشهد بأرض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن *وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب افريقية واستشهد في قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فأين ذا من ذا والله تعالى أعلم ووصفه الحميدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه ولي الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذي قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن

حيان قال دخل الاندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب فى صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره فى شهر رمضان سنة ١١٤ فى موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم مثل هذا فى غزوة السمح فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر وفى رواية سنتين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة * وولى الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبى وذكر ابن حيان انه قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب افريقية وكان قدومه الاندلس فى صفر سنة ١٠٣ فتأخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال فاستقامت به الاندلس وضبط أمرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفى فى شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذكر ابن حيان انه فى أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاى فعاب على العلوج طول الفرار وأذكى قرائحهم حتى سما بهم الى طلب الثار ودافع عن أرضه ومن وقته أخذ نصارى الاندلس فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك وقيل انه لم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التى لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعا الى أن بقى فى مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة وما لهم عيش الا من عسل النحل فى جباح معهم فى خروق الصخرة وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجىء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك فى القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء به * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى أن ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة فى يدهم الآن جبرها الله تعالى وهى كانت سرير السلطنة لعنبسة انتهى * قال ابن حيان والحجارى انه لما استشهد عنبسة قدم أهل الاندلس عليهم عزرة بن عبد الله الفهرى ولم يعده ابن بشكوال فى سلاطين الاندلس قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل صاحب افريقية أولهم يحيى ابن سلمة وذكر الحجارى أن عزرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة وولده هشام بن عزرة هو الذى استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفى عقبه بوادى آش من مملكة غرناطة نباهة وأدب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذو بيت موصل ومجد مؤثل وكان سرير سلطنة عزرة قرطبة * وولى بعده يحيى بن سلمة الكلبى قال ابن بشكوال أنفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبى والى افريقية اذ استدعى منه أهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة فقدمها فى شوال سنة سبع ومائة وأقام عليها سنة وستة أشهر لم يغز فيها بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره قرطبة * وولى بعده عثمان بن أبى نسعة الخثعمى وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب افريقية فى شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر وكان سرير سلطانه بقرطبة وولى بعده حذيفة بن الاحوص القيسى قال ابن بشكوال وانى اليها

قوله الاحوص فى نسخة الاخوص بالخاء المعجمة اه

والباً من قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفي ابن أبي نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة في ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استتمت سنة وكان بقرطبة * وولى بعده الاندلس الهيثم بن عدى الكلابي قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوافي الاندلس في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولى سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * وولى بعده محمد بن عبد الله الاشجعي قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم والياً عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذى تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الى أن استشهد كما تقدم * وولى الاندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهرى وذكر الحجارى أن من نسله بنى القاسم أصحاب البونت وبنى الجد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة فكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها اذ عما في شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما في سيرته جائرا في حكومته وغزا أرض البشكنس فأوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولى عقبة بن الحجاج وثب ابن قطن عليه فخلعه لا أدرى أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن دخل بلج بن بشر بأهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب في ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر وصلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقام شلوه على جذعه الى أن سرقه مواليه بالليل وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولى ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه فقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولى ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل في السنة التى قبلها فأقام بها سنين محمود السيرة مثابرا على الجهاد مفتتحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر رودونة فأقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ بأقصى ثغر الاندلس الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان ينزلها للجهاد وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويبين له عيوب دينه فأسلم على يده ألفا رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين قال الرازى فثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على أنفسهم عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة الاندلس ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفى في صفر سنة ١٢٣ وبمريره قرطبة * (ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيرى) قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم لطاعته وعيثهم في الارض بشق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن افريقية وولى عليها كلثوم بن عياض القشيرى ووجه

معه جيشا كثيفا القتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جيوش البلاد التي صار عليها سبعون ألفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة البربري المدعى للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ بسبتة وكان بلج ابن أخيه معه فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه فوجه لهم حنظلة بن صفوان فأوقع بالبربر وفتح الله تعالى على يديه ولما اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من فل أهل الشام بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات وبلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فأغاثهم زياد ابن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا الوقت أن برابر الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن واستفحل أمرهم فخاف ابن قطن أن يلقى منهم مالقى العرب ببر العدوة من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقد مات عمه كلثوم في ذلك الوقت فأسرعوا الى اجابته وكانت أمنيتهم فأحسن اليهم وأسبغ النعم عليهم وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن فاذا فرغوا له من البربر جهزهم الى افريقية وخرجوا له عن أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وأمية والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام الى ان كانت الدائرة على البربر فقتلهم العرب بأقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور وخفوا عن العيون فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فاشتدت شوكتهم وثابت هممهم وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس الى افريقية فتعللوا عليه وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سبتة وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه في قتل ابن قطن فأبى فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضر والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل المدينة فجعلوا يسبونه ويقولون له أفلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لأكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه كما تقدم وكان أمية وقطن ابناه عند ما خلع قد هربا وحشدا لطلب الثار واجتمع عليهما العرب الاقدمون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند وكان في أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ما صنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن ابن علقمة اللخمي صاحب أربونة وكان فارس الاندلس في وقته فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون وبلج قد استعد لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيد له كثيرة وأتباع من البلديين فاقتتلوا وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة

قوله بتغريب الجند في بعض النسخ بتضريب ولعله محرف عن تحزيب وليحرر اه مصححه

اللخمي

التجيبي أروني بلجا فوالله لاقتلنه أو لاموتن دونه فأشاروا اليه شوه فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بأيام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسريره قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين * ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي وقد كان عند هم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم بأحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فآل أمره معهم الى أن حصروه بمدينة ماردة وهم لا يشكون في الظفر الى أن حضر عيد تشاغلوا به فأبصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبى ذريتهم وعيالهم وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب فنظروا فاذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فأقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكا له حيف أبي الخطار وكان ابيا للضيم حاميا للعشيرة فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه فجبهه أبو الخطار وأغلظ له فرد الصميل عليه فأمر به أبو الخطار فأقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك متعصبين فبا توا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث علي فانه منوط بكم فقالوا أخبرنا بما تريد فان رأينا تبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ما خيلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما أريد الا بالخروج فالى أين ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فانه لا يوالبك على أمر يفعلك وكان أبو عطاء هذا أسيد اعطاء يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر فسكت عنه ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدي وكان من أشرافهم الا انه كان حدث السن فقال له الصميل ألا تتكلم فقال أتكلم بواحدة ما عندي غيرها قال وما هي

قال ان عدوت اتيان أبى عطاء وشتت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا وان أنت قصدته لم يتغار فى شئ مما سلف بينكما وحركته الحمية لك فأجابك الى ماتريد فقال له الصميل أصبت الرأى وخرج من ليلته وقام أبو عطاء فى نصرته على ماقدره العبدى وعمد الى ثوابة بن يزيد الجذامى أحد أشراف اليمن وسادتهم وكان ساكنا بمورور وقد استفسد اليه أبو الخطار فأجابهما فى القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا فى شدونة وآل الامر الى أن هزموا أبا الخطار على وادى لكة وحصل أسيرا فى أيديهم فأرادوا قتله ثم أرجؤه وأوثقوه وأقبلوا به الى قرطبة وذلك فى رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبى الخطار بسنتين ولما سجن أبو الخطار فى قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبى فأقبل الى قرطبة ليلا فى ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه منه ومضوا به الى غرب الاندلس فصار فى طلب سلطانه ودب فى يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم الى قرطبة فخرج اليه ثوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية ليلا فصاح بأعلى صوته يامعشر اليمن مالكم تتعرضون الى الحرب وتردون المنايا عن أبى الخطار أليس قد قدرنا عليه لو أردنا قتله لفعلنا لكننا مننا وعفونا وجعلنا الامير منكم أولا تفكرون فى أمركم فلو أن الامير من غيركم عذرتم ولا والله لانقول هذا رهبة منكم ولا خوفا لحربكم ولكن تحرجا من الدماء ورغبة فى عاقبة العافية فتسامع الناس به وقالوا صدق فتداعوا للرحيل ليلا فأصبحوا الاعلى أمثال قال الرازى ركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس فى المحرم سنة ١٢٥ وفى كتاب أبى الوليد بن الفرضى كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط فى التعصب لليمانيين وتحامل على مضر وأسقط قيسا فثاروا به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه ثوابة وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر وذلك سنة ١٢٨ وآل أمره الى أن قتله الصميل وولى الاندلس ثوابة بن سلامة الجذامى قال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ فضبط البلد وقام بأمره كله الصميل واجتمع عليه أهل الاندلس وأقام والياسنة أونحوها ثم هلك وفى كتاب ابن الفرضى انه ولى سنتين *

ثم ولى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وبانى القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الجيدة ولهذا البيت فى السلطنة بافريقية والاندلس نباهة وذكر الرازى أن مولده بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن أبى عبيدة الفهرى عند افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فسادبها قال الرازى كان يوسف يوم ولى الاندلس ابن سبع وخمسين سنة وأقامه أهل الاندلس بعد أميرهم ثوابة وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من أجل انه قرشى رضى به الحيان فرفعوا الحرب ومالوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة أشهر وقال ابن حيان قدمه أهل الاندلس فى ربيع الآخر سنة ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ولاية أحد له غير من بالاندلس

وحكى

وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المروانى

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك يمانيته فأجابوا دعوته فأدى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا بالايدى وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة فى اليمانية فى بعض الايام فأمر بتحريك أهل الصناعات بأسواق قرطبة فخرجوا فى نحو أربعمائة رجل من أنجادهم بما حضرهم من السكاكين والعصى ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يد القتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فأبادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجىء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه فى ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المروانية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولى عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الكلابى وجده شمر هو قاتل الحسين رضى الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار بولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس فى طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المروانى فى سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهرى عبد الرحمن بن علقمة اللخمى فارس الاندلس ووالى ثغر أربونة وكان ذا بأس شديد ووجاهة عظيمة فبينما هو فى تدبير غزو يوسف اذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد فى أهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدرى فخرج له وأنزله على أمان فى سكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق فى اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه فى كورة سرقسطة الحباب الزهرى الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن بن معاوية المروانى الى الاندلس وسعيه فى افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم * (ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بأيديهم واستقر قدمهم فى الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان فى المقتبس انه لما وقع الاختلال فى دولة بنى أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل فى فراره منتقلا بأهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل فى خاطره من بشرى مسلمة فما حكى عنه أنه قال انى لجالس يوما فى تلك القرية فى ظلمة بيت

تواريت فيه لرمد كان بي وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي وهو يومئذ ابن أربع سنين أو
نحوها اذ دخل الصبي من باب البيت فازعا باكيا فأهوى الى حجري فجعلت أدفعه لما كان بي
ويأبى الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لأنظر فاذا بالروع
قد نزل بالقرية ونظرت فاذا بالرايات السود عليها منحطة وأخ لي حديث السن كان معي يشتد
هاربا ويقول لي النجاء يا أخي فهذه رايات المسودة فضربت بيدي على دنانير تناولتها ونجوت
بنفسي والصبي أخي معي وأعلمت أخواتي بتوجهي ومكان مقصدي وأمرتهن أن يلحقنني
ومولاي بدر معهن وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية فما كان الا ساعة حتى أقبلت
الخيل فأحاطت بالدار فلم تجد أثرا ومضيت ولحقني بدر فأتيت رجلا من معارفي بشط الفرات
فأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري فدل علي عبد سوء له العامل فما راعنا الا جلبة
الخيل تحفزنا فاشتددنا في الهرب فسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بأنفسنا والخيل تنادينا
من الشط ارجعا لا بأس عليكما فسبحت حاثا النفسي وكنت أحسن السبح وسبح الغلام أخي
فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخي ودهش فالتفت اليه لأقوي من قلبه واذا هو قد أصغى
اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فناديته تقتل يا أخي الي الي فلم يسمعني واذا هو قد اغتر
بأمانهم وخشي الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت أنا الفرات وبعضهم قد هم بالتجرد
للسباحة في أثري فاستكفه أصحابه عن ذلك فتركوني ثم قدموا الصبي أخي الذي صار
اليهم بالأمان فضربوا عنقه ومضوا برأسه وأنا أنظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت
فيه ثكلا ملأني مخافة ومضيت الى وجهي أحسب أني طائر وأنا ساع على قدمي فلجأت
الى غيضة أشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى
وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى أتى افريقية وقد ألحقت به أخته شقيقته أم
الأصبغ مولاه بدرا ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر فنزل بافريقية وقد
سبقه اليها جماعة من فل بني أمية وكان عند واليها عبد الرحمن بن حبيب الفهري
يهودي حدثاني صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشي
المرواني الذي هو من أبناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين يملك الأندلس
ويورثها عقبه فاتخذ الفهري عند ذلك ضفيرتين أرسلهما رجاء أن تناله الرواية فلما جيء
بعبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال لليهودي ويحك هذا هو وأنا قاتله فقال له اليهودي
انك ان قتلته فما هو به وان غلبت على تركه انه لهو وثقل فل بني أمية على ابن حبيب صاحب
افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به
فقتلهما وأخذ مالا كان مع اسمعيل بن ابان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على أخته
فتزوجها بكرهه وطلب عبد الرحمن فاستخفى انتهى وذكر ابن عبد الحكم أن عبد
الرحمن الداخل أقام ببرقة مستخفيا خمس سنين وآل أمره في سفره الى أن استجار ببني رستم
ملوك تيهرت من المغرب الأوسط وتقلب في قبائل البربر الى أن استقر على البحر عند قوم
من زناتة وأخذ في تجهيز بدر مولاه الى العبور للأندلس لموالي بني أمية وشيعتهم بها وكانت
الموالي المروانية المدونة بالأندلس في ذلك الأوان ما بين الأربعمائة والخمسمائة ولهم

بجرة وكانت رياستهم الى شخصين أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما من موالى عثمان رضى الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بنى أمية يعتقبان جمله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى أبي عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه أيادى سلفه من بنى أمية وسببه بهم ويعرّفه مكانه من السلطان وسعيه لنيله اذ كان الامر لجده هشام فهو حقيق بوراثته ويسأله القيام بشأنه وملاقاة من يثق به من الموالى الاموية وغيرهم ويتلطف فى ادخاله الى الاندلس ليبلى عذرا فى الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويأمره أن يستعين فى ذلك بمن يأمنه ويرجو قيامه معه ويأخذ فيه مع اليمانية ذوى الحنق على المضرية لما بين الحيين من الترات فشى أبو عثمان لما دعاه اليه وبانت له فيه طماعية وكان عند ورود بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا ذاكرنا الصميل خبر بدر وما جاء به لنختبر ما عنده فى موافقتنا وكانا على ثقة فى انه لا يظهر على سرّهما أحد لمروءته وانفته فقال له ان نحن فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فنفسح اذا على أمره ونذكر له انه قصد لارادة الايواء والامان وطلب أخاس جده هشام لديننا ليتعيش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا على هذا فلما ودّعا الصميل خلوا به فى ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف فى ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهرى بكورة سرقسطة فقال لهما انا معكما فيما تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله فى جواره وأن يحسن له ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته بأسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم ودّعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها اوعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد كانا القيام من كان معهما فى العسكر من وجوه الناس وثقاتهم فطارحاهم أمر ابن معاوية ثم دسا الى الكور الى ثقاتهم بامثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار فى الجمر وكانت سنة خلف بالاندلس بعد خروج من المجاعة التى دامت بالناس وفى رواية ان الصميل لان لهما فى أن يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فتراجع فيه فردّهما وقال انى روّيت فى الامر الذى أردته معكما فوجدت الفتى الذى دعوتمانى اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم فى بوله وهذا رجل نتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يسعنا بدل منه ووالله لو بلغتماه يوتكما ثم بدا لى فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى القاكما لئلا أغرّكما من نفسى فانى أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفى فبارك الله لكما فى رأيكما فقالا له ما النار أى الا رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما فى أمره ان طلب غير السلطان وانفصلا عنه الى البيرة عازمين على التصميم فى امره ويئسا من مضر وربيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا فى تهييج أحقاد أهل اليمن على مضر فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيأ يجدون به السبيل الى ادراك ثارهم واغتنما بعد يوسف صاحب الاندلس فى الثغر وغيبة الصميل فابتاعا مركبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع

بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى مواليه فكتبوا تحت ختمه الى من يرجونه فى طلب الامر فبثوا من ذلك فى الجهات ما دبّ به أمرهم ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألفوه بشط مغيلة من بلاد البربر وهو يصلى وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكثر التبشير فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن تمّ أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزلة أبى غالب لما ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما همّ بذلك أقبل البربر فتعرضوا دونه ففرقت فيهم من مال كان مع تمام صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيأ فتعلق بحبل الهودج يعقل المركب فحول رجل اسمه شاكر يده بالسيف فقطع يد البربرى وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة فى جهة المنكب وذلك فى ربيع الآخر سنة ١٣٨ فأقبل اليه نقيباه أبو عثمان وصهره أبو خالد فنقلاه الى قرية طرش منزل أبى عثمان فجاءه يوسف بن بخت واتثالت عليه الاموية وجاءه جدران بن عمرو المذحجى من أهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه فى العساكر وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبى من اشبيلية فاستوزره واتثال عليه الناس انثيالا فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الايام وأمده الله تعالى بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهرى بالثغر وقد قبض على الحباب الزهرى الثائر بسرقسطة وعلى عامر العبدرى الثائر معه فبينما هو بوادى الرمل بقرية من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدرى وابن عامر برأى الصميل اذ جاءه قبل أن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالى المروانية اليه وتشوف الناس لامره فانتشر الخبر فى العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا وابنه وختره بعهدهما فسارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل وتنادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاء الله تعالى من التضييق على يوسف فأصبح وليس فى عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس وأتباعه فأقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأى فقال بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره فانى لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحقهم علينا فقال له يوسف أتقول ذلك ومع من نسير اليه وأنت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد انفضنا من المال وأنضينا الظهر ونهكتنا المجاعة فى سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستأنف الاستعداد له بعد أن ننظر فى أمره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأى ما أشرت به عليك وليس غيره وسوف تتبين غلطك فيما تركته ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبى واجتمع الرأى على أن يقصدوا به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بأمير لا لواء له ولا علم نهتدى اليه فجاؤا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا أن يميلوا القناة لتعقد تطيرا

فاقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سيأتي وحكى أن فرقد العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ولما أقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت المجاعة توالت قبل ذلك ست سنين فأورثت أهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ماعدا أهل الطاقة مذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذي يجدونه في طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمي ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فسار يوسف من قرطبة وأقبل ابن معاوية على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر يحاذيه فتسايرا والنهر حاجز بينهما الى أن حل يوسف بصحراء الصارة غربي قرطبة وعبد الرحمن في مقابلته وتراسلا في الصلح وقد أمر يوسف بذبح الجزر وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية أخذ في خلاف ذلك قد أعد للحرب عدتها واستكمل أهبتها وسهر الليل كله على نظام أمره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصر الاكفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يامعشر يمن هل لكم الى فتحين في يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدام ابن معاوية فيصير الامر لنا نقدم رجلا منا ونخلع عنه المضرية فلم يجبه أحد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فأسرها في نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعف وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من افلات يوسف والصميل فخرج في أثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بأمره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زياد واستنام اليه اذ كان من موالي بني أمية ونهض في طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل في صفر سنة ١٣٩ وشارطه على أن يخلي بينه وبين أمواله حيثما كانت وأن يسكن بلاط الحر منزله بشرقي قرطبة على أن يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه وأعطاه رهينة على ذلك ابنه أبا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذي أسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد في الارض وقد كانت الحال اضطربت به في قرطبة ودس له قوم قاموا عليه في أملاكه زعموا انه غصبهم اياها فدفعهم الى الحكام فاعنتوه وحمل عنه في التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فغلظ أمره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج

نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبينما ابن معاوية في حصن المدور مستعدا اذ التقى يوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل في أصحابه فهلك منهم خلق كثير وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه في قرية من قراها عبد الله بن عمرو الانصاري فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهري يفر قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وأوذن عبد الرحمن به أمره أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه رأسه ووضعا على قناتين مشهورين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له أين توجه فقال لا أعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك معه وأكد عليه في أن يحضره فقال لو أنه تحت قدمي هذه ما رفعتها لك عنه فاصنع ما شئت فحينئذ أمر به للحبس وسجن معه ولدي يوسف ابا الاسود محمدا المعروف بعد بالاعمى وعبد الرحمن فتهيأ لهما الهرب من نقب فأما أبو الاسود فنجا سالما واضطرب في الارض يبغي الفساد الى أن هلك حتف أنفه وأما عبد الرحمن فاثقله اللحم فانبهر فرد الى الحبس حتى قتل كما تقدم وانف الصميل من الهرب فأقام بمكانه فلما قتل يوسف أدخل ابن معاوية على الصميل من خنقه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية في السجن فوجدوه ميتا وبين يديه كاس ونقل كانه بغت على شرابه فقالوا والله انا لنعلم يا أبا جوشن انك ما شربتها ولكن سقيتها ومما ظهر من بطش الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه بأحد دعائم دولته رئيس اليمانية أبي الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفي نفسه منه ما أوجب فتكه به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث الحصبي اذ ثار بباجة وكان قد وصل من افريقية على أن يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل في ناس قليلين فارسى بناحية باجة ودعا أهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى أن لقيه عبد الرحمن بجهة اشبيلية فهزمه وجيء به وبأعلام أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناقهم وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالقا محصنا ومعها اللواء الاسود وأنفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ففعل ووافق أبا جعفر المنصور قد حج فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا البائس يعني العلاء للحتف مالي هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثار رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده في الابتياع فابتاع موالي الناس بكل ناحية واعتضد أيضا بالبرابر ووجه عنهم الى بر العدوة فأحسن لمن وفد عليه احسانا رغب من خلفه في المتابعة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألف رجل صار بهم غالبا على أهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريأ من العجز سريع النهضة

متصل الحركة لايخلد الى راحة ولايسكن الى دعة ولايكل الامور الى غيره ثم لاينفرد في ابرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم الى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمني وأنا أستجيرك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسألك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بانصافي فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فرآهم قليلا ودعا بالقاضي وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير لا يجمل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق بجلته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهد وافترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى اخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقرمني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما تراه بأرض * وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضي الشفرتين نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * مساميا لجة ومحلا
دبر ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأوا أن هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع * شريد روع يخاف قتلا
فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فانثالوا عليه ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهادون بشكره ويتهانؤن بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه

فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير الى نداك المآل وأنت ولى الحمد والمجد والمرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله من اراقة ماء وجهك بتصريح المسئلة والالحاف فى الطلبة واذا ألم بك خطب أوحزبك أمر فارفعه الينا فى رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو عنك بعد رفعك لها الى مالكك ومالكنا عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وأمر له بجائزة حسنة وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه وبراعة أدبه وكف فيما بعد ذوى الحاجات عن مقابلته بها شفاها فى مجلسه قال ابن حيان ووقع الى سليمان بن يقظان الاعرابى على كتاب منه سلك به سبيل الخداع أما بعد فدعنى من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة أولازوين بنانها عن رصف المعصية نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وفى المسهب ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالى الذى يرتد عنه أكثر بنى مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر فى تكميل دولته من ابتدائها الى استقرارها صحبه عجب وامتنان كادا يردان به حياض المنية فأول ما بدأ به أن قال تعبنا أنفسنا وخاطرنا بها فى شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله وقال وقد أمره بالخروج الى غزاة انما تعبنا اولا لنستريح آخرا وما أرانا الا فى أشد مما كنا وأطال أمثال هذه الاقوال وأكثر الاستراحة فى جانبه فهجره وأعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها أما كان جزائى فى قطع البحر ووجوب القفر والاقدام على تشتيت نظام مملكة واقامة أخرى غير الهجر الذى أهاننى فى عيون اكفائى وأشمت بى أعدائى وأضعف أمرى ونهيى عند من يلوذ بى وبتر مطامع من كان يكرمنى ويحفدنى على الطمع والرجاء وأظن أعداء نابنى العباس لو حصلت بأيديهم ما بلغوا بى أكثر من هذا فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتد غيظه عليه فوقع عليها وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك والعجب أنك متى ما أردت أن تبنى لنفسك عندنا متا تاتيت بما يهدم كل متات مشيد مما تمتن به مما قد أضجر الاسماع تكراره وقدحت فى النفوس اعادته مما استخرنا الله تعالى من أجله على أمرنا باستئصال مالك وزدنا فى هجرك وابعادك وهضنا جناح ادلالك فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى نبلغ منك مانريد ان شاء الله تعالى فنحن أولى بتأديبك من كل أحد اذ شرك مكتوب فى مثالبنا وخيرك معدود فى مناقبنا فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط فى يده وسلم للقضاء وعلم انه لا ينفع فيه قول ووجه عبد الرحمن من استأصل ماله وألزمه داره وهتك حرمته وقص جناح جاهه وصيره أهون من قعيس على عمته ومع هذا فلم يثنه بدر عن الاكثار من مخاطبة مولاه تارة يستلينه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدورا ويخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه غير مفكر فيما يؤول اليه الى أن كتب له قد طال هجرى وتضاعف همى وفكرى وأشد ما على

كونى سليبا من مالى فعسى أن تأمر لى باطلاق مالى واقصد به فى معزل لا أشتغل بسلطان ولا أدخل فى شئ من أموره ما عشت فوقع له انك من الذنوب المترادفة مالو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل فى بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلى من شغل السلطان أشبه بالنعمة منه بالنقمة فايأس من ذلك فان اليأس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى أن أتى عيد فاشتد به حزنه لما رأى من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه فى ذلك رقعة منها وقد أتى هذا العيد الذى خالفت فيه أكثر من أساء اليك وسعى فى خراب دولتك ممن عفوت عنه فتبنك النعمة فى ذراك واقتعد ذروة العز وأنا على ضد من هذا سليبا من النعمة مطرحا فى حضيض الهوان أيأس مما يكون وأقرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة أمر بنفيه عن قرطبة الى أقصى الثغر وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بمقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى أن ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى أن ثقل على النفس جوارك وقد أمرنا باقصائك الى أقصى الثغر فبالله الا ما أقصرت ولا يبلغ بك زائد المقت الى أن تضيق معى الدنيا ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان وما تقولوه عليك ومالك عدو أكبر من لسانك فاطاح بك غيره فاقطعه قبل أن يقطعك * ولما فتح الداخل سرقسطة ووصل فى يده ثائرها الحسين الانصارى وشدخت رؤس وجوهها بالعمد وانتهى نصره فيها الى غاية أمله أقبل خواصه يهنئونه فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند فهنأه بصوت عال فقال والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ على فيه النعمة من هو فوقى فأوجب على ذلك أن أنعم فيه على من هو دونى لاصابنك ما تعرضت له من سوء النكال من تكون حتى تقبل مهنئا وافعا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارف بقيمتها حتى كانك تخاطب أباك أو أخاك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع فى مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها باتصال جهلى وذنوبى فتشفع لى متى أتيت بمثل هذه الزلة لا أعدمنيها الله تعالى فتهلل وجه الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نبهونا على أنفسكم اذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ورفع مرتبته وزاد فى عطائه * ولما أنحى أصحابه على أصحاب الفهرى بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال لا تستأصلوا شأفة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم يشير الى استبقائهم ليستعان بهم على أعداء الدين * ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهرى ورأى شدة مقاساة أصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه اما ذل الدهر واما عز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال انى محتاج لما يزيد فى عقلى لا لما ينقصه فعرفوا بذلك قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا اشتغلت عنها بهمتى فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتى ولا حاجة لى بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه انه قال لولا أنا ما توصل لهذا الملك ولكان منه أبعد من العيوق وأن أحمر قال سعده أعا

لاعقله وتدبيره فخر كرذلك الى أن قال

لا يلف ممتن علينا قائل * لولاى مامللث الانام الداخل
سعدى وحزمى والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا * أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لاعقله * خير السعادة ما حماها العاقل
أبنى أمية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل
مادام من نسلى امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوما فى بعض مجالسهم عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم وكلامه لعبد الله بن على بن عبد الله بن عباس الساطى بهم وقد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم رادا على عبد الله فيما أراقه من دماء بنى أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم تردعه هيبته وعصف ريحه واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء فى ذلك بكلام غاظ عبد الله وأغصه بريقه وعاجل الغمر بالحتف فقضى وخلف فى الناس ما خلف من تلك المعارضة فى ذلك المقام وكثر القوم فى تعظيم ذلك فكان الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذى كان من الغمر فى جنب ما كان منه فى الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والانف من طاعتهم والسعى فى اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة

شتان من قام ذا امتعاض * فشرماقال واضمحلا
ومن غدا مصلتا لعزم * مجرد للعداة نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * ولم يكن فى الانام كلا
فشاد ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأوا أن هلم أهلا

وله غير ذلك من الشعر وسيأتى بعضه مما يقارب هذه الطبقة * وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه فى الحول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر كرسى فى سلطانه شرقا وغربا برا وبحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة وسجنه ثم أقصاه الى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذرا ويلومه من يسمع مبدأه وما له ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدر فى القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فأراد أبو عثمان أن يشغل خاطره وينظر فى شئ يحتاج به اليه فجعل لابن أخته يثور عليه فى حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخى الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتم أمره فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه وقيل له ان أبا عثمان كان معه وهو الذى

ضمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بني العباس في شأن أبي سلمة لكن سأعتبه عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع له الى ما كان عليه في الظاهر وكان صاحبه الثاني في الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد وكان قد ضمن لابي الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فمات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما في النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذي عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبي عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فهذا ما من شكل ولديهما على يدي أعز الناس عليهما ما أراهما ان أحدا لا يقدر أن ينظر في تحصين عاقبته واذا تتبع الامر في الذين يقومون في قيام دولة كان ما لهم مع من يظهرونه هذا المآل وأصعب * وذكر ان أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم بن مهران من ولد الحرث بن أبي شمر الغساني ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن حويرث بن جبلة بن الايهم الغساني وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذي تقدمت ترجمته ثم منصور الخصي وكان أول خصي استحجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى أن توفي الداخل * ولم يكن للداخل من ينطلق عليه سمة وزير لكنه عين أشياخا للمشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبد الله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبي البرابر وقيل انه رومي وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبد الله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة في الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه في الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واحتلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبد الله ابن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان في عديد من يشاوره أيضا ويفضل أمره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهري وقيل انه ممن اتهم في عمالأة اليزيدي في افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدي واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون أن الداخل ألقى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبي فأقره حينا ثم ولى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصي ثم عمر بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جداد بن عمرو يقضي في العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بني مروان حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بني هشام بن عبد الملك أخوه الوليد ابن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفي سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدي وهو ابن أخي الداخل وكانا تحت

تدبير يبرمانه في طلب الامر فوشى بهما مولى لعبيد الله بن أبان وكان قد ساعدهما على ما هما به من الخلاف أبو عثمان كبير الدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجاري أن الداخل كان يقول أعظم ما أنعم الله تعالى به على بعد تمكنى من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الى من أقاربي والتوسع في الاحسان اليهم وكبرى في أعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحنى الله تعالى من هذا السلطان الذى لا منة على فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان فيمن وفد عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى في طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ وقتل معه من أصحابه هذيل بن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور الى العدوة بماله وولده وأهله وفي المهب حدث بعض موالى عبد الرحمن الخاصين به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع رأسه الى وقال ما عجبى الا من هؤلاء القوم سعينا فيما يضعهم في مهاد الامن والنعمة وخاطرنا فيه بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ويسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم وشمخوا بآنافهم وسموا الى العظمى فنازعونا فيما منحنا الله تعالى فخذلهم الله بكفرهم النعم اذ أطلعنا على عوراتهم فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا وأدى ذلك الى أن ساء ظننا في البرىء منهم وساء أيضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه وان أشد ما على في ذلك اخى والد هذا المخذول فكيف تطيب لى نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع بصرى مع بصره اخرج له الساعة فاعتذر اليه وهذه خمسة آلاف دينار ادفعها اليه واعزم عليه في الخروج عنى من هذه الجزيرة الى حيث شاء من بر العدوة قال فلما وصلت الى أخيه وجدته أشبه بالاموات منه بالاحياء فآنسته وعزيته ودفعت له المال وأبلغته الكلام فتأوه وقال ان المشؤم لا يكون بليغا في الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق الذى سعى في حتفه قد سرى ما سعى فيه الى رجل طلب العافية وقنع بكسر بيت في كنف من يحمل عنه معرة الزمان وكله ولا حول ولا قوة الا بالله لا مرد لما حكم به وقضاه ثم ذكر انه أخذ في الحركة الى بر العدوة قال ورجعت الى الامير فأعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق ولكن لا يخدعني بهذا القول عما في نفسه والله لو قدر أن يشرب من دمى ما عف عنه لحظة فالحمد لله الذى أظهرنا عليهم بما نويناه فيهم وأذلهم بما نووه فينا * واعلم انه دخل الاندلس أيام الداخل من بنى مروان وغيرهم من بنى أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين وذكر أعقابهم بالاندلس ومنهم جزى بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز وسيأتى قريبا * وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان الغرب وغيرهم جماعة كثيرون ظفره الله تعالى بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الدعى الفاطمى البربرى بشنت مرية فاعيا الداخل أمره وطال شره سنين متوالية الى أن فتك به بعض أصحابه فقتله ومنهم حيوة بن ملابس الحضرمى رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبى رئيس لبلة وعمرو بن طالوت رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيسهم اليمانية أبى الصباح فقتلوا في هزيمة عظيمة وقيل

نجوا بالفرار فأمنهم الداخل وفى سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد
ابن عبادة الخزرجى وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابى الكلبى رأس الفتن وآل أمرهما
الى أن قتل الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مرّ وفى سنة ١٦٣ ثار الدماحس
ابن عبد العزيز الكنانى بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل ففرّ فى البحر الى
المشرق * قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل فى التى قبلها
بالعلياء من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفى أبو معاوية فى حياة أمير المؤمنين
هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقى معاوية المذكور استجار الكميت الشاعر
حين أهدر هشام دمه وتوفى الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن
سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنة ودفن بالقصر من قرطبة
وصلى عليه ابنه عبد الله * وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد سردنا من ذلك جملة
حتى قال بعضهم ان الراية التى عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ما ظهر
فى ملك بنى أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثر هذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو
مروان بن حيان رحمه الله تعالى * ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وان تكرر بعض ذلك
فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب بعد كلام ابن حيان الذى قدمنا ذكره ما نصه
كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ
العزم لم ترفع له قط راية على عدوّ الا هزمه ولا بلد الا فتحه شجاعا مقداما شديد الحذر
قليل الطمأنينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم
عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس
فى الجامع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب
وبلغت جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتد الطلب على فل بنى
أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على
مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفزة
وهم أخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه
الى مواليهم بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فأجابوه
واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب
فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو
يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه
فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج
اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب
فقال تم أمرنا وغلبنا عدوّنا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك
غرّة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله بن عثمان وجماعة
فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش
من كور البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من

قوله الدماحس فى نسخة الرماحس اه

أمره ما يذكر وقيل انه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت فى جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ثم ارتحل الى شذونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق نزل بطشانة فأشاروا عليه أن يعقد له لواء فجاؤا بعمامة وقناة فكرهوا أن يميلوا القناة تطيرا فأقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين وصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك هو وولده بهذا اللواء فكان بعد أن بلى لا تحل منه العقدة التى عقدت أولا بل تعقد فوقها الالوية الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسمالا اخلاقة ملفوفة معقدة جهلوها فاستر ذلوها وأمروا بحلها ونبذها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر فى اليوم الثانى وطولع بالقصة فأنكرها أشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم شأن تلك الاخلاق فكان ينبغى أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا فى أمرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد ويقال كما قال ابن حيان انه لم يزل يعرف الوهن فى ملك بنى أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذى عقده أولا عبد الله ابن خالد من موالى بنى أمية وكان والده خالد عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب بعد انقراض دولة بنى حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن أشد حزن وانفقت عليه اثر ذلك الفتوق العظام وكانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لانه لم ينهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التى لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصارى ولم يزل يحمله ولده من بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف الفهرى بالقرب من قرطبة وتراسلا لخداعه يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد أسر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم ينشب أن غشيت الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه والا فلا فكان خالد يقول ما كان شئ فى ذلك الوقت أحب الى من غلبة عبد الرحمن الداخل عدوّ صاحبى وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين أعانوه هذا فتى حديث السن تحته جواد وما نأمن أول ودعة يردعها أن يطير منهزما على جواده ويدعنا فأتى عبد الرحمن أحد مواليه فأخبره بمقالتهم فدعا أبا الصباح وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسى هذا قلق تحتى لا يمكننى من الرمى فقدم الى بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمأنت أصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه أى يوم هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال فالاضحى غدا يوم الجمعة والمتزاحفان أموى وفهرى

والجند أن قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وأرجو انه أخو يوم مرج راهط فأبشروا وجدوا واذكرهم يوم مرج راهط الذى كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهرى وكانت يوم جمعة ويوم أضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون ألفا من قبائل قيس وأحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى وابن هبيرة المحاربى وصالح الغنوى وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم المصارة غربى قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال ابن الطفيل العبدى وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحول على بغلة الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فقربه أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشياء أشباها أموى بأموى وفهرى بفهرى وكلبى بكلبى ويوم اضحى بيوم أضحى ويمنى بقيسى والله انى لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تنجلى الغماء وسحرك منتفخ فانثنى أبو عطاء لوجهه منقلبا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهرى هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهرى بانى القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن وقيل الصميل بن حاتم بن عمرو بن جندع ابن الشمر بن ذى الجوشن كان جده شمر من أشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضى الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وسادبها وكان شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه فى زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهرى كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهرى الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كما مر انتقل سلطانها الى بنى أمية واستفحل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم انتثر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول فى القرون السالفة سنة الله التى قد خلت فى عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهرى والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره * وحكى أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فأمر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا أمير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بنى أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل أعرف مزيتى من جدى من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بابى جعفر المنصور فى عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه فى أن أم كل منهما بربرية وأن كلا منهما قتل ابن أخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية * ومن شعر عبد الرحمن

قوله عبد الرحمن بن مسعدة فى نسخة عبد الرحمن بن مسعود وفى أخرى عبد الله بن مسعدة اه

وقد رأى نخلة برصافته

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى * وطول اكتئابي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة * فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي * يسح ويستمري السماكين بالوبل

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم وأشاع سنة ١٦٣ الرحيل الى الشام لانتزاعها من بني العباس وكتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالاندلس في طائفة ويذهب بعامة من أطاعه ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين الانصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم * ومن شعر عبد الرحمن أيضا قوله يتشوق الى معاهد الشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقرمني بعض السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بأرض * وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وترجمة الداخل طويلة وقد ذكرنا منها ما فيه مقنع انتهى والله تعالى الموفق للصواب
وفي بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم

وأبرز في ذات الاله ووجهه * ثمانين ألفا من لجين وعسجد
وانفقها في مسجد زانه التقى * وقرته دين النبي محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه * يلوح كلمح البارق المتوقد

*(ومن الوافدين على الاندلس أبو الاشعث الكلبي) دخل الاندلس وكان شيخا مسنا يروي عن أمه عن عائشة رضي الله تعالى عنها الا أنه كان مندرا صاحب دعابة وكان مختصا بعبد الرحمن بن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفي حبيب بن عبد الملك ابن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لاحد من أهل بيته جعل عبد الرحمن يبكي ويجتهد في الدعاء والاستغفار لحبيب وكان الى جنبه أبو الاشعث هذا قائما وكانت له دالة عليه ودعابة يحتملها منه فأقبل عند استقباره كالمخاطب للمتوفى في علانية يقول يا أبا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغني عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده فأعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى في المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الابار *(ومن الداخلين الى الاندلس جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه دخل الاندلس ومات في مدة الداخل وكان من أولياء الله تعالى مقتفيا سبيل أخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى *(ومنهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي ويكنى أبا ثمامة وجده صحابي وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله ابن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدي وسفيان بن وهب

الخولانى وحبان بن سمج الصدانى وقيد اسمه الدارقطنى رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة وبياء معجمة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس ويقال فيه حبان بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمى وأبو عميرة المزنى وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم ويطول سردهم منهم ربيعة ابن قيس الجملى وأبو عبد الرحمن الحبلى وزياد بن نعيم الحضرمى وسفيان بن هانئ الجيشانى وسعيد بن شمر السبائى وعبد الله بن المستورد بن شداد الفهرى وعبد الرحمن ابن أوس المزنى وزيادة بن ثعلبة البلوى وشيبان بن أمية القتبانى وعامر بن ذريح الحميرى وعمير بن الفيض اللخمى وأبو حمزة الخولانى وعياض بن فروخ المعافرى ومسلم بن مخشى المدبجى وهانئ بن معاوية الصدفى وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقى وغيرهم قال ابن يونس توفى بافريقية فى خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق فى مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجده ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القيروانى المالكى فى تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعنى الموجهين الى افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز فى خلافته ليفقهوا أهل افريقية ويعلموهم أمر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكى أيضا عن أبى سعيد بن يونس قال كان فقيها مفتيا سكن القيروان وكانت وفاته كما تقدم وذكره الحميدى فى الداخلين الى الاندلس ولم يذكره ابن الفرضى ❊(ومنهم زريق بن حكيم أحد المعدودين فى الداخلين الى الاندلس ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبى المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبى وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبى جبلة وعلى ابن أبى رباح وأبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله الصنعانى ومعاوية بن صالح وزيد ابن الحباب العكلى وانتهى عددهم بزريق هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضى ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعى ❊(ومنهم زيد بن قاصد السكسكى قال ابن الابار وهو تابعى دخل الاندلس وحضر فتحها وأصله من مصر يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى ذكره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا من كتاب الحميدى انتهى ❊(ومنهم زرعة بن روح الشامى دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضى مهاجر بن نوفل ❊(ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصارى قال ابن الابار تابعى دخل الاندلس يروى عن أبى هريرة قرأته

قوله وزياد فى نسخة وزيد اهـ

قوله حبان الخ فى نسخة حيان ابن جبلة اهـ

قوله ابن أبى رباح فى نسخة ابن رباح وقوله وأبو عبد الرحمن فى نسخة وعبد الرحمن اهـ

قوله العكلى فى نسخة العشكلى اهـ

قوله ابنه مسلمة فى نسخة ولده مسلم اهـ

بخط ابن حبيش وقال أبو سعيد بن يونس مؤرخ مصر انه يروى عنه الحرث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان غزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ويروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال الحميدي انه كان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه ولي بحر افريقية سنة ثلاث وتسعين وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل يزيد بن أبي مسلم والي افريقية اجتمع رأي أهلها عليه فولوه أمرهم وذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أن ولي بشر بن صفوان الكلبي افريقية وكان على مصر فخرج اليها واستخلف أخاه حنظلة انتهى

*(ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الاموي فر من الشام خوفا من المسودة فتربص بمصر ومضى الى الاندلس وقد غلب عليها الامير عبد الرحمن بن معاوية الداخل فأكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لانه كان قعدد بني أمية ثم انه لما وجد الداخل يدعو لابي جعفر المنصور أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بني العباس ببني أمية فتوقف عبد الرحمن في ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك انه قال له حين امتنع من ذلك ان لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسي فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر ولما زحف أهل غرب الاندلس نحو قرطبة لحرب الامير عبد الرحمن أنهض اليهم عبد الملك هذا فنهض في معظم الجيش وقدم ابنه أمية أمامه في أكثر العساكر فطالعهم أمية فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فانحاز منهزما الى أبيه فلما جاءه سقط في يده وقال له ما حملك على أن استخففت بي وجرأت الناس علي والعدو ان كنت فررت من الموت فقد جئت اليه فأمر بضرب عنقه وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من الشرق الى أقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقي الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحملوا وتقدمهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية ولم تقم بعدها لليمانية قائمة وقتل بين الفريقين ثلاثون ألفا وجرح عبد الملك فأتاه عبد الرحمن وجرحه يجري دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له يا ابن عم قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاما ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا وأعطيتك كذا ولاولادك كذا وأقطعتك واياهم كذا ووليتكم الوزارة * ومن شعره لما نظر نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يا نخل أنت فريدة مثلي * في الارض نائية عن الاهل
تبكي وهل تبكي مكممة * عجماء لم تجبل على جبلي
ولو أنها عقلت اذا لبكت * ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت وأخرجني * بغضي بني العباس عن أهلي

*(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونزل حين دخوله بلبلة وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه

أنساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب *(ومن الداخلين الى الاندلس عبد الله ابن المغيرة الكناني) حليف بني عبد الدار سماه أبو محمد الاصيلي الفقيه في الداخلين الاندلس من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الابار وما أراه يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه يروى عن سفيان بن وهب الخولاني *(ومنهم عبد الله العمر الذي طرأ على الاندلس في آخر الزمان وكان يزعم انه لقي بعض التابعين قال ابن الابار روى عنه أبو محمد أسد الجهني ذكر ذلك القيسي وفيه عندي نظر انتهى *(ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن ابن شماسة بن ذئب المهري) روى عن أبي ذر وقيل عن أبي نضرة عن أبي ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني وعوف بن مالك الاشجعي ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال في الداخلين الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدي قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران *(ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه) وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للاندلس وكان المذكور اذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعيد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وأمراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغير واحد ممن عرفنا به في هذا الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دوني * ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذلك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم اني * أحب كسب المعالي
وانما أتواني * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واصطناع الرجال
دع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
تخالهم في انعكاس * بها وحالي حالي

وتراجمهم واسعة وقد بسطت في المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا في الباب قبل هذا من أخبار بني سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع *(ومن الوافدين على الاندلس

قوله شماسة في نسخة سماسة بمهملتين اه

من المشرق أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي البخاري الحافظ نزيل مصر سمع ببخاري بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد وكانا راويان معا عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وعن أبي الفضل السليماني بيكند وأبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار وأبي يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي وأقرانه باليمن وأبي القاسم تمام بن محمد الرازي بدمشق وابن أبي كامل باطرابلس الشام وأبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن أبي نصر الكلاباذي وأبي عبد الله الحاكم وأبي بكر بن فورك المتكلم وأبي العباس بن الحاج الاشبيلي وأبي القاسم علي ابن أحمد الخزاعي صاحب الهيثم بن كليب وأبي الفضل العباس بن محمد الحداد التنيسي وأبي الفتح محمد بن ابراهيم بن الجدري وأبي بكر محمد بن داود العسقلاني وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقي ولقي بافريقية العابد ولي الله سيدي محرز بن خلف التميمي مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم أجدها لاحد في نفسي من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بها عن شيوخها ولم يزل يكتب الى أن مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة وأسبابها وقول لا اله الا الله وثوابها فسمع منه أبو عبد الله الرازي وذكره في مشيخته قال الحافظ ابن الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبني وقال هو من الرحالين في الآفاق أخبرني انه يحدث عن مئين من أهل الحديث وأبو عبد الله الحميدي وأبو بكر الطليطلي وأبو عبد الله بن منصور الحضرمي وأبو سعيد الرهاوي وأبو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي وأبو الحسن بن مشرف الانماطي وأبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وأبو محمد شعيب بن سعدون الطرطوشي وأبو بكر بن نعمة العابر وأبو الحسن علي بن الحسين الموصلي الفراء وأبو عثمان سعد بن عبد الله الحيدري من شيوخ السلفي وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي وأبو اسحق الكلاعي من شيوخ أبي بحر الاسدي وأبو محمد بن عتاب كتب اليه بجميع مارواه ولم يعرف ذلك في حياته وسماه أبو الوليد بن الدباغ في الطبقة العاشرة من طبقات أئمة المحدثين من تأليفه مع أبي عمر بن عبد البر وأبي محمد بن حزم وأبي بكر بن ثابت الخطيب وذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه وقال سمع بما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والقيروان ثم سكن مصر وقدم دمشق قديما وحدث بها وسمى جماعة كثيرة من الرواة عنه وحكى انه قال لي ببخاري أربعة عشر ألف جزء حديث أريد أن أمضي وأجيء بها قال وسئل عن مولده فقال في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة قال وتوفي بالحوراء سنة احدى وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه انتهى قلت والذي أعتقده انه لم يدخل الاندلس من أهل المشرق أحفظ منه للحديث وهو ثقة عدل ليس له مجازفة والحق أبلج *(وممن دخل الاندلس من المشرق عبد الجبار بن أبي سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري دخل الاندلس مع موسى بن نصير وكان على ميسرة عسكره ونزل باجة ثم بطليوس ومن نسله الزهريون الاشراف الذين كانوا باشبيلية

قوله التميمي في نسخة التيمي اه

قوله السليماني في نسخة سليمان اه

قوله أبي نصر في نسخة أبي بكر اه

قوله جعفر في نسخة حفص اه

انتقلوا الى سكناها قديما هكذا فى خبر القاضى أبى الحسين الزهرى منهم عن أبى بكر بن خير وغيره قال ابن بشكوال فى مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين عبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من التابعين وقع ذكره فى كتاب شيخنا أبى الحسن بن مغيث انتهى قال ابن الابار ولم يزد على هذا انتهى

*(ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب من أهل مصر وسكن بغداد ويعرف بالطندتائى قرية بمصر تنسب اليها روى عن أبى محمد الشارمساحى وتفقه به وقدم الاندلس رسولا يزعمه من عند الخليفة العباسى فسكن مرسية ودرس بها وخرج منها سنة اثنتين وأربعين وستمائة بعد أن تملكها النصارى صلحا وأسر بناحية صقلية قال ابن الابار ثم بلغنى انه تخلص ولحق ببلده رحمه الله تعالى

*(ومنهم عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب يكنى أبا القاسم قال ابن الابار لا أعرف موضعه من بلاد المشرق وكان أديبا قوى العارضة مطبوع الشعر مديد النفس ومن شعره من قصيدة تصنعها فى وقت رحلته الى الاندلس قوله

على الذل أو فاحلل عقال الركائب * وللضيم أو فاحلل صدور الكتائب
فاما حياة بعد ادراك منية * واما ممات تحت عز القواضب
فما العيش فى ظل الهوان بطيب * وما الموت فى سبل العلاء بعاتب

*(ومنهم أبو محمد عبد اللطيف بن أبى الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمى الصدفى من أهل بغداد يعرف بالتريمى دخل الاندلس وكان يزعم انه روى عن أبى الوقت السجزى وأبى الفرج الجوزى وغيرهما وله تأليف سماه بالدليل فى الطريق من أقاويل أهل التحقيق ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعفه بعد ما سمع منه أخذ عنه وسمع منه هو وأبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المخيلى وغيرهما وقال ورد علينا غرناطة قريبا من سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفى عفا الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه أبو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمى البغدادى التريمى منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخارى من أبى الوقت السجزى وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار فى التصوف منها تأليف فى اباحة السماع قرأت عليه أكثره وقرأت عليه عوالى النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة *(ومنهم أبو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الخراسانى الباخرزى المالينى يكنى أبا بكر سمع من أبى الخير أحمد بن اسمعيل الطالقانى القزوينى وأبى يعقوب يوسف ابن عمر بن أحمد الخالدى الزنجانى وقدم الاندلس وحدث بمحيقى الاشج وجعفر ابن نسطور الرومى وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه أبو القاسم الملاحى وسمع منه بمالقة أبو جعفر بن عبد الجبار وأبو على بن هاشم فى صفر سنة ٦٠٠ ومولده فى ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشج وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى السلفى الحافظ اذ قال

حديث ابن نسطور وقيس ويغنم * وبعد أشج الغرب ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة تربه * أبي هدبة القيسي شبه فراش

قال ابن عات كان الحافظ السلفي اذا فرغ من انشاد هذين البيتين ينفخ في يديه اشارة الى أن هذه الاشياء كالريح انتهى *(ومن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق علي ابن بندار بن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من أهل بغداد قدم الاندلس تاجرا سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وكان قد أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد ابن محمد بن المغلس الفقيه الداودي وتلمذ له وسمع منه الموضح والمنجح من تآليفه في الفقه وما تم له من أحكام القرآن هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعتني بهذا الشان رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلا النيسابوري لقيه الحافظ أبو علي الصدفي ببغداد وأخذ عنه اذ قدمها حاجا وهو يحدث عن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد البصروي قال أبو علي وأراه دخل الاندلس ويغلب على ظني اني لقيته بمرسطة ذكر ذلك القاضي عياض في المعجم من تآليفه والله تعالى أعلم *(ومنهم سهل بن علي بن عثمان التاجر النيسابوري يكنى أبا نصر سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي وأبو الفتح السمرقندي وأدرك الامام أبا المعالي الجويني وحضر مجلسه ودرسه ولقي بعده أصحابه القشيري والطوسي وغيرهما وكان شافعي المذهب ذكره عياض وقال حدثني بحكايات وفوائد وأنشدني لابي طاهر السلفي وأجازني جميع رواياته وحدثني ان وفاة أبي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس أو أربع وسبعين وأربعمائة وقال أبو محمد العثماني أنشدني أبو نصر سهل بن علي النيسابوري الحلواني قال أنشدنا أبو الفتح نصر بن الحسن أنشدنا أبو العباس العذري قال أنشدنا أبو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رأيت الشيب حل مفارقي * نذيرا بترحال الشباب المفارق
رجعت الى نفسي فقلت لها انظري * الى ما أتى هذا ابتداء الحقائق
دعي دعوات اللهو قد فات وقتها * كما قد أفات الليل نور المشارق
دعي منزل اللذات ينزل أهله * وجدي لما تدعى اليه وسابقي

قال عياض توفي سهل هذا غريقا في البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو المكارم هبة الله بن الحسين المصري كان من أهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث متيقظا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولي قضاء اشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة قال ابن الابار وبه صرف أبو القاسم الخولاني وأقام بها سنة وحضر غزوة شنترين وكان قدوم أبي المكارم هذا الاندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن أيوب في قوم من شيعة العبيدي ملك مصر ووفد أيضا معه أبو الوفاء المصري ثم استصحبه أمير المؤمنين يعقوب المنصور معه في غزوة قفصة الثانية وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولي قضاء فاس وولي أيضا أبو الوفاء صاحبه القضاء وتوفي وهو متولي قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن

عبد المنعم بن عبد الله القيسي الدمشقي أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهاني في مجلس أبي طاهر السلفي لدخوله اياها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بالمشرق أبا بكر بن ماشاده السكري وأبا الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفي وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقي ببجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلي وأجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجوّل ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعي عارفا بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تأليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن عميرة الضبي وابنا حوط الله أبو محمد وأبو سليمان وأبو القاسم الملاحي وأبو العباس بن الجيار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدني عند توديعي اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يا زائرا زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
مرّ بباب الدار مستعجلا * ما ضرّه لو دخل الدارا
نفسي فداءك من زائر * ما زار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابي في شرح سنن أبي داود بقراءة جميعه عليه ومولده في شوّال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفي بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوّال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفي هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبي عبد الله بن نوح ببلنسية رحمهما الله تعالى *(ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي من ذرية عبد بن زمعة أخي سودة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس في زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهروا فيها معتقدهم الخبيث فحل يومئذ من الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها دارا واتخذها قرارا وبها القيه أبو عمر بن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس محاسن وقد ذكره في تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى أن نجم منهم أبو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنه الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلي هل ليلى ونجد كعهدنا * فيا حبذا ليلى ويا حبذا نجد
عسى الدهر أن يقضي لنا بالتفاتة * فيارب عهد قد يجدده بعد

وله أثناء رسالة قوس

قوس العلا وضعت في كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها
وانما الشمس لاحت في مطالعها * بلى وأجرى جياد الخيل مجريها

ونشأ هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد أخذ من العلوم في غير ما فن وحقق فيه كل ما ظن وذكره في المسهب وسمط الجمان وفضله أشهر رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو

علي القالي صاحب الامالي والنوادر ووفد على الاندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن فأمر ابنه الحكم وكان يتصرف عن أمر أبيه كالوزير عاملهم ابن رماحس أن يجيء مع أبي علي الى قرطبة ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكرمة لابي علي ففعل وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الادب في طريقهم ويتناشدون الاشعار الى أن تجاوروا يوما وهم سائرون أدب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن أفضل المناديل وأنشاده بيت عبدة بن الطبيب

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لايدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا علي فأنشد الكلمة في البيت اعرافها لايدينا مناديل فانكرها ابن رفاعة الالبيري وكان من أهل الادب والمعرفة وفي خلقه حرج وزعارة فاستعاد أبا علي البيت متثبتا مرتين في كلتيهما أنشده أعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين ويتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه فأجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق الينا وابن رفاعة أولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشانه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله تعالى أو يحطه وبعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبي علي القالي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس لا في خلافة أبيه الناصر والصواب ان وفادته في أيام الناصر لما ذكره غير واحد من حضره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما ألمعنا به في غير هذا الموضع وفي القالي يقول شاعر الاندلس الرمادي

من حاكم بيني وبين عذولي * الشجو شجوي والعويل عويلي
في أي جارحة أصون معذبي * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في بصري فثم مدامعي * أو قلت في قلبي فثم غليلي
لكن جعلت له المسامع موضعا * وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبي البيت الثاني قال يصونه في استه وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي

كفى بجسمي نحولا انني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

قال أظنه ضرطة والجزاء من جنس العمل وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو علي القالي كتاب الامالي وكان الحكم كريما معتنيا بالعلم وهو الذي وجه الى الحافظ أبي الفرج الاصبهاني ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الاغاني وألف أبو محمد الفهري كتابا في نسب أبي علي البغدادي وروايته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ هذين البيتين في لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبي علي البغدادي عند تهدمها وهما

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا * فليس لمن وارى التراب حبيب

ولاتدفنوني بالعراء فربما * بكى ان رأى قبر الغريب غريب

واسم أبي علي اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان وجده سلمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو علي أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبي بكر بن دريد الازدي وأبي بكر بن الانباري وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه أبو بكر الزبيدي الاندلسي صاحب مختصر العين ولابي علي التصانيف الحسان كالامالي والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوي وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو يما يعين انه قدم في زمن الناصر لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هنالك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن ظاهر قرطبة ومولده بمنازلة من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالي لانه سافر الى بغداد مع أهل قالية وهي من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية ان أبا علي القالي لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ في تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع الارض الطيبة المونقة فصادف أبا بكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هنالك ضيعة قال فلما رآني عرج علي واستبشر بلقائي فقلت مداعباله

من أين أقبلت يامن لاشبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فما تمالكت أن قبلت يده اذ كان شيخي ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التي فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه مالا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضي عنه وممن أخذ عن أبي علي القالي بالاندلس أبو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد

الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان

قوله سنة ٣٥٦ في نسخة سنة ٣٥٢ اه

قوله بمنازلة في نسخة بمنازل اه

والارض شئ كلها واحد * والناس اخوان وجيران

وترجمة الزبيدى واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بأنه كان فى صباه فى غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى وكان القالى قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه ودقق النظر وانتصر للبصريين وأملى شيأ من حفظه ككتاب النوادر والامالى والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع فى اللغة نحو خمسة آلاف ورقة ولم يصنف مثله فى الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى فى بابه لا يشذ منه شئ وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدى اماما فى الادب ولكنه عرف فضل القالى فمال اليه واختص به واستفاد منه وأقر له وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعدها ينشط أبا على ويعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط فى الاكرام وكانوا يسمونه البغدادى لوصوله اليهم من بغداد ويقال ان الناصر هو الذى استدعاه من بغداد ولولاه فيهم وفيه يقول الرمادى مخاطبا فى لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسمعيل
قسه الى الاعراب تعلم أنه * أولى من الاعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده وكانما * نزل الخراب بربعه المأهول
فكأنه شمس بدت فى غربنا * وتغيبت عن شرقهم بأفول
ياسيدى هذا الثناء لم أقل * زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ * لم أرج غير القرب فى تأميلى

وقد تقدمت أبيات القالى التى أجاب بها منذر بن سعيد فى الباب قبل هذا فلتراجع ثمة والله تعالى أعلم *(ومن الوافدين الى الاندلس من المشرق أبو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادى اللغوى) وأصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة أيام المنصور بن أبى عامر عزم المنصور على أن يعفى به آثار أبى على البغدادى الوافد على بنى أمية فما وجد عنده ما يرتضيه وأعرض عنه أهل العلم وقدحوا فى علمه وعقله ودينه ولم يأخذوا عنه شيأ لقلة الثقة به وكان ألف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحضوه ورفضوه ونبذوه فى النهر ومن شعره قوله

ومهفهف أبهى من القمر * قهر الفؤاد بفاتر النظر
خالسته تفاح وجنته * فأخذتها منه على غرر
فأخافنى قوم فقلت لهم * لاقطع فى ثمر ولا كثر

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدى سمعت أبا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت أبا العلاء صاعدا ينشد بين يدى المظفر عبد الملك بن أبى عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦

حسبت المنعمين على البرايا * فألفيت اسمه صدر الحساب

قوله سنة ٣٩٦ فى نسخة سنة ٣٩٩

وما قدمته الا كاني * أقدم تالياً أم الكتاب

وذكر الحميدي أن عبد الله بن ماكان الشاعر تناول نرجسة فركبها في وردة ثم قال لصاعد ولأبي عامر بن شهيد صفاها فأفحما ولم يتجه لهما القول فبينما هم على ذلك اذ دخل الزهيري صاحب أبي العلاء وتلميذه وكان شاعراً أديباً أمياً لا يقرأ فلما استقر به المجلس أخبراهم فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد أعيتهما * مليحة من ملح الجنه

نرجسة في وردة ركبت * كمقلة تطرف في وجنه انتهى

ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوماً وعنده أعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم في هذه العلوم وأحب أن يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيد السيرافي فزعم انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمي بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدي فما تحسن أيها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فما وزن أولق فضحك صاعد وقال أمثلي يسأل عن هذا انما يسأل عنه صبيان المكتب قال الزبيدي قد سألناك ولا نشك انك تجهله فتغير لونه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدي صاحبكم ممخرق فقال له صاعد انال الشيخ صناعته الابنية فقال له أجل فقال صاعد وبضاعتي أنا حفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة الا أنشد عليها شعراً شاهداً أو أتى بحكاية تجانسها فأعجب المنصور ثم أراه كتاب النوادر لأبي علي القالي فقال ان أراد المنصور أمليت على كتاب دولته كتاباً أرفع منه وأجل لا أورد فيه خبراً مما أورده أبو علي فأذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسألوا المنصور في تجليد كراريس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تأليف أبي الغوث الصنعاني فترامى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اي والله قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ أبي فلان فأخذه المنصور من يده خوفاً أن يفتحه وقال له ان كنت قد قرأته كما تزعم فعلام يحتوي فقال وأبيك لقد بعد عهدي به ولا أحفظ الآن منه شيأ ولكنه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحداً يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا يأتي الا بالغريب

غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان ينفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ما جرى له انه كان بين يدى المنصور فأحضرت اليه وردة فى غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن أبى عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتى صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهى فى خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكى لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن * فى ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسى ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق فى موضع لى عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فأحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمين فى شكل الجوارى وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى اللآلى مثل الحصباء وفى البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم أن كل ما تأتى به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت انه حضر بين يدى ملك قبلى شكله فصفه بجميع ما فيه وعبر بعض عن هذه القصة بقوله أمر فعبى له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان فى البركة حية تسبح وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور ان هؤلاء يذكرون ان كل ما تأتى به دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل لملك مثله فان وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك فى الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * واعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائع

وشائع نور صاغها هامر الحيا * على حافتيها عبقر وزخارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ماتراه العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا انك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديه المجاذف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * تنقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غروان ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لورمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أوبدهت بديهة * فكلنى له انى لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة فى ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفى ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبى * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمركل فى كلام العرب فقال يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف فى كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن ابى عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لانظيرله فى علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فاعجب المنصور منه فتوفى فاتن هذا سنة ٤٠٢ وبيعت فى تركته كتب مضبوطة جليلة مصححة وكان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان فى ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ باوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليفا لرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبه على من أنكر فضائل الصقالبه وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ماجرى لصاعد انه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يدموصله

ياحرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذلل
ياسلك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

ما ان رأت عينى وعلمك شاهد * جدوى علائك فى معم مخول

ومنها

وأبي مؤنس غريبتي وتحفظي * من صفر أيامي ومن مستعملي
عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بأيل
سميته غرسية وبعثته * في حبله ليصح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فتلك أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطوّل
فضلت غادية السرور بعزة * وحللت أوجابالسحاب المخضل

فقضى في سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه بالايل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه انه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فأسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب ولنورد من أخبار صاعد فنقول حكى ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الالحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وفي الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة حكى أن صاعدا قال جمعت خرق الاكياس والصرر التي قبضت فيها صلات المنصور محمد بن أبي عامر فقطعت لكافور الاسود غلامي منها قميصا كالمرقعة وبكرت به معي الى قصر المنصور فاحتلت في تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يا مولانا العبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامي كافور الى هنا فقال وعلى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه في مرقعته وهو كالنخلة اشرافا فقال قد حضر وانه لباذل الهيئة فمالك أضعته فقلت يا مولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاي انك وهبت لي اليوم ملء جلد كافور مالا فتهلل وقال لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معاني الشكر وأمر لي بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار فقال للموفق دعني أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فأبى الا مساءته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء ما الجرنفل في كلام العرب فعرف صاعد انه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة فقال بعد أن اطرق ساعة الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن الى غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجرنفل بضم الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شيء من الريحان المعروف بالترنجان فعبث به ورماه الى صاعد وأشار اليه أن يقول فيه فارتجل (لم أدر قبل ترنجان عبثت به) الابيات الآتية وهذا المنصور بن أبي عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له ما رأيته بخزانة فاس في كتاب ألفه صاحبه في الازهار والانوار حكى

فيه فى ترجمة النيلوفر أن المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذى هو أعظم ملوكهم فى ذلك الزمان ليطلع على أحوال المسلمين وقوتهم فأمر المنصور أن يغرس فى بركة عظيمة ذات أميال نيلوفر ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذى فى البركة وأرسل الى الرومى فحضر عنده قبل الفجر فى مجلسه السامى بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة أطباق ذهب وبيد خمسمائة أطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة وبادروا الى أخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب فى أطباق الفضة والفضة فى أطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصرانى من ذلك وأعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فانى رأيت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهذه القضية من الغرائب وانها لحيلة عجيبة فى اظهار عز الاسلام وأهله وكان المنصور بن أبى عامر آية الله سبحانه فى السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بنى مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم فى توريثه الملك بعده فى سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بنى أمية بالاندلس فى اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبروا انصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى جوذر وفائق فتياه ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد قال له ان هذا الايتم لنا الا بقتل جعفر المصحفى فقال له جوذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفى ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما فى المغيرة فقال لهما المصحفى وهل أنا الا تبع لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا فى تدبير ما عزما عليه وخرج المصحفى وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جوذر وفائق فى المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا فقالوا الرأى رأيك فبادر المصحفى بانفاذ محمد بن أبى عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام فى الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفى بحاله وما هو عليه من الاستجابة فأجابه المصحفى بالقبض عليه والا وجه غيره ليقتله فقتله خنقا فلما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفى أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء فى الفرش وكان ذلك من أول ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبى عامر فتى ماجد أخذ معه بطرف نقيض بالبذل جودا وبالاستبداد أثرة وتملك قلوب الرجال الى أن تحركت همته للمشاركة فى التدبير بحق الوزارة وقوى على

أمره بنظره في الوكالة وخدمته السيدة صبح أم هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته في تأدية لطيف الخدمة فأخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بأن لا ينفرد عنه برأي وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر وأطلعه على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبي عامر يمكر به ويضرب عليه ويغري به الحرة ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ماهذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفي وهوى نجمه وتفرد محمد بن أبي عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشرّدهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لا كثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فأنف محمد بن أبي عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتبديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على ذلك الامن شذ منهم واختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحامة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الى مالا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فأعلمته ما جئت له فابتهج بما سمعه مني وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره فلا تجري وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة وأحبه قلبي حتى لو حملني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يومئذ قصرا من فضة لصبح أم هشام وحمله على رؤس الرجال فجلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يتحفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره في علم الحدثان يتخيل في ابن أبي عامر انه المذكور في الحدثان ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفه ويقول في بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالي وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجز المصحفي أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبي عامر فأقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بأن ينهض غالب الى تقدمة

جيش

بجيش الثغر وخروج ابن أبي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي وقفل ابن أبي عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن أبي عامر ولا خبر عند المصحفي وملك ابن أبي عامر الباب بولايته الشرطة وأخذ عن المصحفي وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله وكان ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة وتولى السياسة وانهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب فقطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه فكاتب غالبا يستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم له وبلغ ابن أبي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة ويهيج حقوده وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبي عامر فانكحه البنت المذكورة وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبي عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلا شيء واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي ودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس في الاندلس وأيقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبي عامر في شيء من التدبير وابن أبي عامر يسايره ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبي عامر الى أن صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفي باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبي عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبق قبل عمه جعفر المصحفي فلما استقصى ابن أبي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من أعظم قصور قرطبة واستقرت النكبة عليه سنتين مرة يحتبس ومرة يترك ومرة يقرب بالحضرة ومرة ينفر عنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفي ولم يبق فيه محتمل واعتقل في المطبق بالزهراء الى أن هلك وأخرج الى أهله ميتا وذكر انه سمه في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد جعفر بن عثمان الى أهله بأمر المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما أحسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بأمره لتسليم جسد جعفر الى أهله وولده والحضور على انزاله في ملحده فنظرته ولا أثر فيه وليس عليه شيء يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتلع من جانب الدار وأنا أعتبر من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده

المستدعى للصلاة عليه وما تجاسر أحد منا للنظر اليه وانى فى شأنه نظيرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع فى مسمع ولا تصوّر فى لحظ وقفت له فى طريقه من قصره أيام نهيه وأمره أروم اناوله قصة كانت به مختصة فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حف به وأخذ الناس السكك عليه وأفواه الطرق داعين ومارّين بين يديه وساعين حتى ناولت قصتى بعض كتابه الذين نصبهم جناحى موكبه لاخذ القصص فانصرفت وفى نفسى ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه فى الغزوات واحتمله واتفق ان نزلت بجليقية الى جانب خبائه فى ليلة نهى فيها المنصور عن وقود النيران ليخفى على العدوّ أثره ولا ينكشف اليه خبره فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد وهو يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل * أراها توفى عند موعدها الحرّا
فلله أيام مضت بسبيلها * فانى لا أنسى لها أبدا ذكرا
تجافت بها عنا الحوادث برهة * وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالى ما يدرى الزمان مكانها * ولا نظرت منها حوادثه شزرا
وما هذه الايام الا سحائب * على كل أرض تمطر الخير والشرّا انتهى

وأما غالب الناصرى فانه حضر مع ابن أبى عامر فى بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظرا فى أمرها فجرت محاورة بين ابن أبى عامر وغالب فسبه غالب وقال له يا كلب أنت الذى أفسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت فى الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة به وشجه فألقى ابن أبى عامر نفسه من رأس القلعة خوفا من أن يجهز عليه فقضى الله تعالى انه وجد شيأ فى الهواء منعه من الهلاك فاحتمله أصحابه وعالجوه حتى برئ ولحق غالب بالنصارى فجيش بهم وقابله ابن أبى عامر بمن معه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن أبى عامر ما جدّ له وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن أبى عامر والمؤيد وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه ما دهى الامن جانب حاشية القصر فرّقهم ومزقهم ولم يدع فيه منهم الامن وثق به أو عجز عنه ثم ذكر له أن الحرم قد انبسطت أيديهن فى الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح أخت رائق تفعله من اخراج الاموال عند ما حدث من تغيرها على ابن أبى عامر وانها أخرجت فى بعض الايام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة وموّهت ذلك كله بالمرى والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤس الكيزان أسماء ذلك ومرّت على صاحب المدينة فما شك انه ليس فيها الا ما هو عليها وكان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار فأحضر ابن أبى عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظ الاموال بانهماكه فى العبادة وان فى اضاعتها آفة على المسلمين وأشار بنقلها الى حيث يؤمن عليها فيه فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عن قيمة ورق وسبعمائة ألف دينار وكانت صبح قد دافعت عما بالقصر من الاموال ولم تمكن من

اخراجها

اخراجها فاجتمع ابن أبي عامر بالخليفة هشام واعترف له بالفضل والغناء في حفظ قواعد الدولة نخرست ألسنة العدا والحسدة وعلم المنصور ما في نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط فأبرزه للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلائق ما لا يحصى وكانت عليه الطويلة والقضيب في يده زى الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته وقد مرض المرض الذى مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به وكان هجر الاطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت وكان يقول ان زمانى يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالة مني ولعله يعني من حضر معه تلك الغزاة والافعساكر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل ذهنه بأمر قرطبة وهو في مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصايته وكلما أراد أن ينصرف رده وعبد الملك يبكي وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك الى قرطبة ومعه القاضي ابو ذكوان فدخلها أول شوال وسكن الارجاف بموت والده وعرف الخليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة فأحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين الكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات لثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن في قصره بمدينة سالم واضطرب العسكر وتلوم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى قرطبة فيمن بقي معه ولبس فتيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشي والحبر والخز وقام ولده عبد الملك المظفر بالامر وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له السجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور على السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد في الاندلس ولنمسك عنان القلم في أمر ابن أبي عامر فقد قدمنا في محله جملة من أحواله وما ذكرناه هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولي التوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوي البغدادي حكى انه دخل على المنصور يوم عيد وعليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصف فزلق فسقط في الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتي عليه فخلع عليه وأدنى مجلسه وقال له هل حضرك شئ فقال

شيآن كانا في الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيري فقال هلا قلت

سروري بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه
ثنانى نشوان حتى غرقت في لجة البركة المطبقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق * فجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك يا أبا مروان قست لك بأهل بغداد ففضلتهم فبمن نقيسك بعد انتهى
وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد وفد على المنصور بحيا من المشرق غريب ولسانا عن العرب
أعرب وأراد المنصور أن يقفو به آثار أبي علي القالي فالفى سيفه كهاما وسحابه جهاما
من رجل يتكلم ملء فيه ولا يوثق بكل ما يذره ولا ما يأتيه انتهى باختصار واصل صاعد
من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم أدر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * ياقوم حتى من الاشجار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه أخلاق

وقدمه الحجاري بقوله

كان ابريقنا والراح في فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال في بدائع البدائه دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس شراب فملأ الساقي قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق ساكبة البيتين ثم قال بعدهما وانما هدم صاعد قول الشريف أبي البركات علي بن الحسين اللغوي

كأن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار
كأنما ابريقنا طائر * يحمل ياقوتا بمنقار انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يعجله * مودعا للفراق أين أنا
فمد كفا الى ترائبه * وقال سر وادعا فأنت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبي عامر بمعارضة قصيدة لابي نواس

اني لاستحيي علا * ك من ارتجال القول فيه
من ليس يدرك بالروية * كيف يدرك بالبديه

وقال حاتم البغدادي في صاعد اللغوي وكان صاعد ينشدهما ويبكي ويقول ما هجيت بشيء اشد علي منهما

اقبل هديت أبا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وأنت لا تدري

نعوذ بالله من لسان الشعراء وأنواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيري روض * مخرمة كاوراق العقيق
توكل بالغروب عن التصابي * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وأبي علي الحسن بن أحمد

الفارسى وأبى بكر بن مالك القطيعى وأبى سليمان الخطابى وغيرهم قال الحميدى خرج من الاندلس فى الفتنة فمات بهناقريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفى بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال فى حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور بن أبى عامر فى حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد فى الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزبيل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يا مولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اى والله ببغداد فى نسخة لابى بكر بن دريد بخطه كاكراع النمل فى جوانبها فقال له أما تستحى أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملى ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسى ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر فى رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود ابن حوط الله الانصارى قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم ابن قرقول وولى ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسى النحوى وأبا زيد السهيلى صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسى المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبى تميم قال وأنشدنى

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من محض الديانه
لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وذكر انه أدرك الشيخ الولى العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجى السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتركته فى سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولى الله السبتى قد ذكرت فى غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع فى الباب الثامن من ترجمة لسان الدين ابن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠ وقال لسان الدين فى نفاضة الجراب كتبت عن السلطان الغنى بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس نخاطب الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذى يكفى الغرثى ويعرض المرضى ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجدة زعموا والغنى قبر ولى الله سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

ياولى الاله أنت جواد * وتصدنا الى جمالك المنيع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنا * نرتجى من علاك حسن الصنيع
فحددنا لك الاكف نرجى * عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تربك الزا * كى وزلفى الى العليم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى * برضا عاجل وخير سريع

ياولى الله الذى جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات ورفع الازمات وتصريفه باقيا بعد الممات وصدق نقول الحكايات ظهور الآيات نفعنى الله بنيتى فى بركة تربك وأظهر على أثر توسلى بك الى الله ربك مزق شملى وفرق بينى وبين أهلى وتعدى على وصرفت وجوه المكايد الى حتى أخرجت من وطنى وبلدى ومالى وولدى ومحل جهادى وحق الذى صار لى طوعا عن آبائى وأجدادى عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ولا ثبوت جرحة تشين وأنا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك فالتمس لى قبوله بقبولك وردنى الى وطنى على أفضل حال وأظهر على كرامتك التى تشد اليها ظهور الرحال فقد جعلت وسيلتى اليك رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك أيها الولى الكريم الذى يأمن به الخائف ويتصف الغريم ورحمة الله انتهى * (رجع) والسرخسى المذكور قال فى حقه بعض الائمة انه الشيخ الامام شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن على بن محمد ابن حمويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال البدرى فى حقه ما صورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين له كتاب فى ثمان مجلدات ذكر فيه أصول الاشياء وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القرآن وكان قد بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن فأقام هنالك الى سنة ستمائة وقدم مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا نزها حسن الاعتقاد قال أبو المظفر كان يحضر مجالسى وأنشدنى يوما

لم ألق مستكبرا الا تحول لى * عند اللقاء له الكبر الذى فيه
ولا حلالى من الدنيا ولذتها * الا مقابلتى للتيه بالتيه

وقال السرخسى المذكور فى رحلته انى وان كنت خراسانى الطينة لكنى شامى المدينة وان كانت العمومة من المشرق فان الخؤلة من المغرب فحدث باعث يدعو الى الحركات والاسفار ومشاهدة الغرائب فى النواحى والاقطار وذلك فى حال ريعان الشباب الذى تعضده عزائم النفوس بنشاطها والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد ببركاته واغتنام الاجر فى حلول بقاعه ومزاراته ثم سرت منه الى الديار المصرية وهى آهلة بكل ما تجمل به البلاد وتزدهى وينتهى وصف الواصف لشؤنها ولا تنتهى ثم دخلت الغرب من الاسكندرية فى البحر ودخلت مدينة مراكش أيام السيد الامام أمير المؤمنين أبى

قوله الغريم فى نسخة الظليم اهـ

يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي" فاتصلت بخدمته والذي علمت من حاله انه كان يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها و يتكلم في الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما أدى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت أحوال سيرته وماجرى في أيام دولته في كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا جمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وتهدده ملك الافرنج الفنش في كتابه فزقه وقال لرسوله ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعني من كتابه الذي مزقه الجواب ماترى لاماتسمع

فلا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

ومن شعره أبيات كتب بها الى المغرب وهي

يا أيها الراكب المزجي مطيته * على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمى على بعد الديار بها * بيني و بينكم الرحمن والرحم
ياقومنا لاتشبوا الحرب ان خمدت * واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم * من القرون فبادت دونها الامم
حاشى الاعارب أن ترضى بمنقصة * ياليت شعري هل تراهم علموا
يقودهم أرمني" لا خلاق له * كأنه بينهم من جهلهم علم

يعني بالارمني" قرقوش مملوك بني أيوب الذي كان ذهب الى بلاد الغرب الادنى وأوقد النار الحربية من طرابلس الى تونس مع ابن غانية اللمتوني" وحديثه مشهور وتمام الابيات

الله يعلم أني مادعوتكم * دعاء ذي قحوة يوما فينتقم
ولا لجأت لامر يستعان به * من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لاجزي رسول الله عن نسب * يجي اليه وترعى ثم الذمم
فان أبيتم فحبل الوصل متصل * وان أبيتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسي" وبلغني أن قوما من الغرباء قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منها أسد وغراب أما الاسد فيقصده من دون أهل المجلس ويربض بين يديه وربما أوما بالسجود ومد ذراعيه وأما الغراب فكان يقول النصر والتمكين لسيدنا أمير المؤمنين وفي ذلك يقول بعض الشعراء

أنس الشبل ابتهاجا بالاسد * ورأى شبه أبيه فقصد
أنطق الخالق مخلوقاته * شهدوا والكل بالحق شهد
انك الخيرة من صفوته * بعد ماطال على الناس الامد

فاعطاهم وكساهم وأحسن حباهم وبلغني أن قوما أتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لا نريد أن نكون أصحاب الفيل وقال لي يوما كيف ترى

هذه البلاد وأين هي من بلاد الشامية فقلت ياسيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة وفي عيب واحد فقال لي ماهو فقلت انها تنسي الاوطان فتبسم وظهر لي اعجابه بالجواب وأمر لي من غد بزيادة رتبة واحسان وحدثني بعض عمالهم انه فرق على الجند والامراء والفقراء في عيد سنة أربع وتسعين ثلاثة وسبعين ألف شاة من ضأن ومعز ودرج الى رحمة الله تعالى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكان قد استخلف ولده محمدا وقرر الامر له انتهى

قلت بهذا وأمثاله تعلم فساد مازعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك وفر زهدا فيه الى المشرق وانه دفن بالبقاع لان هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا ماشاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ويرحم الله تعالى الامام العلامة القاضي الشريف الغرناطي شارح الخزرجية اذ قال في شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الارك مامعناه ان بعض الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك وذهب الى المشرق وهذا كلام لا يصح ولا أصل له انتهى وقال في المغرب كان أبوه يوسف قد استوزره في حياته وخرج بين يديه وتمرس وهزم الفرنج الهزيمة الفظيعة وولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب وقتل على السكر انتهى وحكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب في شرح كتابه رقم الحلل في نظم الدول ان المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين لتأديب ولده يكون أحدهما برا في عمله والآخر بحرا في علمه فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف فكتب الى الآتي بهما ظهر الفساد في البر والبحر انتهى وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى (رجع) الى أخبار السرخسي وقال في رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان في تلك المدة يلي مدينة سجلماسة وأعمالها اجتمعت به حين قدم الى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعة ولده محمد فرأيته شيخا بهي المنظر حسن المخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان لغانة يشكر عليه تعويق التجار قوله نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الاديان ونتفق على السيرة المرضية ونتألف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله والسلام ووقع الى عامل له كثرت الشكاوى منه قد كثرت فيك الاقوال واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر فانك على شفا جرف هار ومن شعره المشهور قصيدة يمدح فيها ابن عمه المنصور يعقوب

هبت بنصركم الرياح الاربع * وجرت بسعدكم النجوم الطلع

واستبشر الفلك الاثير تيقنا * أن الامور الى مرادك ترجع

وأمدّك الرحمن بالفتح الذى * ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته * نفسا تفدّيها الخلائق أجمع
ومضيت فى نصر الاله مصمما * بعزيمة كالسيف بل هى أقطع
لله جيشك والصوارم تنتضى * والخيل تجرى والاسنة تلمع
من كل من تقوى الاله سلاحه * ما ان له غير التوكل مفزع
لا يسلمون الى النوازل جارهم * يوما اذا أضحى الجوار يضيع

ومنها يصف انهزام العدو

ان ظن أن فراره منج له * فبجهله قد ظن ما لا ينفع
أين المفر ولا فرار لهارب * والارض تنشر فى يديك وتجمع
أخليفة الله الرضا هنيته * فتح يمد بما سواه ويشفع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا * وابست منه أنت ما لا يخلع
هيهات سرّ الله أودع فيكم * والله يعطى من يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدّعيه سواكم * ومن ادّعاه يقول ما لا يسمع
ان قيل من خير الخلائق كلها * فاليك يا يعقوب تومى الاصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما * أنت المقدم والخلائق تتبع
خذها أمير المؤمنين مديحة * من قلب صدق لم يشنه تصنع
واسلم أمير المؤمنين لامة * أنت الملاذ لها وأنت المفزع
فالمدح منى فى علاك طبيعة * والمدح من غيرى اليك تطبع
وعليك يا علم الهداة تحية * يفنى الزمان وعرفها يتضوع

قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى دخلت الى السيد أبى الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الارض بقضيب من الابنوس ويقول

ولا غرو ان كانت رؤس عداته * جوابا اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمائة رحمه الله تعالى انتهى وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز من بلاد المشرق ونزلوا بتمرناسقت ظاهر مراكش واستأذنوا فى وقت الدخول فكتب الى المنصور

قوله بتمرناسقت فى نسخة بتمرنانسفت اه

يا كعبة الجود التى حجت لها * عرب الشآم وغزها والديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا * ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب أن يفوز بنظرة * من بالشآم ومن بمكة يحرم

فعفا عنه وأحسن اليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم وقال فى المغرب فى حق السيد أبى الربيع المذكور ما ملخصه لم يكن فى بنى عبد المؤمن مثله فى هذا الشأن الذى نحن بصدده وكان تقدم على مملكتى سجلماسة وبجاية وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا وشعره مدون وله ألغاز وهو القائل فى جارية اسمها الوف

خليلىّ قولا أين قلبى ومن به * وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتما اسم الذى قده وبته * لصفتما أمرى لكم بعد قلبه

وله الابيات المشهورة التى منها

أقول لركب أدلجوا بسحيرة * قفوا ساعة حتى أزوو ركابها
وأملأ عينى من محاسن وجهها * واشكوا اليها ان أطالت عتابها
فان هى جادت بالوصال وأنعمت * والا فحسبى أن رأيت قبابها

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور

فلا ملأنّ الخافقين بذكركم * مادمت حيا ناظما ومرسلا
ولأبذلن نصحى لكم جهدى وذا * جهد المقل وما عسى أن أفعلا
ولاخلصنّ لك الدعاء وما أنا * أهل له ولعله أن يقبلا

وله مختصر كتاب الاغانى انتهى *(رجع) وذكر السرخسى أيضا فى رحلته السيد أبا الحسن على بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن وقال فى حقه انه كان من أهل الادب والطرب ولى بجاية مدة ثم عزل عنها لاهماله واغفاله وانهماكه فى ملاذه أنشدنى محمد بن سعيد المهدى كاتبه قال كتب الامير أبو الحسن الى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستزيده ويطلب منه ما يقضى به ديونه

وجوه الامانى بكم مسفره * وضاحكة لى مستبشره
ولى أمل فيكم صادق * قريب عسى الله أن يسره
على ديون تصحيفها * وعندكم الجود والمغفره

يعنى ذنوب وحدثنى الشيخ أبو الحسن بن فشتال الكاتب وقد أنشدته

أوحشتنى ولو اطلعت على الذى * لك فى ضميرى لم تكن لى موحشا

فقال أنشدته هذا البيت فى مجلس السيد أبى الحسن فقال لى ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا فما فينا من عرفه فأنشدنا

أترى رشيت على اطراح مودّتى * ولقد عهدتك ليس تثنيك الرشا

أوحشتنى البيت انتهى وقال فى المغرب فى حق السيد المذكور ما ملخصه كان هذا السيد أبو الحسن قد ولى مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات فى الجود برمكية ونفس عالية زكية كتب اليه السيد أبو الربيع يوم جمعة

اليوم يوم الجمعه * يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق * فهل ترى أن نجمعه

فأجابه بقوله

اليوم يوم الجمعه * وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعة * فهل ترى أن ندعه

قال ولفظة السيد فى المغرب بذلك العصر لا تطلق الا على بنى عبد المؤمن بن على انتهى *(رجع) قال السرخسى وقد ذكر فى الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب

فاس وله من أبيات فى الفخر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من تخشى الليالى انتقامهم * وترجو نداهم غاديات السحائب
يخطون بالخطى فى حومة الوغى * سطور المنايا فى صدور المقانب
كتابا بأطراف العوالى ونقسه * دم القلب مشكولا بنضح الترائب
وما كنت أدرى قبلهم أن معشرا * أقاموا كتابا من نفوس الكتائب

وأنشدنى المقدم الامير أبو زيد بن بكيت قال أنشدنى بعض السادة من بنى عبد المؤمن

فديت من أصبحت فى أسره * وليس لى من حكمه فادى
ان حل يوما واديا كان لى * جنة عدن ذلك الوادى

ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم فى هذه الرحلة ومن نظم السرخسى المذكور قوله رحمه الله تعالى

ياساهر المقلة لاعن كرى * غفلت عن همى وأوصابى
لولم يكن وجهك لى قبلة * ما أصبح الحاجب محرابى

وكان متفننا فى العلوم وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الذيل فى التاريخ وله أمالى وتخاريج وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة وتوفى رحمه الله تعالى بدمشق ودفن فى مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالى الهمة شريف النفس قليل الطمع لا يلتفت الى أحد رغبة فى دنياه لا من أهله ولا من غيرهم وذكره صاحب المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس ظفر البغدادى سكن قرطبة وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمرو الصقلى ويوسف البلوطى وطبقتهما واستخدمه الحكم المستنصر بالله فى الوراقة لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها وقد أشار ابن حيان فى كتاب المقتبس الى ظفر هذا رحمه الله تعالى *(ومنهم الرازى وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكنانى الرازى والد أبى بكر محمد صاحب التاريخ غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بنى مروان تاجرا وكان مع ذلك متفننا فى العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الامير المنذر بن محمد بالبيرة فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ذكره ابن حيان فى المقتبس *(ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد ابن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان التميمى الدارمى البغدادى سمع من أبى طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسى رضى الله تعالى عنه الى صاحب افريقية المعز ابن باديس واجتمع مع أبى العلاء المعرى بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال له لله أنت من ناظم وخرج من افريقية من أجل فتنة العرب وخيم عند المأمون بن ذى النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة ومن فرائد شعره قوله

ياليل ألا انجليت عن فلق * طلت ولاصبر لى على الارق
جفت لحاظى التغميض فما * تطبق أجفانها على الحدق

كأنني صورة ممثلة * ناظرها الدهر غير منطبق

وقال

بزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع
أمنع أن أقطف أزهاره * فى سنة المتبوع والتابع
فلم منعتم شفتى قطفها * والشرع أن الزرع للزارع

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كبيلة وبعضهم ينسبها للقاضى عبد الوهاب قلت وقد أجاب عنها بعض المغاربة بقوله

سلمت أن الحكم ما قلتم * وهو الذى نص عن الشارع
فكيف تبغى شفة قطفه * وغيرها المدعو بالزارع

ورده شيخ شيوخنا الامام الحافظ أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى بقوله

فى ذا الذى قد قلتم مبحث * اذ فيه ايهام على السامع
سلمتم الحكم له مطلقا * وغير ذا نص عن الشارع

يعنى انه يلزم على قول المجيب أن يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه وأجاب بعض الحنفية بقوله

لان أهل الحب فى حكمنا * عبيدنا فى شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا * فحقه للسيد المانع

وهو جواب حسن لا بأس به ورأيت جوابا لبعض المغاربة على غير رويه وهو

قل لابى الفضل الوزير الذى * باهى به مغربنا المشرق
غرست ظلما وأردت الجنى * وما لعرق ظالم حق

قلت وهذا مما يعين أن الابيات لابى الفضل الدارمى المذكور فى الذخيرة لا للقاضى عبد الوهاب والله تعالى أعلم ومن شعر الوزير المذكور قوله

بين كريمين منزل واسع * والود حال تقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وهو من بيت علم وأدب قال الحميدى أخبرنى بذلك أبو عمر ورزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث وتوفى بطليطلة سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقال ابن حيان توفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى كنف المأمون يحيى بن ذى النون وذكر انه كان يتهم بالكذب فالله تعالى أعلم بحقيقة الامر وقال ابن ظافر فى كتابه بدائع البدائه مانصه حضر أبو الفضل الدارمى البغدادى مجلس المعز بن باديس وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره ورد خديه وعجزت الراح أن تفعل فى الندامى فعل عينيه فأمره المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل العذار بنفسجا

قوله ابن كبيلة فى نسخة وأبى كبيلة اهـ

وقوله فى جارية تبخرت بالند

ومخطوطة المتنين مهضومة الحشى * منعمة الارداف تدمى من اللمس
اذا ما دخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس

وقوله

ولا غرو ان همت بحبه * غرزا يطيل مع الخطوب خطابى
ولئن تعززان عندى ذلة * تستعطف الاعداء للاحباب

وقوله

دعتنى عيناك نحو الصبا * دعاء يكرر فى كل ساعه
ولولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب فى خطبة تأليفه المسمى بروضة التعريف بالحب الشريف وقال أبو الفضل الدارمى المذكور أيضا

سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا * من جوره فرقا من شدة الفرق
فسرت شرقا وأشواقى مغربة * يا بعد ما نزحت عن طرقهم طرقى
لولا تدارك دمعى يوم كاظمة * لاحرق الركب ما أبديت من حرق
يا سارق القلب جهرا غير مكترث * أمنت فى الحب أن تعدى على السرق
ارمق بعين الرضا تنعش بعاطفة * قبل المنية ما أبقيت من رمق
لم يبق منى سوى لفظ يبوح بما * ألقى فيا عجبا للفظ كيف بقى
صلنى اذا شئت أو فاهجر علانية * فكل ذلك محمول على الحدق

قوله بعاطفة فى نسخة بعافية اه

وقال

تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا * وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا
ونفحة أنفاس الخزامى عشية * فهاجت الى الوجد القديم به وجدا
فأظهر سلوانا وأضمر لوعة * اذا طفئت نيرانها وقدت وقدا
ولو أنه أعطى الصبابة حكمها * لابدى الذى أخفى وأخفى الذى أبدى

وقال أيضا

قلت للمـلقى على الخدين من ورد خمارا
أسبل الصدغ على خدك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى * قهر الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسـ * ـن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون * فأثارته غبارا

وقال

وكاتب أهديت نفسى له * فهى من السوء فدى نفسه
فلست أدرى بعد ما حل بى * بمسكه أتلف أم نقسه
سلط خديه على مهجتى * فاستأصلتها وهى من غرسه

وقال

وشادن أسرف في صدّه * وزاد في التيه على عبده
الحسن قد بث على خده * بنفسجا يزهو على ورده
رأيته يكتب في طرسه * خطا يبارى الدرّ من عقده
فخلت ما قد خطه كفه * للحسن قد خط على خده

وقال

انى عشقت صغيرا * قد دبّ فيه الجمال
يكاد يغشى حديث الـ * فضول منه الدلال
لو مرّ في طرق الهجـ * ر لا اعتراه ضلال
يريك بدرا منيرا * في الحسن وهو هلال

وقال

علي اذا حرّك أصداغه * لم يلتفت خلق الى العطر
غنّى بشعرى منشدا البيتى الـ * لفظ الذى أودعه شعرى
فكلما كرّر انشاده * قبلته فيه ولم يدر

وقال

أ ينفع قولى انى لا أحبه * ودمعى بما عليه وجدى يكتب
اذا قلت للواشين لست بعاشق * يقول لهم فيض المدامع يكذب

وقال

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

وقال

انا أخشى ان دام ذا الهجر أن ينـ * شط من حبه عقال وثاق
فأريح الفؤاد مما اعتراه * واردّ الهوى على العشاق

وقال

كلانا لعمرى ذائبان من الهوى * فنارك من جمر ونارى من هجر
فانت على ما قد تقاسين من أذى * فصدرى فى نارى ونارى فى صدرى

وقال

ومن عجب العشق أن القتيل * يحن ويصبو الى القاتل

وقال

ألم أجعل منار النقع بحرا * على أن الجياد له سفين

وقال

أصبحت أطلب تيسا لامدرّ له * والتيس من ظن أن التيس محلوب

وأما الحكيم أبو محمد المصرى وهو القائل

رعى الله دهرا قد نعمنا بطيبه * لياليه من شمس الكؤس أصائل
ونرجسنا در على التبر جامد * ونحو تنا تبر على الدر سائل

فقد ترجمه فى الذخيرة فليراجع فان الذخيرة غريبة فى البلاد المشرقية وقد كان عندى بالمغرب من هذا النوع ما استعين به خلفته هنالك والله تعالى يلم الشمل وقد ذكر فيها انه مغربى سافر الى مصر فقيل له المصرى لذلك فليعلم والله تعالى أعلم * (ومن الوافدين على الاندلس أشهب بن المضاء الخراسانى) قال ابن سعيد أنشدنا لما وفد على ابن هود فى اشبيلية قصيدة ابن النبيه (طاب الصبوح لنا فهاك وهات) وادعاها وفيها

فى روضة غنا تخال طيورها * وغصونها همزا على ألفات

ولم أجد هذا البيت فى قصيدة ابن النبيه انتهى * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق أبو الحسن البغدادى) الفكيك وهو مذكور فى الذخيرة وكان حلو الجواب مليح النندر يضحك من حضر ولا يضحك هو اذا ندر وكان قصيرا دميما قال ورأيته يوما وقد لبس ثوبا أحمر على بياض وفى رأسه طرطور أخضر عمم عليه عمة لازوردية وهو بين يدى المعتمد بن عباد ينشد شعرا قال فيه

وأنت سليمان فى ملكه * وبين يديك أنا الهدهد

وأنشد له فى المعتمد

أبا القاسم الملك المعظم قدره * سواك من الاملاك ليس يعظم
لقد أصبحت حمص بعدلك جنة * وقد أبعدت عن ساكنيها جهنم
ولى فى حيالك الربيع واننى * أزخرف أعلام الثناء وأرقم
وأنفقت ما أعطيتنى ثقة بما * أؤمل فالدينار عندى درهم
وقلبى الى بغداد يصبو واننى * لنشر صبا هادائما أتنسم

وقال

وروى على ربع العقيق دموعه * عقيقا ففيها توأم وفريد
شهدت وما تغنى شهادة عاشق * بأن قتيل الغانيات شهيد

ومنها

اذا قابلوه قبلوا ترب أرضه * وهم لعلاه ركع وسجود
وقد هزمنه الله للملك صارما * تقام بحدى شفرتيه حدود

وقال

لا ينحال حال عن سنة الكرى * ولم أصغ يوما فى هواه الى العذل

ومنها

كأن بقاء الطل فوق جفونها * دموع التصابى حرن فى الاعين النجل

ومنها

تملكت رقى بالعوارف منعما * وأغنيتنى بالجود عن كل ذى فضل
وأنسيتنى أرض العراق ودجلة * وربعى حتى ما أحن الى أهلى

وقال في المقتدر بن هود

لعزك ذلت ملوك البشر * وعفرت تيجانهم في العفر
وأصبحت أخطرهم بالقنا * وأركبهم لجواد الخطر
سهرت وناموا عن المآثرات * فمالهم في المعالي أثر
وجليت في حيث ضل الملوك * فكل بذيل العلا قد عثر

ومنها

وأنتم ملوك اذا شاجروا * أظلتهم من قناهم شجر

وقال فيه من قصيدة

غني حسامك في أرجاء قرطبة * صوتا أباد العدا والليل معتكر
حيث الدماء مدام والقنا زهر * والقوم صرعى بكاس الحتف قد سكروا

وكان مشهورا بالهجاء وله في نقيب بغداد وكانت في عنقه غدة

بلع الامانة فهي في حلقومه * لا ترتقي صعدا ولا تتنزل

وقال في ناصر الدولة بن حمدان

والئن غلطت بأن مدحتك طالبا * جدوى السمح علي بأنك باخل
فالدولة الغراء قد غلطت بأن * سمتك ناصرها وأنت الخاذل
ان تم أمرك مع يديك أصبحت * شلاء فالامثال شيء باطل

ومما ينسب اليه وقيل لغيره

ووعدتني وعدا حسبتك صادقا * فجعلت من طمعي أجيء واذهب
فاذا جلست أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

(ومنهم ابراهيم بن سليمان الشامي دخل الاندلس من المشرق في أخريات أيام الحكم شاديا للشعر وهو من موالي بني أمية ولم ينفق على الحكم وتحرك في أيام ولده الامير عبد الرحمن فنفق عليه ووصله ثم في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وكان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كأبي نواس وأبي العتاهية ومن شعره ما كتب به الى الامير عبد الرحمن

يا من تعالى عن أمية في الذرى * قدما فاصبح عالي الاركان
ان الغمام غياثه في وقته * والغيث من كفيك كل أوان
فالغيث قد عم البلاد وأهلها * وظمئت بينهم فبل لساني

وله في الامير عبد الرحمن بن الحكم

ومن عبد شمس بالمغارب عصبة * فاسعدها الرحمن حيث أحلها
دحا تحتها مهدا من العز آمنا * ومد جناحا فوقها فأظلها

(ومنهم أبو بكر بن الازرق وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزيد وهو الحصني* بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان من أهل مصر خرج من مصر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وصار الى القيروان وامتحن بجامع الشيعة وأقام محبوسا بالمهدية ثم أطلق ووصل الاندلس سنة تسع وأربعين فأحسن اليه المستنصر

بالله

بالله الحكم وكان أديبا حكيما سمع من خاله أبي بكر أحمد بن مسعود الزهري وولد سنة تسع عشرة وثلثمائة بمصر وتوفي بقرطبة في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن علي ابن نافع الملقب بزرياب مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي قال في المقتبس زرياب لقب غلب عليه ببلده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله شبه بطائر أسود غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا وكان ابنه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضا وكان من خبره في الوصول الى الاندلس انه كان تلميذا لاسحق الموصلي ببغداد فتلقف من أغانيه استراقا وهدى من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى مافاق به اسحق واسحق لايشعر بما فتح عليه الى أن جرى للرشيد مع اسحق خبره المشهور في الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذا أنا وقفته على ما استغرب منها وهو من اختراعي واستنباط فكري وأحدس أن يكون له شأن فقال الرشيد هذا طلبتي فاحضرنيه لعل حاجتي عنده فأحضره فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه بأحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال نعم أحسن منه مايحسنه الناس وأكثر ما أحسنه لايحسنونه مما لايحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان أذنت غنيتك مالم تسمعه أذن قبلك فأمر باحضار عود استاذه اسحق فلما أدنى اليه وقف عن تناوله وقال لي عود نحته بيدي وأرهفته باحكامي لا أرتضي غيره وهو بالباب فليأذن لي أمير المؤمنين في استدعائه فأمر بادخاله اليه فلما تأمله الرشيد وكان شبيها بالعود الذي دفعه قال له مامنعك أن تستعمل عود أستاذك فقال ان كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنيته بعوده وان كان يرغب في غنائي فلا بد لي من عودي فقال له ما أراهما الا واحدا فقال صدقت يا مولاي ولا يؤدي النظر غير ذلك ولكن عودي وان كان في قدر جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه وأوتاري من حرير لم يغزل بماء سخن يكسبها اناثة ورخاوة وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل أسد فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف مالغيرها من مصران سائر الحيوان ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ماليس لغيرها فاستبرع الرشيد وصفه وأمره بالغناء فجس ثم اندفع فغناه

يا أيها الملك الميمون طائره * هرون راح اليك الناس وابتكروا

فأتم النوبة وطار الرشيد طربا وقال لاسحق والله لولا اني أعلم من صدقك لي على كتمانه اياك لما عنده وتصديقه لك من انك لم تسمعه قبل لانزلت بك العقوبة لتركك اعلامي بشأنه فخذه اليك واعتن بشأنه حتى أفرغ له فان لي فيه نظرا فسقط في يد اسحق وهاج به من داء الحسد ماغلب على صبره فخلا بزرياب وقال ياعلي ان الحسد أقدم الادواء وأدواها والدنيا فتانة والشركة في الصناعة عداوة ولا حيلة في حسمها وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك فاذا أنا قد أتيت نفسي من مامنها

بادياتك وعن قليل تسقط منزلتى وترتقى أنت فوقى وهذا مالا أصاحبك عليه ولو أنك ولدى
ولولا رعيى لذمة تربيتك لما قدمت شيأ على ان أذهب نفسك يكون فى ذلك ما كان
فتخير فى ثنتين لا بد لك منهما اما أن تذهب عنى فى الارض العريضة لا أسمع لك خبرا بعد
أن تعطينى على ذلك الايمان الموثقة وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره واما أن تقيم
على كرهى ورغمى مستهدفا الى فخذ الآن حذرك منى فلست والله أبقى عليك ولا أدع
اغتيالك باذلا فى ذلك بدنى ومالى فاقض قضاءك فخرج زرياب لوقته وعلم قدرته على ما قال
واختار الفرار قدامه فاعانه اسحق على ذلك سريعا وراش جناحه فرحل عنه ومضى
يبغى مغرب الشمس واستراح قلب اسحق منه وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل
كان منغمسا فيه فأمر اسحق بحضوره فقال ومن لى به يا أمير المؤمنين ذاك غلام مجنون
يزعم أن الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه فما يرى فى الدنيا من يعدله وما هو
الا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته فقدر التقصير به والتهوين بصناعته
فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عنى وقد صنع الله تعالى فى ذلك لامير المؤمنين
فانه كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه فيفزع من رآه فسكن الرشيد الى قول اسحق وقال على
ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير ومضى زرياب الى المغرب فنسى بالمشرق خبره اذ لم يكن
اسمه شهر هنالك شهرته بالصقع الذى قطنه ونزعت اليه نفسه وسمت به همته فأم أمير
الاندلس الحكم المباين لمواليه وخاطبه وذكر له نزاعه اليه واختياره اياه ويعلمه بمكانه من
الصناعة التى ينتحلها ويسأله الاذن فى الوصول اليه فسر الحكم بكتابه وأظهر له من الرغبة
فيه والتطلع اليه واجمال الموعد ما تمناه فسار زرياب نحوه بعياله وولده وركب بحر الزقاق
الى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توالت عليه الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى
العدوة فكان معه منصور اليهودى المغنى رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبه فى قصد
القائم مقام الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب اليه يخبر زرياب فجاءه كتاب عبد الرحمن
يذكر تطلعه اليه والسرور بقدومه عليه وكتب الى عماله على البلاد أن يحسنوا اليه
ويوصلوه الى قرطبة وأمر خصيا من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور واناث وآلات
حسنة فدخل هو وأهله البلد ليلا صيانة للحرم وأنزله فى دار من أحسن الدور وحمل اليها
جميع ما تحتاج اليه وخلع عليه وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له فى كل شهر بمائتى دينار
راتبا وأن يجرى على بنيه الذين قدموا معه وكانوا أربعة عبد الرحمن وجعفر وعبيد الله
ويحيى عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر وأن يجرى على زرياب من المعروف العام
ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار وأن
يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ثلثاها شعير وثلثها قمح وأقطعه من الدور والمستغلات
بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار فلما قضى له سؤله وانجز موعوده
وعلم أن قد أرضاه وملك نفسه استدعاه فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه فما هو الا أن
سمعه فاستهوله واطرح كل غناء سواه وأحبه حبا شديدا وقدمه على جميع المغنين
وكان لما خلا به أكرمه غاية الاكرام وأدنى منزلته وبسط أمله وذاكره فى أحوال الملوك

وسير

وسير الخلفاء ونوادر العلماء فحرك منه بحرا زخر عليه مده فاعجب الامير به وراقه ما أورده وحضر وقت الطعام فشرفه بالاكل معه هو وأكابر ولده ثم أمر كاتبه بأن يعقد له صكا بما ذكرناه آنفا ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه فتح له بابا خاصا يستدعيه منه متى أراده وذكر أن زريابا ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة الى صوت واحد فكان يهب من نومه سريعا فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة فيأخذان عودهما ويأخذ هو عوده فيطارحهما ليلته ثم يكتب الشعر ثم يعود جذلا الى مضجعه وكذلك يحكى عن ابراهيم الموصلي في لحنه البديع المعروف بالماخوري ان الجن طارحته اياه والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك وزاد زرياب بالاندلس في أوتار عوده وترا خامسا اختراعا منه اذ لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة وذلك أن الزير صبغ أصفر اللون وجعل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد وصبغ الوتر الثاني بعده أحمر وهو من العود مكان الدم من الجسد وهو في الغلظ ضعف الزير ولذلك سمي مثنى وصبغ الوتر الرابع أسود وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمي البم وهو أعلى أوتار العود وهو ضعف المثلث الذي عطل من الصبغ وترك أبيض اللون وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد وجعل ضعف المثنى في الغلظ فلذلك سمي المثلث فهذه الاربعة من الاوتار مقابلة للطبائع الاربع تقضي طباعها بالاعتدال فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب وعليه تسويته والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب قوبل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم باخلاطه الا انه عطل من النفس والنفس مقرونة بالدم فأضاف زرياب من أجل ذلك الى الوتر الاوسط الدموي هذا الوتر الخامس الاحمر الذي اخترعه بالاندلس ووضعه تحت المثلث وفوق المثنى فكمل في عوده قوى الطبائع الاربع وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد وهو الذي اخترع بالاندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من مرهف الخشب فبرع في ذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الاصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه وكان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها مع ما سنح له من فك كتاب الموسيقى مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بألحانها وهذا العدد من الالحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها وكان زرياب قد جمع الى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظرف وفنون الادب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك أهل الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار الى آخر أيام أهل الاندلس منسوبا اليه معلوما به فمن ذلك انه دخل الى الاندلس وجميع من فيها من رجل أو امرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين فلما عاين ذووا التحصيل تحذيقه هو وولده ونساؤه شعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها

الى آذانهم واسدالها الى أصداغهم حسبما عليه اليوم الخدم الخصية والجوارى هوت اليه
أفئدتهم واستحسنوه ومما سنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح
الصنان من مغابنهم ولا شئ يقوم مقامه وكانت ملوك الاندلس تستعمل قبله ذرور الورد
وزهر الريحان وماشاكل ذلك من ذوات القبض والبرد فكانوا الاتسلم ثيابهم من وضر
فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها فلما جربوه أحمدوه جدا وهو أول من اجتنى بقلة
الهليون المسماة بلسانهم الاسفراج ولم يكن أهل الاندلس يعرفونها قبله ومما اخترعوه
من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالتفايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق
والكباب ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب ومما أخذه عنه الناس بالاندلس
تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وايثاره فرش انطاع الادم اللينة
الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الادم لتقديم الطعام فيها على
الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الادم بأقل مسحة ولبسه كل صنف من الثياب
فى زمانه الذى يليق به فانه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم
للملون من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن فى ست بقين من شهر يونية
الشمسى من شهورهم الرومية فيلبسونه الى أول شهر أكتوبر الشمسى منها ثلاثة أشهر
متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ورأى أن يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر
والبرد المسمى عندهم الربيع من صبغهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التى لا بطائن
لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التى ينتقلون اليها لخفتها وشبهها بالمحاشى ثياب
العامة وكذا رأى أن يلبسوا فى آخر الصيف وعند أول الخريف المحاشى المروية والثياب
المصمتة وماشاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة وذلك
عند قرص البرد فى الغدوات الى أن يقوى البرد فينتقلوا الى أثخن منها من الملونات
ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء واستمر بالاندلس أن كل من افتتح
الغناء فيبدأ بالنشيد أول شدوه بأى نقر كان ويأتى اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج
تبعا لمراسم زرياب وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه أمره بالقعود على الوساد
المدور المعروف بالمسورة وأن يشد صوته جدا اذا كان قوى الصوت فان كان لينه أمره
أن يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوى الصوت ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج
على الفم فان كان ألص الاضراس لا يقدر على أن يفتح فاه أو كانت عادته زم اسنانه عند
النطق راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها فى فمه ليالى حتى
ينفرج فكاه وكان اذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره
أن يصيح بأقوى صوته يا حجام أو يصيح آه ويمد بها صوته فان سمع صوته بها صافيا نديا قويا
مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف أن سوف ينجب وأشار بتعليمه وان
وجده خلاف ذلك أبعده وكان له من ذكور الولد ثمانية عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى
وجعفر ومحمد وقاسم وأحمد وحسن ومن الاناث ثنتان علية وحمدونة
وكلهم غنى ومارس الصناعة واختلفت بهم الطبقة فكان أعلاهم عبيد الله ويتلوه

عبد

عبد الرحمن لكنه ابتلى من فرط التيه وشدة الزهو وكثرة العجب بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه وقلما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه ولا يزال يجترى على الملوك ويستخف بالعظماء ولقد حمله سخفه على أن حضر يوما مجلس بعض الاكابر الاعاظم فى أنس قد طاب به سروره وكان صاحب قنص تغلب عليه لذته فاستدعى بازيا كان كلفا به كثيرا التذكر له فجعل يمسح أعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لنشاطه فسأله عبد الرحمن أن يهبه له فاستحيا من رده وأعطاه اياه مع ضنه به فدفعه عبد الرحمن الى غلامه ليجعل به الى منزله وأسر اليه فيه بسر لم يطلع عليه فمضى لشأنه ولم يلبث أن جاء بطيفورية مغطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضة فاذا به لون مصوص قد اتخذ من البازى بعد ذبحه على ما حده لاهله وذهب الى الانتقال اليه فى شرابه وقال لصاحب المجلس شاركنى فى تقلى هذا فانه شريف بديع الصنعة فلما رآه الرجل أنكر صفته وعاب لحمه وسأله عنه فقال هو البازى الذى كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه قد صيرته الى ما ترى فغضب صاحب المنزل حتى ربا فى أثوابه وفارقه حلمه وقال له قد كان والله أيها الكلب السفيه على ما قدرته وما ابتديت فيه الابكار الناس المؤثرين لمثله وما أسعفتك به الا معظما من قدرك ما صغرت من قدرى وأظهرت من هوان السنة عليك باستحلالك لسباع الطير المنهى عنها ولا أدع والله الآن تأديبك اذ أهملك أبوك معلم الناس المروءة ودعا له بالسوط وأمر بنزع قلنسوته وساط هامته مائة سوط فاستحسن جميع الناس فعله به وأبدوا الشماتة به وكان محمد منهم مؤنثا وكان قاسمهم أحذقهم غناء مع تجويده وتزوج الوزير هشام بن عبد العزيز حمدونة وذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الاندلس من المغنين علون وزرقون دخلا فى أيام الحكم بن هشام فنفقا عليه وكانا محسنين لكن غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم الامير عبد الرحمن ونديمه فى زرياب

يا على بن نافع يا على * أنت أنت المهذب اللوذعى
أنت فى الاصل حين يسأل عنه * هاشمى وفى الهوى عبشمى

قال ابن سعيد وأنشد لزرياب والدى فى مجمه

علقتها ريحانة * هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله أيام لنا * سلفت على دير المطيره
لاعيب فيها للمتيم غير أن كانت يسيره

انتهى

وكان لزرياب جارية اسمها منفعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وكانت رائعة الجمال وتصرفت بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لاعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة فأبى الا التستر فغنته بهذه الابيات وهى لها فى ظن بعض الحفاظ

قوله منفعة فى نسخة متعة اﻫ

يا من يغطى هواه * من ذا يغطى النهارا

قد كنت أملك قلبي * حتى علقت فطارا

يا ويلتا أتراه * لي كان أو مستعارا

بأبي قرشي * خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها اليه فحظيت عنده وكانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في أهل بيتها محسنة لصناعتها متقدمة على اختها علية وهي زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز كما مر وطال عمر علية بعد أختها حمدونة ولم يبق من أهل بيتها غيرها فافتقر الناس اليها وحملوا عنها وكانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل أخذت عن زرياب الغناء وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وكتب به الى مولاها

يا من يضن بصوت الطائر الغرد * ما كنت أحسب هذا الضن من أحد

لو أن أسماع أهل الارض قاطبة * أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

من أبيات فخرج حافيا لما وقف على ذلك وأدخله الى مجلسه وتمتع من سماعها رحم الله تعالى الجميع وقال علوية كنت مع المأمون لما قدم الشام فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على أماكن بني أمية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الاخضر وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها وفيه بستان وفي القصر من الاطيار ما يغني صوته عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فأكلنا وشربنا ثم قال لي غن بأطيب صوت وأطربه فلم يمر على خاطري غير هذا الصوت

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال عليك لعنة الله وعلى بني أمية فعلمت أني قد أخطأت فجعلت أعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين اتلومني أن أذكر موالي بني أمية وهذا زرياب مولاك عندهم بالاندلس يركب في أكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلثمائة ألف دينار دون الضياع واني عندكم أموت جوعا وفي الحكاية طول واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب رحم الله تعالى الجميع وذكرها الرقيق في كتاب معاقرة الشراب على غير هذا الوجه ونصه وركب المأمون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سروات وكان الماء يدخل سيحا فاستحسن المأمون الموضع ودعا بالطعام والشراب وذكر بني أمية فوضع منهم وتنقصهم فأخذ علوية العود واندفع يغني

أرى اسرتي في كل يوم وليلة * يروح بهم داعي المنون ويغتدي

اولئك قوم بعد عز وثروة * تفانوا فالا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون بكاسه الارض وقال لعلوية يا ابن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر موالي الا هذا الوقت فقال مولاكم زرياب عند موالي بالاندلس يركب في مائة غلام وانا عندكم بهذه الحالة فغضب عليه نحو شهر ثم رضي عنه انتهى ونحوه لابن الرقيق في كتابه قطب السرور وقال في آخر الحكاية وانا عندكم أموت من الجوع ثم قال وزرياب ولي المهدي ووصل الى بني أمية بالاندلس فعلت حاله حتى كان كما قال علوية انتهى ولما

غنى زرياب بقوله

ولو لم يشقنى الظاعنون لشاقنى * حمام تداعت فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذاهوى * نوائح ماتجرى لهن دموع

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال

شددت بمحمود يدا حين خاننا * زمان لاسباب الرجاء قطوع
بنى لمساعى الجود والمجد قبلة * اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا فقال له يا ابا القاسم أعزما يحضرنى من مالى القبة يعنى قبة قامت عليه بخمسمائة دينار وهى لك بما فيها مع كسوتى هذه ونكون فى ضيافتك بقية يومنا ودعا بكسوة فلبسها ودفع اليه الكسوة *(ومن الوافدين من المشرق الامير شعبان ابن كوحيا من غز الموصل وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين ورفع له أمدا حاجليلا وقدمه على امارة مدينة بسطة من الاندلس قال أبو عمران بن سعيد أنشدنى لنفسه

يقولون ان العدل فى الناس ظاهر * ولم أرشيأ منه سرا ولا جهرا
ولكن رأيت الناس غالب أمرهم * اذاما جنى زيد أقادوا به عمرا
والاغبياء التطاسى كلما * شكوت له يحنى يدى قصد اليسرى

*(ومن الوافدين من المشرق على الاندلس أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيبانى من أهل بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضى وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقى الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقى من الشعراء أباتمام والبحترى ودعبلا وابن الجهم ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب وأحمد بن أبى طاهر وغيرهم وهو الذى أدخل افريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم وكان عالما أديبا ومترسلا بليغا ضاربا فى كل علم وأدب سمع وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكى انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد مازال يبريه حتى قصر فأدخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى بتمام الكتاب وله تآليف منها لقط المرجان وهو أكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى فى القرآن ومشكله واعرابه ومعانيه والمرصعة والمدبجة وجال فى البلاد شرقا وغربا من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك فى أشعار له وكان أديب الاخلاق نزيه النفس كتب لامير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ثم لابنه أبى العباس عبد الله وكان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفى بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومائتين فى أول ولاية عبيد الله الشيعى وهو ابن خمس وسبعين سنة وممن ألم بذكره المؤرخ الاديب أبو اسحق ابراهيم ابن القاسم المعروف بالرقيق وقال على بن سعيد فى حقه انه كان أديبا شاعرا مترسلا حسن التأليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار فى كتابه افادة الوفادة وحكى ان له مسندا فى الحديث وكتابا فى القرآن سماه سراج الهدى والرسالة الوحيدة والمؤنسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبنى

الاغلب حتى انصرمت أيامهم ثم كتب لعبيد الله حتى مات ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان ابن سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الاغلب وأسند اليه الحافظ ابن الابار رواية شعر أبي تمام بان قال قرأت شعر حبيب على أبي الربيع بن سالم وقرأت جملة منه على غيره وناولني جميعه وحدثني به عن أبي عبد الله بن زرقون عن الخولاني عن أبي القاسم حاتم بن محمد عن أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي عن أبيه عن ابي تمام عن أبي سعيد المذكور يعني ابن الصيقل عن أبي اليسر عن حبيب وهو اسناد غريب انتهى *(ومنهم أبو اسحق ابراهيم ابن خلف بن منصور الغساني الدمشقي المعروف بالسنهوري وسنهور من بلاد مصر روى عن أبي القاسم بن العساكر وأبي اليمن الكندي وأبي المعالي الفراوي وأبي الطاهر الخشوعي وغيرهم قال أبو العباس النباتي قدم علينا يعني اشبيلية سنة ثلاث وستمائة وسمى جماعة من شيوخه وحكى انه كان يروي موطا أبي مصعب وصحيح مسلم بعلو وقال سليمان بن حوط الله أجازني وابني محمدا جميع مارواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فنا خسرو بن فيروز الشيرازي وذكر أن روايته بنزول لانه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشان وقال أبو الحسن بن القطان وسماه في شيوخه قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة واستجزته لابني حسن فأجازه واياي قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الاندلس وقدم علينا بعد ذلك مرتاكشر مفلتا من الاسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهدفيه واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعا وقد كان اذ أجاز ابني كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتبا منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك قال وقد تبرأت من عهدة جميعه لما أثبت من حاله وحدثني أبو القاسم بن أبي كرامة صاحبنا بتونس أن السنهوري هذا لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لاجل معاداته أبا الخطاب بن الجميل فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في اهانته انتهى وقال بعض المؤرخين في حقه مانصه الشيخ المحدث الرحالة ابراهيم السنهوري صاحب الرحلة الى البلاد دخل الاندلس كما ذكره ابن النجار وغيره وهو الذي ذكر لمشايخ الاندلس وعلمائها أن الشيخ أبا الخطاب بن دحية يدعي انه قرأ على جماعة من شيوخ الاندلس القدماء فأنكروا ذلك وأبطلوه وقالوا لم يلق هؤلاء ولا أدركهم وانما اشتغل بالطلب أخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ودحية لم يعقب فكتب السنهوري محضرا وأخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر فعلم أبو الخطاب ابن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا يأخذ عرضي ويؤذيني فأمر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب وأشهر على حمار وأخرج من ديار مصر وأخذ ابن دحية المحضر وحرقه ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان الى حين وفاته وبنى له دارا للحديث وهي الكاملية بين القصرين فلم يزل يحدث بها الى أن مات وقد ذكرنا في ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيأ من أحواله وأن الناس فيه معتقد ومنتقد وهكذا جرت العادة خصوصا في حق الغريب المنتسب للعلم وعند الله تجتمع الخصوم وممن كان عليه لاله أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فانه قال فيه

دحية لم يعقب فلم تعتزى * اليه بالبهتان والافك
ماصح عند الناس شيء سوى * انك من كلب بلا شك

هكذا ذكره ابن النجار وأطال في الوقيعة في أبي الخطاب بن دحية وقال الذهبي قرأت بخط الضياء عندما ذكر ابن دحية انه قال لقيته بأصبهان ولم أسمع منه شيأ وأخبرني ابراهيم السنهوري بأصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه كتبوا له جرحه وتضعيفه وقد رأيت أنا منه غير شيء مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها وقد سمع منه الامام أبو عمرو بن الصلاح الموطأ سنة نيف وستمائة وأخبره به عن جماعة منهم أبو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان أبو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة في النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق شيأ على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام قد ضاع مني ذلك الكتاب فعلق لي مثله ففعل فجاء في الثاني مناقضة للاول فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده وعزله عن دار الحديث أخيرا وولى أخاه أبا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان أبو الخطاب موصوفا بالمعرفة والفضل ولم أره الا أنه كان يدعى أشياء لا حقيقة لها ذكر لي أبو القاسم ابن عبد السلام وكان ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فقال اني أحفظ صحيح مسلم والترمذي فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات فجعلتها في جزء ثم عرضت عليه حديثا من الترمذي فقال ليس بصحيح وآخر فقال لا أعرفه ولم يعرف منها شيأ فأفسد نفسه بذلك وقال سبط ابن الجوزي انه كان يتزيد في كلامه ويثلب المسلمين ويقع فيهم فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له شأنه أخذ منه دار الحديث وأهانه وقال العماد بن كثير قد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده ليعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن صلاة المغرب لا تقصر ٥ واتفق انه وصل في جمادى الاولى سنة ٦١٦ الى غزة فخرج كل من في غزة بالاسلحة والعصي والحجارة الى الموضع الذي هو فيه وضربوه ضربا شديدا بعد أن انهزم من كان معه انتهى وقد منا في ترجمته توثيق جماعة له فربك أعلم بحاله *(ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم القاري الخراساني) رحل من خراسان الى الاندلس يكنى أبا محمد ذكره أبو عمرو المقرى وقال سمعته يقرأ مرات كثيرة فكان من أحسن الناس صوتا ولم تكن له معرفة بالقراءة ولا دراية بالاداء انتهى *(ومنهم عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ من أهل مصر يعرف بالزبزاري) يكنى أبا البركات وأبا القاسم ويلقب زكي الدين قدم على الاندلس وتجول في بلادها واعظا ومذكرا وسمع منه الناس بقرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية سنة ٦٠٨ قال ابن الابار وسمعت وعظه اذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية وادعى الرواية عن أبي الوقت السجزي والسلفي وأبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي وأبي محمد بن المبارك بن الطباخ وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي وشهدة الكاتبة بنت

الابرى" زعم انه قرأ عليها صحيح البخارى" وجماعة بالمشرق والاندلس لم يلقهم ولم يسمع منهم وربما حدث بواسطة عن بعضهم واكثرهم مجهولون وقفت على ذلك فى فهرسة روايته فزهد أكثر السامعين منه واطرحوا الرواية عنه ومنهم أبو العباس النباتى" وأبو عبد الله بن أبى البقاء وجمع أربعين حديثا مسلسلة" سماها باللآلى المفصلة" حدث فيها عن ابن بشكوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الاندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوا له أخذها عنه ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعى" رضى الله تعالى عنه فصيحا مشاركا فى فنون من العلم سمع الله تعالى له انتهى *(ولا بأس أن نذكر جملة" من النساء القادمات من المشرق على الاندلس ثم نعود أيضا الى ذكر أعلام الرجال فنقول)

*(من النساء الداخلات الاندلس من المشرق عابدة المدنية أم ولد حبيب بن الوليد المروانى" المعروف بدحون وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير أنها تروى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروى عشرة آلاف حديث وقال ابن الابار انها تسند حديثا كثيرا وهى أم ولد بشر بن حبيب والذى وهبها لدحون فى رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ابن مروان فقدم بها الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها لفراشه رحم الله تعالى الجميع *(ومنهن فضل المدنية وكانت حاذقة بالغناء كاملة" الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها فى الغناء واشتريت هنالك للامير عبد الرحمن صاحب الاندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اللهن تنسب دار المدنيات بالقصر وكان يؤثرهن بجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن وتضاف اليهن جارية قلم وهى ثالثة فضل وعلم فى الحظوة عند الامير المذكور وكانت أندلسية الاصل رومية من سبى البشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبى" صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الآداب *(ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمى" صاحب اشبيلية وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها ولها فى مولاها تمدحه

ما فى المغارب من كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم
انى حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ماعداه ذميم

وأنشد لها السالمى" لما ذكرها عدة أشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر فى أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات فى النعيم كأنما * خلق الهوى العذرى" من أخلاقها
نفسى الفداء لها فأى محاسن * فى الدهر تشرق من سنا اشراقها

*(ومنهن الجارية الجفاء) قال الارقي قال لي أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك في أحسن الناس غناء فجئنا الى دار مسلم بن يحيي مولى بني زهرة فاذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها وطوله في السماء ستة عشر ذراعا وفي البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحمة وبقي السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما ثم اطلعت علينا جفاء كلفاء عليها هروي أصفر غسيل وكان وركيها في خيط من وسعهما فقلت لابي السائب بأبي أنت ماهذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذي شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم

فاستيقني ان قد كلفت بكم * ثم افعلي ماشئت عن علم

قد كان صرم في الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فحسنت في عيني وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فأي مابك تكتتم * ولسوف يظهر ماتسر فيعلم

مماتضمن من عزيز قلبه * ياقلب انك بالحسان لمغرم

ياليت انك يا حسام بأرضنا * تلقي المراسي طائعا وتخيم

فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فأعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكني فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين وردت الجفاء في عيني كاربوالسويقيما مزينة ثم غنت

ياطول ليلي أعالج السقما * أدخل كل الاحبة الحرما

ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فألقيت طيلساني وأخذت شاذكونة فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة في البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان الثغ قواريق يعني قوارير فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على راس أبي السائب وصدره وقال للجفاء لقد هيجت لي داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف اليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له الجفاء وحملت اليه *(ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر بن محمد ابن عبد الرحمن الموصلي) قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى *(ومنهم أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير بن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث النخعي) يكنى أبا جعفر دخل الاندلس في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروي أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازي وحكى أن الامير محمدا روى عنه منها وأنزله برية *(ومنهم أحمد بن أبي عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشي الزهري) من ولد عبد الرحمن بن عوف من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها في محرم سنة ٣٤٣

فأكرم الناصر مثواه وكان فقيه أهل مصر ذكره ابن حيان *(ومنهم أبو الطاهر اسمعيل ابن الاسكندراني) لقي ببلده أبا طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الاندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعي وأنشد على السلفي قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئة
جزت تسعين وأر * جو أن أعيش لمائة

فعاش كما تمنى رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الانطاكي) الامام أبو الحسن التميمي نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب التائب وأحمد ابن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن مبشر المقرى وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الانطاكي الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القرا آت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى *(ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري) يكنى أبا البركات ولد بسلماس ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجازلي مارواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني انه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله تعالى *(ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد اذ وقفت على كتابين كتبهما في شأن العناية به الاديب العلامة أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي أحدهما لابي العلا حسان والثاني للكاتب أبي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه من بغداد (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حللت وصيتي * أوجبت حقا للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها * وكذاك دون رسولها الاشراف
أحسن بأن تلقى ابن حسان بها * مهتزة لورودها الاعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها * يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلاك ان أبا العلاء مكانه * يلقى به الاسعاد والاسعاف
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له أوصاف

هذه يا سيدي تحية تجب لها اجابة وحيه وتصلح بها هشاشة وأريحيه أودعتها بطن هذه

الجباله وبعثتها مع صدر من أبناء الرساله ولله درّه من راضع درّ النبوه متواضع مع شرف الابوه نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحر احصاء الدرّ النفيس وروضا يجتنى منه أطايب السمر الجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضيء سناه ويحلّ بيتا من الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصور الحمر والبيض وورد الجون بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في أرض الهرمين وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوّق الى حضرة الانوار المفاضه والنعم السابغة الفضفاضه وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضه وهمه أن يشاهد سناها العلوى ويبصر ما يحقر عنده المرئى والمروى وهي غاية يقول الآمل عليها أطلت حومي وجنة يتلو الداخل لها ياليت قومي وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجلّ قاصد وأظلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بأن يقول لها صفيه لكن يمترفوعن نفسه بما ليس في وسع واصفيه ويقتضى من عزيمة برّه ما الاسعة لليترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم المحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته وفي الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثانى) هل لك ياسيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن في الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصىّ والحسن أيها الاخ الذى ملكته قيادى وأسكنته فؤادى عهدى بك تعتام الآداب النقيه وتشتاق اللطائف المشرقيه وتنصف فترى أن في سبيلنا جفاء وفي مغربنا جفاء وأن المحاسن نبت أرض ما بها ولدنا وزرع واد ليس مما عهدنا وانا في هذا أشايعك وأتابعك وأناضل من نازلك وينازعك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج وتسكت المهج وهو الشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرّية المختاره ونجم الدرّية السياره جرى مع زعزع ونسيم ورتع في جميم وهشيم وشاهد عجائب كل أقليم وشرّق الى مطلع ابن جلا وغرّب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العدّ الى العقده ويحصل من محض الحقيقة على الزبده وقد علم انه ما كل الخطب كخطبة المنبر ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأدبه ياسيدى من نسبة أفقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بأن الشرق قد اتحفه أبرقة بغداذيه بل رمانا بجملة أفلاذه والحظ فيما يجب من برّه وتأنيسه انما هو في الحقيقة لجليسه فيا غبطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت لا محالة تفهمه فهمى وتشيم من شيمه عارضا برىّ القلوب الهيم بهمى وتضرب في الاخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت انه سهمى والسلام انتهى *(ومنهم تقى الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس الحنفىّ المصرىّ قال الوادى آشى فيه

انه من أعيان مصر قال وسألته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض فأجابنى بأن هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم وذوى المعرفة والفهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز لكونه بمصر يطبخ فى الفرن بأرواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفية فى ذلك قال وسألته حفظه الله تعالى هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال لى جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة أولها ثاء مثلثة يكون فيها الوباء والله تعالى أعلم وان هذا امتعارف عندهم هكذا قال لى وعجب مما يقع من بعض النقاد بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسئلة العويصة فى أصول الدين وغيرها على من يرد عليهم قصدا فى تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضى الكفر وواحدة تقتضى الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى * وقد ذكرنا فى الباب الاول من هذا القسم حكاية البصرى المغنى القادم من المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية فى دولة بنى المعز بن باديس وسردنا دخوله عليه فى مجلس أنسه وما اتفق فى ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فارتحل المغنى اليها ومات بها حسبما لخصنا من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب المؤرخ فى كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغنى المذكور لجعلنا له ترجمة فى هذا الباب اذ هو به أليق والامر فى ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب *(ومنهم الولى الصالح العارف بالله سيدى يوسف الدمشقى رضى الله تعالى عنه وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء شاذلى الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأتى مدينة وادى آش الكثرة بعد الكثرة لزيارة معارف له بها وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرف به الا من تعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وحدثنى مولاى والدى رضى الله تعالى عنه من لفظه بتلمسان أمنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل على سنة شهر رمضان المعظم فى زمان ولايتى الخطابة والامامة بالعراص من خارج وادى آش أعادها الله تعالى فقعدت أول ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين وفكرت فى ذكر اتخذه فى هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا والآخرة فأجمعت على مطالعة حلية النواودى لعلى أقف على ما أختاره لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكرتى أحدا فلقينى الحاج الاستاذ أبو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى فى الطريق فقال لى سيدى يوسف الدمشقى يسلم عليك ويقول لك الذكر الذى تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم ارزقنى الزهد فى الدنيا ونورة بى بنور معرفتك قال والدى رضى الله تعالى عنه وكان هذا سبب تعرفى له ولقائى اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوى فى هذا الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولى الصالح نفعنا الله تعالى ببركاته مع علمى بأن الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الأن

قوله سنة ٨٩٥ فى نسخة سنة ٨٩٩ اه

قوله النواودى فى نسخة النواوى اه

عدم المادة التى أستعين بها فى هذه البلاد تبين عذرى ولو اجتمعت على كتبى المخلفة بالمغرب لاتيت فى ذلك وغيره بما يشفى و يكفى وفى الاشارة مايغنى عن الكلام

(الباب السابع)

فى نبذة مما منّ الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم فى اكتساب المعارف والمعالى ماعزوهان وحوزهم فى ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من أجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم وغير ذلك من أحوالهم التى لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أنّ فضل أهل الاندلس ظاهر كما أنّ حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب فى فرحة الانفس لما أثنى على الاندلس وأهلها أنّ بطليوس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة فى الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد اللحون ومن أجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف * وذكر ابن غالب أيضا ماخصوا به من تدبير المشترى والمريخ * وانتقد عليه بعضهم بأن أقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس فى ساحلها الشمالى والسابع فى جزائر الجوس وللاقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشترى للاقليم الثانى والمريخ للثالث ولامدخل لهما فى الاندلس انتهى * ثم قال صاحب الفرحة وأهل الاندلس عرب فى الانساب والعزة والانفة وعلوّ الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما فى أيديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هنديون فى افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون فى نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون فى استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذى شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الاعمال ومقاساة النصب فى تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب وعد رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم أولا مشرقيا انتهى * قال ابن سعيد أما أصول الخط المشرقى وماتجد له فى القلب والعين من القبول فمسلم له لكن خط الاندلس الذى رأيته فى مصاحف ابن غطوس الذى كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى ونحوه صدر كلام ابن غالب السابق مذكور فى رسالة لابن حزم وقال فيها ان أهل الاندلس صينيون فى اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون فى معاناة

الحروب ومعالجات آلاتها والتطرق بمهماتها انتهى * وعد ابن غالب فى فضائلهم اختراعهم الموشحات التى استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما عاو طبقاتهم * ثم قال ابن غالب ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الاندلس بخروج أكثرهم عنها فى هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية فأما أهل البادية فمالوا فى البوادى الى ما اعتادوه وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار وأحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم أشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت ولاة اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك وأما أهل الحواضر فمالوا الى الحواضر واستوطنوها فأما أهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الاموال والمستعملون فى أمور المملكة ولا يستعمل بلدى ما وجد أندلسى وأما أهل الصنائع فانهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأخملوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا عنهم الا جاهل أو مبطل انتهى * وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله تعالى انى ما أقصد الا انصاف المصنفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمح بهم الهوى ولكن الحق أحق أن يتبع فلعل مطلعا يقف على ما ذكره ابن غالب فيقول هذا الرجل تعصب لاهل بلده ثم يغمص التابع له والراضى بنقل قوله فى هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين.

ولو أبصروا ليلى أقروا بحسنها * وقالوا بأنى فى الثناء مقصر

ويكفى فى الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هى بغداد المغرب وهى أعظم ما فى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الآن ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التى كانت فى مراكش بسلطان افريقية الآن أبى زكريا يحيى بن أبى محمد بن أبى حفص فصار فيها من المبانى والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس وعرفاء صناعه من الاندلس وتماثيله التى يبنى عليها وان كان أعرف خلق الله تعالى باختراع محاسن هذا الشأن فانما أكثرها من أوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لا تجدهم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى * قال الحميدى أنشد بحضرة بعض ملوك الاندلس قطعة لبعض أهل المشرق وهى

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا * وقد علموا أنى المشوق المتيم

سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على أنهم بالليل للناس أنجم

واخفوا على تلك المطايا مسيرهم * فنم عليهم فى الظلام التبسم

فأفرط بعض الحاضرين في استحسانها وقال هذا ما لا يقدر أندلسيّ على مثله وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح أين تيمموا * وأين استقلّ الظاعنون وخيموا
خليليّ ردّاني الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
أبيت سمير الفرقدين كأنما * وسادى قتاد أو ضجيعي أرقم
وأحور وسنان الجفون كأنه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى أجفانه والى الهوى * فأيقنت أني لست منهن أسلم
كما أن ابراهيم أول نظرة * رأى في الدرارى انه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة في جزيرة الاندلس أشراف عرب المشرق افتتحوها وسادات أجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر أن أبا عليّ البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال لما وصلت القيروان وأنا أعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة قال أبو عليّ فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان قال ابن بسام فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسيّ في ذكائهم ويتخطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم ان علمي علم رواية وليس علم دراية تخذوا عني ما نقلت فلم آل لكم أن صححت هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن كلام الحجاريّ في المسهب الاندلس عراق المغرب عزة أنساب ورقة آدابه واشتغالا بفنون العلوم وافتنانا في المنثور والمنظوم لم تضق لهم في ذلك ساحه ولا قصرت عنه راحه فهام في مصر الا وفيه نجوم وبدور وشموس وهم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤس لا ينازعهم أحد في هذا الشان وابن خفاجة سابقهم في هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان وأما اذا هب نسيم ودار كاس في كف ظبي رخيم ورجع بم وزير وصفق للماء خرير أو ورقت العشيه وخلعت السحب أبرادها الفضية والذهبيه أو تبسم عن شعاع ثغر نهر أو ترقرق بطل جفن زهر أو خفق بارق أو وصل طيف طارق أو وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين أقبل رائد الصباح أو أزهرت دوحة السماء بزهر كواكبها أو قوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فأولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين في الوصف اذا تقعقعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت الحرب من العجاج سماء وأطلعت شبه النجوم أسنة وأجرت شبه الشفق دماء وبالجملة فانهم في جميع الاوصاف والتخيلات أئمه ومن وقف على أشعارهم في هذا الشان فضلهم

فيه على أصناف الأمه وقد أعانتهم على الشعر أنسابهم العربيه وبقاءهم النضرة وهممهم الابيه ولشطار الاندلس من النوادر والتنكيتات والتركيبات وأنواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرته وتضحك الثكلى وتسلي المسلوب قصته مما لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى وما ركب ولا استغرب أحد مما أورده ولا تعجب الا أن موالي هذا الافق طمحت هممهم عن التصنيف في هذا الشان فكاد يترضا ضياعا فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا انتهى * وقد رأيت أن أذكر رسالة أبي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل علماء الاندلس لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمي القيرواني الى أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الاندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم ما صورته كتبت يا سيدي وأجل عددي كتب الله تعالى لك السعاده وأدام لك العز والسياده سائلا مسترشدا وباحثا مستخبرا وذلك اني فكرت في بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خير ونيل ومصدر كل طرفه ومورد كل تحفه وغاية آمال الراغبين ونهاية أماني الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجلب وان كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ووفور أدبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم في العلم وأهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب نكايته فشجع الجبان وأقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العيي
٢ وشعر البكي واستنسر البغاث وتثعبن الحفاث فتنافس الناس في العلوم وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل أن علماء الامصار دونوا فضائل أمصارهم وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم وأخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي والايام ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف أن يعنف وان ألف أن يخالف ولا يؤالف أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه على انه لو أطلق ما عقل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك ولم تحرج به المذاهب ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد ولكن همة أحدهم أن يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير شجا في حلق أبي العميثل فاذا أدرك بغيته واخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن تقدم ما ذكره من علماء الامصار احتالوا للبقاء ذكرهم احتيال الاكياس فالفوا دواوين بقي لهم بها ذكر مجدد طول الابد فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبا

لكنها

لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب أو رحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا في القبور فضلا عمن في الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه أكثر الحز وأخطأ المفصل وأطال الهزل بسيف غير مصقل وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فأرشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك في ذلك الجليه وبيدك فصل القضيه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم عند وقوفه على هذه الرسالة مانصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أما بعد يا أخي يا أبا بكر سلام عليك سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالي ثم لقيتك في حال سفر ونقله ووادّك في خلال جولة ورحله فلم يقض من مجاورتك أربا ولا بلغ في مجاورتك مطلبا واني لما احتللت بك وجالت يدي في مكنون كتبك ومضمون دواوينك لمحت عيني في تضاعيفها درجا فتأملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصافينا في الدار أهل افريقية ثم ممن ضمته حضرة قيروانهم الى رجل اندلسي لم يعينه باسمه ولاذكره بنسبه يذكر له فيها ان علماء بلدنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيي ذكرهم ويبقي علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه في ذلك واستدل على صحته عند نفسه بأن شيأ من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم اليهم وتكررهم علينا ثم لما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب والمشهد الآهل بأنواع العلوم والقصر المعمور بأنواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعاني وجليل المعالي قرارة المجد ومحل السودد ومحط رحال الخائفين وملقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسبه الرفيع حديثه ومكسبه الذي أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازي قومته نومته ولا ينال حضره هوينا وأربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالي دنوه ولا يعلو في حميد الخلال علوه بل اكتفى من مدحه باسمه المشهور واجتزى من الاطالة في تقريظه بمنتماه المذكور فحسبي بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبي عبد الله محمد ابن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلاه ولا أخلى الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب وراغبا في أن يبين له ما لعله قد رآه فنسي أو بعد عنه فخفي فتناولت

الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى وإياه فلم يكن اقصده بالجواب يعني وقد صارت المقابر مغني فلسنا بمسمعين من في القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت الى الكتاب المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة وفي وصول كتابي على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية ان غاب عنه من أخبار تآليف أهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت في اخباري اياك بما أرسمه في كتابي هذا كمهد الى البركان نارا لحباحب وبانى رضوى في مهيع القصد اللاحب فانك وان كنت المقصود والمواجه فانما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجابه السائل الماضي وما توفيقي الا بالله سبحانه فأما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتبا جمة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره وهو كتاب مريح مليح وأنا أقول لو لم يكن لاندلسنا الا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك لكفى شرفا بذلك يسر عاجله ويغبط آجله فان قال قائل لعله صلوات الله تعالى عليه انما عنى بذلك الحديث أهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وأمر بالبيان لما أوحي اليه وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم فأخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بأنها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو اخباره بالشيء قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس وخرت عن بغلتها هنالك فتوفيت رحمها الله تعالى وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا أن الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت أم حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل أن يظن به وقد أوتي ما أوتي من البلاغة والبيان انه يذكر طائفتين قد سمى احداهما أولى الا والتالية لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا تكون الاولى أولى الا للثانية ولا الثانية ثانية الا للاولى فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين وبشر بفئتين وسمى احداهما الاولين فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين والآخر من الاول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير من كل قرن بعده ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها

في تلك

في تلك السفن هبيرة الفزاري وأما صقلية فانها فتحت صدر أيام الاغلبية سنة ٢١٢ أيام قاد اليها السفن غازيا أسد بن الفرات الغازي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى وبها مات وأما اقريطش فانها فتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروج من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس وكان من فل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر المفتحين لها أهل الاندلس وأما في قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعلق تمائمنا مع سر من رأى في اقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا وان كانت الانوار لا تأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسنين للاحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع أحد النيرين بها تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن في العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك الخبر وأبانته التجربة فكان أهلها من التمكن في علوم القراآت والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متناهي الاقطار فسيح المجال والذي نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكنا فيه شركاء لاكثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما أذكر أني رأيت في أخبارها تاليفا غير المعرب عن أخبار المغرب وحاشى تاليف محمد بن يوسف الوراق فانه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة وكذلك ألف أيضا في أخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة وتكور والبصرة وغيرها تاليف حسانا ومحمد هذا أندلسي الاصل والفرع آباؤه من وادي الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها وان كانت نشأته بالقيروان ولا بد من اقامة الدليل على ما أشرت اليه هنا اذ مرادنا أن نأتي منه بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى وذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة أحد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على أن ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل تارك لسكناها الى أن مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم وانما سكن علي الكوفة خمسة أعوام وأشهرا وقد بقي ٥٨ عاما وأشهرا بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى وكذلك أيضا أكثر أعمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام ابن عامر وأبي بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة أعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر في هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك في المصريين بعمرو بن العاصي وخارجة بن حذافة العدوي وفي المكيين عبد الله ابن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فمن هاجر الينا من

قوله ابن يوسف في نسخة ابن مسلم اه

سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولى الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرّم اقترانه ومن هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه والمكان الذى اختاره أسعد به فكما لا ندع اسمعيل بن القاسم فكذلك لا تنازع فى محمد بن هانئ سوانا والعدل أولى ما حرص عليه والنصف أفضل ما دعى اليه بعد التفصيل الذى ليس هذا موضعه وعلى ماذكرنا من الانصاف تراضى الكل وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التى سبق أهلها الى حمل الوية المعارف والتدقيق فى تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدّة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهى عين المعمور فى كل ماذكرنا وما أعلم فى أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبى طاهر وأمّا سائر التواريخ التى ألفها أهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ولا أعلم فى أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبى سفيان فى خطط البصرة وقطائعها وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريزىّ النسب وصفاها وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها ولا أعلم فى أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة وأمّا الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والرىّ وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم فى شئ منها تأليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحى وعلمائها وشعرائها وأطبائها ولقد تاقت النفوس الى أن تصل بها تأليف فى أخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على أنهم العلية الرؤساء والاكابر العظماء ولو كان فى شئ من ذلك تأليف لكان الحكم فى الاغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تآليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الاصبهانىّ فى أخبار أصبهان وكتاب الموصلىّ وغيره فى أخبار مصر وكما بلغنا سائر تآليفهم فى أنحاء العلوم وقد بلغنا تأليف القاضى أبى العباس محمد بن عبدون القيروانىّ فى الشروط واعتراضه على الشافعىّ رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا ردّ القاضى أحمد بن طالب التميمىّ على أبى حنيفة وتشنيعه على الشافعىّ وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تآليفهم دون مشهورها وأمّا جهتنا فالحكم فى ذلك ما جرى به المثل السائر أزهد الناس فى عالم أهله وقرأت فى الانجيل أن عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبىّ حرمته الا فى بلده وقد تيقنا ذلك بما لقى النبىّ صلى الله عليه وسلم من قريش وهم أوفر الناس أحلاما وأصحهم عقولا وأشدهم تثبتا مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع وتغذيتهم بأكرم المياه حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التى أبانهم بها عن جميع الناس والله يؤتى فضله من يشاء ولاسيما أندلسنا فانها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير ما يأتى به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته وأكثر ذلك مدة حياته بأضعاف ما فى سائر البلاد ان أجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفى أىّ زمان قرأ ولامه الهبل وبعد ذلك ان ولجت به الاقدار أحد طريقين اما شفوفا داعيا عليه على نظرائه أو سلوكا فى غير السبيل التى عهد وهاهنا حمى الوطيس على البائس وصار غرضا

قوله ابن شبة فى نسخة ابن أبى شيبة اه

قوله ابن عبدوس فى نسخة ابن عبدون اه

للاقوال وهدفا للمطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلد وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالحراء وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف وينجو من المخالف فان تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا أو يعمل رسالة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التي ألفت بالاندلس كتاب القصيّ مالك بن علي وهو رجل قرشي من بني فهر لقي أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبي اسحق ابراهيم بن مزين في تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعاني الموطا وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين أيضا وكتابه في رجال الموطا وما لمالك عن كل واحد منهم من الآثار في موطئه

وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري وكان شافعي المذهب بصيرا بالكلام على اختياره وكتاب القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد وكان داودي المذهب قويا على الانتصار له وكلاهما في أحكام القرآن غاية ولمنذر مصنفات

منها كتاب الابانة عن حقائق أصول الديانة ومنها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم ابن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تآليف حسان جدا منها أحكام القرآن على أبواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب

قوله أن لا يسلم الخ راجع لقوله وبالحراء وقوله وهو السابق المبرز جملة حالية من فاعل يسلم وقوله ان لم يتعلق الخ قيد لمضمون قوله وبالحراء أن لا يسلم الخ وتقدير العبارة هكذا وبالحراء أى بالخليق أن لا يسلم والحال انه السابق المبرز ان لم يتعلق الخ تامل اهـ

المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه وانقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة ومنها كتاب فى فضائل قريش وكنانة وكتابه فى الناسخ والمنسوخ وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس فى الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبى عمر يوسف بن عبد البر وهو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة وهو كتاب لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها منها كتابه المسمى بالكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتى الحاجة اليه وبوبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال فى معناه ومنها كتابه فى الصحابة ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا فى ذلك ومنها كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجرى فى المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته ومنها كتاب شيخنا القاضى أبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضى فى المختلف والمؤتلف فى أسماء الرجال ولم يبلغ عبد الغنى الحافظ البصرى فى ذلك الا كتابين وبلغ ابو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين لا أعلم مثله فى فنه البتة

ومنها تاريخ أحمد بن سعيد ما وضع فى الرجال أحد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلى البغدادى ولم أره وأحمد بن سعيد هو المتقدم فى التأليف القائم فى ذلك

ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضى وهى كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصرى وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهرى ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطى فما شاء أبو عبيد الا تقدم العصر فقط ومنها فى الفقه الواضحة والمالكيون لا تمانع بينهم فى فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهى المعروفة بالعتبية ولها عند أهل افريقية القدر العالى والطيران الحثيث والكتاب الذى جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلى المعروف بابن المكوى والقرشى أبو مروان المعيطى فى جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذى جمع فيه القاضى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد البصرى أقاويل الشافعى كلها ومنها كتاب المنتخب الذى ألفه القاضى محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رأيت للمالكى قط كتابا أنبل منه فى جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتاليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن فى معناه وكان شافعى المذهب نظارا جاريا فى ميدان البغداديين ومنها فى اللغة الكتاب البارع الذى ألفه اسمعيل بن القاسم يحتوى على لغة وكتابه فى المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله فى بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عامر العزى المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبديين فلم يوضع فى فنه مثله وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى فى اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا وثقة نقل وهو أظن فى الحياة بعد وههنا قصة لا ينبغى أن تجاوز سالتناء عنها وهى أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى

قوله فتمه فى نسخة نقد اه

قوله المكوى فى نسخة المكورى اه

قوله التيانى فى نسخة التيام اه

حدثنى

حدثني أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه الى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما ألفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لاني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابي علي اسمعيل بن القاسم وهو مبار لكتاب الكامل لابي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن في معناه وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابي عمر أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابي محمد بن داود رحمه الله تعالى الا أن أبا بكر انما أدخل مائة باب في كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير أندلسي شيأ وأحسن الاختيار ماشاء وأجاد فبلغ الغاية وأتى الكتاب فردا في معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب وهو حي بعد ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم ابراهيم بن محمد الافليلي لشعر المتنبي وهو حسن جدا ومن الاخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها وتواريخ متفرقة رأيت منها أخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالحوف وفي أخبار بني قيس والتجيبين وبني الطويل والثغر وقد رأيت من ذلك كتبا مصنفة في غاية الحسن وكتاب بجز أفي أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تأليف اسحق ابن سلمة بن اسحق الليثي وكتاب محمد بن الحرث الخشني في أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الاندلس وكتاب في أخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى في أنساب مشاهير أهل الاندلس في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الانساب وأوسعها وكتاب قاسم بن اصبغ في الانساب في غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه في فضائل بني أمية وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة في أصحاب المعاقل والاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت منها أخبار شعراء البيرة في نحو عشرة أجزاء ومنها كتاب الطوالع في أنساب أهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار

قوله ابن الحسن في نسخة ابن الحسين اه

أهل الاندلس تأليف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار ومن أجل كتاب ألف في هذا المعنى وهو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لحسين ابن عاصم في سير ابن أبي عامر وأخباره وكتاب الافشين محمد بن عاصم النحوي في طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب سكن بن سعيد في ذلك وكتاب أحمد بن فرج في المتنزين والقائمين بالاندلس وأخبارهم وكتاب أخبار أطباء الاندلس لسليمان بن جلجل وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي أستاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان وكتب التصريف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد أدركناه وشاهدناه ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا احسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم في الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها وأما الفلسفة فاني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة وأما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة وأما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ ولا تحققنا به فلسنا نثق بأنفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من أهل بلدنا الا اني سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من أهل بلدنا وكذلك كتاب لاحمد بن نصر فما تقدم الى مثله في معناه وانما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر والتي تدخل تحت الاقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم الا في أحدها وهي اما شئ يخترعه لم يسبق اليه أو شئ ناقص يتمه أو شئ مستغلق يشرحه أو شئ طويل يختصره دون أن يخل بشئ من معانيه أو شئ متفرق يجمعه أو شئ مختلط يرتبه أو شئ أخطأ فيه صاحبه يصلحه وأما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهي عندنا من تاليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها وأما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية عنه وقد كان فيهم قوم يذهبون الى الاعتزال نظار على أصوله ولهم فيه تآليف منهم خليل بن اسحق ويحيى بن السمينة والحاجب موسى ابن جدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد وكان داعية الى الاعتزال لا يستتر بذلك ولنا على مذهبنا الذي نخبر ناه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى هو وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم الفائدة لانا أسقطنا فيه المشاغب كلها وأضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة ولنا فيما تحققنا به تآليف جمة منها ما قد تم ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على باقيه لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا أردنا السمعة فنسميها والمراد بها ربنا جل وجهه وهو ولي العون فيها والملي بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيبدو وحسبنا الله ونعم الوكيل

قوله بابن الكتاني في نسخة بالكناني اه

وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء فقد ذكرنا من تآليف أهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها ونحن اذا ذكرنا أبا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابى فى الشعر لم نباه به الا جريرا والفرزدق لكونه فى عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقى بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وسليمان بن الاشعث السجستانى وأحمد بن شعيب النسائى واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابى وهو شريكهما فى صحبة المزنى بن ابراهيم والتلمذ له واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجارهما الا أبا الحسن بن المفلس والخلال والديباجى ورويم ابن أحمد وقد شاركهم عبد الله فى أبى سليمان وصحبته واذا أشرنا الى محمد بن عمرو بن لبابة وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس واذا صرنا الى ذكر محمد بن يحيى الرباحى وأبى عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج القسطلى لما تأخر عن شأو بشار وحبيب والمتنبى فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك بن سعيد المرادى وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان ممسوح الغرة ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل ومحمد بن عبد الله بن مسرة فى طريقته التى سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه فى جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق لعلمه والهادى الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم انتهت الرسالة * وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها وانما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة أعوام انتهى * وقال ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد ابن حزم من مفاخر أهل الاندلس بما حضرنى والله تعالى ولى الاعانة أما القرآن فمن أجل ما صنف فى تفسيره كتاب الهداية الى بلوغ النهاية فى نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب فى كتاب فرحة الانفس تآليف مكى المذكور فبلغ بها ٧٧ تاليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابى محمد بن عطية الغرناطى فى تفسير القرآن الكتاب الكبير الذى اشتهر وطار فى الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة وأما القراآت فلمكى المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب التيسير لابى عمرو الدانى مشهور فى أيدى الناس وأما الحديث فكان

قوله ابن عمرو فى نسخة ابن عمر اه

قوله سنة ٤٣٧ فى نسخة سنة ٤٧٤ اه

بعصرنا في المائة السابعة الامام أبو الحسن علي بن القطان القرطبي الساكن بحضرة مراكش وله في تفسير غريبه وفي رجاله مصنفات واليه كانت النهاية والاشارة في عصرنا وسمعت انه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين ابن عمار الاندلسي في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطا والسنن والنسائي والترمذي كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابي محمد عبد الحق الاشبيلي مشهور متداول القراءة وهي أحكام كبرى وأحكام صغرى قيل ووسطى وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي مشهور وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذي ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب للبراذعي السرقسطي وكتاب النهاية لابي الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجي وأما اصول الدين واصول الفقه فللامام أبي بكر بن العربي الاشبيلي من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم المشهور بايدي الناس وله تصانيف غير هذا ولابي الوليد بن رشد في أصول الفقه ما منه مختصر المستصفى وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين في نحو ستين مجلدة وانما ذكر ابن حزم كتاب المقتبس وهو في عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار عصره ويمعن فيها مما شاهده ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البياسي أحد معاصرينا وهو الآن بافريقية في حضرتها تونس عند سلطانها تحت احسانه الغمر وكتاب المظفر ابن الافطس ملك بطليوس المعروف بالمظفري نحو كتاب المتين في الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة اللمتونية وذكر ابن غالب ان ابن الصيرفي الغرناطي له كتاب في أخبار دولة لمتونة وأن أبا الحسن السالمي له كتاب في أخبار الفتنة الثانية بالاندلس بدأ من سنة ٥٣٩ ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في تاريخ أصحاب الاندلس من فتحها الى زمانه وأضاف الى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء في خاطره وله كتاب الصلة في تاريخ العلماء وللحميدي قبله جذوة المقتبس وقد ذيل كتاب الصلة في عصرنا هذا أبو عبد الله بن الابار البلنسي صاحب كتاب سلطان افريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى في أخبار الاندلس الى دولة عبد المؤمن قال وفارقته سنة ٥٦٥ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمة في التواريخ مثل كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالاندلس على منزع كتاب التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي وللقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب التعريف بأخبار علماء الامم من العرب والعجم وكتاب جامع أخبار الامم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم في معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبي له كتاب اختصار تاريخ الطبري قد سعد باغتباط الناس به وأضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحد

ابن

ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب أبي بكر الحسين بن محمد الزبيدي في أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي في اخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال تاريخ ألفه كله منظوما كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبي من جزيرة شقر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد وكتاب الذخيرة لابن بسام في جزيرة الاندلس ليس هذا مكان الاطناب في تفضيلها وهي كالذيل على حدائق ابن فرج وفي عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو مملوء بلاغة والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابي عمرو بن الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخل لا بتوفيته حقه من الفضلاء واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري المسمى بالمسهب في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافيا وخلطه بالتاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور في غير هذا المكان ولم يصنف في الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة وكمل كتاب فلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوي على كتابي المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب فيكفي الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ وقد احتوى على جميع ما يذكر به ويحاضر بحلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمي الذكر فيطلب الملتمس منهم في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في اشبيلية وابن الامام في استجه والحجاري في وادي الحجارة * وأما ما جاء منثورا من فنون الادب فكتاب سراج الادب لابي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوادر لابي علي وزهر الآداب للحصري وكتاب واجب الادب لوالدي موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلي لابي عبيد البكري على كتاب الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي وأما شرح سقط الزند له فهو الغاية ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبي الحجاج الاعلم لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة * وأما كتب النحو فلاهل الاندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم

قوله وأما ما جاء الخ في نسخة وأما الكتب التي في فنون الادب فمنها كتاب سراج الادب الخ اه

النحو وعليه الاحالة الآن من المشرق والمغرب وقد أتيت له من افريقية بكتاب المقرب في النحو فتلقى باليمين من كل جهة وطار بجناح الاغتباط ولشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور وعند أصحاب هذا الشان معتمد عليه ولابي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه * وأما كتب علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري الاونبي وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والاماكن وفي كتاب المسهب للحجاري في هذا الشان وتذييلنا عليه في هذا الكتاب الجامع ماجمع زبد الاولين والآخرين * وأما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيى الخدج المرسي كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو ممن أدرك المائة السابعة * وأما كتب الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد سار أيضا في المشرق لنبله كتاب التيسير لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر وله كتاب الاغذية أيضا مشهور مغتبط به في المغرب والمشرق ولابي العباس بن الرومية الاشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشان كتاب في الادوية المفردة وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا الشان حشر عليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرهما وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده * وأما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها

وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني وله ألف كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشان الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشان فكان لا يظهر شيأ مما يصنف ثم قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي لولا الاندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم فقال الامير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما أردت غير هذا فظهر في وجهه انه أراد ذلك فقال ابن المعلم أتقول هذا وما الملك والفضل الا من بر العدوة فقال الامير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره فالكلام هنا يطول ويمر ضياعا وأرجو اذا اخليتما له فكركما يصدر

عنكما ما يحسن تخليده ففعلا ذلك فكانت رسالة الشقندي " الحمد لله الذى جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم مل ء فيه ويطنب ماشاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه اذ لا يقال للنهار يامظلم ولا لوجه النعيم ياقبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلني ممن انشأته وحبانى بأن كنت ممن أظهرته فامتد فى الفخر باعى وأعاننى على الفضائل كرم طباعى وأصلى على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه حركنى ساكنا وملأ منى فارغا فخرجت عن سجيتى فى الاغضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع فى فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع ويأتى بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يصله من تاه فى تلك المسالك رام أن يفضل بر العدوة على بر الاندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار ويقول الليل أضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالى بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج فيامن نفخ فى غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تتكثر بما جعله الله قليلا وتتعزز بما حكم الله ان يكون ذليلا ماهذه المباهتة التى لاتجوز كيف تبدى أمام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديث من تصغى

لشتان مابين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

اقل حياءك أيها المغرد بالنحيب المتزين بالخلق المتحبب الى الغوانى بالمشيب الخضيب اين عزب عقلك وكيف نكص على عقبه فهمك ولبك أبلغت العصبية من قلبك أن تطمس على نورى بصرك ولبك أما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا أيضا وما نحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسى جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بنى عبد المؤمن أدامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

وانى من قوم كرام أعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

خلائف فى الاسلام فى الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ فى مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر فى الآفاق وصار أثبت فى صحائف الايام فى أعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر

ولم تزل ملوكهم فى الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى أن حكم الله بنثر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت أخبارهم ودرسوا

ودرست آثارهم

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

فكم مكرمة أنالوها وكم عثرة أقالوها

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبى عامر وما أدراك الذى بلغ فى بلاد النصارى غازيا الى البحر الاخضر ولم يترك أسيرا فى بلادهم من المسلمين ولم يبرح فى جيش الهرقل وعزمة الاسكندر ولما قضى نحبه كتب على قبره

آثاره تنبيك عن أوصافه * حتى كانك بالعيان تراه

تالله لا يأتى الزمان بمثله * أبدا ولا يحمى الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح وألف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتى قصد من بغداد وعم خيره وشره أقاصى البلاد ولما ثار بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا فى البلاد كان فى تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقوا سوق العلوم وتباروا فى المثوبة على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلانى عند الملك الفلانى والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى وليس منهم الا من بذل وسعه فى المكارم ونبهت الامداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد وبنو صمادح وبنو الافطس وبنو ذى النون وبنو هود كل منهم قد خلد فيه من الامداح ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض وتفتك فى أموالهم فتكة البراض حتى ان أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم فى أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة الا بمائة دينار وان المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وافراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه فى قسمه ومن أعظم ما يحكى من المكارم التى لم نسمع لها أختا ان أبا غالب اللغوى ألف كتابا فبذل له مجاهد العامرى ملك دانية ألف دينار ومركوبا وكساء على أن يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك أبو غالب وقال كتاب ألفته لينتفع به الناس وأخلد فيه همتى أجعل فى صدره اسم غيرى وأصرف الفخر له لا أفعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن انفته وهمته وأضعف له العطاء وقال هو فى حل من أن يذكرنى فيه لا نصده عن غرضه وان كان كل ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا فى ملاءة الحضر فانى أخص منهم بنى عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم كاعياد وكان لهم من الحنو على الادب ما لم يقم به بنو حمدان فى حلب وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا فى بلاغتى النظم والنثر مشاركين فى فنون العلم وآثارهم مذكوره وأخبارهم مشهوره وقد خلدوا من المكارم التامه ما هو متردد فى ألسن الخاصة والعامه وبالله الا سميت لى من تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية أبسقوط الحاجب أم بصالح البرغواطى أم بيوسف بن تاشفين الذى لولا توسط ابن

عباد

عباد لشعراء الاندلس فى مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا الملكه قدرا وبعد ماذكروه
بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد أنشدوه أيعلم أمير المسلمين ما قالوه قال لا أعلم
ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جوارى سودا وبيضا قال لا يا مولانا
ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لان ليالى السرور بيض فعاد نهاره ببعده
ليلا لان ليالى الحزن ليال سود فقال والله جيد اكتب له فى جوابه ان دموعنا تجرى عليه
ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفضل
رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حمر بغلا فثم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدولة لما كان لكم على الناس صولة

وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

وانك ان تعرضت للمناضلة بالعلماء فأخبرنى هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب
الذى يعمل بأقواله الى الآن ومثل أبى الوليد الباجى ومثل أبى بكر بن العربى ومثل
أبى الوليد بن رشد الاكبر ومثل أبى الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام
ومصابيح شريعة محمد عليه السلام وهل لكم فى الحفظ مثل أبى محمد بن حزم الذى زهد
فى الوزارة والمال ومال الى رتبة العلم ورآها فوق كل رتبة وقال وقد احترقت كتبه

دعونى من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى * تضمنه القرطاس اذ هو فى صدرى

ومثل أبى عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب والتمهيد ومثل ابى بكر بن الجد حافظ
الاندلس فى هذه الدولة وهل لكم فى حفاظ اللغة كابن سيدة صاحب كتاب المحكم
وكتاب السماء والعالم الذى ان أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته وهل لكم فى النحو مثل
أبى محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبى على الشلوبين الذى بين أظهرنا
الآن وقد سار فى المغارب والمشارق ذكره وهل لكم فى علم اللحون والفلسفة كابن باجة
وهل لكم فى علم النجوم والهندسة والفلسفة مثل كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة
فانه كان فى ذلك آية وهل لكم فى الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حى بن يقظان
المقدم فى علم الفلسفة ومثل بنى زهر أبى العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبى بكر ثلاثة على
نسق وهل لكم فى علم التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس وهل عندكم فى رؤساء
علم الادب مثل أبى عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهل لكم فى الاعتناء بتخليد مآثر
فضلاء اقليمه والاجتهاد فى حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة وهب انه كان
من لكم مثله فما تصنع الكيسة فى البيت الفارغ وهل لكم فى بلاغة النثر كالفتح
ابن عبيد الله الذى ان مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك فى كتاب القلائد

ما هو أعدل شاهد ومثل ابن أبي الخصال في ترسله ومثل أبي الحسن سهل بن مالك الذي بين أظهرنا الآن في خطبه وهل لكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله

وليل بسد النهر أنسا قطعته * بذات سوار مثل منعطف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم * فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر

وقوله في أبيه

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * وبعد ذلك يلفى وهو يعتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ومثل ابنه الراضي في قوله

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فأوقدوا نار قلبي أي ايقاد
لا غرو ان زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكى غلة الصادي

وهل لكم ملك ألف في فنون الادب كتابا في نحو مائة مجلدة مثل المظفر بن الافطس ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الادب وهل لكم من الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التي سارت أشرد من مثل وأحب الى الاسماع من لقاء حبيب وصل الى منها

اثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما رأيت الحسن يلبس أحمرا

ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في التشبيب أرق منها وهي التي يقول فيها

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون في بديهته بين يدي المعتمد بن عباد واصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيي المطي ورازمه

فارتجل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * تجيد العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بأنك تروى شعره لتألها

وهل لكم مثل شاعر الاندلس ابن دراج الذي قال فيه الثعالبي هو بالصقع الاندلسي كالمتنبي بصقع الشام الذي ان مدح الملوك قال مثل قوله

ألم تعلمي ان الثواء هو التوا * وأن بيوت العاجزين قبور
وان خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير
تخوفني طول السفار وانه * بتقبيل كف العامري جدير
مجير الهدى والدين من كل ملحد * وليس عليه للضلال مجير
تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلاقت في العلا وبدور
هم يستقلون الحياة لراغب * ويستصغرون الخطب وهو كبير

ولما توافوا للسلام ورفعت * عن الشمس في أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الاسنة دونها * صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها * وآيات صنع الله كيف تنير
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس * وقام بعبء الراسيات سرير
فجاؤا عجالا والقلوب خوافق * وولوا بطاء والنواظر صور
يقولون والاجلال يخرس ألسنا * وحازت عيون ملأها وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط * وقد رفيك المكرمات قدير

وأنا أقسم بما حازته هذه الابيات من غرائب الآيات لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر وان ذكر الغربة عن الاوطان ومكابدة نوائب الزمان قال.

قالت وقد مزج الفراق مدامعنا * بمدامع وترائبا بترائب
أتفترق حتى بمنزل غربة * كم غصن للايام نهبة ناهب
واثن جنيت عليك ترحة راحل * فانا الزعيم لها بفرحة آيب
هل أبصرت عيناك بدرا طالعا * في الافق الا من هلال غاربه

وان شبه قال

لمعاقل من سوسن قد شيدت * أيدي الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وحماتها * حول الامير لهم سيوف من ذهب

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو أبو عمرو بن فرج في قوله

وطائعة الوصال عففت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فملكت النهى جماب شوقي * لاجري في العفاف على طباعي
وبت بها مبيت السقب يظما * فيمنعه الكعام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فاتخذ الرياض من المراعي

وهل بلغ أحد من مشبهي شعرائكم أن يقول مثل قول أبي جعفر اللماي

عارض أقبل في جنح الدجا * يتهادى كتهادي ذي الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا

ومثل قول أبي حفص بن برد

وكأن الليل حين لوى * ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء أحرقها * عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ما غربت في فمه * تركت في الخد منه شفقا

بمثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر على كل انسان وهل منكم من عمد الى قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار وسلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طل الاسحار فلطفه تلطيفا يمتزج بالارواح ويغني في الارتياح عن شرب الراح وهو ابن شهيد في قوله

ولما تملا من سكره * ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه على قربه * دنو رفيق درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلى * وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتي ناعما * الى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن أبي ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصهيل بالنهاق وقابل العذب بالزعاق فقال وليته سكت

ونفضت عني العين أقبلت مشية الحباب وركني خيفة القوم أزور

وأنا أقسم لو زار رجل محبوبة له لكان ألطف في الزيارة من هذا الازور الركن المنفض للعيون لكنه ان أساء هنا فقد أحسن في قوله

فقالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا زاجر

ولله در محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث نقل السعي الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فمثله ينبغي أن يتكلم ومثله يليق أن يدون

وواعدتها والشمس تجنح للنوى * بزورتها شمسا وبدر الدجى يسري
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى * وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فأشعرت * بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها * كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى * تنبه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طورا وألثم تارة * الى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقودا للتعانق بيننا * فيا ليلة القدر اتركي ساعة النفر

وهل منكم من قيد بالاحسان فأطلق لسانه الشكر فقال وهو ابن اللبانة

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فقابل ذلك بقطع مدحه له فبلغه انه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم * فى دوح مجدكم أقوم وأقعد
ان تسلبونى ريشكم وتقلصوا * عنى ظلالكم فكيف أغرد

وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك فى أن يأتى به فى منزع بصير خلقه فى الاسماع جديدا وكالبه فى الافكار حديدا فاغرب أحسن اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل اعراب وهو ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحا * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا
قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحد ما * قال فلما تبسم افتضحا

قوله وحثها هكذا فى النسخ ولم أجده بمعنى الشرب لا فى القاموس ولا فى الصحاح فلعل الاولى أن يقول بدله حسوتها الخ وليحرر اه مصححه

وقال

أدراها على الروض المندى * وحكم الصبح فى الظلماء ماضى
وكأس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقال

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين وهل منكم من برع فى أوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل من طمع بعده فى اللحاق وهو ابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشى أنس أضجعتنى نشوة * فيها يمهد مضجعى ويدمث
خلعت على بها الاراكة ظلها * والغصن يصغى والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقى والغمامة تنفث

والقائل

لله نهر سال فى بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كانه * والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة فى بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كانها * هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدى الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

والقائل

حث المدامة والنسيم عليل * والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة * نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى * عنه فذهب صفحتيه أصيل

قوله حث المدامة فيه ما تقدم قريبا ولعل الاوفق وحسا المدامة الخ ولينظر اه مصححه

والقائل

أذن الغمام بديمة وعقار * فامزج لجينا منهما بنضار
واربع على حكم الربيع بأجرع * هزج الندامى مفصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم الانوار
وهفت بنغريد هنالك ايكة * خفاقة يهب ريح عرار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة النوار

والقائل

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
اذ لا ترى غير وجه شمس * أطل فيه عذار ظل

والقائل

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة * فى جانبيها للنسيم مجال
غازلتها والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

والقائل

وساق كحيل اللحظ فى شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادى عارضيه دخان
نقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج فى درع الكمى سنان
عقارا نماها الكرم فهى كريمة * ولم تزن بابن المزن فهى حصان
وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

والقائل فى وصف فرس ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
تطلع للغرة فى شقرة * حبابة تضحك فى كاس

وهل منكم من يقول منادما لنديمه وقد باكر روضا بمحبوب وكاس فألفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول اذا رأى ذلك وهو أبو الحسن بن بسام

ألا بادر فما ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

ولا

ولا تكسل برؤيته صباحا * تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن * توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل في غلام حائك بمثل قول الرصافي

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلى * لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان أمرى في الصبابة لى * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى
علقته حبب الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل في الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالمحوال أنمله * على السدى لعب الايام بالاجل
ضما بكفيه أو فحصا بأخمصه * تخبط الظبي في أشراك محتبل

ومثل قوله في تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشي رائق منظره * قد قطعناه على صرف الشمول
وكان الشمس في أثنائه * ألصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع أذيال الربا * ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا * حيث لا يطرقنا غير الهديل
طائر شاد وغصن منثن * والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول في موشح فيما يجرى هذا المعنى

ورداء الاصيل تطويه كف الظلام

وهو أبو القاسم بن الفرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف

ومنزع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه * متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه * كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا بأحسن من قول النشار

ألوامي على كلفي بحبي * متى من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال * كزنجي أتى روضا صباحا
تحير في جناه فليس يدرى * أيجنى الورد أم يجنى الاقاحا

وهل منكم الذى اهتدى الى معنى في لثم وردة الخد ورشف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقي في قوله

لما ظفرت بليلة من وصله * والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضجت وردة خده بتنفسى * وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النطق باقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومي في قوله

يود عيسى نزول عيسى * عساه من دائه يريح

ومموضع الداء منه عضو * لا يرتضى مسه المسيح

ولما أقذع أتى أيضا بأبدع فقال

يا فارس الخيل ولا فارس * الاعلى متن جواد الحصى
زدت على موسى وآياته * تفجر الماء وتحنى العصا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ثم نقله الى الهجاء فبلغ به النهاية من الذم وهو البكى في قوله مادحا

قوم لهم شرف العلا في حمير * واذا انتموا لمتونة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفي قوله هاجيا

ان المرابط باخل بنواله * لكنه بعياله يتكرم
الوجه منه مخلق لقبيح ما * يأتيه فهو من اجله يتلثم

وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبي العباس بن حنون الاشبيلي

يا طلعة أبدت قبائح جمة * فالكل منها ان نظرت قبيح
أبعينك الشتراء عين ثرة * منها ترقرق دمعها المسفوح
شترت فقلنا زورق في لجة * مالت باحدى دفتيه الريح
وكأنما انسانها ملاحها * قد خاف من غرق فظل يميح

وهل منكم من حضر مع عدو له جاحد لما فعله معه من الخير وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود المذكور ان كنت شاعرا فقل في هذه فقال ارتجالا وهو ابن مجبر

سأشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بثوب حالك اللون أسحم
نصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب في جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يد منعم

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو أبو جعفر الذهبي

أيها الفاضل الذي قد هداني * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولا زلت نجم هدى لسار
أي برق أفاد أي غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما غدا النسيم دليلي * لم يحلني الاعلى الازهار

وهل منكم أعمى قال في ذهاب بصره وسواد شعره وهو الطليطلي

أما اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عن من وطري
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل في الشعر

وهل منكم الذي طار في مشارق الارض ومغاربها وهو أبو القاسم محمد بن هانئ الالبيري

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت قافيته في النجوم ولولا طولها لانشدتها هنا فانها أحسن ما قيل في معناها

وهل منكم من قال في الزهد مثل قول أبي وهب العباسي القرطبي

أنا في حالتي التي قد تراني * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلي حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لي كسوة أخاف عليها * من مغير ولن ترى لي مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أثنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لي والد ولا مولود * لا ولا حزت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بأمور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبي محمد عبد الله بن العسال الطليطلي

انظر الدنيا فان أبصرتها * شيأ يدوم
فاغد منها في أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على * كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشا عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التي تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه علي

مالابن زيدون على فضله * يغتابني ظلما ولا ذنب لي
ينظرني شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأخصى علي

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية التي تقول

ولما أبي الواشون الا فراقنا * ومالهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والماء والنار

وأنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبي بكر بن بقي ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

وبقول القاضي أبي حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فأنوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وبقوله أيضا

لها ردف تعلق في لطيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم

يعذبني اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وقد أطلت عنان النظم على انى اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله الا ما أخبرتني من شاعركم الذى تقابلون به شاعرا ممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا وأضخم شعرا من أبي العباس الجراوى وأولى لكم أن تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم فى قوله من قصيدة يمدح بها خليفة

اذا كان املاك الزمان أراقما * فانك فيهم دائم الدهر ثعبان

فما أقبح ما وقع ثعبان وما أضعف ما جاء دائم الدهر ولقد أنشدت أحد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوى فسبحان من جعل روحه ونسبه وشعره تتناسب فى الثقالة وان أردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم فى مدة المنصور بن أبي عامر ومدة ملوك الطوائف أخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الامير أبي عبد الله بن مردنيش وانه كان يدفع فى مواكب النصارى ويشقها يمينا ويسارا منشدا

أكرّ على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع يوما فى موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بامور الحرب مشهور بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان زاد فيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض بهلاك نفسه الى هلاكهم فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى والقائد أبو عبد الله بن قادوس الذى اشتهر من شجاعته ومواقعه فى النصارى وحسن بلائه ما صير النصارى من رعبه والاقرار بفضله فى هذا الشان أن يقول أحدهم لفرسه اذا سقاه فلم يقبل على الماء مالك أرأيت ابن قادوس فى الماء وهذه مرتبة عظيمة والفضل ما شهدت به الاعداء ولقد أخبرنى من أثق به انه خرج من عسكر فى كتيبة مجرّدة برسم الغارة على بلاد النصارى فوقع فى جمع كبير منهم فجهد جهده فى الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فجعل يقاتل مع أصحابه فى حالة الفرار الى أن كبا بأحد جنده فرسه وفرّ عنه فناداه مستغيثا فقال اصبر ثم نظر الى فارس من النصارى قد طرف فقال اجر الى هذا النصرانى فخذ فرسه وركض نحوه فأسقطه وقال لصاحبه اركب فركب ونجا معه سالما وأمثال هذا كثير وانما جئت بحصاة من ثبير وأما كرم النفس وشمائل الرياسة فأنا أحكى لك حكاية تتعجب منها وهى مما جرى فى عصرنا وذلك ان أبا بكر بن زهر نشأت بينه وبين الحافظ أبي بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك فى العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية فأجرى ابن زهر يوما ذكره فى جماعة من أصحابه وقال لقد آذانا هذا الرجل أشد أذية ولم يقصر فى القول عند أمير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له أحد عوامهم انى أذكر لك عليه عقدا فيه مخاصمة فى موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته فى ذلك بلغت منه فى النكاية أشد مبلغ فخرج ابن زهر وأظهر الغضب الشديد والانكار لذلك وقال لو كيله أمثلى يجازى على العداوة بما يجازى به

السفل والاوباش وانى أجعل ابن الجد فى حل من موضع انلصام وأمر بان يحمل له العقد ثم قال وانى والله ما أروم بذلك أصالحه فان عداوته شديدة من حسد وأنا أسأل الله تعالى أن يديمها الانها مقترنة بدوام نعم الله على * وان تعرضت الى ذكر البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع ماعيت الحسود كمدا * أما اشبيلية فن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى وتزيين الخارج والداخل وتمكن التمصر حتى ان العامة تقول لو طلب لبن الطير فى اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزة بالمنازه والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره وأخبرنى شخص من الاكياس دخل مصر وقد سألته عن نيلها انه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك أخبرنى شخص آخر دخل بغداد وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لا ناه عن ذلك ولا منتقد مالم يؤد السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته وأهله أخف الناس أرواحا وأطبعهم نوادر وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يتبذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذى ذكره أحد الوشاحين فى موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلنا عروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف ومسلكها الواد أى شرف قد حاز ما شاء من الشرف اذ عم أقطار الارض خيره وسفر ما بمصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا اذ هى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى مصر والشام أيهما رأيت أحسن هذان أم اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين القوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامى والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى بر العدوة من هذا شئ الا ما جلب اليه من الاندلس وحسبهم الدف وأقوال والبرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقى البرابر وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف أخذت من التفضيل باوفر نصيب وأما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام أصحابها بها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون

والربوع وغير ذلك وأما علماؤها في كل صنف رفيع أو وضيع جداً أو هزلاً فأكثر من أن يعدوا وأشهر من أن يذكروا وأما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فالو قسموا على بر العدوة ضاق بهم والكل يسألون خير رؤسائها ورفدهم وما من جميع ما ذكرت في هذه البلدة الشريفة الا وقصدى به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فانها خلوا بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله جعلها أم قراها ومركز فخرها وعلاها اذهى أكبر مدنها وأعظم أمصارها * وأما قرطبة فكرسى المملكة فى القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم فى السؤدد بعلمها وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر هم بقطع شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر فى سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما فى أيدى الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فأخذ فى ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من أعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون فى هذه الحالة لا نؤمنه على حقوق المسلمين لاسيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره فى الدخول فى المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم وبقى مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده وعلى وجهه اثر ذلك فقال ما بالك يا مولاى فقال ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم وننوه عند الناس بهم كأنهم حتى اذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل لا يعيبهم ولا هو مما يزرؤهم صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة وذكر له ما كان منهم فقال يا مولاى أنت أولى الناس بالانصاف ان هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم فى مواضعهم قال لا قال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم اينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة قال صدقت ثم قال وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة فى ذلك تحسم بما يبقى لك فى الصالحات ذكرا قال وما هو قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك خجل ردهم لك وتكون هذه مكرمة ما سبقك اليها أحد فتهلل وجه الحكم وقال الى الى انها والله شنشنة عبشمية وان الذى قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهم عند الانام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عددا فأمر له به فى الحين ونبه قدره بأن أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه الكرومة لا خفاء بعظمها (يبقى الزمان وما بنته مخلد) ثم انه اذا كان له من الغنى ما يكفيه عن

وهل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى

أنا فى حالتى التى قد ترانى * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها * من مغير ولن ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أثنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد ولا مولود * لا ولا حزت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بامور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبى محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها شيأ يدوم
فاغد منها فى أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه على

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
ينظرنى شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأخصى على

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادى آشية التى تقول

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والماء والنار

وأنا أختم هذه القطع المختيرة بقول أبى بكر بن بقى ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتق
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانق
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

وبقول القاضى أبى حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكرقدها فأنوح وجدا * على الاغصان تندب الحمام
وأعقب بينها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وبقوله أيضا

لها ردف تعلق فى لطيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم

والزبوع وغير ذلك وأما علماؤها في كل صنف رفيع أو وضيع جداً أوهزلا فأ كثر من أن يعدوا وأشهر من أن يذكروا وأما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فالو قسموا على برّ العدوة ضاق بهم والكل يسألون خير رؤسائها ورفدهم وما من جميع ماذكرت في هذه البلدة الشريفة الا وقصدي به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فما تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله جعلها أم قراها ومركز فخرها وعلاها اذ هي أكبر مدنها وأعظم أمصارها * وأما قرطبة فكرسي المملكة في القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم في السؤدد بعلمها وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر بقطع شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر في سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضي أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فأخذ في ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من أعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون في هذه الحالة لا نؤمنه على حقوق المسلمين لاسيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره في الدخول في المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم وبقي مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذي ولي الملك بعده وعلى وجهه اثر ذلك فقال ما بالك يا مولاي فقال ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم وننوه عند الناس بهم كأنهم حتى اذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل لا يعيبهم ولا هو مما يرزؤهم صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة وذكر له ما كان منهم فقال يا مولاي أنت أولى الناس بالانصاف ان هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم في مواضعهم قال لا قال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة قال صدقت ثم قال وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة في ذلك تحسم بما يبقي لك في الصالحات ذكرا قال وما هو قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك خجل ردهم لك وتكون هذه مكرمة ما سبقك اليها أحد فتهلل وجه الحكم وقال الي الي انها والله شنشنة عبشمية وان الذي قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهم عند الانام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عددا فأمر له به في الحين ونبه قدره بأن أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه اكرومة لا خفاء بعظمها (بفنى الزمان وما بنته مخلد) ثم انه اذا كان له من الغنى ما يكفيه عن

أموال الناس ومن الدين مايصده عن محارم الله تعالى ومن العلم مالا يجهل به التصرف في الشرع يعة أباحوا له الفتوى والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الاقوال المالكية حتى انهم كانوا لا يولون حاكما الا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسي السلاطين وهي كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها نصر الله على عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبي عامر حين تم له ملك البرين وتوفرت الجيوش والاموال عرض بظاهر قرطبة خيله ورجله وقد جمع من أقطار البلاد ما ينهض به الى قتال العدو ويدوخ بلاده فنيف الفرسان على مائتي ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم من لا يفتر عن محاربة ولا يمل من مضاربة من أسماؤهم باقاصي بلاد النصارى مشهوره وآثارهم فيها مأثوره وقلوبهم على البعد بخوفهم معموره ويحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشي فيها بضوء السرج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الاعظم فقد سمعت أن ثريانه من نواقيس النصارى وأن الزيادة التي زاد في بنائه ابن أبي عامر من تراب نقله النصارى على رؤسهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحى واديها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر عن كنبانيتها وما فضل الله تعالى به تربها من بركة ما ينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جبال الورد الذي بلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يجمعونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقطع غدره وهره وجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة انس وكثرة أمان من الغرق وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارة وبهجة * وأما جيان فانها بلاد الاندلس قلعة اذ هي أكثرها زرعا وأصرمها أبطالا وأعظمها منعة وكم رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولا خلت من علماء ولا من شعراء ويقال لها جيان الحرير لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير ومما يعد في مفاخرها ما بياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفر برا وبحرا وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها ولا يشترى كثرة وما كان بأبدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحماماتها وأرحائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرعت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار ولنسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار استلطاف يروق الطباع ويحدث فيها ما شاء الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم

قوله القرى في نسخة الزوى اه

قوله وأرحائها في نسخة وأرحاها اه

قوله ولو لم الخ جواب لو محذوف أي لكفاها اه

يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيهما من الشواعر مثل نزهون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرهما وحفصة بنت الحاج وناهيك في الظرف والادب وهل ترى أظرف منها في جوابها للحسيب الوزير الناظم الناثر أبي جعفر ابن القائد الاجل أبي مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحور مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم ... عشية وارانا بحور مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة ... اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمرى على الدوح وانثنى ... قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بدا له ... عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه قدرتها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا ... ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا ... ولا صدح القمرى الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذى أنت أهله ... فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه ... لامر سوى كيما تكون لنا رصد

وأما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادى الزائر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرر بطحائها ووشيحه لسورا رياتها ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الربي المنسوب اليها الان اسمها في القديم رية ولقد أخبرت انه يباع في بغداد على جهة الاستطراف وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فاكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بها مرة وأخذت على طريق الساحل من سهيل الى أن بلغت الى بليش قدر ثلاثة أيام متعجبا فيما حوته هذه المسافة من شجر التين وان بعضها ليجتنى جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة وتين بلش هو الذى قيل فيه لبربرى كيف رأيته قال لا تسألنى عنه وصب في حلق بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نعمة حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى سار المثل بالشراب المالقى وقيل لاحد الخلفاء وقد أشرف على الموت اسأل ربك المغفرة فرفع يديه وقال يارب أسالك من جميع ما في الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها تنسج الحلل الموشية التي تجاوز أثمانها الالاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى * وأما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذى خص أهله باعتدال المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والصحبة وساحلها أنظف السواحل وأشرحها وأملحها منظرا وفيها الحصا الملون العجيب الذى يجعله رؤساء مراكش في البراديد والرخام الصقيل الملوكى وواديها المعروف بوادى بجانة من أفرج الاودية ضفتاه بالرياض كالعذار بين حول الثغر حتى أن ينشد فيها

أرض وطئت الدرّ رضراضها ● والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية فقتل وسبى وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منيه كما قال أشجع

فاذا تنبه رعته واذا غفا ● سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة ● وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ما هو معروف مشهور ووادبها قسيم وادى اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدلة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغرده والازهار المتنضده ما قد سمعت وهى من أكثر البلاد فواكه وريحانا وأهلها أكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لاتفتقر فى شئ من ذلك الى سواها وهى للمرية ومالقة فى صنعة الوشى ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلية التى تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال ● وأما بلنسية فانها الكثيرة بساتينها تعرف بمطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متنزهات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هى موصوفة بذلك ومما اختصت به النسيج البلنسى الذى يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب ● وأما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعا ورزقا وماشية وهى على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله ● لا يبتغى أبدا سواه معينا

هذا زان الله تعالى فضلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرنى الآن فى فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلدة منها مملكة مستقلة يليها ملوك بنى عبد المؤمن على انفراد وغيرها فى حكم التبع ● وأما علماؤها وشعراؤها فانى لم أعرض منهم الا لمن هو فى الشهرة كالصباح وفى مسير الذكر كمسير الرياح وأنا أحكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الرئيس الفقيه أبى بكر بن زهر وذلك انى كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمى من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول فى علماء الاندلس وكتابهم

وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم منى أبو بكر بن زهر انى نظرته بنظير المستبعد المنكر فقال لى أقرأت شعر المتنبى قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرنى بقول المتنبى

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراسانى وقلت له قد والله كبرت فى عينى بقدر ما صغرت نفسى عندى حين لم أفهم نبل مقصدك فالحمد لله الذى أطلع من المغرب هذه الشموس وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الى غابر الحقب كملت رسالة الشقندى وهو أبو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدى صحبة أكيدة ومجالسات انس عديدة ومزاورات تتصل ومحاورات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة فى تفضيل الاندلس يعارض بها أبا يحيى فى تفضيل بر العدوة أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع وعذوبة المشرع وكان جامعا للفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعنى بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة وولى قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدى قصيدة فى المنصور وقد نهض للقاء العدو منها

اذا نهضت فان السيف منتهض * ترمى السعود سهاما والعدا غرض
لك البسيطة تطويها وتنشرها * فليس فى كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار * واسأل بربع تنائت عنه أقمار
لا خفف الله عنى بعد بينهم * فاننى سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

الا رعى الله ظبيا فى قبابهم * منه لهم فى ظلام الليل أنوار

وله

عللانى بذكر من همت فيه * وعدانى عنه بما أرتجيه
واذا ما طربتما لارتياحى * فاجعلا خمرتى مدامة فيه
ليت شعرى وكم أعلل الامانى * أى يوم فى خلوة التقيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى * قال لى أين كل ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فماذا * شاهد عنك بالذى تدعيه
قلت دعنى أمت بدائى فانى * لو برانى الغرام لا أبديه

وقال فى عواده لما مرض

انى مرضت مرضة * اسقطت منها فى يدى
فكان فى الاخوان من * لم أره فى العود
فقلت فى كلهم * قول امرئ مقتصد

قوله بياسة فى نسخة بلنسية اه

قوله تدعيه فيه مع ما قبله ما لا يخفى من عيوب القافية تأمل اه مصححه

أبر الذى قد عادنى * فى است الذى لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدنى والدى للحافظ أبى الطاهر السلفى قال وكفى به شاهدا وبقوله مفتخرا

بلاد اذربيجان فى الشرق عندنا * كاندلس بالغرب فى العلم والادب

فما ان تكاد الدهر تلقى مميزا * من اهليهما الا وقد جد فى الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقى أبا نواس قال له أنشدنى لابى الاجرب قال فأنشدته ثم قال أنشدنى لبكر الكنانى فأنشدته وهذان شاعران من شعراء الاندلس واعلم اننا ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ما عداه (يكفى من الحلى ما قد حف بالعنق) ولنبدأ بما نسوقه من اخبار الاندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم فى الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران المارتلى وكان سكن اشبيلية

لا تبك ثوبك ان أبليت جدته * وابك الذى أبلت الايام من بدنك

ولا تكونن مختالا بجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك

ولا تعفه اذا أبصرته دنسا * فانما اكتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليحصبى اللوشى

شرد النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما

فحرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار فى الذى * يتمنى من حراك وسكون

انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكون

وقال أبو وهب القرطبى

قوله القرطبى فى نسخة القرضى اه

تنام وقد أعدلك السهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

وتصبح مثل ما تمسى مضيعا * كانك لست تدرى ما المراد

أتطمع أن تفوز غدا هنيئا * ولم يك منك فى الدنيا اجتهاد

اذا فرطت فى تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التى أولها أنا فى حالتى الى آخره وجدت فى تركته بخطه فى شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال فى الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان فى أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه ويرمونه بالحجارة و يصيحون عليه يا مجنون يا أحمق فيقول

يا عاذلى أنت به جاهل * دعنى به لست بمغبون

أما ترانى أبدا والها * فيه كمسحور ومفتون

أحسن ما أسمع في حبه * وصفي بمختبل ومجنون

وقال الخطيب أبو محمد بن برطلة

بأربعة أرجو نجاتي وانها * لاكرم مذخور لدى وأعظم
شهادة اخلاصي وحبي محمدا * وحسن ظنوني ثم اني مسلم

وقال ابن حبيش

قالوا تصبر عن الدنيا الدنية أو * كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لابد من أحد الصبرين قلت نعم * الصبر عنها بعون الله أوفق لي

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما سيهلكها فليس بمشفق

وقال أبو محمد القرطبي

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها * لسكانها الا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها * ولكنهم قدا ولعوا بمجاز

وقال الشميس

لله في الدنيا وفي أهلها * معميات قد فككناها
من بشر نحن فمن طبعنا * نحب فيها المال والجاها
دعني من الناس ومن قولهم * فانما الناس أخلاها
لم تقبل الدنيا على ناسك * الا وبالرحب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها * من صرفت عنه محياها

قوله الشميس في نسخة السميسر اه

وقال أبو القاسم بن بقي

الا انما الدنيا كراح عتيقة * أراد مديروها بها جلب الانس
فلما أداروها أثارت حقودهم * فعاد الذي راموا من الانس بالعكس

وقال أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي

انظر الدنيا فان أبصرتها شيأ يدوم
فاغد منها في أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبي

وأبى المدامة لا أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهي
لم يبق من عهد الشباب وطيبه * شيء كعهدي لم يحل الاهي
ان كنت أشربها لغير وفاتها * فتركتها للناس لا لله

وقال أبو محمد بن السيد البطليوسي مما نسبه اليه في المغرب

أخو العلم حي خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

وقال أبو الفضل بن شرف

لعمرك ما حصلت على خطير * من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا * أقلب نادما كلتا يديا
وأبكي ثم أعلم أن مبكا * ي لا يجدي فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكي عليا
وان الدهر لم يعلم مكاني * ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا * اذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بأنني سأعيش ميتا * به ويسوءني ان مت حيا

وقال الزاهد العارف بالله سيدي أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمي ومن نفسي
فن رسولي الى قلبي ليسألهم * عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادي فما يندى ولو وطئوا * صخرا الجاد بماء منه منبجس
وفي الحشا نزلوا والوهم يخرجهم * فكيف قروا على أذكى من القبس
لانهضن الى حشري بحبهم * لا بارك الله فيمن خانهم ونسي

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن يتبرك به في تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من أهل المرية وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به * واعلم ان أهل الاندلس كانوا في القديم على مذهب الاوزاعي وأهل الشام منذ اول الفتح ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك برأي الحكم واختياره واختلفوا في السبب المقتضي لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمناه ذلك وقيل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكابد لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما ماهو مشهور في كتب التاريخ فقال الامام مالك رضي الله تعالى عنه لذلك المخبر نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فنميت المسئلة الى ملك الاندلس مع ماعلم من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي والله تعالى أعلم * وحكي أن القاضي الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور لما ندبه أهل الامر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فأنشد

عليكم سلام الله اني راحل * وعيناي من خوف التفرق تدمع

فان نحن عشنا فهو يجمع بيننا * وان نحن متنا فالقيامة تجمع

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ولا أدرى هل هى له أو لغيره

كنا نعظم بالآمال قدركم * حتى انقضت فتساوى عندنا الناس

لم نفضلوا بشئ غير واحدة * هى الرجاء فسوّى بيننا الياس

وأنشد أيضا

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم أجد * كما اشتهى منهم صديقا وصاحبا

فصوّبت رأيى فى فرارى منهم * وشمرت اذيالى وأمعنت هاربا

وأنشد لغيره فى الكتمان

أخفى الغرام فلا جوارحه * شعرت بذاك ولا مفاصله

كالسيف يصحبه الحسام ولم * يعلم بما حملت حمائله

وأنشد

قد كنت أمرض فى الشبيبة دائما * والموت ليس يمرّ لى فى البال

والآن شبت وصحتى موجودة * وأرى كأن الموت فى أذيالى

ولما أنشده تاج الدين بن حموية السرخسى الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر

فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

قال حسن جيد ولكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلى وأنشد

أثرنى لكشف الخطب والخطب مشكل * وكلنى لليث الغاب وهو هصور

فقد تخفض الاسماء وهى سواكن * ويعمل فى الفعل الصريح ضمير

وتنبو الرديئيات والطول وافر * ويبعد وقع السهم وهو قصير

وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافرى أحد وزراء الاندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة لم ير بعده مثله فى رجال الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا فى الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا كثير الخدم والاهل ومن آثاره الحسان بحوفى الجامع الاعظم من غرناطة وزاد فى سقف الجامع من صحنه وعوّض أرجل قسيه أعمدة الرخام وجلب الرؤس والموائد من قرطبة وفرش صحنه بكذان الصخر ووجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها فلما حلها سأل قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممن ضعفت حاله وقل تصرفه من ذوى البيوتات فاستعملهم امناء ووسع أرزاقهم حتى كمل له ما أراد من عمله ومن عجز أن يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد أنعش خلقا رضى الله تعالى عنه ورحمه ومن شعره فى مجلس أطربه سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لا تلمنى بأن طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

وخلف غلام من غلمانه توارة ومد بها يده الى أبى نصر الفتح بن عبيد الله فقال أبو نصر

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجئ على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير ترو ياسيدى جرت الايام بفراقك وكان الله جارك فى انطلاقك فغير لدوع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كانك والله يختار لك ماتأتيه وماتدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع أن يعتدك من العوارى السريعة الارتجاع فلا يأسف على قلة الثوى وينشد وفارقت حتى لا أبالى من أهوى ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدى المعتمد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفى آثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال قوله سنة ٥١٨ فى نسخة سنة ٥٢٨ اه

علقت جانك الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبى الوليد البطليوسى المشهور بالنحلى وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فأجاب النحلى لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى دعص النقا * والتف فى ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعز جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعناله صرف الزمان الجائر
واذا لمحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أو معنا كنت فقال له ياقاتل المحل أماتلوت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما ثملا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلى معه فجاء وقعد فى مسلخ الحمام حتى يستأذن عليه فجعل المعتمد يحبق فى الحمام وهو خال وقد بقيت فى رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز اللوز القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النحلى فصادفه فلما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول مارتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبى اذا ظفرت منك العيون بنظرة الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فأمر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال

قد صار عندهم عنقاء مغربية * أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربية وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال نعم قال قد أمرنا لك بألف دينار وبألف دينار أخرى تنفقها * وذكر القرطبي صاحب التذكرة في كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا أن الامام أبا عمر بن عبد البر رضي الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر أكلي * لطعام الامراء

أنت من جهلك هذا * في محل السفهاء

لان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين في العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال عبد الله بن مسعود وكان قدم علي عليه الرجل سأله فقال ان لي جارا يعمل بالربا ولا يجتنب في مكسبه الحرام يدعوني الى طعامه أفاجيبه قال نعم لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشيء بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبي ذكي وكان الشعبي وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بني عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعي وسائر علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وابان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب في جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعي وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثوري مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب الي من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير وقد جمع الناس فيه أبوابا ولاحمد بن خالد فقيه الاندلس وعالمها في ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه في قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناض وله ولمثله في بيت المال حظ والمسؤل عن التخليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشيء بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه في علم الشيء بعينه حراما مأخوذا من غير حله كالجزية وغيرها وشبههما من الطعام أو الدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء المتعينة غصبا أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذي لم يختلف أحد في تحريمه وسقوط عدالة آكله واخذه وتملكه وما أعلم من علماء التابعين أحدا تورع عن جوائز السلطان الا سعيد ابن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مثلا في التورع وسلك سبيلهما في ذلك أحمد بن حنبل وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم أجمعين والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها أن يحرم ما أباح

الله

الله تعالى منها والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندى كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين له من أنتم فقالوا من أهل الكوفة فقال تسألونى عن هذا وأنتم قتلتم الحسين ابن علىّ رضى الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموّله وروى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموّله وروى أبو سعيد الخدرىّ وجابر بن عبد الله عن النبىّ صلى الله عليه وسلم معناه وفى حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفى لفظ بعض الرواة ولا تردّ على الله رزقه وهذا كله مبنىّ على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشئ المحرم بعينه فانه لا يحلّ له المسئلة من كلام ابن عبد البرّ انتهى * وحضر ابن مجبر مع عدوّ له جاحد لمعروفه وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا سأشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت فى رسالة الشقندىّ رحمه الله تعالى وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرىّ كان فى وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوّة عارضته وسلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا وبعدت على قربها منالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبى عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح

ان خير الفتوح ما جاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوىّ حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها وقال يا سيدنا اهتدم بيت وضاح خير شراب ما كان عفوا كأنه خطبة ارتجالا فبدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسرّ أبو مجبر بجوابه وعجب الحاضرون * ومرّ المنصور أيام امرته بأوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن مجبر * ومن شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه ١٢

له حلبة الخيل العتاق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه * وان جرّدوه فى ملاءته التفا
وأبلق أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاذ حازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مج الراح صرفا أديمه * وأصفر لم يمسح بها جلده صرفا
وأشهب فضىّ الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطط الراهى بمهرق كاتب * فجرّ عليه ذيله وهو ما جفا

تهب على الاعداء منها عواصف * ستنسف أرض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتمترى * أظبيا ترى تحت العجاجة أم طرفا
وقد كان فى البيداء يألف سربه * فربته مهرا وهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * على ماأردت الجرى أعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها أنشد فى ذلك الشعراء فقال ابن مجبر من قصيدة أولها

أعلمتنى ألقى عصا التسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

الى أن قال

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكأنها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوءة * فكأنها سر من الاسرار
وكأنها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
يبدو وتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات للاقمار

وممن روى عنه أبو على الشلوبين وطبقته وتوفى بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ٥٣ سنة رحمه الله تعالى * وقد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية بأتم مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب المنصور والموحدى قال كانت لابى بكر بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوه اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشد قصيدته التى أولها أعلمتنى ألقى عصا التسيار واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الخ فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله تعالى وارث الارض ومن عليها * ومن نظم ابن مجبر أيضا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ولد أعنى لابن مجبر

ولد العبد الذى انعامكم * طينة أنشئ منها جسده
وهودون اسم لعلى أنه * لايسمى العبد الا سيده

وقوله

ملك ترويك منه شيمة * أنست الظمآن زرق النطفة
جمعت من كل مجد فحكت * لفظة قد جمعت من أحرف
يعجب السامع من وصفى لها * ووراء العجز مالم أصف

لو اعاد

لو أعار السهم ما في رأيه * من سداد وهدى لم يصف
حمله الراجح ميزان الهدى * بين الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكنني * أعجب من بين لنا يقدر
كأننا في فلك دائر * فأنت تخفى وأنا أظهر

وهما الغاية في معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلي

اذا اشتغفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عزمن وطري
فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكرّ على ما طلّ في الشعر

وقال القاضي أبو حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
واذكر قدها فأنوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
فأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب بزاة لحمام الحمام
كأنما الايدي قسي لها * والطير أهداف وهنّ السهام

وقال أخوه أحمد

قوله أحمد في نسخة محمد اهـ

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه
وانظر الى الايكة في برده * ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره * كغادة تشمر عن ساقه

وقال أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أمية البلنسي

اذا كان ودّي وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم
ومن أضيع الاشياء ود صرفته * الى غير من يحظى لديه ويكرم

ومن حكايات أهل الاندلس في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ما حكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرني من أثق به عما هذا معناه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الفنت تحف بها مروج مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور النوّار في زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها ووليها وجاءتها في زاهر ملبسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم الدر النوّار قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزري على مداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهز بنواعس الاجفان وقد نووا الانفراد للهو والطرب والتنزه في روض انبات

والادب وبعثوا احبالهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه فى لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من أول الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قمعال النبيذ الذى كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا حتى خفى عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وعدوانه والخطب والوانه ردخوله بطوارق المضرات على تمام المسرات وتكديره الاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه * ونأمن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفى يوم وما أدراك يوم * مضى قمعالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار

هما اخترتا راح وروح * تكسرتا فاشقاف وجيفه

وذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر بن المنصور بن أبى عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسهر فى خدمتهم الى أن همّ جند الليل بالانهزام وأخذ فى تقويض خيام الظلام وكانت تسمى أسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدى أسماء من نديم * ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها * وهى لعمرى من العجائب
قالوا تجافى الرقاد عنها * فقلت لا ترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضى ابن ذكوان فجئ بباكورة باقلا فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الامن وصفها فقال ابن شهيد أنا لها وارتجل

ان لا اسلك أحدثت صلفا * فاتخذت من زمرد صدفا
يسكن ضراتها النصورو ذى * تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلحف الجبال فاتخذت * من سندس فى جنانها لحفا
شبهتها بالثغور من لطف * حسبك هذا من رمز من لطفا
حاز ابن ذكوان فى مكارمه * حدود كعب ومابه وصفا
قدم در الرياض منتخبا * منه لافراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب * والدول يرواه كل من ظرفا
وخص فيه شيخ له قدر * فكان حسبى من المنى وكفا

قوله قمعال الخ الذى فى القاموس ان القمعال بالكسر سيد القوم ورئيس الرعاة فلا يناسب ما هنا وانما المناسب قعول أو قعل كقنفذ فانه فسره بالقدح الضخم اه مصححه

وقال ابن بسام ان جماعة من اصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا أبا عامر انك لا تأتى بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتى منك هازلعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زبدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كانت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
منتقد الجانبين ماض * كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى * والحد من دونها فليل
فالشد فى امرها فسيح * كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى * وطاردت وصفه العقول
كأنما بابه أسير * قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا * بحردم تحتنا يسيل
كأن أخفافنا عليه * مراكب مالها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى * فهل على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطرائفيين وبين يديه زنابيل ملأى خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال له لا أتركك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيأ فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك يا خليلى * قنافذ اتباع فى زنبيل
من خرشف معتمد جليل * ذى أبرتنفذ جلد الفيل
كأنها أنياب بنت الغول * لو نخست فى است امرئ ثقيل
لقفزته نحو أرض النيل * ليس يرى طى حشاه منديل
نقل السخيف المائق الجهول * وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى * ولا طعمتها على شمول انتهى

قوله لقفزته فى نسخة لقذفته اه

وقال فى بدائع البدائه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بدا خط عذاره فى صحيفة خده وكمل حسنه باجتماع الضد منه مع ضده فكأنه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدى أن تبدى عذاره * وثم خان القلب منى اصطباره
وقد كان ظنى أن سيمحق ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره

فأظهر ضد ضده فيه اذ وشى * بعنبره في صفحة الخد ناره
واستزاده فقال

محيت آية النهار فأضحى * بدرتم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نورا الى أن * شغل الله خده بالعذار

وصنع أيضا

عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها في عمى
ولولم يجن النهار الظلام * لم يستبن كوكب في السما

وصنع أيضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله * في أن يكنفه سماء أزرق انتهى

وحكى الحميدي وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلساء الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه في يوم ذي غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزي كريم الاخلاق فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا فقال عقار تنفد الدنان ويؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى له عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فاستضحك الامير ثم أمر براتب الغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام أن يلح في سقيه ويؤكد عليه فلما أكثر رفع رأسه اليه وقال على البديهة

ياحسن الوجه لاتكن صلفا * ماالحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثى لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وأمر له ببدرة ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهى * قلت أذكرتني هذه الحكاية ما حكاه علي بن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن أيوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه في رسالة فجعلني بين سمعه وبصره وأنزلني في بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبتي أو ارادة الحديث معي فلم أشعر في بعض الليالي وأنا نائم في فراشي الا به وهو قائم على رأسي والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حواليه وقد حف مماليكه به وكأنهم الاقمار الزواهر في ملابس كالرياض ذات الازاهر فقمت مروعا فأمسكني وبادر بالجلوس الى جانبي بحيث منعني عن القيام عن الوساد وأبدى من الجميل ما أبدلني بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبني الشوق اليك ولم أرد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان في مجلسه من خواص القوالين فحضروا وأخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد جذاذا وكان له في ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه وواسطتا در سلكه وقطبا فلك طربه ووجده وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان في خدمته فحضر أحدهما في تلك الليلة وغاب الآخر وكان

كثيرا ما يذاعبني في أمرهما ويستجلب مني القول فيهما والكلام في التفضيل بينهما فقلت للوقت

يا مالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفديك أنفسنا * في الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر في الحال باحضار الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة في وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لي * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا باتت الانوار فيه * تعاون في مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس بجود ماء * فتحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصون نامن قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلي فيه يشدو * فينسي النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن أيوب المرجى * اذا ما ضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فما شمس تقاس الى نجوم * تحاكي قدره بين الكرام
فدام مخلدا في الملك يبقى * اذا ما ضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفي ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لي انتهى * ولابن ظافر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطري الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أني كنت في خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشي والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون في الخدمه مرتضعون لافاويق النعمه فحضرت في جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل المعسكر الا حضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فحين غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر في دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفي الدين أبي محمد عبد الله بن علي وزير دولته وكبير جملته وهو مفضوض الختام مفكوك الفدام ففتحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه ويستحثه على عود ركابه الى بلاد الشام للمشاغرة بها وقع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جمرها

وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغر ثم رجع اليها والابيات

اروى رماحك من نحور عداكا * وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالسعالى شزبا * واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميدع * يفرى بعزمك كل من يشناكا
واسترعف السمر الطوال ورقها * واسق المنية سيفك السفاكا
ومر الغداة الى العداة مبادرا * بالضرب فى هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها * مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالعز فى نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وتدفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر فى الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكاس الذى رواكا
والعجز أن تضحى بمصر راهنا * وتحل فى تلك العراص عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقة * شغفا ولاحر البلاد هناكا
وانهض الى راجى لقائك مسارعا * فمناه من كل الامور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤياكا
واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك الملوك وقارن الافلاكا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة * وجعلت من كل الامور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلى منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذ الناس فى الاستحسان لغريب نظامها وتناسق التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم بديع أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان نريد من يجيبه عنا بأبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا عن يمينه وقال يا مولانا ما لها الا فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه الى وعمد الى دواته فادارها بين يدى فقال له السلطان أهكذا على مثل هذا الحال وفى مثل هذا الوقت فقال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى هنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد فقمت وقد فقدت رجلى انخذالا وذهنى اختلالا لهيبة المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بى فما هو الا أن جلست حتى ثاب الى خاطرى وانثال الكلام على سرائرى فكنت أتوهم أن فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها منسره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحر نار ذكاكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب رؤ * ياه شفتني مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم فلم لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندي وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية في جاه طعن قناكا
يكفي الاعادي حر بأسك فيهم * أضعاف ما يكفي الولي ندا كا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أم البلاد علا عليها قدرها * لا سيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهي قد * حوت المعلى في القداح أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وامنع غيرها سقياكا
مكثي جهاد للعدو لانني * أغزوه بالرأي السديد دراكا
لولا الرباط وغيره لقصدت بال * سير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحثني شوقي الى لقياكا
اني لامنحك المحبة جاهدا * وهواي فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بي وبباسك الس * امي وكل مملك يخشاكا
لازلت تقهر من يعادي ملكنا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أبصر ابنك الباقي أبا * وتعيش تخدم في السعود أباكا

ثم عدت الى مكاني وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآني السلطان قد عدت قال لي هل عملت شيأ ظنا منه أن العمل في تلك اللمعة القريبة معجز متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بي الظنون وترقبوا مني ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدي اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بأنه المعلى في البنين اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه دمعا لذكره وابان صمته مخفي المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له وعند حصولها في يده قام من غير اشعار لاحد مبادرا من ارادة القيام في خلده سترا لما ظهر عليه من الرقة على الموالي الاولاد وكتما لما عليه من الوجد بهم والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذي غرر بي وخاطر بي بالتعريض له أشياء كان يقترحها علي فانفذ فيها من بين يديه ويحذف الامر منها على لداتي

عليه منها أنى كنت فى خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماه وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد جواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الى وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه فى صدر الجواب واذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال فقال نعم فقلت بقدر ما انجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فدينك هب للناس فضلا يزينهم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنحهم من العلم والحجا * كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذى * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتى به جل أو قلا
فلا زلت فى عز يدوم ورفعة * تحوز شامها الوعر والسهلا انتهى

ووقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط انه دخل فى أصحاب له يعودون صاحبا لهم وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكانما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فأشار الحاضرون الى وصفها فقال بديها

أبدعت يا ابن هلال فى فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجبا لامواه الدساتير التى * فاضت على نارنجها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد انتهى

ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندرى رحمه الله تعالى اذ قال دخل الاعز ابو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الىزارى فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجمد نهره وألبسه من سلخ الافاعى ردا وجسمه ردى لا يمنع من برقه بدرجن ولا ثريا مغفر ولا يسلم من حده من ثبت ولا ينجو لطوله من فر فهو يبكى للنفاق ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك وأمره بصفة شانه فقال على لسانه

أروق كما اروع فان تصفنى * فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال عن مدافع

وقال أيضا فيه

ورب يوم له من النقع سحب * ما لها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى * فكانى فى راحة الشمس برق

وقال ايضا فيه

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع
فكانما استعملت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال ايضا فيه

انظر لمطرد المياه بصفحتي * ولنار حدي كم بها من صال
قد عاد شدي في المضايق شيمتي * كبلال بن مدافع بن بلال

وساله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كتمت دياجي الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص في بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الضحى * حسنا ويسري في الدجى الفاحم
وكلما قلب في لمة * أضحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر في دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهي شمس تحت سحاب النقاب وغصن في أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت الظبي المذعور أفرقه القانص فهرب وتتثنى تثني الغصن الممطور عانقه النسيم فاضطرب فسألوه العمل في وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدي القيرواني

أعرضن لما أن عرضن فان يكن * حذرا فأين تلفت الغزلان

ثم صنع

لها ناظر في ذري ناضر * كما ركب السن فوق القناة
لوت حين ولت لنا جيدها * فأي حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبي من قانص * فر وكرر في الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعنا
كملت محاسنها فود البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو يعنا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لي متى
قالت انا الظبي الغرير روانما * ولي وأوجس نبوة فتلفتا

قال علي بن ظافر وحضر يوما عند بني خليف بظاهر الاسكندرية في قصر رسا بناؤه وسما وكاد يزاحمه أنواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثناياه شرفاته واتسمت بالحسن حناياه غرفاته وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها وحبته الرياض بما اتحفتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره في زبرجد كرومه والجو قد بعث بذخائر الطيب لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والطل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم وسحائبه والبحر

قوله العطار في نسخة ابن القطان اهـ

بعد غيظا من عبث الرياح به فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذى تمت محاسنه وغبط به ساكنه فجاشت لذلك لجج بحره وألقت اليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بعدوة جنة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام فى ارض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه * فافتر عن نور يروق ونور
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمنثور
والرمل فى حبك النسيم كأنما * أبدى غصون سوالف المذعور
والبحر يعدمتنه فكانه * درع تشن بمعطفى مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * فى الافق بين كواكب وبدور
وكذا الدهر بنى خليف لم يزل * يثنى المعاطف فى حبير حبور

ثم قال ابن ظافر وأخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الاسكندرى النحوى بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس فى جماعة فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصرى وهو راجع من المكتب ومعه دواته وهو فى تلك الايام قرة العين ظرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقه والمشهد خديه بخلوق الخجل مخلقه فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط معتكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * ءلعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا فى يديه
لم أدر ما أشكو اليـ * ـه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسنى على * أنى ألكع سيبويه
مالى اذا أبصرته * شغل سوى نظرى اليه

انتهى

وقد آن وقت الرجعة الى كلام الاندلسيين الذى حلا وأبعدنا عنه بما مر النجعة فنقول ذكر الفتح فى قلائد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه أخبرنى الوزير أبو عامر بن بشتغير انه حضر مجلس القائد أبى عيسى بن لبون فى يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تطلع فى أكفها كالورد فى السوسان وتغرب بين اقاحى نجوم الثغور فتستذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقى وهو يومئذ قد بذل الجهد فى التحلى بالزهد فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك مجلا فانشد أبو الحسن مرتجلا .

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبذل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أومى الى بكاسه فكدفتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لاخذت فى تلك السبيل بأخذى * فيما مضى ونزعت فيها منزعى انتهى

وحكى الحميدى أن عبد الملك بن ادريس الجزيرى كان ليلة بين يدى الحاجب بن أبى عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمى عنى اليه * لراجعنى بتصديق جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوى صاحب كتاب الفصوص وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبى عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبى عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور فى يوم برد وكان أخص وزرائه به بهذه الابيات

أما ترى برد يومنا هذا * صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا * نغذ سير اليك اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالى أبا العلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا
مادام من أرملاط مشربنا * دع دير عمى ودير بابا ذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فأمر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد فى محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا فى شأنهم فى يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فاقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هاك شيخا قاده عذر لكا * قام فى رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغى ملكا
أنا لو كنت كما تعرفنى * قمت اجلالا على رأسى لكا
قهقه الابريق منى ضاحكا * ورأى رعشة رجلى فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادى يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره

الى المنصور فاستطيعه فلما رأى ابن شهيد يرقص قاعماً مع ألم المرض الذى كان يمنعه من الحركة قال لله درك يا وزير ترقص بالقائمة وتصلى بالقاعدة فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادى * وقال ابن بسام حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد وقد ابتدأت به علته التى مات بها فانس بى وجرى الحديث الى أن شكوت له تجنى بعض أصحابى على ونفاره عنى فقال لى سأسعى فى اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائى لذلك المتجنى على مع بعض أصحابى وأعزهم على فلما رآنى ذلك الصديق موليا عنه أنكر عليه وسأله عن السبب الموجب فأخبره وزادا فى مشيهما حتى لحقابى وعزم على فى مكالمة صاحبى وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبى عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من كان الذى تولى اصلاح ما كاسر ربابفساده قلنا قد كان ما كان فأطرق قليلا ثم أنشد

من لا اسمى ولا أبوح به * اصلح بينى وبين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى قدرى * كيف يداوى مواقع البلوى
ولى حقوق فى الحب ثابتة * لكن الى بعدها دعوى

وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من غرائب أبى عامر بن شهيد فى مواضع متفرقة الغرائب وقدمنا فى الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة فى رمضان لجامع قرطبة وحكيناها هنالك بلفظ المطمح فلتراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين من رمضان فمرت امرأة به من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفها وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف بالدرارى فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقد رمقوا ذلك الظبى بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تختطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا

وناظرة تحت طى القناع الخ ومرت فى الباب الرابع هذه الابيات * وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لما نعيت أبا عامر بن شهيد الى أبى عبد الله الخياط الشاعر وكان قد عرف ما بينهما من المنافسة فبكى وأنشدنى لنفسه بديهة

لما نعى الناعى أبا عامر * أيقنت أنى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فابرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب المطرب من الدك وحضر أيضا هنالك لاعب مصرى ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد

كذا فلتلح قرار زاهرا * وتجنى الهوى ناظرا ناضرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لنا هاميا هامرا
وان ليومك ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا

صباح اصطباح باسفاره * لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤس * فمازال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنا فتنا * وأحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فننظر ما يذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سرباله * فننظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطنا * وباطنها ينثني ظاهرا
وشاه ثان لا لعابه * دقائق تثني الحجا حائرا
وفي سورة الراح من سحره * خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فما الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن دريد بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشى ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكأنه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت في سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

ياشمعة تحملها أخرى * كأنها شمس علت بدرا
امتحنت احدا كما مهجتي * بمثل ما تمتحن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديها

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ما تضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على نمرقة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لا تسعنا فقال ما ذكر * وقال ابن بسام أيضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم في ذلك فقال ابن عبد الدائم فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفي الحق أن تحكي سرافيل نافخا * وامكث في رمس الصدود وألبث
عسى الذي الحسن تأتي بآية * فتنفخ في ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فمر عليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

قوله ذي الحسن في البدائع خيار الناس وهو الا... باسمه والاول أنسب بقوله بآية اه مصححه

لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى أوتار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

قال وكان يوما مع لمة من أهل الادب فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه تماجنا فقال ابن فرج

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهى به من كثرة الاعجاب
أومى به من فيه ثم رمى به * فكأنه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب أبو الحسن بن حصن الاشبيلى الى وادى قرطبة فى نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب * عروس من الحسن مخدونه
غدا النهر عقدا لها والطود تاجا * حلى الشمس أعلاه ياقوته انتهى

وعبر بعضهم وهو صاحب بدائع البدائه عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقاربها فى المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فما تكاد عين الشمس أن تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح مائه من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهاله وأحاطت به احاطة الطفاوة بالغزاله وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا تصيد الصوارم وقدودا للهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حسراى والطرب استهواه وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى فأبدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السرور به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به فانقاد على ملك * بذا لا وانثل فى أيامه الاخر
هو الامام المستعين حوى * علياء مؤتمن فى هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ود ولى خلته زهر * يذكو بهجته أبهى من القمر انتهى

حسراى فى نسخة من البدائع حداى اه

قوله السرور فى البدائع السعد اه

ثم قال

ثم قال ما معناه وقوله نينان غير معروف فان نونا لم يجئ جمعها على نينان وقد كان سيبويه لحن بشار بن برد فى قوله فى صفة السفينة

تلاعب نينان البحور ربما * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيره بشار بنينان البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان فى البر عسل * وهن مع النينان فى البحر عوم انتهى

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضئ بالله سليمان بن هود الجذامى رحم الله تعالى الجميع * وغير المذكور عن قضية ابن وهبون فى هلال شوال ما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويزرى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بأنقاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

ياهلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى

هبك تحكى سناه خدا بخد * قم فجئنى لحسنه بمثال انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا الموضع بلفظ الفتح فى القلائد ولكنا أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها محاكيا الطريقة * وذكر ابن بسام أن الوزير أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جئناك للحاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان فى بوس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق * أقل ذميمه النزق

اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

وهو تمليح مليح سامح الله تعالى الجميع * وقال أبو جعفر الكاتب القرطبى الربضى

وأبى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الا هى

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وبعضهم نسبها لابى القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاول * وقال أبو جعفر المذكور فى فوارة رخام كلفه وصفها والى قرطبة

ما شغل الطرف مثل فائرة * تمج صرف الحياة من فيها

أشرب بها والحباب فى جذل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تضمنها * تخطفها العين اذ توافيها

كأنها درة منعمة * زهر اقذاب نصفها فيها

ومن شعره أيضا

ضحك المشيب براسه * فبكى بأعين كاسه

وجل تخونه الزما * ن ببؤسه وبباسه

قوله القبطرنة فى نسخة من البدائع القبطرية وقوله ويزرى فيها ويزرى اهـ

تجري على غلوائه * طلق الجموح بناسه
أخذا باوفر حظه * لرجائه من ياسه

وقال أحد بني القبطرنة الوزراء

ذكرت سليمى ونار الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت قدّ القنا مشبها * وقد ملن نحوى فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به * وقال أبو الحسن بن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على خرير ماء أجز شربنا على ماء كان خريره

فقال مبادرا بكاء محب بان عنه حبيبه

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيب

وكتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الاخير منهما

خليلي أبا بحر وما رقّ فى الصبا * بأعذب من قولى خليلي أبا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته * تأمّل على مجرى المياه حلى الزهر

فأجازه

تأمّل على مجرى المياه حلى الزهر . كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الا فى مجاج زجاجة * ولا العيش الا فى صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقال ابن خفاجة أيضا

وأسود يسبح فى لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها فى شكلها مقلة * وذلك الاسود انسانها

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون الى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز اثر صدوره عن بلنسية

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو * لا فهي تعبق فى الشميم
أفضيض مسك أم بلنسية لرياها نميم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الاله ه نداء مغلوب الغريم
ان عيل صبرى من فرا * قك فالعذاب به أليم
أو أتبعتك حنينها * نفسى فأنت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالصبا * سرى فبرّح بالسليم

مهما ذممت غازما * نى فى زمانك بالذميم
زمن كالوف الرضا * ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم أن حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى بأى خلال سر * ك فيك أقبل أو أهيم
أبجدك العمم الذى * نسق الحديث مع القديم
أم طرفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الجما * م وبشرك الغض الجميم
ان أشمت تلك الطلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كاللآ * لى من نثير أو نظيم
ابلاغة ان عداها * لوها فأنت بها زعيم
فقر تسوغ بها المدا * م اذا يكررها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى فيك لا بل أستديم
فلقد أقر العين أنك غرة الزمن البهيم
حسبى الثناء بحسن بر * ك مابدا برق وشيم
ثم الدعاء بأن تهنأ طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغنه فغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يفى مجلسا فصنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمر يبهج الانفسا
وبعد ذا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى النور بها والرضا * ووقى الاسواء والابؤسا
ودام عباد لعضد الهدى * يحرس حتى يفنى الاحرسا
معتضد بالله احسانه * جم اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الندى المقتنى * من كل مجد علقه الانفسا
ان رام يوما وصف عليائه * مفوه مقتدر أخرسا
لا زال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الاكؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجدد فقده الانفس

فان خلال أبي عامر * بها يحقر الورد والنرجس

وكتب الى الوزير أبي المعالي المهلب بن عامر يستدعيه

طابت لنا ليلتنا الخاليه * فلتتبعها هذه الثانيه
أبا المعالي نحن في راحة * فانقل الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب * عنا فزرنا كي ترى حاليه
أنت الذي لو نشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وكتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا

تباعدنا على قرب الجوار * كما اصطدنا شطا المزار
تطلع لي هلال الهجر بدرا * وصار هلال وصلك في سرار
وشاع شنيع قطعك لي بوصلي * فهلا كان ذلك في استتار
أيجمل أن ترى عني صبورا * فاصبح مولعا دون اصطبار
وكنت أزيد سمعك من عتابي * ولكن عاقني فرط انكسار
فراع مودّتي واحفظ جواري * فان الله أوصى بالجوار
وزرني منعما من غير أمر * وآنس موحشا من عقر داري

فكتب اليه ابن زيدون

هواي وان تناءت عنك داري * كمثل هواي في حال الجوار
مقيم لا تغيره عواد * تباعد بين أحيان المزار
ورأيتك قلت ان الهجر بدر * متى خلت البدور من السرار
ورابك أنني جلد صبور * وكم صبر يكون عن اصطبار
ولم أهجر لعتب غير أني * أضرت بي معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها خمار * يبرح بي فكيف مع الخمار
وهل أنسى لديك نعيم عيش * كوشى الخد طرز بالعذار
وساعات يجول اللهو فيها * مجال الظل في حدق النهار
وان يك قرّ عنك اليوم جسمي * فديت فما القلب من قرار
وكنت على البعاد أجل شيء * لدي فكيف اذ اصبحت جاري

وكان أبو العطاف اذ ورد اشبيلية رسولا قد سأله أن يريه شيأ من شعره فمطله به حتى كتب اليه شعرا يستبطئه فأجابه ابن زيدون في العروض والقافية

أفدتني من نفائس الدرر * ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظة قارنت نظائرها * قران سقم الجفون للحور

وهي أكثر مما ذكر * وكتب رحمه الله تعالى أعني ذا الوزارتين ابن زيدون الى ولادة

أضحى التنائي بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
الا وقد قام صبح البين صبحنا * حينا فقام لنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا

ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربهم قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا * وانبت ما كان موصولا بأيدينا
بالامس كنا ومايخشى تفرقنا * واليوم نحن ومايرجى تلاقينا
ياليت شعرى ولم نعتب أعاديكم * هل نال حظا من العتبى أعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه * وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لارواحنا الا رياحينا
لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا * ان طال ما غير النأى المحبينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياسارى البرق غاد القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عنى تذكرنا * الفا تذكره أمسى يعنينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حيا كان يحيينا
من لايرى الدهر يقضينا مساعفة * فيه وان لم يكن عنا يقاضينا
وبيت ملك كأن الله أنشأه * مسكا وقد أنشأ الله الورى طينا
أو صاغه ورقا محضا وتوجه * من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تأود أدته رفاهية * تدمى العقول وادمته البرى لينا
كانت له الشمس ظئرا فى تكلله * بل ماتجلى لها الا أحايينا
كأنما نبتت فى صحن وجنته * زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضر ان لم نكن أكفاءه شرفا * وفى المودة كاف من تكافينا
ياروضة طالما أجنت لواحظنا * وردا جناه الصبا غضا ونسرينا
وياحياة تملينا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
ويانعيما خطرنا من نضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء تكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
انا قرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمشربه * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومى على العهد ما دمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا منك يغنينا
ولو صبا نحونا من أفق مطلعه * بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أبكى وفاء وان لم تبذلى صلة * فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفى الجواب متاع قد شفعت به * بيض الايادى التى مازلت تولينا
عليك منى سلام الله ما بقيت * صبابة بك نخفيها وتخفينا

وانما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لا يذكر جملتها ويظن أن ما فى القلائد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهى وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرنى منه الآن الا قوله فى المطلع

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا * وعن قطاف جنى الاعطاف تحمينا
تألف كان يحيينا ويضنينا * تفرق عاث فى شمل المحبينا
أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

وما أحسن قوله فى هذا التسديس

ما للاحبة دانو بالنوى ورأوا * تعويض عهد اللقا بالبعد حين نأوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا * فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

وقد ذكرنا فى الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التى وطأ فيها النونية ابن زيدون هذه فلتراجع

(رجع) وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل

وضح الصبح المبين * وجلا الشك اليقين
ورأى الاعداء ما غرتهم منك الظنون
أملوا ما ليس يمنى * ورجوا ما لا يكون
وتمنوا أن يخون العبد مولى لا يخون
فاذا الغيب سليم * واذا العهد مصون
قل لمن دان بهجرى * وهو الى اذ يدين
أرخص الحب فؤادى * لك والعلق ثمين

يا هلالا تتراآ * لنفوس لا عيون
عجبا للقلب يقسو * منك والعطف يلين
ما الذي ضرك لو سرّ بمرآك الحزين
وتلطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحي * وأنت من الزمان مدى اقتراحي
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحاني وراحي
فديتك ان صبري عنك صبري * لدى عطشي عن الماء القراح
ولي أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
واعجب كيف يغلبني عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحي
ولما أن جلتك لي اختلاسا * أكف الدهر للحين المتاح
رأيت الشمس تطلع في نقاب * وغصن البان يرفل في وشاح
فلو استطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالي وصال واجتناب * وفي يومي دنو وانتزاح
وحسبي أن تطالعك الاماني * بافقك في مساء أو صباح
فؤادي من أسى بك غير خال * وقلبي من هوى لك غير صاح
وأن تهدى السلام الي شوقا * ولو في بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أريد ولا أراد * لله ما لقي الفؤاد
أصفي الوداد الى الذي * لم يصف لي منه الوداد
كيف السلو عن الذي * مثواه من قلبي السواد
يقضي علي دلاله * في كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
يا هاجري كم أستفيد الصبر عنك فلا أفاد
أفلا رثيت لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا في الهوى * خطأ فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

حتى أبثك ما بي * يا راحتي وعذابي
حتى ينوب لساني * في شرحه عن كتابي
الله يعلم أني * أصبحت فيك كما بي
فما يلذ منامي * ولا يسوغ شرابي

يا فتنة المتعرّى * وحجة المتصابى
الشمس انت توارت * عن ناظرى بالحجاب
ما النور شف سناه * على رقيق السحاب
الا كوجهك لما * أضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب * أم لشاكيك طبيب
يا قريبا حين ينأى * حاضرا حين يغيب
كيف يسلوك محب * زانه منك حبيب
انما أنت نسيم * تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن * هو لاشك مصيب
أن سرّ الحسن مما * أضمرت تلك القلوب

وقال

أنى تضيع عهدك * أم كيف تخلف وعدك
وقد رأتك الامانى * رضا فلم تتعدك
ياليت شعرى وعندى * ماليس فى الحب عندك
هل طال ليلك بعدى * بطول ليلى بعدك
سل عن حياتى أهبها * فلست أملك ردك
الدهر عبدى لما * أصبحت فى الحب عبدك

وقال رحمه الله تعالى وقد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنى بها واستحسن الحانها

يقصر قربك ليلى الطويلا * ويشفى وصالك قلبى العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود * تقلد نسيم الحياة البليلا
كما أننى ان أطلت العثار * ولم يبد عذرى وجها جميلا
وجدت أبا القاسم الظافر الـ * ـمؤيد بالله مولى مقيلا
لاقلا مه فعل أسيافه * يظل الصرير يبارى الصليلا

وقال يهنيه بالقدوم من السفر

أيها الظافر أبشر بالظفر * واجتل التأييد فى أبهى الصور
و تفيأ ظل سعد يجتنى * فيه من غرس المنى أحلى الثمر
ورد النجح فكم مستوحش * شائق منك الى أنس الصدر
كان من قربك فى عيش ندٍ * عاطر الآصال وضاح البكر
فثوى دونك مثوى قلق * يشتكى من ليله مطل السحر
قل لساقينا يجدّ أكؤسه * ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لى فيه المثل السائر فى * جالب التمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت * نعمة المولى عليه فشكر
لاعدا حظك اقبال يرى * قاضيا أبناؤه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك * سرت فى ارضائه أركى السير
حين صممت الى أعدائه * فانتحيتم منك صماء الغير
فاض غمر للندى من فوقهم * كان يروى شربهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق * اذ رأى آثاره مثل الزهر

وقال رحمه الله تعالى وهى طويلة

لم يكن هجر حبيبى عن قلا * لا ولا ذاك التجنى مللا
مرة دعوى ادعائى ثم لم * يدر ما غاية صبرى فابتلى
أنا راض بالذى يرضى به * لى من لو قال مت ما قلت لا
مثل فى كل حسن مثل ما * صار حالى فى هواه مثلا
يا فتيت المسك يا شمس الضحى * يا قضيب البان يا ظبى الفلا
ان يكن لى أمل غير الرضا * منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا * يا ليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذ نحن فى روضة للوصل أنعمها * من السرور غمام فوقها صابا
انى لاعجب من شوق يطالبنى * فكلما قيل فيه قد قضى ثابا
كم نظرة لك عندى قد علمت بها * يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم * فان أكلفه يوما سلوة يابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكرا الهوى من بعد نسيانى * واستحدث القلب بعد العشق سلوانى
من حب جارية يبدو بها صنم * من اللجين عليها تاج عقيان
غريرة لم تفارقها تمائمها * تسبى القلوب بساجى الطرف وسنان
لاستجدن من عشقى لها بدلا * يحيى سوالف أيامى وازمانى
حتى يكون لمن أحببت خاتمة * نسخت فى حبها كفرا بايمان

وقال رحمه الله تعالى

أنت معنى الهوى وسر الدموع * وسبيل الهوى وقصد الولوع
أنت والشمس ضرتان ولكن * لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يا مؤنسى نكلفك العتـ * ـب دلالا لامن الرضا الممنوع
انما أنت والحسود معنى * كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

يا ليل طل لا أشتهى * الا بعهدى قصرك

لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك
يا ليل خبرانى * ألتذ عندى خبرك
بالله قل لى هل وفى * فقال لا بل غدرك

وقال رحمه الله تعالى

لئن فاتنى منك حظ النظر * لأكتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب * فحسبى تسليمة تختصر
أحاذر أن يتجنى الوشاة * وقد يستدام الهوى بالحذر
فأصبر مستيقنا انه * سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أيها البدر الذى يملأ عينى من تأمل
حمل القلب تباريح التجنى فتحمل
ثم لا تيأس فكم قد * نيل أمر لم يؤمل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أجد ومن أهواه فى الحب عابث * وأوفى له بالعهد اذ هو ناكث
حبيب نأى عنى مع القرب والاسى * مقيم له فى مضمر القلب ماكث
جفانى بالطاف العدا وأزاله * عن الوصل رأى فى القطيعة حادث
تغيرت عن عهدى ومازلت واثقا * بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وما كنت اذ ملكتك القلب عالما * بأنى عن حتفى بكفى باحث
ستبلى الليالى والوداد بحاله * مقيم وغض وهو للارض وارث
فلو أننى أقسمت انك قاتلى * وانى مقتول لما قيل حانث

وقال رحمه الله تعالى

يا غزالا أصار نى * موثقا فى يد المحن
اننى منذ هجرتنى * لم أذق لذة الوسن
ليت حظى اشارة * منك أو لحظة بعن
شافعى يا معذبى * فى الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى * وأنا اليوم مرتهن
كان سرى مكتما * وهو الآن قد علن
ليس لى عنك مذهب * فكما شئت لى فكن

وقال رحمه الله تعالى

أيوحش لى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * وأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها في غير هذا المحل جملة وسألت جارية من جوارى الاندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

يا معطشى من وصال كنت وارده * هل منك لى غلة ان صحت واعطشى

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهى لا تعلم انه يعلم فقال

كسوتنى من ثياب السقم أسبغها * ظلما وصيرت من لحف الضنى فرشى
أنى بصرف الهوى عن مقلة كحلت * بالسحر منك وخد بالجمال وشى
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره * أرى التشاكل بين الروم والحبش
أوفى الى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش
لوشئت زرت وسلك الليل منتظم * والافق يختال فى ثوب من الغبش
جفا اذا التذت الاجفان طيب كرى * جفنى المنام وصاح الليل يا قرشى
هذا وان تلفت نفسى فلا عجب * قد كان قبلى فى تلك الجفون حشى

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسى صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون وان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

قال ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفنانى
فى فيه سمطا جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده أحيانى

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الانصارى الاشبيلى المعروف بالابيض فى تهنئة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عندما عطسا
تعشق الدرع مذ شدت لفائفه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به * فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرش الماء على خديه فتزداد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع فى * أرجائه قمر والحسن يكمله
أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له * صف لى لما أحمر الياقوت تصقله
فقال طرفى سفاك بصارمه * دماء قوم على خدى فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبى * ثم هبت ريح صده
فشرار النار طارت * فانطفت فى ماء خده

وهو تحيل عجيب * وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسي في المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات عجيب
وغضارة الايام تأبى أن يرى * فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذا الدمن صحب الليالي طالبا * جدا وفيه ما فاته المطلوب

وكان ابن الزقاق الاندلسي الشاعر المشهور وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب مرات كثيرة يسهر في الليل ويشتغل بالادب وكان أبوه فقيرا جدا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه فاتفق أن برع في الادب والعلم ونظم الشعر فقال في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

يا شمس خدرمالها مغرب * أرامة خدرك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفي دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أنى استقرت بعدنا زينب
لم نسر الابشذا عرفها * أولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبني حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فأطلق له ثلثمائة دينار فجاء بها الى أبيه وهو جالس في حانوته مكب على صنعته فوضعها في حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى في غلام رام يرمي حجرا فشدخ وجهه

واحوى رمى عن قسي الحور * سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قسمت * ورسم محاسنه قد دثر
وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضا

بأبي وغير أبي أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد ومزقته جفونه * فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

سقتني بيمناها وفيها فلم أزل * يجاذبني من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها * فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال

ورق النسيم وراق الروض بالزهر * فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب * يغني عن الراح من سلسال ذي أشر
قل للكواعب غضي لكرى مقلا * فأعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشر رداء سنا * هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف * يكاد معطفه ينقد بالنظر

يطفو وعليها اذا ما شجها درر * تخالها اختلست من ثغره الخصر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت فى الافق بالقمر

وقال

تضوعن أنفاسا وأشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وميز فى زمانك كل حبر * وناظر أهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لاسرحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير
ولآكلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعدى أن يسود معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذا النجوم الجو تبدو زواهرا * اذا ما توارت فى مغاربها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جميلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين ألمابى على حقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يدلى اليه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مصبوغ من الغسق
وكل عينى سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لا * كن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى حمرة الشفق
وفضل ما عيب فى عينى من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * لونى كذا حبها يقضى على رمق
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
فقلت عفوك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وقال أبو محمد عبد الله بن غالب

ومهفهف خنث الجفون كأنما * من أرجل النمل استفاد عذارا
فتخاله ليــلا اذا استقبلته * وتخال ما يجرى عليه نهارا

وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب * والدهر لجة ماء
فعالم فى طفــو * وعالم فى انطفاء

وقال أحمد بن برد الاندلسى فى النرجس وهو البهار عند الاندلسيين ويسمى العبهر

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضــة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون فى دار أنزله بها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فهطل عليه المطر منه

أبا ساميا من جانبيه الى العلا * سمو حباب الماء حالا الى حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذى الخال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
فقالت ولم تعيا برد جــوابه * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
فرصاحب الانزال فيها بفاصل * فان الفتى يهــذى وليس بفعال

قيــل وهو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد أولع الناس بعده بتضمينها * وقال أبو الفضل بن حسداى وكان يهوديا فأسلم ويقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصالك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان من قبلها فى كأسها ثقل * نخف اذ ملئت منها الزجاجات

وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين فى هــذا الوزن والقافية ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية * ومن سرعة جواب أهل الاندلس ان ابن عبد ربه كان صديقا لابى محمد يحيى القلفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب ان ابن عبد ربه مر به يوما وكان فى مشيه اضطراب فقال أبا عمر ما علمت انك أعرالا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

ياعرس أحمد انى مزمع سفرا * فودعينى سرا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان أطلس اللحية ويسمى صاحب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف

قوله وكان القلفاط الخ مقتضى البيتين الآتيين العكس فى اللقبين تامل اه مصححه

حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لي عن رائه * وكنت في قعدد ابنائه

فبدر ابن عبد ربه وقال

ان كنت في قعدد أبنائه * فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلفاط خجلا وعاش ابن عبد ربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى *(ومن الحكايات في مروءة أهل الاندلس ما ذكره صاحب الملتمس في ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله يحسب الناس بأني متعب الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعني صاحب الملتمس ومن أغرب ما يحكى أني كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الغرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله بيني وبين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال اناما كان القصد لي في اجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضا في افتراقكما اذ هو من غرضك وخرج في الحين ففصل القضية ولم أر في وجهه أولا ولا آخرا عنوانا للامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق بابي ففتحت له ودخل وفي يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية ثم قال يا ابن أخي اعلم اني كنت السبب في هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عندي فبالله الا ما سررتني بقبوله فقلت له أما ما أستحيي منك في هذا الامر والله ان أخذت هذا المال لا تلفنه فيما أتلفت فيه مال والدي من امور الشباب ولا يحل لك أن تمكنني منه بعد أن شرحت لك أمري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهى * ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبي عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل * وكم ذا أحوم ولا أنزل

وأزجر عيني فلا ترعوي * وأنصح نفسي فلا تقبل

وكم ذا تعلل لي ويحها * بعل وسوف وكم تمطل

وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل

وفي كل يوم ينادي بنا * منادي الرحيل ألا فارحلوا

أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل

كأني بي وشيكا الى مصرعي * يساق بنعشي ولا أمهل

فياليت شعري بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثاني قوله

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه

لا تقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه

قوله في ثناء الخ الاولى حذف في أو هي بمعنى اللام تأمل اه مصححه

قوله أبي عمران في نسخة أبي عثمان اه

تسلم من أن تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

قال فقلت له أراك لم تعمل بوصيته فى الوساطة فقال ما ساعدتنى رقة وجهى على ذلك انتهى

(رجع) الى نظم الاندلسيين * وقال ابن أبى الصلت أمية بن عبد العزيز

أفضل ما استصحب النبيل فلا * تعدل به فى المقام والسفر
جرم اذا ما التمست قيمته * جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه * عن ملح العلم غير مختصر
ذو مقلة تستبين ما رمقت * عن صائب اللحظ صادق النظر
تحمله وهو حامل فلكا * لولم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو ينبئنا * عن كل ما فى السماء من خبر
أبدعه رب فكرة بعدت * فى اللطف عن أن تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذى فطنة من البشر
فهو لذى اللب شاهد عجب * على اختلاف العقول والصور

قلت وهى من أحسن ما سمعت فى الاصطرلاب وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بأنى الى دار البقاء أصير
وأعظم ما فى الامر أنى صائر * الى عادل فى الحكم ليس يجور
فيا ليت شعرى كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبى فاننى * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو من غنى ومفضل * فثم نعيم دائم وسرور

وقال ابن خفاجة وهو مما أورده له صاحب الذخيرة

لقد زارنى من أهوى على غير موعد * فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه * وقد بلغت روحى لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحى به * من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومن مجون الاندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدى أبى عبد الله بن الازرق وهى

قوله أبى عبد الله فى نسخة عبد الله دون لفظ أبى اه

عم باتصال الزمن * ولا تبالى بمن
وهو يواسى بالرضا * من سمج أو حسن
أو من عجوز تحتظى * والظهر منها منحنى
أو من مليح مسعد * موافق فى الزمن
مهما تبدى خده * يبدو لك الورد الجنى
والغصن فى أثوابه * اذا تمشى ينثنى
لا أتم لى لا أتم لى * ان لم أبرد شجنى
واخلعن فى المجو * ن والتصابى رسنى
وأجعل الصبر على * هجر الملاح ديدنى

يا عادلى

ياعاذلى فى مذهبى * أردالك شرب اللبن
أعطيت فى البطن سنا * نا ان تخالف سننى
أى فتى خالفنى * يوما ولما يلقنى
فانى لناصح * وانى وانى
فلا تكن لى لاحيا * وفى الامور استفتنى
فلم أزل أعرب عن * نصحى لمن لم يلحنى
وان تسفه نظرى * ومذهبى وتنهنى
فالصفع تستوجبه * نعم وتنتف الذقن
والزبل فى وجهك يعـ*ـلو باتصال الزمن
وبعد هذا أشتفى * منك ويبرا شجنى
وأضرب الكف أما * م ذلك الوجه الدنى
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قحقح قح قحقح قح * الضحك يغلبنى
قد كان أولى بك عن * هذى المخازى تنثنى
النفى تستوجبه * لواسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدى صديقا كان لى * بنفسه يسعدنى
فتارة أنصحه * وتارة ينصحنى
وتارة ألعنه * وتارة يلعننى
وربما أصفعه * وربما يصفعنى
أستغفر الله فهـ*ـذا القول لا يعجبنى
ياليت هذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الـ*ـحديث من يسمعنى
دهر توّلى وانقضى * عنى كطيف الوسن
ياليتنى لم أره * واليته لم يرنى
دنست فيه جانبى * وملبسى بالدرن
وبعت فيه عيشتى * لكن ببخس الثمن
كأننى ولست أد * رى الآن ما كاننى
والله ما التشبيه عنـ*ـد شاعر بهين
لكنه أنطقنى * بالقول ضيق العطن
واحسرتى وأسفى * زات وضاعت فطنى
لو أنصف الدهر لما * أخرجنى من وطنى
وليس لى من جنة * وليس لى من مسكن

أسرح الطرف وما * لى دمنة فى الدمن
وليس لى من فرس * وليس لى من سكن
ياليت شعرى وعسى * ياليت أن تنفعنى
هل امتطى يوما الى ال * شرق ظهور السفن
واجتلى ماشئته * فى المنزل الموطن
حينئذ أخلع فى * هذى القوافى رسنى
وتحسن الفكرة بال * فدوش والسمنسنى
واللحم مع شحم كذا * طوابق الكبش الثنى
والبيض فى المقلاة بال * زيت اللذيذ الدهن
وجلدة الفروج مش * وياكثير السمن
من منقذى افديه من * ذا الجوع والتمسكن
وعسلة قد استوى * فيها الفقير والغنى
هل للثريد عودة * الى قد شوقنى
تغوص فيه أنملى * غوص الاكول المحسن
ولى الى الاسفنج شو * ق دائم يطربنى
وللارز الفضل اذ * تطبخه باللبن
وللشواء والرقا * ق من هيام انثنى
واسكت عن الجبن فان * ذكره يذهلنى
ظاهرها كالورد أو * باطنها كالسوسن
أى امرئ أبصرها * يوما ولم يفتتن
تهيم فيها فكر الاس * تاذ والمؤذن
لو كان عندى معدن * ابعت فيها معدنى
لكننى عزمت أن * أبيع كم البدن
والكم قد أكسبه * بعد ولا يكسبنى
لا تنسبوا الى سفها * فالجوع قد أرشدنى
وهات ذكر الكسكو * فهو شريف وسنى
لاسيما ان كان مص * نوعا بفعل حسن
أرفع منه كورا * بهن تدرى أذنى
وان ذكرت غيرذا * أطعمة فى الوطن
فابدأ من المثوما * ت بالجبن الممكن
من فوقها الفروج قد * أنهى فى التسمن
وثن بالعصيدة التى بها تطربنى
لاسيما ان صنعت * على يدى ممركن

كذلك

كذلك البلسياط بالـ * ـزيت الذى يقتنى
تطبخه حتى يرى * يحمر فى التلون
والزبزب فى الصحا * فحسبه أهل البطن
فاسمع قضايا ناصح * يأتى بنصح بين
من اقتنى النسق منى فهو نعم المقتنى
وان فى شاشية الـ * ـفقير انس الغنى
تبعدنى عن وصلها * عن وصلها تبعدنى
تونسنى عن اللقا * عن اللقا تونسنى
فأضلعى ان ذكرت * تهفو كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يمكن
وصدنى عن ذا الثقا * ـلة الوفا بالثمن
ايه خليلى هذه * مطاعم لكننى
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعنى
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الالسن
يصور الاشياء وهـ * ـى أبدا لم تكن
فقوله يريك ما * ليس يرى بالمكن
فاسمع وسامح واقتنع * واطو حشاك واسكن
ولننصرف فقصدنا * اطراف هذا الموطن
انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * فى أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع

لقد غضبت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الشيب الملم بلمتى * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بخنق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمه فقلصت عنه تلك النعمه وأخر عن تلك العنايه وارتحل الى بجايه وهو الآن بها عاطل من الرتبه

خال من حلى الأدب مشتغل بالتصنيف فى فنونه مشتغل بواجبه ومسنونه وله معه مجالسات آنق من الشباب وأبهج من الروض عند نزول السحاب وعما أنشدنيه من شعره

يا حبذا بحديقة دولاب * سكنت الى حركاته الالباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم * يشرب ومنه العود والاكواب
لو يدعى لطف الهواء أو الهوى * ما كنت فى تصديقه أرتاب
وكأنه مما شدا مستهزئ * وكأنه مما بكى نداب
وكأنه بشاره ومداره * فلك كواكبه لها أذناب انتهى

وقال أبو المعالى القيجاطى

فقلت يار بعهم أين من * أحببته فيك وأين النديم
فقال عهد قد غدا شمله * كمثل ما ينثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلى وقبطلة من أعمال وادى اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال * ساءت وحق الاله حالى
وحلت أبغى بكم نجاحا * فلم تفيدوا سوى ارتحالى
وعدتم ألف ألف وعد * لكننى عدت بالمحال

وقال أبو عمران القلعى

طلعت على والاحوال سود * كما طلع الصباح على الظلام
فقل لى كيف لا أوليك شعرى * واخلاص التحية والسلام

وقال أبو اسحق ابراهيم بن أيوب المرسى

أنا سكران ولكن * من هوى ذاك الفلانى
كلما رمت سلوا * لم يزل بين عيانى

وقال

حبيبى ما لصبك من مراد * سوى أن لا تدوم على البعاد
وان كان ابتعادك بعد هذا * مقيما فالسلام على فؤادى

قال ابن سعيد وكان المذكور اذا غنى هذه الاشعار اللطيفة على الاوتار لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار مع أخلاق كريمه وآداب كانسكاب الديمه انتهى * وقال ابن سعيد فى أبى بكر محمد بن عمار البرجى كاتب ابن هود القائل لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود الخ

يا ابن عمار لقد ا * حييت لى ذاك السميا
فى حلى نظم ونثر * علقا فى مسمعيا
ولقد حزت مكانا * من ذرى الملك عليا
مثل ما قد حاز لكن * عش بنعماه هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلى المعروف بابن صاحب الرد

يا أبدع الخلق بلا مرية * وجهك فيه فتنة الناظرين

لاسيما اذ نلتقى خطرة * فيغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فتمتع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذى ورده * مازال فيه لذة الشاربين
وما حوى ذلك الازار الذى * لم يعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها فى غلام كان من أدباء اشبيلية قد فتنوا به وكان مروره على داره ويحكى عنه انه أعطاه فى زيارة خمسين دينارا ومرّت أيام ثم صادفه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين وهذا الجواب على مافيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من أشدّ الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد فى حقه ان بيته باشبيلية من أجلّ البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذوّاقا لاطراف العلوم انتهى * ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر احمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بنى عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس وربما استوزره فى بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو ممن كان والدى يكثر مجالسته ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه فى مجالسته وكان شديد التهوّر كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرّة وهو فى محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحترىّ والمتنبى وفى عصركم من يهتدى الى مالم يهتدوا اليه فأهوى له شخص له لحية واقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعنى الا نفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذى أقول مالم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر

ياهل ترى أطرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لاتشرب خمر الندى * فى الارض الا بكؤس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان وردّوه فى الغيظ الى أضيق مكان فقلت له ياسيدى هذا هو السحر الحلال فبالله الا مازدتنى من هذا النمط فقال

أدرها فالسماء بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالى
وخد الروض أحمره أصيل * وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق من لآل * تضئ بهن أكناف الليالى

فقلت زد وعد فعاد والارتياح قد ملك عطفه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عند مازرته * عاين طرفى منه سحرا حلال
اذا أصبح الطل به ليلة * وجال فيه الغصن مثل الخيال

فقلت زد فأنشد

ولما ماج بحر الليل بينى * وبينكم وقد جدّدت ذكرا
أراد لقاءكم انسان عينى * فمدّ له المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما أن رأى انسان عيني * بصحن الخد منه غريق ماء
أقام له العذار عليه جسرا * كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق قيمتها وانشد

هنات المدام اذا رأيت شبيهها * في الافق يا فردا بغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله * فغدت تخاصمه الحمائم فيه انتهى

ثم قال وكان قد تهتك في غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العلج وفيه يقول

ألفت الحرب حتى علمتني * مقارعة الحوادث والخطوب
ولم آلك عالما وأبيك حربا * بغير لواحظ الرشا الربيب
فها أنا بين تلك وبين هذي * مصاب من عدو أو حبيب

ولما هرب العلج الى سبتة أحسن اليه القائم بها أبو العباس اليتي فلم يقنع بذلك الاحسان وكان يأتي بما يوغر صدره فقال يوما في مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الى كذا فقال ابن طلحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ الى كذا فشعر بقوله فاسرها في نفسه ثم بلغه انه هجاه بقوله

سمعنا بالموفق فارتحلنا * وشافعنا له حسب وعلم
ورمت يدا أقبلها وأخرى * أعيش بفضلها أبدا وأسمو
فأنشدنا لسان الحال فيه * يد شلا وأمر لا يتم

فزاد في حنقه وبقي مترصدا له الغوائل فحفظت عنه أبيات وهو في حالة استهتار في شهر رمضان وهي

يقول أخو الفضول وقد رآنا * على الايمان يغلبنا المجون
أتنتهكون شهر الصوم هلا * حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم * زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الـ * ـشرع فما به أبدا ندين
نحي على الصبوح الزهر ندعو * وابليس يقول لنا أمين
فيا شهر الصيام اليك عنا * اليك ففيك أكفر ما نكون

فأرسل اليه من هجم عليه وهو على هذه الحال وأظهر انه يرضي العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهى وحاكي الكفر ليس بكافر والله سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر وقال محمد بن أحمد الاشبيلي بن البناء

كأنك من جنس الكواكب كنت لم * يفتك طلوع حالها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلألؤا * فلما تحيت الغرب أصبحت هاويا

ولما أمر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالب الداني ألف سوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسمائة فمات وضرب بقية الالف حتى تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه أبو الربيع يرثيه

جهـــلا لمثلك أن يبكى لماقدرا * وأن يقول أسى ياليته قبرا
فاضت دموعك ان قاموا بأعظمه * وقدتطاير عنه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض مما كان حلها * من الايادى تخلت شلوه ضجرا
وعز جسمك أن يحظى به كفن * فاتسربل الا الشمس والقمرا

وقال أبو العلاء عبد الحق المرسى رحمه الله تعالى

ياأباعمران دعنى والذى * لم يزل بى خاطرى الااليه
ماندى غيرمن يخدمنى * لاالذى يجلس فى بين يديه
يرفع الكلفة عنى ويرى * انها واجبة منى عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لاتخش قولا قدعقدت الالسنا * وابعث خيالك قدسحرت الاعينا
واعطف على فان روحى زاهق * وانظرالى بنظرة ان أمكنا
لايخدعنك أن ترانى لابسا * ثوبى فقد أصبحت فيه مكفنا
مازال سحرك يستميل خواطرى * بأرق من ماء الصفاء وألينا
حتى غدوت بحر حب زاخر * فرمت بى الامواج فى شط الضنى

وقال

ماللنسيم لدى الاصيل عليلا * أتراه يشكو زفرة وغليلا
جرّ الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجرّ من السقام ذيولا

وقال أبو عبدالله بن عساكر الغسانى قاضى مالقة

أهواك يابدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مرّ بها من قريب
ماان تنصرت ولكننى * أقول بالتثليث قولا غريب
يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن غفير قاضى اشبيلية مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعيه أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعيه وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال وعدم المناظرله فى ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا مايصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عينى * وليس لى وصلة اليها
الا سلامى لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تغرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح هيما
أتانى ثم حيانى حبيب * به وأباحنى الخد الرقيما
غـرّلنا مجون فى فنون * سلكت به الصراط المستقيما

قلت أمّا مجرّد الارتجال فأمر عن الكثير صادر وأمّا كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر وقد حكينا منها في هذا الكتاب في القسم الاول موارد ومصادر ويحبنى من الواقع لاهل المشرق من ذلك قضية علي بن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين في منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وجلى محياه في زرقة قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضه ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت بأسرار محاسنه رياه والنسيم قد عانق قامات الاغصان فيلها وغصبها مباسم نورها فقبلها وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعه وان شدا فالورق ساجعه تعازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم حرقته وسهده ويبذل في الطافه طاقته وجهده فتارة يضمخه بخلوقه وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم يزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديهيا في المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت ليلات الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر

غبت عنى يا ابن المؤيد في وقـ * ـت شهى يلهى المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا مرموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو * را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدّى النسيم يعتنق الاغـ * ـصان لما سرى عناقا رفيقا
بت فيها منادما لصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن الـ * ـبان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشا ناحلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * منه بدرا يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بسرا * ه فأبدى قلبا حريقا خفوقا
هو نجم مالاح في الجدر كافو * ر بياض الا كساه خلوقا
ما بدا نرجس الكواكب الا * قام في قومه يرينا الشقيقا
واذا ما بدت جواهرها في السحو أبدى في الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا بحبنا طيب ذكرا * ك لذ خلناه عنبرا مفتوقا

ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

قال فأجاب عنهما من الوزن دون الروى

قد أتتني من الجمال قصيد * يالها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب الـ * ـمسك في سبكها وصفو الماء
فارتنا طباعه وشذاه * والذى حازه من ذكاء
سيدى هل جمعت فيها اللآلى * يا أخا المجد أم نجوم السماء
أفحمتني حسنا وحق أياديـ * ـك التى لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يا مولائى
هل يسامى الثرى الثريا وأنى * يدعى النجم فرط نور ذكاء انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان مغتنما * فى كل يوم الى أن يكثر العدد
فى واحد منهم تصفى الوداد له * من التكاليف ما يفنى به الجلد

وله

تحن ركابى نحو أرض وما لها * ومالى من ذاك الحنين سوى الهم
وكم راغب فى موضع لا يناله * وأمسيت منه مثل يونس فى اليم
بهذا قضى الرحمن فى كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجى باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسى فى البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهرى القرطبى فى ذلك

كأنما الراية السوداء قد نصبت * لهم غرابا بين الاهل والولد
مات الهوا تحتها من فرط روعته * فأظهر الدهر منها لبسة الكمد

وأنشدهما القائم الباجى فى جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلى

أمسى الفراش يطوف حول كؤسنا * اذ خالها تحت الدجى قنديلا
مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب براسى
والغصن أحوج ما يكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسى

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صففوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع
وما ودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله فى فتى وسيم عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قامر الارواح ناظره قمر
تعمد كلب عض وجنته التى * هى الورد ايناعا وأبقى بها اثر

فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العوّاء في صفحة القمر

وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي المؤرخ الاديب المصنف الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا لفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلا ونديما في صبي من أعيان الجزيرة الخضراء تهافت في حبه جماعة من الادباء والشعراء وكان من القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا فيه المقام المشهور أديب يقال له الفار فتسلط على البياسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط

عذرت أبا الحجاج من رب شيبة * غدا لابسا في الحب ثوبا من القار
وألجأه الفار المشارك للنوى * ولم أر قطا قبله فرّ من فار

وله

قد سلونا عن الذي تدريه * وجفوناه اذ جفا بالتيه
وتركناه صاغرا لاناس * خدعوه بالزور والتمويه
اصل يسوقه لمصل * وسفيه يقوده لسفيه

وله وقد كتب الى بعض أصحابه يذكره بالايام السوالف

أبا حسن لعمرك ان ذكرى * لايام النعيم من الصواب
أمثلي ليس يذكر عهد حمص * وقد جمعت بنا خيل التصابي
ونحن نجر أثواب الاماني * مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسى * وان أغفلته عند الخطاب
هو الاحلى لدى وان جاني * عن العسل اجتماع للذباب

وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به في جنة لوالده على وادي العسل فقال

جنة وادي العسل * كم لي بها من أمل
لولم يكن ذبابها * يمنع ذوق العسل

قال ابن سعيد ولما التقينا بتونس بعد ايابي من المشرق وقد ولج ظلام الشعر على وجهه المشرق قلت لابي الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه عنده على عيوبه

خل أبا الحجاج هذا الذي * قد كنت فيه دائم الوجد
وانظر الى لحيته واعتبر * مما جنى الشعر على الخد

والله سبحانه يسمح للجميع في هذا الهزل الشنيع ويصفح عنا في ذكره انه مجيب سميع

* وقال صاحب البدائع ركب الاستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له في نهر اشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا وطارت زوارقها في سماء النهر عقبانا وأبدى نسيمها من الامواج والدارات سررا وأعكانا في زورق يجول جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها

تأمل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثري * تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها

ألا يا حبذا ضحك الحميا * بحانتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جله ريح رخاء
اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة في ديوانه صاحبت في صدري من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع في النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير وملء الركب رسيمه وذميله وأخذ كل منا يرتاد مقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق مناما حتى نقول في صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطري فقلت أتربص به وأعرض بعظم لحيته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فإن السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غر * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى الصحيح هناك أرضا * وقد شمل العجاج به سماء
وديس به انحطاطا بطن واد * مذ أعشب شعر لحيته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لي ومعهم صبي متهم في نفسه واتفق انهم تحاوروا في تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبي فأفرط في تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلى لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنبا أمتص عنقوده * ثديا كأني بعد في المهد
وهل يرى بينهما نسبة * من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما بشاطبة الى باب السمار بن ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبي عمران بن أبي تليد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك فألفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يا من يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما في القطعة سياقه الاعداد والا فأنت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذي قبله فينزل بازاء

كل واحدة منهما ما يلائمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكأنه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديها

ومهفهف طاوي الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما * مة والحمامة والقمر

فجن بها استحسانا انتهى قال ابن ظافر والقطعة القافية ليست لابن رشيق بل هي لابي الحسين علي بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة * وكان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية واقع لمدح مدحه فلم يجزه عليه فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية واحتفل فيها بما يحتفل مثله في دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر السميسر الى أن ركب السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له في الطريق فلما حاذاه رفع صوته بقوله

يا أيها الملك الميمون طائره * ومن لذي مأتم في وجهه عرس
لا تفرسن طعاما عند غيركم * ان الاسود على المأكول تفترس

فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل ما كان عمله * ونظير هذه الحكاية أن عباد بن الحريش كان قد مدح رجلا من كبار أصبهان أرباب الضيع والاملاك والتبع الكثير فمطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده عليه وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها الوف دنانير كثيرة لابي دلف القاسم بن عيسى العجلي على أن يجيء اليه من الكرج ووصل أبو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه أومأ الى ذلك السائر وأنشد بأعلى صوته قل له يا فدتيه * قول عباد ذا سمج

جئت في ألف فارس * لغداء من الكرج
ما على النفس بعد ذا * في الدناآت من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجيء من الكرج الى أصبهان حتى أتغدى بها والله ما بعد هذا في دناءة النفس من شيء ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كل ما غرمه وعرف من أين أتي وتخوف أن يعود عباد عليه بشر منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة من أصحابه فاجتمعوا به وسألوه فيه وفي قبول الجائزة فلم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها

وهبت يا قوم لكم عرضه
فقالوا اجزاك الله تعالى خيرا فقال
كرامة للشعر لا للفتى
لانه أبخل من ذرة * على الذي تجمعه في الشتا

انتهى

وذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي ما معناه انه عزم بمصر هو ورفقة له على الاصطباح فقصد وابركة الحبش في وقت ولاية الغبش وحلوا منها روضا بسم زهره ونسم عطره فأداروا كؤوسا تطلع من المدام شموسا وعاينوها نجوما تكون لشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال

لله يومى ببركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مطرب * كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوّفة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نورها على فرش
فعاطنى الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
وأسقنى بالكبار مترعة * فهن أروى لشدة العطش
فأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه فى الباب الخامس فى المرتحلين من الاندلس الى المشرق . وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن على ابن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية فى الميدان وقد وقف يرمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

ياملكا مذ خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
انّ النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت فى قربك الناسا
وودّت الاملاك لو أنها * تحوّلت تحتك أفراسا
كماتمنى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا انتهى

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشى وزير الرئيس أبى اسحق بن همشك صهر الامير أبى عبد الله محمد بن مردنيش فى غلام أسود فى يده قضيب نور بديها

قوله همشك فى نسخة همشيك اهـ

وزنجى أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى البكى فى هجاء أهل فاس تعسفوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجيانى وكان يتولى امورا سلطانية بها فقدّموا رجلا ادّعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتى ورجل آخر يكنى بأبى الحسين من مشايخ البلد فأثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذى أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتى الفقيه بيضة * يشهد بأن مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * ما ناك عبد الله عرس أبى الحسين

قوله أبو الحسن فى نسخة أبو الحسين اهـ

وقال أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الانصارى عمل والدى محملا للكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالا

أيها السيد الذكى الجنان * لا تقسنى بسلم البنيان
فضل شكلى على السلالم أنى * محمل للعلوم والقرآن
سرت من حليه المحبين ضعفى * واصفرارى ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز * ثم والى الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعي * التفت صنعتي وحسن ابتداعي
أنا للنسخ محمل خف حملي * أنا في الشكل سلم الاطلاع

وقال أحمد بن رضى المالقي

ليس المدامة مما أستريح له * ولا مجاوبة الاوتار والنغم
وانما لذتي كتب أطالعها * وخادمي أبدا في نصرتي قلمي

وقال أبو القاسم البلوى الاشبيلي

لمن أشكو مصابي في البرايا * ولا ألقى سوى رجل مصابي
أمور لو تدبرها حكيم * لعاش مدى الزمان أخا اكتئاب
أما في الدهر من أفشي اليه * باسراري فيؤنس بالجواب
يئست من الانام فما جليس * يعز على نهاي سوى كتابي

وقال أبو زكريا يحيى بن صفوان بن ادريس صاحب كتاب العجالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعري كيف أنتم * وأنا الصب المعنى
كل شئ لم تكونوا * فيه لفظ دون معنى

وله في نصراني وسيم لقيه يوم عيد

توحد في الحسن من لم يزل * يثلث والقلب في صده
يشف لك الماء من كفه * ويقتدح النار من خده

وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه وابو صفوان سابق الميدان * وقال ابن بسام سايرابن عمار في بعض أسفاره غلامان من بني جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره فجعل يميل بحديثه للمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعلقته جهوري النجار * حلى اللمى جوهري الثنايا
من النفر البيض اسد الزمان * رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا غرو أن تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الاجمان الحديث * نساقطه من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة في القضايا
انتهى

ومعناه أن ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما وأحب خضرة القضايا وهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما * وقال أبو العرب بن معيشة الكناني السبتي أخبرني شيخ من أهل اشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد وكان عليه من اثر كبر السن ودلائل التعمير مايشهد له بالصدق وينطق بأن قوله الحق قال كنت في صباي حسن الصورة بديع الحلقة لا تلمحني عين أحد الا ملكت قلبه وخلبت خلبه وسلبت لبه واطلت كربه فبينما أنا واقف على باب دارنا اذا بالوزير أبي بكر ابن عمار قد أقبل في موكب زجل على فرس كأنه صخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذاني ورآني اشرأب الى ينظرني وبهت يتأملني ثم دفع بمخصرة كانت بيده في صدري

وأنشد

كف هذا النهد عنى * فبقلبى منه جرح
هو فى صدرك نهد * وهو فى صدرى رمح

وعبر فى البدائع على طريقة القلائد بما صورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز انه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى بنبل ودقه وحلت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من أوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق ألوان البز وبثت ما يعلو العطر والراح قد أشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خدها حسنا فتكلل بعرق حبابه اذا بفتى رومى من أصبح فتيان المؤتمن قد أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والنهر اكتست حبابا والطاوس انقلب حبابا فهو ملك حسنا الا انه جسد وغزال لينا الا انه فى هيئة الاسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع كان عوّل فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه فى ضواحى قلبه فاشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كئت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكاس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يلعب فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بساقتيه من دمعى فريد
قسا قلبا وشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا وناى رضاه * وقد يبكى من الطرب الجليد

قوله انقلب حبابا فى البدائع تحبابا اه

قوله ضواحى فى البدائع نواحى اه

قوله وان يجلى عنه كما الخ فى البدائع وان يجلى عنه سهكه كما الخ اه

قوله يندى فى البدائع يبدى بالباء اه

وان فتى تملكـه برق * وأجرز حسنه لفتى سعيد انتهى

وقال فى البدائع مؤلفه ما نصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فحل بروضة قد سفرت عن وجهها البهج وتنفست عن مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلؤلؤ الطل أجياد قضبانها فتشوف الى الوزير أبى طالب بن غانم أحد كبراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة

اقبل أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

فى البدائع بيت آخر بعد هذا وهو (فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضرا لدينا) اه

وجلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخذت ببردها حر الاوار والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صببه * كأنه أرقم قد جد فى هربه

وقال السميسر

بعود شربن دمى قهــوة * وغنيننى بضروب الاغانى
كأن عروقى أوتارهن * وجسمى الرباب وهن القنانى

وقيل

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فلذ لها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم سكت ليستمع الزمر

ومنه

بق وبرغوث أتوا * نحوى وقد شدوا عذابى
وأتى البعوض بزمره * ياقوم أخرج من ثيابى

وأحسن منه قول ابن شرف القيروانى

لك مجلس كملت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا أعذل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
لى والبراغيث والبعوض اذا * اجننا حندس الظلام قصص
اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغنا فرقص

ونحو هذا قول الحصرى فيما نسبه اليه ابن دحية

ضاقت بلنسية بى * وذاد عنى غموضى
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

(رجع) الى أهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الاسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم ونضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها واتفق أن عبر فى السكة راجلا ومعه جماعة

قوله ابن سعد فى البدائع أبو سعد اه

من أصحابه فلما رأى الجلوز الملقاة قفز ووثب راجعا على عقبيه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغل نفرت فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى ونصب التعب انه راكب وأن حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له فكان تغفله ربما أوقعه فى تهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كاب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كتاب نجيع لاح فى حومة الوغى * وقارئه نسر هنالك أوذيب
جوارح أعليه حروف وربما * تولته من نقط الطعان أنابيب

وقال الحميدى ذكر لى أبو بكر المروانى انه شاهد محبوبا الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة

وذات حنين ما تغيض جفونها * من اللجج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتحيي من دموع جفونها * رياضا تبدت بالازاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض وادكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها * لآلى جمان قد نظمن على قرط

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركنى سماحا * فلمثلى يحق منك السماح
ان تخلنى اذا نطقت عييا * فبنانى اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو فى نظام ونثر * ثم أثنى وفى العنان جماح
فيهزل كما تأود غصن * ويجد كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه فأنشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبرى * استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بأديمى
ودعونى بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعا أبى أبا الوليد النحلى فلما قضوا وطرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما مشت فى النحلى سورة الحميا ارتجل

لابن طوفان اياد * قل فيها مشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل فى البيت أبوه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة فى الشاعر ابن الفراء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

وذكر فى بدائع البدائه أن جماعة من الشعراء فى أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتأملوا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على ما رأت عيناك من هرمى مصر
أنافا بأعنان السماء فاشرفا * على الجو اشراف السماك أو النسر

قوله فى تهمة فى البدائع فى تخفة اه

قوله تبكى الخ فى البدائع (وتبكى فتحيى من دموع عيونها لآلى رياض بالازاهر فى بسط) اه

قوله تهز فى البدائع تسل اه

٢ قوله المتقبل فى البدائع المعقبل اه

٣ قوله ويتأملوا فى البدائع ويقرؤا اه

٤ قوله باعنان فى البدائع باكناف

٣ وقوله أو النسر فيهما على النسر وبالجملة فبينهما وبين ما هنا بعض اختلاف أغلبه نقل بالمعنى اه

٤ مصححه

وقد وافيا انشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر
وصنع أبو منصور ظافر الحداد
تأمل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب انتهى
وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب المتوكل الشعراء لصفته فصنع النحلي أبو الوليد فيه بديها
ركب البدر جوادا سابحا * تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا * والثريا نقط في كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله في أجله
ثم اندب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه فصنع ابن اللبانة
لله طرف جال يا ابن محمد * خبت به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لاربعه الهدى تحجيلا
وكانما في الردف منه مباسم * تبغي هناك لرجله تقبيلا
وقال فيه أبو عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة
وكانما عمر على صهواته * قمر تسير به الرياح الاربع
و يعني بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر * وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجي قاضي اشبيلية
لله اخوان تناءت دارهم * حفظوا الوداد على النوى او خانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم * كالند يهدي الطيب وهو دخان
وحكى أن أيوب بن سليمان السهيلي المرواني حضر يوما عند ابن باجة الشاعر وأبو الحسن ابن جودي هنالك فتكلم المرواني بكلام ظهر فيه نبل وأدب فتشوف أبو الحسن بن جودي لمعرفته وكان اذ ذاك فتي السن فقال له من أنت أكرمك الله تعالى فقال هلا سألت غيري عني فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولي توقيرا فقال ابن جودي قد سألت من المعرفة عنك فلم يعرفك فقال يا هذا طالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل ولا يحتاج من يرانا فيه الى أن يسأل وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد
انا ابن الالى قد عوض الدهر عزهم * بذل وقلوا واستحبوا التسكرا
ملوك على مر الزمان بمشرق * وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم * فان حياة الرزء أن يتذكرا
ففطن ابن جودي انه من بني مروان فقام وقبل رأسه واعتذر اليه ثم انصرف المرواني فقال ابن باجة لابن جودي أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد الى رجل في مجلسي

قوله خبت في البدائع نجنت اه

قوله أبو عبد الله في البدائع اسقاط لفظ أبو اه

تجـدنى قد قربته وأكرمته وخصصته بالاصغاء الى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة فانها من أسوإ الادب فقال ابن جودى لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام (نأخذ من ماله ومن أدبه)* وحكى أن بكارا المروانى لما ترك وطنه وخرج فى الجهاد وقتل قال صاحب السقط انه اجتمع به فى اشبونة فقال قصدت منزله بها ونقرت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤيالك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والافتنح عنى فقلت أرجو فى الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به فى مصلاه وسبحة أمامه وهو يعد حبوبها ويسبح فيها فقال لى ارفق على أتمم وظيفتى من هذا التسبيح وأقض حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف على وقال ما القرابة التى بينى وبينك فانتسبت له فعرف أبى وترحم عليه وقال لى لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شئ فقلت له انه كان يأخذنى بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به فقال لى هل تنظم شيأ قلت نعم وقد ألجأنى الدهر الى أن أرتزق به فقال ياولدى انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فأنشدنى أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فطلبت بخاطرى شيأ أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لى الا فيما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فأطرقت قليلا فقال لعلك تنظم فقلت لا ولكن أفكر فيما أقابلك به فقولى أكثره فيما حملنى عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجلسك فقال يا بنى ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل (ان يصدق الطير ننك لميسا) فمن نحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا والله لا نشذ عن السلف الصالح أنشدنى ما وقع لك غير متكلف فلم يعدنى خاطرى الى غير قولى من شعر أمجن فيه

ابدأت عنى وانى * لفى اشتياق شديد
وفى يدى لك شئ * قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم * تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان فى نظمك أطهر من هذا فقلت له ما وقفت لغيره فقال لا بأس عليك فانشدنى غيره ففكرت الى أن أنشدته قولى

ولما وقفت على ربعهم * تجرعت وجدى بالاجرع
وأرسل دمعى شرار الدموع * لنار تأجج فى الاضالع
فقام عذولى لما رأى * بكائى وقفا على الادمع
فقلت له هذه سنة * لمن حفظ العهد فى الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجىء ويذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فاعدت فاعاد ما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك اياه فقال

وهل حرك منى الاشعار وعظة يا بنى ان هذه القلوب المخلاة لله كالورق التي جفت وهي مستعدة لهبوب الرياح فان هبت عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء وصادف منها طوعه فاعجبنى منزعه وتأنست به ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والانكماش بل ما زال يبسطنى ويحدثنى باخبار فيها هزل ويذكر لى من تاريخ بنى أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثره فلما كثر تأنسى به أهويت الى يده كى أقبلها فضمها بسرعة وقال ما شأنك فقلت راغبا لك فى أن تنشدنى شيأ من نظمك فقال أما نظمى فى زمان الصبا فكان له وقت ذهب ويجب للناظم أن يذهب معه وأما نظمى فى هذا الوقت فهو فيما انا بسبيله وهو يثقل عليك فقلت له ان انصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه ومن نظم شيخوخته فيأخذ كلا نابجعله فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب ووسيلة قصد ثم أنشدنى وقد بدا عليه الخشوع وخنقته العبرة

ثق بالذى سواك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت فى تيه الى * أن لاح لى أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * فى نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركنى فوق ما أدركه وغلب على خاطرى بما سمعت من هذه الابيات وفعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لى الشيخ ان هذه يقظة يرجى معها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لى يا بنى هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى والله ولى المغفرة وانا نرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا سلوى عن مذهبى
وقالوا غراب لوشك النوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبى أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو مت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من نظمك فى جد ولا هزل ثم قلت له أأرويه عنك فقال نعم ما أرى به بأسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما فى الضمائر فما قدر هذه الفكاهة فى اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شئ من هذا الفن فملأت ما تملأ به قلبى آخر الدهر فقال يا بنى لا ملأت قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنعا وأنشد

أيها الشادن الذى * حسنه فى الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطـ * ـفئ ما بى من اللهيب
وعليه أحوم دهـ * ـرى ولكننى أخيب

كلما رمت زورة * قيض الله لي رقيب

قال فمازج قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدني زادك الله تعالى خيرا فانشدني

ما كان قلبي يدري قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أني لا أضيق به * ذرعا فبان حتى فت في عضدي
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالتلاقي مق * فليس لي مهجة تقوى على الكمد

ثم قال حسبك وان كلفتني زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتني الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتني وأكببت لاقبل رجليه فضمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه نحولي
أما السبيل لوصل * فماله من وصول
فقلت حسبي التماح * بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعني فهذا * تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب * بالامن أهل العقول

فلا سمعي بجانب وبسط أنسي وكنت كل ما أنشدني ثم قلت له لولا خوفي من التثقيل عليك لم أزل أستدعي منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وأنشدتك ما عندي مما أضيفك غير ما سمعته وما تراه ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن اشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لي هذا غداء عملك نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن أين عيشك فقال يا بني عيشي بتلك الشبكة أصطاد بها في سواحل البحر ما أقتات به ولي زوجة وبنت يعود من غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة رضاها وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وبت وفي نيتي أن أعود الى زيارته ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فنقرت الباب فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ناله كالجنون فقلت له ما شأنك فقال اني أريد أن أموت شهيدا في الغزو وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو وأنا ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسي هي التي قتلتني بهواها أفلا أقتص منها فاقتلها قال فقلت لها من خلف للنظر في شأنكم فقالت ليس ذلك لك فالذي خلقنا الله لا نحتاج معه الى غيره فأدركني من جوابها روعة وعلمت انها مثله زهدا وصلاحا فقلت اني قريبه ويجب علي أن أنظر في حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذي محرم ولنا من العجائز من ينظر منا ويبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا

فقلت لها هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها فقالت ما اعتدنا أن نأخذ شيأ من غير الله تعالى وما كان لنا أن نخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم عدت بعد ذلك لداره وسائلا عنه فقالت لي المرأة انه قد قبله الله تعالى فعلمت انه قد قتل فقلت لها أقتل فقرأت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية فانصرفت معتبرا من حاله رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكانت للمروانيين بالاندلس يد علياً في الدين والدنيا * وقال محمد بن أيوب المرواني لما كاف قوما حاجة له سلطانية فانتهضوا بها فكفاها رأس بني مروان القائد سعيد بن المنذر فنهض بها

نهضت بما سألتك غير وان * وقد صعبت لسالكها الطريق
وليس يبين فضل المرء الا * اذا كلفته ما لا يطيق

وعتبه يوما سعيد بن المنذر في كونه يتعرض لمدح خدام بني مروان فقال له أعز الله تعالى القائد الوزير انكم جعلتموني ذنبا وجعلوني رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها أكثر ممن يهينها وان كان فوقها واني من هذا وهذا في أمر لا يعلمه الا الله الذي بلاني به وياويح الشجي من الخلي وأنا الذي أقول فيما يتخلل هذا المنزع

نسبت لقوم ليتني نجل غيرهم * فلي نسب يعلو وحظي يسفل
أقطع عمري بالتعلل والمنى * وكم يخدع المرء اللبيب التعالل
فمالي مكان أرتضيه لهمة * ولا مال منه أستعف وأفضل
ولكنني أقضي الحياة تجملا * وهل يملك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قصدنا لومك فعطفت اللائمة علينا ونحن أحق بها وسننظر ان شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر في شأنه فاجرى له رزقا أغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه * وقال المطرف بن عمر المرواني يمدح المظفر بن المنصور بن أبي عامر

ان المظفر لا يزال مظفرا * حكما من الرحمن غير مبدل
وهو الاحق بكل ما قد حازه * من رفعة ورياسة وتفضل
تلقاه صدرا كلما قلبته * مثل السنان بجحفل وبجحفل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس في زمانه ابن دراج القسطلي فقال له القسطلي أنشدني أبياتك التي تقول فيها (على قدر ما يصفو الخليل يكدر) فأنشده

تخيرت من بين الانام مهذبا * ولم أدر أني خائب حين أخبر
فمازجني كالراح للماء واغتدى * على كل ما جشمته يتصبر
الى أن دهاني اذ أمنت غروره * سفاها وأداني لما ليس يذكر
وكدر عيشي بعد صفو وانما * على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلي وقال والله انك في هذه الابيات لشاعر وأنا أنشدك فيما يقابلها البلال بن جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

واسكن جهل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن أين يلوح ذلك فقال القسطلي من قولك وأذاني لمالديس يذكر فما يظن في ذلك الا انه أذاك الى موضع فعل بك فيه فاغتاظ الاموي وقال يا أباعمرو ومن أين جرت العادة بأن تمزح معي في هذا الشان فقال له حلم بني مروان يحملنا على أن نخرق العادة في الحل على مكارمهم فسكن غيظه * وكتب المرواني المذكور الى صاحب له يستعيرمنه دابة يخرج عليها الفرجة والخلاعة أنهض الله تعالى سيدي باعباء المكارم ان هذا اليوم قد تبسم أفقه بعدما بكى ودقه وصقلت أصداء أوراقه وفتحت حداثق أحداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضضت غدرانه وتوجت أغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعدما تلفعت بسحابها وتنبه في أرجاء الروض أرج النسيم وعرف في وجهه نضرة النعيم وقد دعا كل هذا ناظر أخيك الى أن يجيله في هذه المحاسن ويجدد نظره في المنظر الذي هو غير مبتذل والماء الذي هو غير آسن والقصص اليوم أحسن مالح وأبدع ما حرن فيه وجمح فجد لي باعارة ما أنهض عليه لمشاهدته ويرفع عني خجل الابتذال بمناكبة الانذال لازلت نهاضا بالآمال مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل * وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى أخيه عبد الله المعروف بالبلنسي حين فر كتابا يقول في بعض فصوله والعجب من فرارك دون أن ترى شيأ فخاطبه بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فراري دون أن أرى شيأ لاني خفت ان أرى ما لا أقدر على الفرار بعده ولكن تعجب مني ان حصلت في يدك بعد ما أفلت منك * وقال له وزيره أحمد بن شعيب البلنسي أليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبي أن تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك أبيك فقال ما أعرف ما تقول وكل ما وقي به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل وأول ما ينظر الاديب في حفظ رأسه فاذا نظر في ذلك نظر فيما بعده * وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموي ويعرف بالحجر

اجعل لنا منك حظا أيها القمر * فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر * فقلت كفوا فعندي منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته * حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعدما كان قد أعيا

وحكي انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن أضحى وكان من أعيان غرناطة فمدحه بقصيدة ثم بموشحة ثم بزجل فلم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فأخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا ما نال الذي أشكوه من عدم * وساءه مثل ما قد ساءني فبكى
ان المقل الذي أعطاك دمعته * نعم الجواد فتى أعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجة

ثم سر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

ومهب نفحة روضة مطلولة * فيها لافراس النسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كحيل الطرف فى شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج فى درع الكمى سنان
عقارا نماها الكرم فهى كريمة * ولم تزن بابن المزن فهى حصان
وقد حان من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقال فى وصف فرس أصفر ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة فى شقرة * حبابة تضحك فى الكاس

وقال أبو بكر محمد بن سهل البكى يهجو

أعد الوضوء اذا نطقت به * مستعجلا من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك ان مررت به * فالظل منه ينجس الشمسا

وقال ابن اللبانة

أبصرته قصر فى المشيه * لما بدت فى خده لحيه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذى مر على قريه

وقال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الاشبيلى فى الامير الكبير أبى بكر سير من أمراء المرابطين وكتب بها اليه فى غزاة غزاها

سر حيث سرت يحله النوار * وأراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار
تنفى الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الاله بأن تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحبها الكفار

هذا غير ما تمناه الجعفى حيث قال حين ارتحلت ودعه وما تكاد تنفذ معها عزيمة واذا سفحت على ذى سفر فما أحراها بأن تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان ذلك أبلغ فى الاضرار وما أحسن قول القائل

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد فى جحفل بهج الجمال
الى حصن فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

وقال الحجارى فى المسهب كتبت الى القاضى أبى عبد الله محمد اللوشى أستدعى منه شعره لا كتبه فى كتابى فتوقف عن ذلك وانقبض عنى فكتبت اليه

يا مانعا شعره عن سمع ذى أدب * نائى المحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به فى كل متجه * كما يمر نسيم الريح بالعذب
انى وحقك أهل أن أفوز به * واسأل فديتك عن ذاتى وعن أدبى

فكان جوابه

يا طالبا شعر من لم يسم فى الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
انى وحقك لم أبخل به صلفا * ومن يضن على جيد بمجتلب
لكننى صنت هذرى عن روايته * فمثله قل عن سام الى الرتب
خذه اليك كما أكرهت مضطربا * محلا الذم مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لى مما أتحفنى به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار*

وقال صالح بن شريف فى البحر وهو أحسن ما قيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا
طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقال أيضا

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما ان كان فى غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن برطلة

خطوب زمانى ناسبتنى غرابة * لذلك يرمينى بهن مصيب
غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذى يزرى بالدر الثمين* ودخل ابن بقى الحمام وفيه الاعمى التطيلى فقال له أجز *

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا يخفى حسن ما قال الاعمى * وقد ذكر فى بدائع البدائه البيتين معا منسوبين الى ابن بقى وانذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلى المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقى الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

يا حسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماه ما كنفا * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس فى ديمة تذوب

قوله الاعمى فى البدائع الاعمى اه

وأبيض تحتسه رخام * كالثلج حين ابتدى يذوب

وقال ابن بقي حاماً نافيه فصل القيظ البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامير وقد * سالت عليه من الحمام أنداء
كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

قلت تذكرت هنا عند ذكر الحمام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلي المتطبب اذ قال رأيت ببغداد في دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الازهار والاشجار فأدخلني اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الاربلي وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بي عليه وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم أراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها أحسن من صنعة اختها ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورأيت من العجائب في هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته في أي حائط شاء منها ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر فأما الاخضر فيقال انه حجارة تأتي من الروم وأما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة في اللون وغيره وهي ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لي الخادم السائس هذا صنع على هذه الصفة لمخدومي حتى انه اذا نظر الى ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدي بعضهم على أعجاز بعض تحركت شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبه قال الحاكي وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت اليها مخصوصة بهذا الفعل اذا أراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع في الحمام بمن يهواه من الجواري الحسان ذوات الصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به الا في هذه الخلوة من أجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحائط ومجسمة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت في صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه انبوب مركب في صدره وأنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاول برسم الماء الفاتر وعن يمنة الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليها مباخر الند والعود وأبصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة وسألت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة من أي شئ صنعت فقال لي ما أعلم قال الحاكي فما رأيت في عمري ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا بأحسن من ذلك الحمام مع أني ما أحسن أن أصفهما

كما

قوله حماما فاته فصل القيظ هو هكذا في البدائع والذي سبق قريبا حماما كزمان القيظ والمآل واحد وقوله فيما تقدم وفيه للبرد برد الذي في البدائع وفيه للبرد صر وقوله ابن الامير في البدائع ابن الامين اه

كما رأيتهما فانه لم تسكن رويتي لهما ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذي ذكرت كفاية انتهى * ولما اتصل أبو القاسم علي بن أفلح البغدادي الكاتب بأمير المؤمنين المسترشد بالله العباسي ولقبه جمال الملك وأعطاه أربع ديار في درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهدم الكل وأنشأ داره الكبيرة وأعانه الخليفة في بنائها وأطلق له أموالا وآلات البناء وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه أنبوبان ان فركه الانسان يمينا خرج ماء حار وان فركه شمالا خرج ماء بارد وكان على ايوان الدار مكتوبا

ان عجب الراؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يحمل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه * في رياضا نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره * شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

وناد كأن جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا تلم به موثقا
فأضحى يتيه على كل ما * بني مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسي الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو * ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقى انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا فصحبت بصحبي سوالف وسلاف
وبساقي بي العقول بساق * وقوام وفي العناق خلافي

ووصله بنثر تمثل فيه بالبيتين كما مر ولبعضهم

ان حمامنا الذى نحن فيه * أى ماء به وأية نار
قد نزلنا به على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخارى

وألغز بعضهم فى الحمام بقوله

ومنزل أقوام اذاما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
ينفس كربى اذ ينفس كربه * ويعظم أنسى اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجوطرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

(رجع) الى ما كنا فيه من كلام أهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيرى متكلما متحققا برأى الاشعرية وذاكرا لكتب الاصول فى الاعتقاد مشاركا فى الادب متقدما فى الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى

حب حبر يكنى أبا المعالى * هو دينى ففيه لا تعذلونى
أناوالله مغرم بهواه * عللونى بذكره عللونى

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبى يستدعى بعض اخوانه الى مجلس أنس بما صورته نحن فى مجلس أغصانه الندامى وغمامه الصهبا فبالله الا ماكنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حديثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامه أوشمس حجبتها غمامه اذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها أوشربها قهقهة حمامة على فننها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فانت وحياتك اكليلنا وقد آن حلولها فى الاكليل انتهى *وقال أبو الوليد المذكور

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ماسال يجفف

وتذكرت هنا بذكر الورد ماحكاه الشيخ أبو البركات هبة الله بن محمد النصيبى المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة اذ قال كنت فى زمن الربيع والورد فى دارى بنصيبين وقد أحضر من بستانى من الورد والياسمين شئ كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل على شاعران كانا بنصيبين أحدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدى فقلت لهما اعملا فى هاتين الدائرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب

ياحسنها دائرة * من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها * فى حلة من شفق
كعاشق وحبه * تغامزا بالحدق
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من فرق

قال فقلت للحسن هات فقال سبقنى المهذب الى ما لمحته فى هذا المعنى وهو قولى

ياحسنها دائرة * من ياسمين كالحلى
والورد قد قابلها * فى حلة من خجل

كعاشق وحبه * تغامزا بالمقل
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما فى سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى * وما ألطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد لى فما * يشير الى التقبيل فى خلسة اللمس
وبعد زوال الشمس القاه وجنة * وقد أثرت فى وسطها قبلة الشمس

وقال ابن ظافر فى بدائع البدائه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس ابن صارة الاندلسيان فى يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور انه اجتمع مع القاضى الاعز يوما فقال له ابن ظافر أجز طار نسيم الروض من وكر الزهر
فقال الاعز وجاء مبلول الجناح بالمطر انتهى * ويعجبنى قول ابن فرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دونى ولى دونه السكر
ترقرق ماء مقلتاى ووجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر
أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر أى قبلها منهما السحر
وطبنا معا شعرا وثغرا كأنما * له منطقى ثغر ولى ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبى الى القوم اننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

قوله القبطرنة فى البدائع القبطرية اه
قوله فقال ابن القبطرنة الخ الذى فى البدائع عكس النسبة فليتطر اه مصححه

وما فاتني شيء سوى الحظ وحده * وأما المعالي فهي عندي غرائز

وقال

جذ بقلبي وعبث * ثم مضى وما اكترث
واحربا من شادن * في عقد الصبر نفث
يقتل من شاء بعينيه * ومن شاء بعث

وقال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الاندلس

نام طفل النبت في حجر النعامى * لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الوسمي أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيا

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تحيي * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم اقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا الشبا حكم لي في الكرى * ان أذنتم لجفوني أن تناما

وخرج بعض علماء الاندلس من قرطبة الى طليطلة فاجتاز بحريز بن عكاشة الشجاع المشهور الذي ذكرنا في هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأيده بقلعة رباح فنزل بخارجها في بعض جنباتها وكتب اليه

يا فريدا دون ثان * وهلالا في العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البيلسان

فبعث اليه بها وكتب معها

جاء من شعرك روض * جاده صوب اللسان
فبعثناها سلافا * كسجايا الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا * ام سنا المحبوب أورى ازندا
هب من مرقده منكسرا * مسبلا للكم مرخي الردا
يسحب النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
أوردته لطفا آيائه * صفوة العيش أرغته ددا

هو مهيار الديلمي اهـ من هامش

فهو من دل عراه زبدة * من مريج لم تخالط زبدا
قلت هب لى يا حبيبى قبلة * تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * مائلا لطفا وأعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو اما قال قولا رددا
كاد أن يرجع من لثمى له * وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعده * أمطل الوعد وقال اصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذا بت به فى روضة * أغيد يغزوننا الأغيدا
قام فى الليل بجيد أتلع * ينفض اللمة من دمع الندى
ومكان عازب عن جيرة * أصدقاء وهم عين العدا
ذى نبات طيب أعراقه * كعذار الشعر فى خد بدا
تحسب الهضبة منه جبلا * وحبدور الماء منه أبردا

وقال يرثى القاضى ابن ذكوان نجيب ذلك الأوان وقد افتن فى الآداب وسن فيها سنة ابن داب وما فارق ربيع الشباب شرخه ولا استجد فى الكهولة عفاره ولا مرخه وكان لابى عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظننا الذى نادى محقا بموته * لعظم الذى أنحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانما * هبطنا خداريا من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل وانما * فقدناك يا خير البرية ناعبا
وماذهبت اذحل فى القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى الا التحمل رائما * منحناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعد كانوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخطى فى الشريعة هاربا
اذا ما امتروا سحب الدموع تفرعت * فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا الفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوبنا الالد المناويا
ومن ذا ربيع المسلمين يقوتهم * اذا الناس شاموها بروقا كواذبا
فيالهف قلبى آه ذابت حشاشتى * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذى غاب السرور لموته * فليس وان طال السرى منه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويعنو له رب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرارين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أبا حاتم صبر الاديم فاننى * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
ومازلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به نعيى الخطوب المصاعبا
سأستعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا

لئن أفلت شمس المكارم عنكم * لقد أسأرت بدرا لها وكواكبا

قال فى المطمح ودبت الى أبى عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب برئت بها منه أباعد وأقارب واجهه بها صرف قطوب وانبرت اليه منها خطوب نبا لها جفنه عن المضجع وبقى بها البالى يارق ولا يهجع الى أن أعلقت فى الاعتقال آماله وعقلته فى عقال أذهب ماله فأقام مرتهنا ولقى وهنا وقال

قريب بمحتل الهوان مجيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد
صبره عند الامام فياله * عدو لابناء الكرام حسود
وماضره الا مزاح ورقة * ثنته سفيه الذكر وهو رشيد
جنى ماجنى فى قبة الملك غيره * وطوق منه بالعظيمة جيد
ومافى الا الشعر أثبته الهوى * فسار به فى العالمين مريد
أفوه بما لم آته متعرضا * لحسن المعانى تارة فأزيد
فان طال ذكرى بالمجون فانها * عظائم لم يصبر لهن جليد
وهل كنت فى العشاق أول عاقل * هوت بحجاه أعين وخدود
فراق وشجو واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد
فمن يبلغ الفتيان أنى بعدهم * مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار ساكنوها من الاذى * قيام على جمر الحمام قعود
ويسمع للحيات فى جنباتها * بسيط كترجيع الصبا ونشيد
ولست بذى قيد يرن وانما * على اللحظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الحمام وقد بكى * على القصر ألفا والدموع تجود
ألا أيها الباكى على من تحبه * كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محب نأى به * عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا * على القرب حتى ما عليه مزيد
ومازال يبكينى وأبكيه جاهدا * وللشوق من دون الضلوع وقود
الى أن بكى الجذلان من طول شجونا * وأجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب * تصرف فى الاموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تأخر * وللبدر رشحنا بالظلام عدود
الا انها الايام تلعب بالفتى * نحوس تهادى تارة وسعود
وما كنت ذا أيد فأذعن ذاقوى * من الدهر مبدصرفه ومعيد
وراضت صعابى سطوة علوية * لها بارق نحو الندى ورعود
تقول التى من بيتها كف مركبى * أقرب دان أم مداك بعيد
فقلت لها امرى الى من سمت به * الى المجد آباء له وجدود

ثم قال ولزمته آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى تركته يد جنين وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه واطلاقه من ذنب كان قنيصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على

قوله صبره الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى مافيه ولعله محرف والاصل هكذا
(وصيره عند الامام مصادرا) او نحو ذلك مما يناسب اه مصححه
قوله فان طال الخ يوجد هنا فى نسخة ماصورته
فان طال ذكرى بالمجون فاننى * شقى بمظلوم الظلام سعيد
وهل كنت فى العشاق البيت
ثم وان طال ذكرى بالمجون فانها الخ ولعل مافى الصلب أولى
تأمل اه مصححه

العفو له ظهيرا فانها أقعدته حتى حل فى المخفه وعاودته حتى غدت لرونقه مشتفه وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يبطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويزيح ما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش اوّى برأسه * وأيقنت أن الموت لاشك لاحق
تمنيت انى ساكن فى عباءة * بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق
أرد سقيط الطل فى فضل عيشتى * وحيدا وأحسو الماء ثنى المعالق
خليلى من رام المنية مرة * فقد رمتها خمسين قولة صادق
كانى وقد حان ارتحالى لم أفز * قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى * يدا فى ملمّاتى وعند مضايقى
عليك سلام الله انى مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأبينى اذا ما ذكرتنى * وتذكار ايامى وفضل خلائقى
وحرّك له بالله مهما ذكرتنى * اذا غيبونى كل سهم غرانق
عسى هامتى فى القبر تسمع بعضه * بترجيع شاد أو بتطريب طارق
فلى فى ادّكارى بعد موتى راحة * فلا تمنعوها لى علالة زاهق
وانى لارجو الله فيما تقدمت * ذنوبى به مما درى من حقائق

وكان أبو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة ولسانه ينشد

وشيدت مجدى بين أهلى ولم أقل * ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

وهجا ابن ذى النون بقوله

تلقبت بالمأمون ظلما واننى * لآمن كلبا حيث است مؤتمنه
حرام عليه أن يجود بشمره * وأمّا الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور الخازى دون أبواب قصره * بحجابه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أيا راكب الوجناء بلغ تحية * أمير جذام من أسير مقيد
ولما دهتنى الحادثات ولم أجد * لهاوزرا أقبلت نحوك أعتدى
ومثلك من يعدى على كل حادث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فهلا أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذنى من طول هم مجدد
وها أنا فى بطن الثرى وهو حامل * فيسر على رقبى الشفاعة مولدى
حنانيك ألفا بعد ألف فاننى * جعلتك بعد الله أعظم مقصدى
وأنت الذى يدرى اذا رام حاجة * تضل بها الآراء من حيث يهتدى

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتى موهوبة من علاكا * وكيف أرى عادلا عن ذراكا
ولولم يكن لك من نعمة * على وأصبحت أبغى سواكا
لناديت فى الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الاّ نداكا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وامارته * وقال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشم ورأبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري ودون قدرك فأطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله لمولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمه ولا يرعون الا ولا ذمه كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من أجدب وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون الى ما لا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ما ظنك بقوم الصدق يستحسن الا منهم فرفع المنصور رأسه وكان محاميا أهل الادب والشعر وقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال ما بال أقوام يشيرون في شئ لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم فيما لا يدرون أيرضى أم يسخط وأنت أيها المنبعث للشر دون أن يبعث قد علمنا غرضك في أهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من رأى الناس له فضلا * عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ولسنا ان شاء الله تعالى نبلغ أحدا غرضه في أحد ولو بلغتنا كم بلغنا في جانبكم وانك ضربت في حديد بارد وأخطأت وجه الصواب فزدت بذلك احتقارا وصغارا واني ما أطرقت من كلام الرمادي انكارا عليه بل رأيت كلاما يجل عن الاقدار الجليلة وتعجبت من تمكنه له بسرعة واستنباطه له على قلته من الاحسان الغامر ما لا يستنبطه غيره بالكثير والله لو حكمته في بيوت الاموال لرأيت انها لا ترجح ما تكلم به قلبه ذرة واياكم أن يعود أحد منكم الى الكلام في شخص قبل أن يؤخذ معه فيه ولا تحكموا علينا في أوليائنا ولو أبصرتم منا التغير عليهم فاننا لا نتغير عليهم بغضا لهم وانحرافا عنهم بل تأديبا وانكارا فانا من نريد ابعاده لم تظهر له التغير بل ننبذه مرة واحدة فان التغير انما يكون لمن يراد استبقاؤه ولو كنت مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه لتفرقتم أيدي سبا وجونبت انا مجانبة الاجرب واني قد أطلعتكم على ما في ضميري فلا تعدلوا عن مرضاتي فتجنبوا سخطي بما جنيتموه على أنفسكم ثم أمر أن يرد الرمادي وقال له أعد علي كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ما قدرت الثواب أولى بكلامك من العقاب فسكن لتأنيسه وأعاد ما تكلم به فقال المنصور بلغنا أن النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدر لكلام استحسنه منه وقد أمرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو أنوه وأحسن عائدة وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش منه ثم رد رأسه الى المتكلم في شأن الرمادي وقد كاد يغوص في الارض لو وجد لشدة ما حل به مما رأى وسمع وقال والعجب من قوم

يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا أيادي يرغب في نشرها فأين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وأين الذي قيل فيه

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أما كان في الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء والاحسان اليهم أحيت غابر ذكرهم وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح مآثرهم فدثر ذكرهم ودرس فخرهم انتهى * ومن حكاياتهم في العدل انه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصبوا أحد الصالحين في جنة وألحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انها للايتام من أقاربه فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فأمر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك في الارض وحملك الحرص على ما يفنى أن تضم الى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لايتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها ولئن تحجبت عليّ بسلطانك واقتدرت عليّ بعظم شانك فنجتمع غدا بين يدي من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال عليّ بالمشتغلين ببناء الصمادحية فأحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا صدقه واعتذروا بان نقصها من الصمادحية يعيبها في عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها في عين الخالق أقبح من عيبها في عين المخلوق ثم أمر بأن تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحية ولقد مر بعض أعيان المرية وأخبارها مع جماعة على هذا المكان الذي أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال أشعرتم أن هذا المكان المعوج في عيني أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة في الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولي عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفي ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بأرض اغتراب لا أمر ولا أحلي

وقد أصدأت فيها الجذاذة أنملي * كما نسيت ركض الجياد بها رجلي

فلا مسمعي يصغي لنغمة شاعر * وكفي لا تمتد يوما الى بذل

قوله أحلي في نسخة منه لي اه

قال ابن اللبانة الشاعر ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فانى رأيت منه خير من يجتمع به كأنه لم يخلقه الله تعالى الا للملك والرياسة واحياء الفضائل ونظرت الى همته تنم من تحت خموله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت الصدا مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبته من الادباء فى ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الى فى أن استأذنه فى ذلك فلما أعلمت عز الدولة قال يا أبا بكر انعلم أنا اليوم فى خمول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يجمل بنا الاجتماع مع أحد لاسيما مع ذى ادب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بمنة التفضل فى زيارتنا ونكابد من ألفاظ توجعه وألحاظ تفجعه ما يجدد لنا هما قد بلى ويحيى كمدا قد فنى وما لنا قدرة على أن نجود عليه بما يرضى به عن همتنا فدعنا كأننا فى قبر نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الماء بالخمر فكأننا لم نكشف حالنا لسوانا ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا فلا تحمل غيرك محملك قال ابن اللبانة فلا والله ما سمعت بلاغة لا تصدر الا عن سداد ونفس أبية متمكنة من أعنة البيان وانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

وكتب اليه ابن اللبانة

يا ذا الذى هز أمداحى بحليته * وعزه أن يهز المجد والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لايام المنى سلما

فتحيل فى قليل بر ووجهه اليه وكتب اليه

المجد يخجل من يفديك من زمن * ثناك عن واجب البر الذى علما
فدونك النزر من مصفى مودته * حتى يوفيك أيام المنى السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور

أفدى أبا عمرو وان كان عاتبا * فلا خير فى ود يكون بلا عتب
وما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعينى ثم أظلم فى قلبى

وقال الشقندى فى الطرف ان عز الدولة أشعر من أبيه وأما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق ومنه ما كتب به الى يحيى بن مطروح يستدعيه لانس

يا أخى بل سيدى بل سندى * فى مهمات الزمان الانكد
لح بأفق غاب عنه بدره * فى اختفاء من عيون الحسد
وتجمل فخبيى حاضر * وفى يشتاق كاسى فى يدى

فأجابه ابن مطروح وهو من أهل باغة بقوله

أنا عبد من أقل الاعبد * قبلتى وجهه بأفق الاسعد

كلما أظمانى وردها * منهلى الابذال المورد
ها أنا بالباب أبغى اذنكم * والظما قد مد للكاس يدى

وكان قد سلط عليه انسان مختل اذا رآه يقول هذا ألف لاشئ عليه يعنى ان ملكه ذهب عنه وبقى فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك الى بعض أصحابه فقال أنا أكفيك مؤنته واجتمع مع الاحمق واشترى له حلواء وقال له اذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا الف لاشئ عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك الى أن لقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك أشد عليه وكان به علة الحصا فظن أن الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به فى موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستثقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

خلت أمتى لكن ذاتى لم تخل * وفى الفرع ما يغنى اذا ذهب الاصل
وما ضركم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجىء به الفضل
وكل اناء بالذى فيه راشح * وهل يمنح الزنبور ما يمنح النحل
ساصرف وجهى عن جناب تحله * ولو لم تكن الا الى وجهك السبل
فما موضع تحتله بمرفع * ولا يرتضى فيه مقال ولا فعل
وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوى * ولكن بارباب العلا يجمل العذل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة فى المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبى ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يسطيع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقبلت ألثم
تخيل لى أنى أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع * وقال أبو العلا بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بدا وعليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * فى أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يا من حكى البيدق فى شكله * أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر ما فيه

وقال ابن خفاجة

يا أيها الصب المعنى به * ها هو لا خل ولا خمر
سود ما ورد من خده * فصار فحما ذلك الجمر

وقال أبو عبد الله البياسى

صغر الرأس وطول العنق * شاهدا عدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة فى الخلق

فاذا أبصرتها من رجل * فاقض فى ما بينه بالحق

وقال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك وابن عياش

لعمرى لقد سر الخلافة قائما * بخطبته الغراء سهل بن مالك
وأما ابن عياش وقد كان مثله * فضلوا جميعا بين تلك المسالك
ومات وماتوا حسرة وحسادة * وغيظا فقلنا هالك فى الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله تعالى على هاشم بالاسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموى ذكره فى جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال أصلح الله تعالى الامير انه لم يكن على هاشم التخير فى الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به ونكل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه حتى ملك مقبلا غير مدبر مبليا غير فشل فجوزى خيرا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق للملام عليه وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الا رضا للامير واجتنابا لسخطه فاذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالب التقصير فذلك معدود فى سوء الحظ فأعجب الامير كلامه وشكر له وفاءه وأقصر فيما بعد عن تفنيد هاشم وسعى فى تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق من صدقك فى الشدة لا فى الرخاء والاخ من ذب عنك فى الغيب لا فى المشهد والوفى من وفى لك اذ خانك زمان وقد أتانى من كلامك بين يدى سيد ما جعل الله تعالى نعمته سرمدا ما زادنى بمودتك اغتباطا وبصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت أشد يدى على وصلك وأخصك باخائى وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء وأنت اقدر منى على أن تزيد ما بدأت به بأن تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة ويستوثق عقد الصداقة ان شاء الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

أيا ذاكرى بالغيب فى محفل به * تصامت جمع عن جواب به نصرى
أتتنى والبيداء بينى وبينها * رقى كلمات خلصتنى من الاسر
لئن قرب الله اللقاء فانى * سأجزيك ما لا ينقضى غابر الدهر

فأجابه الوليد خلصك الله أيها السيد ومن سرارك وعجل بطلوعك فى أكمل تمامك وابدارك وصلنى شكرك على أن قلت ما علمت ولم أخرج عن النصح للسلطان بما ذكرته من ذلك والله تعالى شاهد على أن ذلك فى مجالس غير المجلس المنقول لسيدى ان خفيت عن المخلوق فلم تخف عن الخالق ما أردت بها الا أداء بعض ما اعتقده لك وكم سهرت وأنت نائم وقت فى حق رأيناه [illegible] أحسن عملا نذكر أبيا تالم تحضرنى الآن * ومن حكاياتهم [illegible] الله دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة وبه نحوى حوله شباب يقرؤن فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به ما يحمل

الفقيه ومايحسن من العلوم ومايقول فقال لهم أجل اثنى عشر الف دينار وهاهى تحت ابطى وأخرج لهم اثنتى عشرة ياقوتة كل واحدة منها بألف دينار وأما الذى أحسنه فاثناعشر علماأدونها علم العربية الذى تبحثون فيه وأما الذى أقول فأنتم كذا وجعل يسبهم هكذا نقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبي حيان النحوى رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أباالقاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غيررسم ومثال واحتال فى تطيير جثمانه وكسانفسه الريش ومدله جناحين وطارفى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه فتأذى فى مؤخره ولم يدرأن الطائرانما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر من أبيات

يطم على العنقاء فى طيرانها * اذاما كسا جثمانه ريش قشعم

وصنع فى بيته هيئة السماء وخيل للناظرفيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبى القاسم ناهيك حسن رائقها
أماضراط استه فراعدها * فليت شعرى مالمع بارقها
لقد تمنيت حين دونها * فكرفى البصق فى است خالقها

وأنشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفى وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد قبحا لما رتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمرفيه البذر فخجل وسبه * وأول من اشتهر فى الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم ابن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق فى صلاته وكان عالما بحركات الكواكب وأحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من على بن عبد العزيز وبمصر من المزنى وغيره * ومنهم يحيي بن يحيي المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة وكان بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعانى الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلى المذهب * وأبو القاسم اصبغ بن السمح وكان بارعا فى علم النجوم والهندسة وله تآليف منها كتاب المدخل الى الهندسة فى تفسير اقليدس وكتاب كبير فى الهندسة وكتابان فى الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسندهند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر على مذاهب السندهند وله كتاب فى عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن الزهراوى كان عالما بالعدد وبالطب والهندسة وله كتاب شريف فى المعاملات على طريق البرهان * ومنهم أبو الحكم عمر الكرمانى من أهل قرطبة من الراسخين فى علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو أول من دخل برسائل اخوان الصفا الى

قوله بالمثقال فى نسخة بالمنقالة اه

الاندلس * ومنهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف اشبيلية وكان متصرفا فى علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذه ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه أبو الحسن مختار الرعينى وكان بصيرا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن أحمد السرقسطى كان نافذا فى علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد بن الليث كان بارعا فى العدد والهندسة وحركات الكواكب وأبو حى قرطبى بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل بأميرها الصليحى القائم بدعوة المستنصر العبيدى فحظى عنده وبعثه رسولا الى بغداد الى القائم بامر الله وتوفى باليمن بعد انصرافه من بغداد وأبو الوقشى الطليطلى عارف بالهندسة والمنطق والزيوج ممن يطول تعداده وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشى من أعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعانى الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها وهو كما قال الشاعر

وكان من العلوم بحيث يقضى * له فى كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة انها * بدقيق أعمال المهندس ماهره
عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال

لا أركب البحر ولوانى * ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما ان رأت عينى أمواجه * فى فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة آية الله تعالى فى الطب وغيره حتى انه عانى جميع ما فى كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوى بالادوية ما أمكن بالاغذية أوما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوى بالمركبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة فى الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج وأقربه * ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن أحمد المالقى الملقب بضياء الدين وله عدة مصنفات فى الحشائش لم يسبق اليها وتوفى بدمشق سنة ست وأربعين وستمائة أكل عقارا قاتلا فمات من ساعته رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الحفظ أن الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس فى عصره أبا المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبى غالب كان اعجوبة دهره فى الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد أخبرنى من أثق به انه حضر معه ليلة عند أحد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك فى أول الليل فقال لهم ان شئتم تختبرونى أجبتكم فقالوا له بسم الله انا نريد أن نحدث عن تحقيق فقال اختاروا أى قافية شئتم لا أخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من أول الليل الى أن طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلى يأرق) وسماره قد نام بعض وضجر بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه يوما بدار الاشراف

قوله وأبو حى فى نسخة وابن حى اه

باشبيلية

باشبيلية وحوله أدباء ينظرون فى كتب منها ديوان ذى الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا أبا عمران أوأجب أن يمنعه منى وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة فقال اسمعونى وأمسكوه فأنشد من أوله حتى قارب نصفه فأقسمنا عليه أن يكف وشهدنا بالحفظ وكان آية فى سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد عهدى به فى اشبيلية يملى على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما أخذ الحصار يخنق اشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج القارظين ولا يدرى حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا أقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فمى
وقد استشرتك فى الحديث فهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله

عندى لفقدك أوجال أبيت بها * كأننى واضع كفى على قبس
ولا ملامة ان لم أهد نيره * حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت أودع سر الشوق فى طرس * لكننى خفت أن يعدو على الطرس

وأنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة فى املائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * ان الكثيب هوى له محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفة * ولكم علينا دمعنا المسكوب
تخلى الديار من الحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا فى وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفى أم شهاب * هفا كالبرق ضرمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقابا * ففر به وصح لنا النقاب
فهما حث خال الصبح وافى * ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كل النجم عنه * وضلت عن مسالكه السحاب
فيا عجبا له فضل الدرارى * فكيف أزال أربعه التراب
سل الارواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلقى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكى دخلت مرسية فتشبث بى أهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت انظروا من يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابى فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيدة فقرأه على من أوله الى آخره فعجبت من حفظه وكان أعمى وابن سيدة المذكور هو أبو الحسن على بن أحمد بن سيدة وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن الموفق

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

فجئت فهسن فى برد ظلك نومة * لذى كبد حرّى وذى مقلة وسنا

وتوفى ابن سيدة المذكور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى حب العلم أن المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن فى ملوك الاندلس من يفوقه فى أدب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر أيضا اسمه بالكتاب المظفرى فى خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب أبقاه للناس خالدا وتوفى المظفر سنة ستين وأربعمائة وكان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيد ويستفيد رحمه الله تعالى ومن التآليف الكبار لاهل الاندلس كتاب السماء والعالم الذى ألفه أحمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رأيت بعضه بفاس وتوفى ابن ابان سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة فى محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والادب كالغريزة حتى فى صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم وأكابرهم ولنذكر جملة من ذلك الجملة فنقول حكى عن عالم المرية القاضى أبى الحسن مختار الرعينى وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاء يوما زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاء يمشى مشية قاض قليلا قليلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يا فقيه ما هذا البطء فتأخر الى باب المجلس وطلب عصا وشمر ثيابه فقال له زهير ما هذا قال هذا يليق باستعجال الحاجب لى فوقع فى خاطرى انه عزلنى عن القضاء وولانى الشرطة فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضى هو القائل وقد دخل حماما فجلس بازائه عامى أساء الادب عليه

ألا لعن الحمام دارا فانه * سواء به ذو العلم والجهل فى القدر
تضيع به الآداب حتى كأنها * مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

وروى أن المقرى أبا عبد الله محمد بن الفراء امام النحو واللغة فى زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية أبطأ خروجه يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام فى المذاكرة فقال أحدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من أبناء الاعيان وكان ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال له يا استاذ عملت نصف بيت وأريد أن تتمه فقال ما هو فقال الا بأبى شادن أوطف فقال الاستاذ ابن الفراء بديها

اذا كان وردك لا يقطف * وثغر ثناياك لا يرشف
فأى اضطرار بنا أن نقول * الا بأبى شادن أوطف

وهذا ابن الفراء هو القائل

قيل لى قد تبدلا * فاسل عنه كاسلا
لك سمع وناظر * وفؤاد فقلت لا
قيل غال وصاله * قلت لما غلا حلا

أيها العاذل الذي * بعذابي توكلا
عد صحيحا مسلما * لا تعير فتبتلي

وتذكرت بهذا ما أنشده لسان الدين في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف

قلت للساخر الذي * رفع الانف فاعتلي
أنت لم تأمن الهوى * لا تعير فتبتلي

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتي ما عرف
وقال الشهود على المدعي * وأما أنا فعلى الحلف
فجئنا الى الحاكم الالمعي * قاضي المجون وشيخ الظرف
وكان بصيرا بشرع الهوى * ويعلم من أين أكل الكتف
فقلت له اقض ما بيننا * فقال الشهود على ما تصف
فقلت له شهدت أدمعي * فقال اذا شهدت تنتصف
ففاضت دموعي من حينها * كفيض السحاب اذا ما يكف
فحرك رأسا الينا وقال * دعوا يا مهاتيك هذا الصلف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فأين الخلف
وأوما الى الورد أن يجتني * وأوما الى الريق أن يرتشف
فلما رآه حبيبي معي * ولم يختلف بيننا مختلف
أزال العناد فعانقته * كأني لام وحبي ألف
فظلت أعاتبه في الجفا * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهري خطيب اشبيلية وكان أعرج انه خرج مع ولده الى وادي اشبيلية فصادف جماعة في مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف وأشار الى ولده فقال له الزهري ما هو للبيع فقال بكم هذا التيس وأشار الى الشيخ الزهري فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لا يجزئ في الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرة هذا النهر مع الباجي يوم خميس فلما أصبحا وصعد الزهري يخطب يوم الجمعة والباجي حاضر قدامه فنظر اليه الباجي وأوما الى محل الحدث وأخرج لسانه فجعل الزهري يلمس عصا الخطبة يشير بالعصا الى جوابه على ما قصد رحمه الله تعالى * ومر العالم أبو القاسم بن ورد صاحب التآليف في علم القرآن والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد أتاك يبغي أباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا لجواب * يرتضي بالندا فماذا تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه وأقسم في النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى أن أبا الحسن سليمان بن الطراوة نحوي المرية حضر مع ندماء والى جانبه من أخذ بمجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب

وأبدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه ويا بردها على كبده ثم قال بديها

يشربها الشيخ وأمثاله * وكل من تحمد أفعاله
والبكران لم يستطع صولة * تلقى على البازل أثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام والكاس في يده فقال

ألا بأبي وغير أبي غزال * أتى وبراحه للشرب راح
فقال منادمي في الحسن صفه * فقلت الشمس جاء بها الصباح

وقال فيمن جاء بالراح

ولما رأيت الصبح لاح بخده * دعوتهم رفقا تلح لكم الشمس
وأطلعها مثل الغزالة وهو كالـ * غزال فتم الطيب واكتمل الانس

وقال وقد شرب ليلة في القمر

شربنا بمصباح السماء مدامة * بشاطي غدير والازاهر تنفح
وظل جهول يرقب الصبح ضلة * ومن أكؤس لم يبرح الليل يصبح

وكان عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف في جنة بهجة فجاءتهم ورقة من ثقيل يرغب في الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدى هذا مكان * لا يرى فيه بلحيه
غير تيس مصفعانى * له بالصفع كديه
أوله ابن شافع فيه * فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل * ساءتا تلك المطيه

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الازجال خليفة ابن قزمان في زمانه وكان أهل الاندلس يقولون ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت الى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ماذا عليكم لو كتبتم * حرفا ولو باليسار
اذ أنتم نور عيني * ومطلبي واختياري

وقال الخطيب الاديب النحوي أبو عبد الله بن الفراء المذكور قبل هذا بقريب الضرير في صبي كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن وهو في غاية الجمال بعد أن سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال أقول ما أحسنى

يا حسنا ما لك لم تحسن * الى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتنى * منه وقد ألدغنى عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسنى * ويا لذاك اللفظ ما أعذبه

ففوق السهم ولم يخطني * واذ رآني ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبني * وحبه اياي قد عذبه
يرحمه الله على أنني * قتلي له لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب فى فرحة الانفس فى فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية تخرق بها العوائد * وحكى ان قاضى المرية قبل شهادته فى سطل ميزه فى حمام باللمس واختبره فى ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضى أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة فى المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذى يقول فيه ما صورته فما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه فى قبره ولا ممن لا يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر رضى الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد فى بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من اهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى وأما ابن الفراء الاخفش بن ميمون الذى ذكره الحجارى فى المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن الغيداق من أعمال قلعة بنى سعيد وتأدب فى قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودى وهو القائل

صابح محياه تلق النجح فى الامل * وانظر بناديه حسن الشمس فى الحمل
مالى يلاقى خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجى المنفتل شاعر البيرة ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض * زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضرره يا سيدى لا تقرب هذا اللعين فانه قال فى اليهودى

ولكن عندى للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكى على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذى ينبغى أن يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا فى أصحابنا من لا يرعى مسلما فى حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى
فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور قوله

اذا زرتكم غبا فلم ألق بالبر * وان غبت لم أطلب ولم أجر فى الذكر
فانى اذن أولى اورى بفراقكم * ولاسيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد على المنصور بن أبى عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغسانى البجانى ثم رهق فى دينه فسجنه فى المطبق مع الطليق القرشى والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يومئذ وفيه يقول

غدوت فى السجن خدنا لابن يعقوب * وكنت أحسب هذا فى التكاذيب
رامت عداتى تعذيبى وما شعرت * ان الذى فعلوه ضد تعذيبى
راموا بعادى عن الدنيا وزخرفها * فكان ذلك ادنائى وتقريبى
لم يعلموا أن سجنى لا أبا لهم * قد كان غاية مأمولى ومرغوبى

وسجن ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجاء فقال فيه

ولى جليس قربه منى * بعد الامانى كذبا عنى
قد قذيت من لحظه مقلتى * وقرحت من لفظه أذنى
هوّن لى فى السجن من قربه * أشد فى السجن من السجن
لو أن خلقا كان ضدا له * زاد على يوسف فى الحسن
اذا ارتقى فكرى فى وجهه * سلط ابطيه على ذهنى
كانما يجلس من ذا وذا * بين كنيفين من النتن

وقال يخاطب المنصور من السجن

دعوت لما عيل صبرى فهل * يسمع دعواى المليك الحليم
مولاى مولاى ألا عطفة * تذهب عنى بالعذاب الاليم
ان كنت أضمرت الذى زخرفوا * عنى فدعنى للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوى * وعنده الفردوس ذات النعيم

وركب بعض أهل المرية فى وادى اشبيلية فمر على طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغنى خانى من وادو من قوارب ومن تراها فى شنتبوس غرس الحبق الذى فى دارى أحب عندى من الفردوس فأخرجت رأسها جارية وقالت له من أى بلد أنت يا من غنى فقال من المرية فقالت وما أعجبك فى بلدك حتى تفضله على وادى اشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش وهذا من أحسن تعييب وذلك انها أتته بالنقيض من اشبيلية فان وجهها النهر العذب وقفاها بجبال الرحمة أشجار التين والعنب لا تقع العين الا على خضرة فى أيام المرج وأين اشبيلية من المرية وفى المرية يقول السميسر شاعرها

بئس دار المرية اليوم دارا * ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الا بريح * وبما قد تهب أو لا تهب

يشير الى ان مرافقها مجلوبة وأن الميرة تأتيها فى البحر من بر العدوة وفيها يقول أيضا

قالوا المرية فيها * نظافة قلت ايه

قوله خانى الخ هكذا فى الاصل ولينظر وقوله من الفردوس فى نسخة من الغروس اه

كأنها طست تبر * ويصبغ الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسي انه دخل عليه في مجلس انس شيخ ضخم الجثة مستثقل فقال البياسي

اسقني الكاس صاحبه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقيا له * ليس ترويه ساقيه

وحكى ان العالي ادريس الحمودي لما عاد الى ملكه بمالقة وبخ قاضيها الفقيه أبا علي ابن حسون وقال له كيف بايعت عدوي من بعدي وصحبته فقال وكيف تركت أنت ملكك لعدوك فقال ضرورة القدرة حملتني على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت في يد من لا يسعني الا طاعته ومن نظم القاضي المذكور

رفعت من دهري الى جائر * ويبتغي العدل باحكامي

أضحت به آمالكم مثل أشـ * كال خيال طوع أيامي

هذا لما أبرم ذا ناقض * كأنهم في حكم أحلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدي قاضي مالقة جرى كما قال الحجاري في صباه طلق الجموح يعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير وأحالته تلك الرجعه فيما شاء من الرفعه وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكما مررنا على امرأة بديعة حسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم يثن عنها صرفه ثم سايرته بعدما رجع عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلي الطريق معرضا الى ناحيه متى زاحمته امرأة ولو حكت الشمس صاحبه فقلت له في ذلك فقال

ذاك وقت قضيت فيه غرامي * من شبابي في سترة الاظلام

ثم لما بدا الصباح لعيني * من مشيبي ودعته بسلام

ومن شعره في صباه

لا ترتجوا رجعتي باللوم عن غرض * ولا تركوني وصيدي فرصة الخلس

طلبتم ردّ قلبي عن صبابته * ومن يردّ عنان الجامح الشرس

ولما أقصر باطله وعرّيت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبي عففت عن الهوى * كما يهتدي حلف السرى بنجوم

وفارقت أشياع الصبابة والطلا * وملت الى أعلى علا وعلوم

قوله عففت في نسخة عطفت اه

ولما ناب بنو حسون على القاضي الوحيدي المذكور وصادر عنه العالم الاصولي أبو عبد الله بن الفخار وطلع في حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلي على خيرة أنبيائه محمد الهادي الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذي اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفي

نصيرا وظهيرا ونفزع اليك بما دهمنا في حالك ونبث اليك ما لحقنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك ويأبى الله أن يدهم من احتمى بأمير المسلمين ويصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين شكوى قدمت بها بين يديك في حق أمرك الذى عضده مؤيده لتسمع منها ما تعتبره برأيك وتنقده وان قاضيك ابن الوحيدى الذى قدمته في مالقة للاحكام ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته ويرضى الله تعالى ويرضى الناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولا دريناله موقف خزى ولم يزل جاريا على ما يرضى الله تعالى ويرضيك ويرضينا الى أن تعرضت بنو حسون الى الطعن في أحكامه والهدم من أعلامه ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم بل جمحوا في لجاجهم فعموا وصموا وفعلوا وأمضوا ما به هموا والى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر فلا سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه * ومن شعر ابن الفخار المذكور ويعرف بابن نصف الربض قوله

أمستنكر شيب المفارق في الصبا * وهل ينكر النور المفتح في الغصن
أظن طلاب المجد شيب مفرقى * وان كنت في احدى وعشرين من سنى

وقوله

أقل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقلى
وخل اجتنابك ان الزمان * يمر تكدره ما حلا
وواصل أخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلى
وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك أن تنبلا
اذا ما خليل أسا مرة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا

ولما وفد أبو الفضل بن شرف بن برجة في زى تظهر عليه البداوة بالنسبة الى أهل حضرة المملكة العظمى أنشده قصيدته القافية

مطل الليل بوعد الفلق * وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى * فاستفاد الروض طيب العبق
وألاح الفجر خدا خجلا * جال من رشح الندى في عرق
جاور الليل الى أنجمه * فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة * أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنا عن حلك * وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بأبى بعد الكرى طيف سرى * طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى والليل ناع سدفه * وهو مطلوب بباقى الرمق
ودموع الطل تمريها الصبا * وجفون الروض غرقى الحدق
فتأنى في ازار ثابت * وتثنى في وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره * فتجلى فلق عن غسق

نهب الصبح دجى ليلته * فحبا الخد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدى سيفه * وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق
أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق
لو تعاطى بين أسراب المها * نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده بالبقق
وانبرى تحسبه أجفل عن * لسعة أو جنة أو أولق
مدركا بالمهل مالا ينتهى * لاحقا بالرفق مالم يلحق
ذو رضا مستتر فى غضب * ذو وقار منطو فى خرق
وعلى خد كعضب أبيض * اذن مثل سنان أزرق
كلما أنصبها مستمعا * بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شبا خطية * لا يجيد الخط مالم يشق
كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذرى ظمآن فيه هيف * لم يدعه للقضيب المورق
يتلقانى بكف مصفح * يقتضى شأو عذار مغلق
ان يدر دورة طرف يلقح * أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح على انبوبه * وجرت أكعبه فى زئبق
كلما قلبه باعد عن * متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها * فتآخذن بعهد موثق
أوجدت فى الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا فى حلق
كلما دارت بها أبصارها * صورت منها امثال الحدق
زلت عنه متن مصقول القوى * يرتمى فى مائها بالحرق
لو نضا وهو عليه ثوبه * لتعرى عن شواظ محرق
أكهب من هبوات أخضر * من فرند أحمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته * جبيا من لكفيك سقى
يابنى معن لقد طلت بكم * شجر لولاكم لم تورق
لو سقى حسان احسانكم * مابكى ندمانه فى جلق
أوردنا الظنى من حيكم * ماحدا البرق وبيع الابرق
أبدعوا فى الفضل حتى كلفوا * تكاحل الايام مالم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أى البوادى أنت قال أنا من الشرف فى الدرجة العاليه وان كانت البادية على بادية ولا أنكر خالى ولا أعترف بخالى غمات ابن أخت غانم خجلا

وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب افريقية أبي عبد الله محمد بن شرف الجذامي ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه وهو ابن سبع سنين ومن نظمه قوله

رأى الحسن ما في خده من بدائع * فأعجبه ما ضم منه وحرّفا
وقال لقد ألفيت فيه نوادرا * فقلت له لا بل غريبا مصنفا

وقوله

قد وقف الشكر بي لديكم * فلست أقوى على الوفاده
ونلت أقصى المراد منكم * فصرت أخشى من الزياده

وقوله

اذا ما عدوّك يوما سما * الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر

لم يبق للجور في أيامهم أثر * غير الذي في عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة قوله

قامت تجرّ ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وكان قد قصر أمداحه على المعتصم وكان يفد عليه في الاعياد وأوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا ناقشه في قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التي مرّ مطلعها الى أن بلغ قوله لم يبق للجور البيت فقال له كم في القرية التي تحرث فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له أنا أسوّغك جميعها لهذا البيت الواحد ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال وله ابن فيلسوف شاعر مثله وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل المذكور وهو القائل

وكريم أجارني من زمان * لم يكن من خطوبه لي بد
منشد كلما أقول تناهى * ما لمن يبتغي المكارم حد

وابن أخت غانم هو العالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن في علوم شتى الا أن الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القائل في ابن شرف المذكور قوله معمر في نسخة يعمر اه

قولوا للشاعر برجة هل جاء من * أرض العراق فحاز طبع البحتري
وافى بأشعار تضج بكفه * وتقول هل أعزى لمن لم يشعر
يا جعفر اردد القريض لاهله * واترك مباراة لتلك الابحر
لا تزعمن ما لم تكن أهلا له * هذا الرضاب لغير فيك الابخر

وذكره ابن اليسع في مغربه وقال انه حدثه بداره في مالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة وله تآليف منها شرح كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا وغير ذلك * وغانم خاله الذي يعرف به هو الامام العالم غانم المخزومي نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون في أول شبابه على أبي

الوليد بن ضابط النحوى المالقى جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف

فقال ابن عبدون معرّضا به حين كان مستجديا بالشعر وكان اذ ذاك شيخا

لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل فى المظفر بن الافطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق

فان كنت منى بامتداح مظفرا * فانى فى قصدى اليك موفق

ودخل غانم المخزومى المالقى السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حبوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارحا * فها أنا أغدو نحو قبرك ناكلا

وقد كنت فى مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من ملك يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وكتب أبو على الحسن بن الغليظ الى صاحبه ابى عبد الله بن السراج وقد قدم من سفر

يامن أقلب طرفى فى محاسنه * فلا أرى مثله فى الناس انسانا

لو كنت تعلم مالاقيت بعدك ما * شربت كاسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب فى الطريق

يامن اذا ماسقتنى الراح راحته * أهدت الى بها روحا وريحانا

من لم يكن فى صباح السبت يأخذها * فليس عندى بحكم الظرف انسانا

فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذاكرا حسنا فيه واحسانا

وفى البساتين ان ضاق المحل بنا * مندوحة لاعدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو على الحسن بن كسرى المالقى المشهور على ملك اشبيلية السيد أبى اسحق ابراهيم بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على وأنشده قصيدة طار مطلعها فى الاقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهى المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقى غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دوره * فزاد فى لالائه باللآلى

كأنها شمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال

قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتبها فى المقال

قوله فها أنا الخ لا يخفى مافى نصب باقلا فلعله محرف والاصل وقد صرت الخ اه مصححه

وأجرياذكرالوشاح الذى * لمايزل من خصرها فى مجال
فقال لم أرض بماناله * وليتنى مثلكما لا أزال
أغص بالخصر وأعيابه * كغص ظمآن بماء زلال
وانماالدهر بغير الرضا * يقضى فكل غير راض بحال

وهو القائل

سل بحماسناالذى * كل عن شكره فمى
كم أرانى بقربه * جنة فى جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلى وصى الوجه من تلامذته فانقطع لعارض فخرج السهيلى مارا فى الطريق الذى جرت عادته بالمشى فيه فوجد قناة تصلح فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر فمر على دار تلميذه الوضى فقال له بعض أصحابه ممازحا بعبوره على منزله فقال نعم وأنشد ارتجالا

جعلت طريقى على بابه * ومالى على بابه من طريق
وعاديت من أجله جيرتى * وآخيت من لم يكن لى صديق
فان كان قتلى حلالا لكم * فسيروا بروحى سير الرفيق

وأبو القاسم السهيلى مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى أيضا بأبى زيد وهو صاحب كتاب الروض الانف وغيره واجتاز على سهيل وقد خربه العدو لما أغار عليه وقتلوا أهله وأهاربه وكان غائبا عنهم فاستأجر من أركبه دابة وأتى به اليه فوقف بازائه وأنشد

يادار أين البيض والآرام * أم أين جيران على كرام
راب المحب من المنازل انه * حيا فلم يرجع اليه سلام
لما أجابنى الصدى عنهم ولم * يلج المسامع للمجيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما * بمقال صب والدموع سجام
يادار مافعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

وجرى بين السهيلى والرصافى الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافى

عفا الله عنى فانى امرؤ * أتيت السلامة من بابها
على أن عندى لمن هاجنى * كنائن غصت بنشابها
ولو كنت أرمى بها مسلما * لكان السهيلى أولى بها

وتوفى السهيلى بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزرت قبره بها مرارا سنة عشر وألف وسكن رحمه الله تعالى اشبيلية مدة ولازم القاضى أبابكر بن العربى وابن الطراوة وعنه أخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره أيضا لما قال كيف أمسيت مكان كيف أصبحت

لئن قلت صبحا كيف أمسيت مخطئا * فما أنا فى ذاك الخطا بملوم
طلعت وأفقى مظلم لفراقكم * فخلتك بدرا والمساء همومى

* وحكى أن الوزير الكاتب أبا الفضل بن حسداى الاسلامى السرقسطى وهو من رجال

قوله فقال له الخ مقول القول محذوف لدلالة الحال ومتعلقه عليه تأمل اه مصححه

الذخيرة عشق جارية ذهبت بلبه وغلبت على قلبه فجن بها جنونه وخلع عليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها في يديه فتحامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطربنا غيم يمازج شمسه * يستر طورا بالسحاب ويكشف
ترى قزحا في الجو يفتح قوسه * مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان في مجلس المقتدر بن هود ينظر في مجلد فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذي تنظر فيه من الكتب المنزلة قال التوراة فقال نعم وجلدها من جلد دبغه من تعلم فبات خجلا وضحك المقتدر * وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * وبكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض بأنداته * مقلدا منه بعقد ثمين
الا أجب سبقا ندائي الى الكاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا * فكن لها بالله صبحا مبين

وكتب علي بن خيرا التطيلي الى ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه الى مجلس أنس أنا أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم في مجلس قد عبقت تفاحه وضحكت راحه وخفقت حولنا للطرب ألويه وسالت بيننا للهوا وديه وحضرتنا مقلة تسأل منك انسانها وصحيفة فكن عنوانها فان رأيت أن تجعل الينا القصد لنحصل بك في جنة الخلد صقلت نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبد الصمد فضضت أيها الكاتب العليم والمصقع الحبر الصميم طابع كتابك فحلي منه جوهر منتخب لايشوبه مخشلب هو السحر الا انه حلال دل على ود حنيت ضلوعك عليه ووثق عهد انتدب كريم سجيتك اليه فسألت فالق الحب وعامر القلب بالحب ان يصون لي حظي منك ويدرأ النوائب عنك ولم يمنعني أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطي جواد الانحدار الى محبوبك الاعارض ألم ألم بي فقيد بقيده نشاطي وتركني أتحامل على فراشي كالسليم واستمطر الاصباح من الليل البهيم وأنا منتظر لادباره * (ومن لطف أهل الاندلس ورقة طباعهم ما حكاه أبو عمرو بن سالم المالقي قال كنت جالسا بمنزلي بمالقة فهاجت نفسي أن أخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكني من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي فقال لي اني كنت أدعو الله تعالى أن يأتيني بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان مني ثم جلست عنده فقال أنشدني فأنشدته لبعض الاندلسيين

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا

ورأوا حصا الياقوت دون نحورهم * فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعاروا أعينا وخدودا

فصاح الشيخ وأغمي عليه وتصبب عرقا ثم أفاق بعد ساعة وقال يا بني اعذرني فشيئان يقهراني ولا أملك نفسي عندهما النظر الى الوجه الحسن وسماع الشعر المطبوع انتهى وستأتي هذه الابيات في هذا الباب بأتم من هذا وعلى كل حال فهي لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكره بعضهم وسيأتي نسبتها لصاحبها الاندلسي كما في كتاب المغرب لابن سعيد العنسي المشهور رحمه الله تعالى * وقال بعض الادباء ليحيى الجزار وهو يبيع لحم ضأن

لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيى يقول للمشترين مه زولوا * وقال التطيلي الاعمى في وصف أسد رخام يرمي بالماء على بحيرة

أسد ولو أني أنا * قشه الحساب لقلت صخره
وكأنه أسد السما * يمج من فيه المجره

وحضر جماعة من أعيان الادباء مثل الابيض وابن بقي وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة فلما أنشد الاعمى موشحته التي مطلعها

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدري

خرق كل منهم موشحته * وتحاكمت امرأة الى القاضي أبي محمد عبد الله الازدي الاصبحي وكانت ذات جمال ونادرة فحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه كل طرف فاتر جدير أن يحكم بهذا تشير الى قوله

أين قلبي أضاعه كل طرف * فاتر يصرع الحليم لديه
كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا * أي صبر ترى يكون عليه

وحضر أبو اسحق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع أبي محمد جعفر بن عتق الفضة الفقيه السالمي وتذاكرا فاستطال ابن عتق الفضة ولعب بأطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة يعرفه فقال له يا هذا لم تترك لاحد حظا في هذا المجلس فليت شعري من تكون فقال انا القائل

الهوى علمني سهد الليالي * ونظام الشعر في هذى اللآل
كلما هبت شمال منهم * لعبت بي عن يمين وشمال
وأرقت فكرتي أرواحها * فأتت منهن بالسحر الحلال
كان كالملح اجاجا خاطري * وسحاب الحب أبدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من يكون هذا قوله لا ينبغي أن يجهل ولك المعذرة في جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال أنا فلان فعرفه وقضى حقه * وحكى ابن غالب في فرحة الانفس ان الوزير أبا عثمان بن شنتفير وأبا عامر بن عبد شاب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم الى طعام صنعه

قوله فسر المعتمد بهم الخ لعل الجمع فيه لما فوق الواحد والا فحقه بهما الخ اه مصححه

لهم

لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولي الملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب اجوبتهم كتب له أبو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب
هي خبيرة المساء حديثا * وأنا في الصباح أخشى رقيبي
فاذا أمس كان عندي نهارا * لم تخفني عليه بعد الغروب
واذا الليل جن حدثت جلا * سي بما كان من حديث غريب
قيل ان الدجا لديك نهار * وكذاك الدجا نهار الاريب
فتمنيت ليلة ليس فيها * لذ كاذلك السنا من مغيب
حيث أعطيك في الخلاء وتعطيـ * ـني مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو كأنني كنت في النو * م وأخفي المنام خوف هزيب

والهزيب الرقيب العتيد في كلام أهل الاندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجابا دعا الى مستجيب * فسمعنا دعاءه من قريب
ان فعلت الذي دعوت اليه * كنت فيما رغبت عين رغيب

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير فاعلمه بالامر القائد بن مرتين فكاد يتفطر حسدا وكتب الى المعتمد

أنا عبد وابنه * كل بر * لم تدع من فنون برك فنا
غير رفع الحجاب في شربك الرا * ح فماذا جناه أن يتجنى
وتمنى شراب سؤرك في الكا * س فبالله أعطه ما تمنى

فسرته ابياته وأجابه

يا كريم المحل في كل معنى * والكريم المحل ليس يعنى
هذه الخمر تبتغيك فخذها * أو فدعها أو كيفما شئت كنا

وكان يقرأ في مجلس ملك السهلة ابي مروان بن رزين ذي الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله حوام حرام زمان الفقير اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ أين وقفت فقال في حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف معك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراى وذكره الحجاري في المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

حاضرتكم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
تهزني من شذاها * اليكم الاريحيه
خذوا سلامي اليكم * مع الرياح النديه
في كل سحرة يوم * تترى وكل عشيه

يارب طال اصطباري * ما الوجد الا بليه
غيلان بالشرق أضحى * وحلت الغرب ميه

وقوله

سابغي المجد في شرق وغرب * فما ساد الفتى دون اغترابه
فان بلغت مأمولا فاني * جهدت ولم أقصر في الطلابه
وان أنالم أفز عراد سعيي * فكم من جوهرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولى مكانه من لا يساويه

ولا غرو بعدي أن يسود معشر * فيضحي لهم يوم وليس لهم أمس
كذا النجوم الجو تبدو زواهرا * اذا ما توارت في مغاربها الشمس

وقال ابن دحية دخلت عليه وهو يتوضا فنظر الى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا فأنشد لنفسه ارتجالا

ولما رأيت الشيب أيقنت انه * نذير لجسمي بانهدام بنائه
اذا ابيض مخضر النبات فانه * دليل على استحصاده وفنائه

واعتل ابن ذي الوزارتين ابي عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون وهو من رجال الذخيرة والقلائد فوصف له أن يتداوى بالخمر العتيق وبلغه أن عند بعض الغلمان منها شيأ فكتب اليه يستهديه

ابعث بها مثل ودك * أرق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابن وعبدك

وهو القائل معتذرا عن تخلفه عن جاء منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك خوفي عليكا
هبك أن الفرار من غير عذر * أتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة هناء

أهنئ بالعيد من وجهه * هو العيد لو لاح لي طالعه
وأدعو الى الله سبحانه * بشمل يكون لنا جامعه

وكتب الى الوزير الحصري يستدعيه أن يكون من ندمائه فكتب اليه الوزير الحصري يستعلمه اليوم فلما أراده كتب اليه

ها قد أهبت بكم وكل كم هوى * وأحقكم بالشكر مني السابق
كالشمس أنت وقد أطل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله في رئيس مرسية أبي عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المجالسة كثير النادرة

قد رأينا منك الذي قد سمعنا * فغدا الخبر عاضد الاخبار
قد وردنا لديك بحرا غزيرا * وارتقبنا حيث النجوم الدراري
ولكم مجلس لديك انصرفنا * عنه مثل الصبا عن الازهار

وشرب الاديب الفاضل أبو الحسن علي بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال

عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

يا ليلة جادت الليالى * بها على رغم أنف دهرى
لله سيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر
فبت لا حالة كحالى * ضجيع بدر صريع سكر
يا ليلة القدر فى الليالى * لانت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

يا ويح من بالمغرب الاقصى ثوى * حلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لملأت ما * بينى وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعى ثم قلت لسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربى ان أنا * أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

وله

لم يبق عندى للصبا لذة * الا الاحاديث على الخمر

وله

فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك فى مضجعى

وله

ان ماء كان فى وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها * فاعادته الليالى حشفا

وأورد له أبو بحر فى زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل * حتى اكتسى بالعسجد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيرى عاق عن أملى * ان الشفاه بريقه شرق

وقوله فى السواقى

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبى فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولا زلت نجم هدى لسار
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلى * لم يخلنى الاعلى الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولو لم أكن عبدا لآل صمادح * وفى أرضهم أصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل * وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى

فارتاح وقال يا ابن عبادة ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا في أملك فقال أنا عبدكم كما قال ابن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمّله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولى عهده وقال اذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع ضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتى به وينهى اليه كل وقت فأقام نديما لولى العهد المذكور وله فيهما الموشحات المشهورة كقوله

كم فى قدود البان تحت اللمم من أقرع واطى

بأنمل وبنان مثل العنم لم تنبرى للعاطى

ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته ثم قال له انشدنى ما قلت فىّ فقال له وحق من حصلنى فى يدك ما قلت شرا فيك وانما قلت

رأيت آدم فى نومى فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا

ان البرابر نسل منك قال اذن * حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى فخرجت الى بلادك هاربا فوضع علىّ من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت فيدرك ثاره بك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة مضافا الى ما قلته فى عامة قومه فقال لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التى يتحصن فيها بغرناطة قلت

يبنى على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد أحسنت فى الاساءة اليه فاختر هل أحسن اليك وأخلى سبيلك أم أجيرك منه فارتجل

خيرنى المعتصم * وهو بقصدى أعلم

وهو أن يجمع لى * امنا ومنا أكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ولك الامن والامان فأقام فى احسانه بأوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التى يقول فيها

سبط البنان كأن كل غمامة * قد ركبت فى راحتيه أناملا

لا عيش الا حيث كنت وانما * تمضى ليالى العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعراء وقال هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا فقال أبو جعفر الخزاز البطرنى نعم ولكن للسعادة هبات وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها

وما زلت أجنى منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد

ثمار أياد دانيات قطوفها * لأغصانها ظل علىّ ممدد

يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكرى فوقهنّ تغرّد

فارتاح المعتصم وقال أأنت أنشدتنى هذا قال نعم قال والله كأنها ما مرت بسمعى الى الآن صدقت للسعد هبات ونحن نجيزك عليها بجائزتين الاولى لها والثانية لمطل راجيها وغمط احسانها انتهى * وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نثر الورد بالخليج وقد درّج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن صارة فى النارنج

كرات عقيق فى غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
تقبلها طورا وطورا تشمها * فهن خدود بيننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال

ضربوا ببطن الواديين قبابهم * بين الصوارم والقنا المياد
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادى
يابانة الوادى كفى حزنا بنا * أن لا نطارح غير بانة وادى

وقال

نحن فى مجلس به كمل الانـ * ـس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كؤس الحميا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن منعما لهن الهلالا

وقال

وهويتها سمراء غنت وانثنت * فنظرت من ورقاء فى أملودها
تشدو ووسواس الحلى يجيبها * مهما انثنت فى وشيها وعقودها
أوليس من بدع الزمان حمامة * غنت فغنى طوقها فى جيدها

وقال

لئن بكيت دما والعزم من شيمى * على الخليط فقد يبكى الحسام دما

وقال أبو تمام غالب بن رباح الحجام فى دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شدو ومالها حلم * كل فتى بالضمير حياها
وطار لوح بها فأوقفها * كلمحة العين حين أجراها

وكان المذكور ربى فى قلعة رباح غربى طليطلة ولا يعلم له اب وتعلم الحجامة فاتقنها ثم تعلق بالادب حتى صار آية وهو القائل فى ثريا الجامع

تحكى الثريا الثريا فى تألقها * وقد عراها نسيم فهى تتقد
كأنها لذوى الايمان أفئدة * من التخشع جوف الليل ترتعد

وقال

زرت الحبيب ولا شئ أحاذره * فى ليلة قد لوت بالغمض أشفارا
فى ليلة خلت من حسن كواكبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال فى الثريا أيضا

انظر الى سرج فى الليل مشرقة * من الزجاج تراها وهى تلتهب
كأنها ألسن الحيات قد برزت * عند الهجير فما تنفك تضطرب

وقال

ترى الشمر والقتلى على عدد الحصا * وقد مزقت أحشاءها والترائبا
مضرجة مما أكلن كأنها * عجائز بالحناء خضبن ذوائبا

وقال وقد أبدع غاية الابداع وأتى بما يحير الالباب وان كان أبو نواس فاتح هذا الباب

وكاس ترى كسرى بها فى قرارة * غريقا ولكن فى خليج من الخمر
وما صوّرته فارس عبثا به * ولكنهم جاؤا بأخفى من السحر
أشاروا بما كانوا له فى حياته * فتومى اليه بالسجود وما تدرى

وما أحلى قوله

الا انحوان رمى عليك ظلامة * لما عنفت عليه بالمسوالئ
لا يحمل النور الانيق تمسه * كف بعود بشامة واراك
وجلاؤه المخلوق فيه قد كفى * من أن يراع عراره بسوالئ

وقوله

صغار الناس أكثرهم فسادا * وليس لهم لصالحة نهوض
ألم ترفى سباع الطير سرا * تسالمنا ويأكلنا البعوض

وقد بلغ غاية الاحسان فى قوله

فما الملك ليس يرى مكانى * وقد كملت لواحظه بنوره
كذا المسوالئمطرحامهانا * وقد أبقى جلاء فى الثغور

ومن حسناته قوله

لى صاحب لا كان من صاحب * فانه فى كبدى جرحه
يحكى اذا أبصرلى زلة * ذبابة تضرب فى قرحه

ولقيه أبو حاتم الحجارى على فرس فى غاية الضعف والرذالة قد أهلكها الوجى وكانا فى جماعتين فقال له يا أبا تمام أنشدنى قولك

وتحتى ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
لها فى المدى سبق الى كل غاية * كأن لها سبقا يفوق عزائمى
وهمة نفسى نزهتها عن الوجى * فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

فلما أنشده اياها رد رأسه أبو حاتم الى الجماعتين وقال ناشدتكم الله أيجوز لحجام على فرس مثل هذه الركة الهزيلة العرجاء أن يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر وأقبل أبو تمام من غيظه يسبه ومن شعر الحجام المذكور قوله

لا يفخر السيف والاقلام فى يده * قد صار قطع سيوف الهند للقصب
فان يكن أصلها لم يقو قوتها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

وقال

ثقلت على الاعداء الا انها * خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده * وبدت تمزق أوجه الايام

وقال

نظر الحسود فازدرى لى هيئة * والفضل منى لايزال مبينا
قبحت صفاتى من تغيروده * صدأ المراة يقبح التحسينا

وقال

تصبروان أيدى العدو مذمة * فهمارمى ترجع اليه سهامه
كما يقع النحل الملم بلسعه * يريد به ضرا وفيه حمامه

وقال

وبارد الشعر لم يؤلم به واقد * أضر منه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لاتوذيه ريقته * حتى اذا مجها فى غيره قتلا

وقال ابن الزقاق

دعاك خليل والاصيل كانه * عليل يقضى مدة الرمق الباقى
الى شط منساب كانك ماؤه * صفاء ضمير أوعذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفى الخوافى والقوادم خفاق
على حين راح البرق فى الجو مغمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقد حان منى للرياض التفاتة * حبست بها كاسى قليلا عن الساقى
على سطح خيرى ذكرتك فانثنى * يميل بأعناق ويرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كانها * وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسى أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله

جنابك مدعو ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائنا بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت مناسيوف لدى العلا * ومن سيفك المنصور نبغى التقاضيا
وغيرك ناديناز مانا فلم يجب * وعزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا فى جملة الحساب لاتدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها يعنى بذلك انه من ذرية ملوك لان جده كان ملك وادى الحجارة * وقال أبو بكر محمد بن أزرق

هل علم الطائر فى ايكه * بأن قلبى للحمى طائر
ذكرنى عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهود الهم بالحمى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن أزرق

أراك ملكت الخافقين مهابة * بها ماتلع الشهب ذو خفقان

وتغضي العيون عن سنائك كأنها * تقابل منك الشمس في اللمعان
وتصفر ألوان العداة كأنما * رموا منك طول الدهر باليرقان

وقال أبو القاسم بن أزرق

ذاك الزمان الذي تنقضي * يا ليته عاد منه حين
بكل عمري الذي تبقى * وما أنا في الشرا غبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع في مجلس ندامى * تحسدني فيهم النجوم
فقال لي منهم نديم * مالك اذ قمت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين * فان حظي بكم عظيم
وليس عندي اذن ندامى * بل عندي المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولي أخ أورده سلسلا * لكنه يوردني مالحا
ألقاه كي أبسطه ضاحكا * ويلتقيني أبدا كالحا
وليس ينفك عنائي به * مارمت من فاسده صالحا

قال الحجاري وكتب الى جدي ابراهيم في يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو بعد وقلا * تصحو سقاك الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * ما فعلت في مبسم الزهر
ولا تقل انك في شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخف مافات سوى ساعة * تقتض فيها لذة العمر

فاجابه

لبيك لبيك ولو أنني * أسعى على الرأس الى مصر
فكيف والدار جواري وما * عندي من شغل ولا عذر
ولو غدا لي ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرني ناظر * بها بكم عظم من قدري
الا الذي يشر بها دائما * ماحضرت في الصحو والقطر
وليس نقلي أبدا بعدها * الا الذي بعهد من شكري

قوله الا الذي الخ لعله انا الذي الخ تأمل اه

قال وفيه يقول جدي يمدحه

ولو كان ثان في الندى لابن عائش * لما كان في شرق وغرب أخو فقر
يهش الى الامداح كالغصن للصبا * ونشر محياه ينوب عن الزهر
فيارب زد في عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن سعدة ملك وادي الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق علي حتى أخاصم عن نفسي فقال علي لسانك قتلناك فقال له لا رفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبروتيته مارهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحساد* وقال أبو الحسن

علىّ بن شعيب

انزعى الوشى فهو يستر حسنا * لم تحزه برقمهن الثياب
ودعى فى عسى أقبل ثغرا * لذ فيه اللمى وطاب الرضاب
وعجيب أن تم يجرى بى ظلما * وشفيعى الى صبالك الشباب

وقال أخوه أبو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل فى أسر العدو

وكنت أعد طرفى للرزايا * يخلصنى اذا جعلت تحوم
فاصبح للعدا عونا لانى * أطلت عناءه فأنا الظلوم
وكم دامت مسرّاتى عليه * وهل شئ على الدنيا يدوم

وقال أبو الحسن على بن رجاء صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

ياسائلى عن حالتى انى * لا أشتكى حالى لمن يضعف
مع انى أحذر من تقدم * لاسيما ان كان لا ينصف

وأنشد له الحميدى فى الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم يزدنى شيأ سوى حسنات * لا ولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فنقل ميزا * نى بهذا فصار من خدامى

وقال أبو محمد القاسم بن الفتح

أيام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منك فأين أين المهرب

وقال أبو مروان عامر بن غصن

فديتك لا تخف منى سلوّا * اذا ما غير الشعر الصغارا
أهيم بدن خمر صار خلا * وأهوى لحية كانت عذارا

وقال

قد ألف الغيم بانسكابه * والتحف الجوّ فى سحابه
وقام داعى السرور يدعو * حىّ على الدن وانتهابه
وتاه فيه النديم مما * يزدحم الناس عند بابه

قوله عامر فى نسخة عبد الملك اهـ

وكان أحد الاعلام فى الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذى النون بسبب صحبته لرئيس بلده أبى عبيدة وبلغه انه يقع فيه فنكبه أشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لى منك رحمى لعلنى * أفارق قبرا فى الحياة فانشر
وليس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مقتل * ومثلى فى الحاجة الدهر يعذر

وألف للمأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة أخرى سماها بالعشر كلمات وقال

يا فتية خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور * ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقى * فى الارض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادى * يوم سرور ويوم انس

وأخبر عنه الحجارى فى المسهب انه شاعر أديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير وله أبيات كتبها فى طريق الحج الى احد القضاة

يا قاضيا عدلا كأن امامه * ملك يريه واضح المنهاج
ضاقت بعبدك فى بلادك علة * قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل فى البحر الاجاج فكن له * بحرا من المعروف غير أجاج

وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد اسمعيل بن الديوانى

ألا أيها العاتب المعتدى * ومن لم يزل مؤذيا أزدد
مساعيك يكتبها الكاتبون * فبيض كتابك أو سوّد

وقال ابنه أبو بكر

خاصم عدوك بالاسا * ن وان قدرت فبالسنان
ان العداوة ليس يصلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم الحجارى جد صاحب المسهب

لئن كرهوا يوم الوداع فاننى * أهيم به وجدا من أجل عناقه
أصافح من أهواه غير مساير * وسر التلاقى مودع فى فراقه

وقال

كن كما شئت اننى لا أحول * غير مصغ لما يقول العذول
لك والله فى الفؤاد محل * ما اليه مدى الزمان وصول
ومرادى بأن تزور خفيا * ليت شعرى متى يكون السبيل

وقال

قد قوالت فى حالتينا الظنون * فلنصدق ما كذبته العيون
ومرادى بأن تلوح بأفقى * بدر تم وذاك ما لا يكون
أنا قد قلت ما دعانى اليه * كثرة الياس والحديث شجون
واذا شئت أن تسفه رأيى * فحلى من الرقيب مصون
وبه ما تشاء من كل معنى * كل من لم يجب له مجنون
والى كم تضل ليل الامانى * ومن الياس لاح صبح مبين

وقال

سألته عن أبيه * فقال خالى فلان
فانظر عجائب ما قد * أتت بها لازمان
دهر عجيب لديه * عن المعالى حران

فماله غير ذم * كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلي صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
وللهلال اعتراض في مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستخفت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبي * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام في سمط الجمان

رعيا لمنزله الخصيب وظله * وسقى الثرى النجدي سح ربابه
واها على سادانه لا أدعي * كلفا بزينبه ولا بربابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعيني * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخي هاتها وحبب سناها * عن مشيبها جنونا وسخفا
هذه الشمس ان بدت لضعيف الـ * ـعين زادت في ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان * خشنت كفه يفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه لما خلق الربيع من أخلاقك الغر وسرق زهره من شيمك الزهر حسن في كل عين منظره وطاب في كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض مايحتويه من النور الذي بسط على الارض حللا لاترى في أثنائها خللا سلوك نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تنسمتها فأرجه أو توسمتها فبهجه .

فالارض في بزة من يانع الزهر * تزري اذا قستها بالوشي والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمي من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فأوجد لي سبيلا الى اعمال بصري فيها لا جلو بصيرتي بمحاسن نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه ويتصرم وقته وزمانه فلا تخلني من بعض التشفي منه لا صدر نفسي متيقظة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى في جلائها فهو الرشيد السديد

ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * في وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم اذ تأخر واغتدى * في الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لأن حياك آخر لاحق

وله

أرى الباقلاء الباقل اللون لابسا * برود سحاء من سحائبها غذي
ترى نوره يلتاح في ورقاته * كبلق جياد في جلال زمرذ

وقال

اذا ما أدرت كؤس الهوى * ففى شربها لست بالمؤتلى
مدام تعتق للناظرين * وتلك تعتق بالارجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو جعفر بن الابار هو الذى صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع فى فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحظ من الادب موفور وتوفى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنه ورحى المحنه قاضى اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغى الى مقاله ويرضى بفعاله وهو ما جاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره فى الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى * وقال الوزير الكاتب أبو الحسن على بن حصن وزير المعتضد بن عباد

على أن أتذلل * له وأن يتدلل
خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقال

طل على خده العذار * فافتضح الآس والبهار
وابيض ذا واسود هذا * فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف فى المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد ألا عطفة * فالدهر من بعدكم مظلم
من الذى يرجى لنيل العلا * ومن اليه يفد المعدم
ما أنكر الدهر سوى انه * بجودكم فى فعله يزعم

وله

من حلقت لحية جاره * فليسكب الماء على لحيته

وقد أجرينا فى هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد ونظمه فى أماكن متعددة فلتراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولج
أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قال ويستدل على الملوكية بالطيب فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (رجع) الى ما كنا فيه وقال أبو العباس أحمد الخزرجى القرطبى

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه أنى * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبى أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هوّن عليك كلامه * واسمح له فيمن سمح
ماذا يسوءك ان هجا * ماذا يسرك ان مدح
أو ما علمت بلى جهلت بأنه غسل طفح
وخفى حقد كامن * دأبواله حتى اتضح
هذا بتين الوقا * رفكيف لودار القدح
فاشكر عوارف ذى الجلا * ل بما وقى وبما منح

وقال أبو على عمر بن أبى خالد يخاطب أبا الحسن على بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره
أتذكر أنسنا والليل داج * بخمر فى زجاجتها منيره
اذا الملاح ضل رنا اليها * فابصر فى مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة لما شرب عند الوزير أبى العلاء بن جامع وقد نظر الى فاختة فأعجبه حسنها ولحنها

ألا خذها اليك أبا العلاء * على الامداح ترفل فى الثناء
وهبها قينة تجلى عروسا * خضيب الكف قانية الرداء
لاجعلها محل جليس انسى * وأغنى بالهديل عن الغناء

وحكى انه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدى الى بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد
فصمت حينا ثم قلت كجلجل * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب أبو بكر بن البناء يرثى أحد بنى عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولى اشبيلية فمات بها

كأنك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعا حالها وتواريا
تجليت عن شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كما فى المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أول من تثنى عليه الخناصر وتستحسنه البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الاندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد فما بلغ أشده حتى سدّ مسدّه ومال الى التفنن فى أنواع التعاليم من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فلأ البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن فى الحساب وشرع نبلا قصرت عنه نتائج أولى الالباب ونشا بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق

تتدارس بدائعه وغرائبه ومال الى علم الابدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ولولا أن الغلو آفة المديح لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح ولم يزل مقيما بشرق الاندلس الى أن كان من غزاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم اليه من ملوك الطوائف ما علم وشخص أبو العلاء معهم فلقيه المعتمد بن عباد واستماله واستهواه وكاد يغلب على هواه وتصرف عليه أملاكه فحن الى وطنه حنين الكثيب الى عطنه والكريم الى سكنه ونزع الى مقر سلفه نزوع الكوكب الى بيت شرفه الا انه لم يستقر باشبيلية الا بعد خلع المعتمد وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان ولا الروح من جسد الجبان ولما كتب اليه حسام الدولة بن رزين ملك السهلة بقوله

عاد اللئيم فأنت من أعدائه * ودع الحسود بغله وبدائه
لا كان الا من غدت أعداؤه * مشغولة أفواههم بجفائه
أأبا العلاء لئن حسدت لطالما * حسد الكريم بجوده ووفائه
فخر العلاء فكنت من آبائه * وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا * لا كان قلب لست في سودائه

أجابه

يا صارما حسم العداء مضاؤه * وتعبد الاحرار حسن وفائه
ما أثر العضب الحسام بذاته * الا بأن سميت من أسمائه

وكلفه الحسام المذكور القول في غلام قائم على رأسه وقد عذر فقال

محيت آية النهار فأضحى * بدر تم وكان شمس نهار
كان يعشي العيون نارا الى أن * أشعل الله خده بالعذار

وقال

عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها في عمى
ولولم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب في السما

وقال

يا راشقي بسهام مالها غرض * الا الفؤاد وما منه له عوض
وممرضي بجفون لحظها غنج * صحت وفي طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يؤنسني * فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى في غاية الحسن وكان بينه وبين الامام أبي بكر بن باجة بسبب المشاركة ما يكون بين النار والماء والارض والسماء ولما قال فيه ابن باجة

يا ملك الموت وابن زهر * جاوزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * في واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء

لابد للزنديق أن يصلبا * شاء الذي يعضده أو أبى

قد مهد الجذع له نفسه * وسدد الريح اليه الشبا

والذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعالمه * وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

رمت كبدى أخت السماء فاقصدت * الا بأبى رام يصيب ولا يخطى

قريبة ما بين الخلاخيل ان مشت * بعيدة ما بين القلادة والقرط

نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى * كذا شيم الايام تأخذ ما تعطى

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك يا واقفا * ولاحظ مكانا رفعنا اليه

تراب الضريح على صفحتى * كأنى لم أمش يوما عليه

أداوى الانام حذار المنون * فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفى هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع * وقال أبو الوليد بن حزم

هى الشمس الا أن لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر

فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال

لله أيام على وادى القرى * سلفت لنا والدهر ذو ألوان

اذ نجتنى فى ظله ثمر المنى * والطير ساجعة على الاغصان

والشمس تنظر من محاجر أرمد * والطل يركض فى النسيم الوانى

فلثمت فاه والتزمت عناقه * ويد الوصال على قفا الهجران

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق

وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما الفقد لك فى الاحشاء اقلاق

وقال فى المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تخلق لهن يدان

لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندى الاصل

صارمته اذ رأت عارضه * عاد من بعد الشباب أشيبا

قلت ما ضرك شيب فلقد * بقيت فيه فكاهات الصبا

هو كالعنبر غال نفحه * وشذاه أخضرا أو أشهبا

وقال

ووردة وردت فى غير موقتها * والسحب قد هملت أجفانها هطلا

وانما الروض لما لم يفد عذرا * بقربكم انفتحت فى خده خجلا

وله

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن * قد كان يبهجني اذ كنت في وطني
لم ألق أهلي ولا الفي ولا ولدي * فليت شعري سروري واقع عن

وقال

يقول لي العاذل تب عن هوى * من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لي والدين دين الهوى * فلا أرى أرجع من مذهبي
أليس باب التوب قد سده * طلوعه شمسا من المغرب

وله

امنع كرائمك الخروج ولا * تظهر لذلك وجه منبسط
لا تعتبر منهن مسخطة * نيل الرضا في ذلك السخط
أولسن مثل الدر في شبه * والدر من صدف الى سفط

وقال المعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
أخضر في أبيض تبدى * فذاك آسي وذا بهاري
فقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

وقال ابن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال صددت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فملكت الهوى جمحات قلبي * لاجرى في العفاف على طباعي
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعي

وقال

بأيهما أنا في الحسن بادي * بشكر الضيف أم طيف الرقاد
سرى لي فازدرى أملي ولكن * عففت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حرج ولكن * جريت مع العفاف على اعتيادي

وقال الرصافي

وعشي أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال ابن عبد ربه

يراعة غرني منها وميض سنا * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة في دوة

اودت

أودت بذات يدى فرية أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
يتجشم الفقراء من ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال الغزالى

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أى امرئ الا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه غميزة * أى الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا ترجون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسمن حتى ماتروق المباسم

وقال فى الانتحال

وبلغت أقواما تجيش صدورهم * على وانى فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولى فأسمعت معجزا * وغاصوا على سرى فأعجزهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أين الله ماندرى
فمن شاء فليخبر فانى حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كأنما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

فاجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا شلب * منآدة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللحظ ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رآه يشد النبل فى حدقه
فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه
ماذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

وما انفك معشوق الثنايا تخدته * ببشر وترحيب وبسط بنان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حانى
فأتبعته ماستدخلت حاله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

وقال

وبتنا نراعى الليل لم يطو برده * ولم يجل شيب الصبح فى فوده وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال بعضهم فى لباس أهل الاندلس البياض فى الحزن مع أن أهل المشرق يلبسون فيه السواد

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضا * فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وقال أبو جعفر بن خاتمة

هل جسوم من النوى ودّعوها * باقيات لسوء ما أودعوها
يا حداة القلوب ما العدل هذا * أتبعوها أجسامها أودعوها

وقال القسطلى يصف هول البحر

اليك ركبنا الفلك تهوى كأنها * وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بها فينا ثبير وثهلان
مواثل ترعى فى ذراها مواثلا * كما عبدت فى الجاهلية أوثان
مقاتل موج البحر والهم والدجا * يموج بها فيها عيون وآذان
الاهل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وقال الرمادى يهنى ابن العطار الفقيه بمولود

يهنيك ما زادت الايام فى عددك * من فلذة برزت للسعد من كبدك
كأنما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك
لاخالفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة فى النار

هات التى للايك أصل ولادها * ولها جبين الشمس فى الاشماس
يتقشع الياقوت فى لباتها * بوساوس تشفى من الوسواس
أنس الوحيد وصبح عين المجتلى * ولباس من أمسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كأنما * ضربت بعرق فى بنى العباس

وقال فيها أيضا

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى الليلة الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * ألديها صناعة الكيمياء

سبكت فمها باثنتين تبر * ورصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت في غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الأديب ابن اللبان

نجم ذكا في حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
أو خد من قد هويت لما * أطل من فوقه العذار

وكان أبو المطرف الزهري جالسا في باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على حين غفلة منها نفرت بجملة فرأى الزائر ما أبهته فكلمه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا لختلي بل عمدا التعذيب
لا تختشي فابن عبد الحق أخلنا * عدلا يؤلف بين الظبي والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنا المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
قلت هب لي يا حبيبي قبلة * تشف من حبك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لا ثم أعطاني اليدا
كلما كلمني قبلته * فهو ما قال كلا ما رددا
قال لي يلعب خذلي طائرا * فتراني الدهر أجري بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لي يمطل ذكرني غدا
شربت أعضاؤه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أخجلت من عضة في نهدها * ثم عضت حر وجهي عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لا شفاني الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ في الشيب

بنتم فلولا أن أغبر لمتي * ألقاكم يوما على غضابا
لخضبت شيبا في مفارق لمتي * ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أنني أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن رزين وقد عتب عليه أن اجتاز ببلده ولم يلقه

لم تثن عنك عناني سلوة خطرت * ولا فؤادي ولا سمعي ولا بصري

لكن عدتني عنكم خجلة خطرت * كفاني العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

وقال ابن الحداد

واني اصب للتلاق وانما * يصدّ ركابي عن معاهدك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدني على برّه الوفر

وقال ابن عبد ربه

يامن عليه حجاب من جلالته * وان بدالك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسو اثياب ضنى * بل كلنا بك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يدا للضر كاشفة * كاشف ضر نبي الله أيوب

وقال الحلي

ولاعبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا سوّت طريق العود نقرا * وغنت في محب أو حبيب
فيمناها تقدّ بها فؤادي * ويسراها تعدّ بها ذنوبي

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلي * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقني كرمي عمن ولهت به * ويلي من الحب أو ويلي من الكرم

وكان صوفي بشريش حافظ للشعر فلا يعرض في مجلسه معنى الا وهو ينشد عليه فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفي انه ان شمته قطع انشاده عما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا في البر فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبي محمد

ياعاطسا يرحمك الله اذ * أعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية في دعوتك
وقل له ياسيدي رغبتي * حضور هذا الجمع في حضرتك
وأنت يارب الندى والنوى * بارك رب الناس في ليلتك
فان يكن منكم لنا عودة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره في أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب الى الشريشي شارح المقامات يستدعي منه كتاب العقد

ايا من غدا اسلكا لجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فلتجد * بعقد على لباته وسوالفه

ووعك في بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله درّ أفاضل أمجاد * شرف الندى بقصدهم والنادي
لما أشاروا بالسلام وأزمعوا * أنشدتهم وصدقت في الانشاد

في العيد

في العيد عدتم وهو يوم عروبة * يا فرحتي بثلاثة الاعياد

قال الشريشي في شرح المقامات ولقد زرته في مرضه الذي توفي فيه رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألني عنهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهم * ندى كريم لا أرى الله بينهم
تشابه خلق منهم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظره أين هم
وزينهم استاذهم اذ غذاهم * معالم آيات فتم دينهم
فان خفت من عين فقي الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشي حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له ابو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح في مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبد ربه فتى يهواه وأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يابي عليك الله والقدر
مازلت أبكي حذار البين ملتهبا * حتى رثى لي فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبد ربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقي

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت فلما لقيه عانقه وأنشده

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا في العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال أبو بكر بن بقي

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبي النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم

أظامىء وإن نيت بى أرض أندلس * جئت العراق فقامت بى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالعقد والبرم

وقال الابيض فى الفقهاء المرائين

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يدلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى
فمضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشا متكفت الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يا من يعذبنى لما ملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال عبدون البلنسى

يا من محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

وقال الوزير ابن الحكيم

وبحت اصول علاكم تحت الثرى * ولكم على خط المجرة دار
ان المكارم صورة معلومة * أنتم لها الاسماع والابصار
تبدو شموس الدجن من أطواقكم * وتفيض من بين البنان بحار
ذلت لكم نسم الخلائق مثل ما * ذلت لشعرى فيكم الاشعار
فمتى مدحت ولا مدحت سواكم * فمديحكم فى مدحه اضمار

وقال القاضى أبو جعفر بن طالة

أستودع الرحمن من لوداعهم * قلبى وروحى آذنا بوداعى
بانوا وطرفى والفؤاد ومقولى * بالدمع مسلوب الفؤاد وداعى
فتقول يا مولاى حفظهم ولا * تجعل تفرقنا فراق وداع

وقال ابن خفاجة

وما هاجنى الا تألق بارق * لبست به برد الدجنة معلما

وهى طويلة وقال من أخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه * بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن الحضرمى البطليوسى فى غلام للمتوكل بن الافطس يرثيه

غالته أيدى المنايا * وكن فى مقلتيه
وكان يسقى الندامى * بطـــرفه ويديه
غصن ذوى وهلال * جار الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى عالما فى المذهب المالكى وقد تحاكم اليه وسيمان أشقر وأكحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين أمالى على مقـــة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن اسـ ــقذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يـــدى هلال الدجن حجته * مبينا بلسان منــه منطلق
فقال وجهى بدر يســتضاء به * ولون شعرى مقطوع من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * لك الحسن أحسن مايعزى الى الحدق
وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن * فاستمع لمقال فى متفـــق
انا عــلى أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى شقرة الشفق
وفضل ماعيب فى العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * نورا كذا بها يقضى على رمق
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
وقلت عفـوك اذ أصبحت بينهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها
قرعت بها سن الحلوم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد رسيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخارى وأكثر ابن حجر من النقل عنه فى فتح البارى وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوى المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسى صاحب التآليف التى بلغت نحو خمسين

يا حمص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه
مافيك موضع راحه * الا ومافيه راحه

وهو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الباجى * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسى الملقب بالقلندر

جرت من الخمر يجرى دمى * فخل حياتى من سكرها
ومهما دجت ظلم للهموم * فمزقها بسنا بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقى قاضيا فى نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال للقاضى بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما فضلت على

وتركتني فقال القاضي والله لقد ذكرتني بفضل عظيم ودرأ عنه الحد * وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسي وهو من أعاجيب الدنيا لا يقرأ ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى * وقد اسقط البين ما في يدي
رأيت الهوادج فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندي
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجي المكمد

وقال في المتوكل وقد سقط عن فرس

لا عتب للطرف ان زلت قوائمه * ولا يدنسه من عاتب دنس
حملت جودا وباسا فوقه ونهى * وكيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي

لا تلوموني فاني عالم * بالذي تأتيه نفسي وتدع
بالحيا والحيا صبوتي * وسوى حبهما عندي بدع
فضل الجمعة يوم وأنا * كل أيامي بأفراحي جمع

وقال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي وهو ممن يميل الى طريقة ابن هانئ

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون محلهم * فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم * فسبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حمل الأسنة والظبا * حتى استعانوا أعينا ونهودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا * ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الأقاحي بينها * ماء الحياة لو اغتدى مورودا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان في السقاة وسيم فوضع عينه عليه فلما كان وقت السحر دب اليه وكان بالقرب من المتوكل فأحس به فقال له ما هذا يا خطارة فقال له يا مولاي هذا وقت تصريخ الخطارة الماء في الرياض فقال له لا تعد لئلا يكون ماء أحمر فرجع الى نومه ولم يعد في ذلك كلمة بقية عمره معه ولا أنكر منه شيأ ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله تعالى والخطارة صنف من الدوالب الخفاف يستقي به أهل الاندلس من الاودية وهو كثير على وادي اشبيلية وأكثر ما يا كرون العمل في السحر * وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود

أرني يوما من الدهـ * ـر على وفق الاماني
ثم دعني بعد هذا * كيفما شئت تراني

وقال أديب الاندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري وهو من رجال الذخيرة والقلائد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكفت عليه

أيا ساميا من جانبيه كليهما * سمو حباب الماء حالا على حال

لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذى خال
يقول لها المرأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
فقالت وما عيت جوابا بردها * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
فرصاحب الانزال فيها بعاجل * فان الفتى يهذى وليس بفعال

وقال فى جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه فى المغرب

سألت الحروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس فى استقصاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات لسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلسانا

وجمعها ابن مالك فى بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم انسه * نهاية مسئول أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكى أن أبا عثمان سئل عنها فأنشد

هويت السمان فشيبننى * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له أجبنا فقال أجبتكم مرتين ويروى انه قال سألتمونيها فأعطيتكم ثلاثة أجوبة هكذا حكاه بعض المحققين وهو أرق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه * ومنها اليوم تنساه الموت ينساه أسلمنى وتاه هم يتساءلون التناهى سموتنى وسائله أسلمى تهاون تهاونى أسلم التمس هوانى ماسألت يهون مؤنس التياه لم يأتنا سهو ياأويس هل نمت نويت سؤالهم نويت مسائله سألتم هوانى تأملها يونس أتانى وسهيل هونى مسألتها سألت مايهون وسليمان أتاه تسأل من يهوى استملانى هو أسلمت وهناى هواستمالنى سايل وأنت هم ياهول استنم أتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذى هو وسليمان أتاه لان التقديم والتأخير يصيرهما شيئين * ومنها الوسمى هتان أوليتم سناه واليم أنسه أمسيت ونااه أنله توسما أملتنى سهوا أتوسل بنها سألتن يوما سألت يومنها سألت مايوهن تهوى ماسألت يهون ماسألت وقد سبق سألت مايهون وعدهما شيئين من أجل التقديم والتأخير كما تقدم نظيره الا تنس يومه ليتأسن ماؤه سله موتى أنا أنسته اليوم سألتم هوينا آوى من تساله وهين ماسألت وهى ماسألت مسألتى نواه * ومنها مسألتى هاون سهوان يتالم أيلتم سهوان أويلتم ناسه مسألتى اهون أوميت تنساه سموتن اليها أمليت سهوان وسألتم هينا يهون ماتسأل أتلون سهيا اسلم وانتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأملن اسوه أيتأمل نسوه الهوى أتنسم وليت ماه آسن تولين أسهما اتلوا سهمين أولساهمتنى أسماؤه تنيل يتأملنه سوا أولم يتنساه آمن ويتساهل أمسيتن لهوا توسمه لنااه هوماتسألين لا يهاتوسم أيهما توسل أتانى لسموه سميتهن أولا أولاهن سميت سلتنى أهوا أسلتنى هوا اونستميلها أيستهلونا هات الموسى

سليم انتهوا وأنت سائلهم ساءلته يخو تهنأ لا يسمو اسألى مؤتته سأاتى موتنا التمسى هونا استملى أهون ألتناموسى لهواء يتسنم نهوى ماتسأل ماوه ليتأسن تنسى لهواء تلومى ان سها ألمتى سهوا ستولينا أمه يتهلون أسا أمهلتنى سوا التناسى وهم أهويت سلمان هويت المأنس المانس تهوى هويت أم ناسل أوليس تم هنا استوهن أملى استهون الى استمان وهيأ أتسلونها أيتسلونها ألا يتسمونه أليس توهمنا الا يتسموه فهذه مائة وأربعة وثلاثون تركيبا منها ماهو متين ومنها ماهو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكى وأحسنها بيت ابن عبدون السابق ويليه بيت ابن مالك وقال الطغمى جامعا لها أربع مرات

آلمتنى سهوا تلومى ان سها * أوليس تم هنا الهوا يتسنم

هكذا بخطه يتسنم ولو قال يتنسم لكان أنسب وقال أيضا

وليت ماسناه والتمسى هنا * ماتسألين هو الهنا يتوسم انتهى

قلت وقد جمعت فى المغرب زيادة على ما تقدم وكنت قدرت رسالة فيها أسميها اتحاف أهل السياده بضوابط حروف الزياده * وقال أبو محمد عبد الله بن الليث يستدعى الوزير أبا الحسن البايرى فى يوم غيم

رقم الربيع بروضنا أزهاره * يجرى على صفحاته أنهاره

فعسى تشرفنا ببهجة سيد * ألقى على ليل الخطوب نهاره

تتمتع الآداب من نفحاته * فيشم منها ورده وبهاره

ياسيدا بهر البرية سوددا * أبدى الينا سره وجهاره

يوم أظل الغيم وجه ضيائه * فعليك ياشمس العلا اظهاره

وقال أبو القاسم بن الابرش

أدر كاس المدام فقد تغنى * بفرع الايك طائره الصدوح

وهب على الرياض نسيم صبح * يمر كما دنا سار طليح

ومال النهر يشكو من حصاه * جراحات كأن الجسم جريح

وقال

حلفت ويشهد دمعى بما * أقاسيه من هجرك الزائد

فان كنت تجحد ما أدعى * وحاشاك تعرف بالجاحد

فان النبى عليه السلام * قضى باليمين مع الشاهد

وقال أبو الحسن على بن بسام الشنترينى صاحب الذخيرة وشهرته تغنى عن ذكره ونظمه دون نثره يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبى للادب * رفيع العماد فريع الحسب

أيلحن فيك الزمان الخؤن * ويعرب عنك لسان العرب

وان لم يكن أفقنا واحدا * فينظمنا شمل هذا الادب

قوله فهذه مائة الخ ينافى قوله سابقا وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها الخ الا أن يجعل الضمير فى بعضها عائدا على الكلمات الضابطة على انها لا تبلغ ماذكره تدبره اه مصححه

وقد

وقد ذكرناله فى غير هذا المحل قوله

ألا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتأخرت وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنترين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس * وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما يغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يفتن
فقلت اجمعا فى الوصل رأيكما غدا * لمثلكما كان التغزل والمجن
عسى الصب يقضى الله بينكما له * بخير فقالا لى اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن البدر بات ضجيعى * فقضيت أوطارى بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بينى وبينه * فكانت لنا أما وكان رضيعى

وقال

أيا من حارت الافكار فيه * فلم تعلم له الاقدار كنها
بجيد النيل مناعقد أنس * أقام بغير واسطة فكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبونى

فديتك انى عن جنابك راحل * فهل لى يوما من لقائك زاد
وحسبك والايام خون غوادر * فراق كما شاء العدا وبعاد

وقال خلف بن هرون القطينى

من أنبت الورد فى خديك يا قمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر
الزهر فى الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حسون وعزون ورحون فأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوى وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحون فان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين انتهى والله أعلم

* وقال ابن خفاجة يداعب من بقل عذاره

أيها التائه مهلا * ساءنى أن تمت جهلا
هل ترى فيما ترى الاشباب قد تولى
وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى
أين دمع فيك يجرى * أين جنب يتقلى
أين نفس بك تهذى * وضلوع فيك تصلى
أى بال كان لولا * عارض وافى لولى
وتخلى عنك الا * أسفا لا يتخلى
وانطوى الحسن فهلا * أجمل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه فانه لا يجتمع العذار والتيه قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ومنهل ذلك المقبل عذب وأما والعذار قد بقل والزمان قد انتقل والصب قد صحا فعقل فقد ركدت رياح الاشواق ورقدت عيون العشاق فدع عنك من نظرة التجني ومشية التثني وغض من عنانك وخذ في تراضي اخوانك وهش عند اللقاء هشة أريحيه واقنع بالايماء رجع تحيه فكأنى بفنائك مهجورا وبزائرك مأجورا والسلام * وقال الرصافى لما بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * لقد صدقت منى القيافة والزجر

فكان من السكين سكانك فى الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج فقال ارتجالا

أذلك السراج بريناغرة سفرت * فباتت الشمس تستحيي وتستتر

أو خله فكفانا وجه سيدنا * لا يطلب النجم من فى بيته قمر

وقصد أحد الادباء بمرسية أحد السادة من بنى عبد المؤمن فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جاء باليمن والسعد * يبشر بالتأييد طائفة المهدى

تكلم روح الله فى المهد قبله * وهذا براء بدل اللام فى المهد

وخرج الاستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج اشبيلية وأحضرت بجنات ما خبا نارها ولا هدأ أوارها فما حاد عنها ولا كف ولا صرف حرها عن اقتضابها البنان ولا الكف فقال

أحلى مواقعها اذا قربتها * وبخارها فوق الموائد سام

ان أحرقت لسانك أوارها * فى داخل الاحشاء برد سلام

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الابيض الاشبيلي يتهكم برجل زعم انه ينال الخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من نصائحه اللطيفه

تحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه

أفكر فيك مصلوبا فأبكى * وتضحكنى امانيك السخيفه

وقال صفوان

ونهار أنس لو سألنا دهرنا * فى أن يعود بمثله لم يقدر

خرق الزمان لنا به عاداته * فلو اقترحنا النجم لم يتعذر

فى فتية علت ذكاء بحسنهم * فتلفعت من غيمها فى مئزر

والسرحة الغناء قد قبضت بها * كف النسيم على لواء اخضر

وكان شكل الغيم منخل فضة * يلقى على الآفاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على ابى بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال أبو بكر فى ذلك وأشار فى البيت الثالث الى أن والد الغلام كان خطيب البلد

مر الغزال بناصر وعنا نافرا * كشبيهه فى القفر ريع بصائده

قوله وهذا براء الخ أي بدل لام تكلم براء فصار تكرم اه

قوله بجنات فى نسخة محنية ويظهر انه اسم لمطعوم اه

لثم السلامى فى السلام تسترا * ثم انثنى حذر الرقيب لراصده
هــــلا تكلف وقفة لمحبه * ولو انها قصرا كجلسة وافده

وقال أبو الحسن بن الحاج

يكفى حزنا أن المشارع جمة * وعندى اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القبتورى

واحسرتا لامور ليس يبلغهــا * مالى وهن منى نفسى وآمالى
أصبحت كالآل لا جدوى لدى وما * آليت جدا ولكن جدى الآلى

وقال أحمد بن أمية البلنسى

قال رقيبى حين فاوضته * وما درى أن مقامى عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضى * فقال سر قلت جناحى كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقاه من همة * لا ترتضى الا السها منزلا
ومن خمول كلما رمت أن * اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء

يا من حوى كل مجد * بجده وبجده
أتاك نجل خروف * فامنن عليه بجده

وكتب أيضا لبعضهم يستدعى فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * من جدواك جلد أبى
وفضلك عالم أنى * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفى حلب صفا حلبى

وبعد كتبى لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقى لا الاندلسى والله تعالى أعلم *
وركب محبوب أبى بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالدب فقال أبو بكر
فى ذلك

وبغلة ما لها مثال * يركبها الدب والغزال
كأن هذا وذا عليها * سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لابى الحسن بن حريق يوما للنزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات
ليلة عند أبى الحسن فقال فى ذلك

يا ليلة جادت الامانى * بها على رغم أنف دهرى
تسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذرى
وبت لا حالة كحالى * صريع سكر جريح بدر
يا ليلة القدر فى الليالى * لانت خير من ألف شهر

وقال أبو الحسن بن الزقاق

عذيري من هضيم الكشح أحوى * وخيم الدل قد لبس الشبابا
أعد الهجر هاجرة لقلبي * وصير وعده فيها سرابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطي

ثناء الفتى يبقى و يفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب أبو عبدالله الجذامي كان لشخص من أصحابنا قينة فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على أثر سواك أبصره بمبسمها اذ مر قوال ينادي على فول يبيعه قال فكلفني أن أقول في ذلك شيأ فقلت

ولم أنس يوم الانس حين سمحت لي * وأهديت لي من فيك فول سواك
ومر بنا القوال للفول مادحا * وما قصده في المدح فول سواك

وشرب يوما أبو عبدالله المذكور عند بعض الاجلة وذرعه القيء فارتجل في العذر

لا تؤاخذ من أخل به * قهوة في الكاس كالقبس
كيف يلحى في المدام فتى * أخذته أخذ مفترس
دخلت في الحلق مكرهة * ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت * أنمت من مخرج النجس

وجلس سلمة بن أحمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فأصاب الحبر منها على ثوب سلمة فخجل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتور ذالك الملبح الازهر
يا من يؤثر حبره في ثوبنا * تأثير لحظك في فؤادي أكبر

وكان لابي الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى أبا عامر وسافر أبو الحسن فبينما هو بخارج المرية اذ لقي فتى يشبه محبوبه وسأله عن اسمه فأخبره بأنه يدعى أبا عامر فقال أبو الحسن في ذلك

الى كم أفر أمام الهوى * وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى * وفي كل واد أبو عامر

وحضر أبو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال فأغمي على الناس ورآه محبوبه فقال أبو بكر في ذلك

توارى هلال الافق عن أعين الورى * ولاح لمن أهواه منه وحياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سره * ولكن خذوا عني حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه * فابصر دون الناس فيه محياه

وكتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله

متى ما ترم شرح الحالي وتبيينا * فصحف على قلبي علومك تحيينا

أراد اني بحبك مولع * وكتب القاضي ابن السليم الى الحكم المستنصر بالله

لو أن أعضاء جسمي ألسن نطقت * بشكر نعماك عندي قل شكري لك

أو كان

أو كان ملكني الرحمن من أجلي * شيأ وصلت به يا سيدي أجلك
ومن تمكن في الورى آماله كثرت * فانما أملي في أن ترى أملك

وقال الوزير ابن أبي الخصال

وكيف أؤدّي شكر من ان شكرته * على برّ يوم زادني مثله غدا
فان رمت أقضي اليوم بعض الذي مضى * رأيت له فضلا عليّ مجددا

وقال الرصافيّ

قلدت جيد الفكر من تلك الحلي * ماشاءه المنثور والمنظوم
وأشرت قدامي كأني لاثم * وكأنني في ذلك الملثوم

وقال

ويالك نعمة رمنا مداها * فما وصل اللسان ولا الضمير
عجزنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا انتقبوا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا
لا يسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحصون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على جدب الربا * بأكفهم نبت الاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح أبا زكريا سلطان افريقية

تحلت بعلياك الليالي العواطل * ودانت لسقياك السحاب الهواطل
وما زينة الايام الا مناقب * يفرّعها أصلان باس ونائل
اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل

وقال أيضا في سعيد بن حكم رئيس منرقة

سيد أيد رئيس بئيس * في أساريره صفات الصباح
قمر في أفق المعالي تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح
سل البحر في السماحة منه * بجواد سموه بحر السماح

وقال أبو العباس أحمد الاشبيليّ

يا أفضل الناس اجماعا ومعرفة * تغني وما الحسن في ريب ولا ريب
ورثت عن سلف ماشدت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسب

وقال ابن زهر الحفيد

يا من يذكرني بعهد أحبتي * طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث عليّ من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن أحنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوب
مازال يخفق ضاربا بجناحه * يا ليت شعري هل تطير قلوب

وقال في زهر الكتان

أهلا بزهر اللازورد ومرحبا * في روضة الكتان تعطفه الصبا

لو كنت ذا جهل لخلتك بلة * وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المشهورة التي أولها (صادني ولم يدر ما صادا) قال أبو بكر بن الجد لو سئل عماد لقال تيس بلحية حمراء ولما قال الموشحة التي أولها هات بنت العنب واشرب الى قوله وفديه بأبي ثم بي سمعها أبوه فقال يفديه بالعجوز القوامة وأما أنا فلا * وهناك أبو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر ومن نظم الاصغر

والله ما أدري بما أتوسل * اذ ليس لي ذات بها أتوصل

لكن جعلت مودتي مع خدمتي * لعلاك أحظى شافع يتقبل

ان كنت من أدوات زهر عاطلا * فالزهر منهن السماك الاعزل

وهذه الابيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب * وقال الاديب أبو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

وما زالت الدنيا طريقا لهالك * تباين في أحوالها وتخالف

ففي جانب منها تقوم مآتم * وفي جانب منها تقوم معازف

فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن * ومن كان فيها آمنا فهو خائف

وقال أبو بكر محمد ابن صاحب الصلاة يخاطب أخيل لما انتقل الى العدوة

لا تنكرن زمانا * رماك منه بسهم

وأنت غاية مجد * في كل علم وفهم

هذي دوي حتى * برا الطرف تهمي

ياليت ما كنت أخشى * عليك عدوان هم

وانما الدهر يبدي * ما لا يجوز بوهم

ما زال شيم مس * لكل يقظان شهم

ولما وفد أهل الاندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به أهل الاندلس في ذلك الوقت وله في عبد المؤمن

هم الالى وهبوا للحرب أنفسهم * وأنهبوا ما حوت أيديهم الصفدا

ما ان يغبون كل الشمس من رهج * كأنما عينها تشكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسي في أبي الحكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد غلب على لبه وأخذ بمجامع قلبه

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه * وحملني من ذاك ما ليس في الطوق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذاك شب عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

يا عمرو رد على الصدور قلوبها * من غير تقطيع ولا تحريق

وأدر علينا من خلالك أكؤسا * لم تأل تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول أحدهما

قل لعمرو بن مذحج * جاء ما كنت أرتجي

شارب

شارب من زبرجد * واسى من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة * تنفس عند الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أباحسن أبلغ سلام نمى يدى * أبى حسن وارفق فكلتاهما بحر
ولا تنس عناك التى هى والندى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهنى فى مجارى صفاته * فلم أدر شعر ما به فهت أم سحر
أرى الدهر أعطاك التقدم فى * وان كان قد وافى أخيرا بك الدهر
لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا * ففى أخريات الليل ينبلج الفجر

ولعمرو فى أبى العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدى فى الندى وتعيد
وحق العلا لولا مراتبك العلا * لما اخضر فى أفق المكارم عود
فلوحوا بنى زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلاء سعود

وقوله لابى الوليد ابن عمه

انى لاعجب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر
لاغرو ان بعدت دار مصاقبة * بنا وجذبنا للحضرة السفر
فحجر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع فى الدنيا به النظر

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حمص استخفت بقدره * على انها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سل من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعى وأنت أسلته * ومن نار أحشائى وأنت لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا منّ عليك حبيبها
اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داريت دونك مهجتى فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته فى هوى * فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحسدنى قلت لا والذى * أحلك فى الحب مرعى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

قوله أرى الدهر أعطاك التقدم فى * وان الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى نقصانه فلعل أصله هكذا فى أورى * وان الخ اهـ مصححه

وله مما يكتب على قوس

انى اذا رفعت سماء عجاجتى * والحرب تقعد بالردى وتقوم
وتستروا الابطال فى جنباتها * والموت من فوق النفوس يحوم
مرقت لهم منا الحتوف كأنما * نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال أبو الحسين بن قندلة فى كلب صيد

نجعت بمن لو رمت تعبير وصفه * لقل ولو أنى غرفت من البحر
بأخطل وثاب طموح مؤدب * ثبوت يصيد النسر لو حل فى النسر
كلون الشباب الغض فى وجهه سنا * كأن ظلاما ليس فيه سوى البدر
اذا سار والبازى أقول تعجبا * ألا ليت شعرى يسبق الطير من يجرى

ولا يلتفت الى قول أبى العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقى على مهجة * لا أسدا يبقى ولا نعثله
ولا شريفا لبنى هاشم * ولا وضيعا لبنى قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما ينبح الكلب القمر قال أبو العباس النبار كان أبو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الى بابه يوما فحجب عنى فكتبت على الباب

تحجب القندلى عنى * فساء من فعله ضميرى
ينفر من رؤيتى كأنى * مضغة الحبيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه * وقال أبو القاسم بن حسان

الا ليتنى ما كنت يوما معظما * ولا عرفوا شخصى ولا علوا قدرى
أكاف فى حال المشيب بمثل ما * تحملته والغصن فى ورق نضر
فما عاش فى الايام فى حر عيشة * سوى رجل ناء عن النهى والامر

وقال أبو بكر بن مرتين

صحبت منك العلا والفضل والكرما * وشيمة فى الندى لا ترتضى السأما
مودة فى ثرى الانصاف راسخة * وسمكها فوق أعناق السماء سما

وقال

أنصفتنى فحضتك الود الذى * يجزى بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرن سوى خلالك انها * جلبت اليك من الثنا ما يعرف

وقال

يا هلالا يتجلى * وقضيبا يتثنى
كل أنس لم تكنه * فهو لفظ دون معنى

وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن زرقون

ذكر العهد والديار غريب * فجرى دمعه وبلج النحيب
ذكر العهد والنوى من حبيب * حبذا العهد والنوى والحبيب
اذ صفاء الوداد غير مشوب * بتجن وودنا مشبوب

واذ الدهــــــر دهرنا واد الدا * ر قـــريب واذ يقول الرقيب

ومنها

أسأل الله عفــــوه فلئن سا * ء مقالى لقد تعف القلوب
قد ينال الفتى الصغائر ظرفا * لاسواها وللذنوب ذنوب
وأخو الشعر لاجناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

وقال

يامعدن الفضل وطود الحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما * يدخل أو يصبر أو ينصرف

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلي

وكل الى طبعــــه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الاشبيلي

ماطلبت العلوم الا لأنى * لم أزل من فنونها فى رياض
ماسواها له بقلبى حظ * غيرما كان للعيون المراض

وقال

أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابريز منهم * فبقوا بعد نحاسا
سامريين يقولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فامتعض له هذا الامام وصقل صدأه كما يصقل الحسام وأبرزه فى أجمل منزع حتى قيل هذا مما أبدع واخترع وله كتاب فى النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد وبالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق * وقال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلى وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أى يوم بعده يرفع الحـــر * وللورق تغـــــريد وقد خفق النهر
وقد صفقت كف الغزالة أفقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولا ذاك مابسم الزهـــــر

وقال

بدا الهلال فلما * بدا نقصت وتما
كأن جسمى فعل * وسحر عينيه لما

وكان لايملك نفسه فى النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لايعلم مايقوله ولم يلتفت الى والده وقد افتضح فى طاعة هواه فقال له الرجل يا أبابكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله

هذا ما عاملت بجعفري والله ان غاب معك عن بصري لمحة لتفعلن به ما اشتهر عنك وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا * وقال أبو جعفر أحمد بن الابار الاشبيلي وهو من رجال الذخيرة

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى منه القضيب الكثيبا
ورشا راش لي سهام المنايا * من جفون يسبي بهن القلوبا
قال لي ماترى الرقيب مطلا * قلت دعه انى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها من خمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
قال نبدأ ن تدب عليه * قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت عمري لقد أتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * وسعينا على الرقيب دبيبا
فهل أبصرت أوسمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وأنشد له ابن حزم

أو ما رأيت الدهر أقبل معتبا * متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالامس أذبل في رياضك أيكة * واليوم أطلع في سمائك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد ماتت له بنت وولد له ابن وبعضهم ينسبهما لغيره * ودخل الاديب أبو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الى جانبه وسيم خمري العينين فافتتن بالنظر اليه والمحادثة الى أن قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما كان الا الشمس حان غروبها * فأعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام الاشبيلي صاحب سمط الجمان

عذيري من الايام لادر درها * لقد حملتني فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جلدا ما يهدني النوى * ولا يستبيني الحادث المتغلب
يقاسي صروف الدهر مني مع الصبا * جذيل حكاك أو عذيق مرجب
وكنت اذا ما الخطب مد جناحه * علي تراني تحته أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعني * غراب اذا أبصرته وهو ينعب
وأحسب من ألقى حبيبا مودعا * وأن بلاد الله طرا محصب

وقد امتعض للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة الى مبلغ سنه منها في ذلك الاوان واستولى بذلك على خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها الافلان وفلان * وكان الاديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الاشبيلي اماما في فنون العربية ولكن شهر باقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي وما أشبه ذلك وكان مع زهده فيه لوذعية

ومن

ومن ظرفه أنّ أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطني قبلة تمسك رمق فشكاه الى الشيخ وقال له ياسيدى قال لى هذا كذا فقال له الشيخ وأعطيته ماطلب فقال لافقال له ماهذه الثقالة ماكفاك أن حرمته حتى تشتكى به أيضا وحسبك من جلالة قدره أنّ أهل اشبيلية رضوابه اماما فى جامع العديس وله

لما تبدت وشمس الافق بادية * أبصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشى عين ناظرها * وهذه نورها يشفى من الرمد

وقال مالك بن وهب

أراميتى بالسحر من لحظاتها * نعيذك كيف الرمى من دون أسهم
ألا فاعلمى أن قد أصيبت فواصلى * سهامك أو كفى فلست بمسلم
فانسان عين الدهر أصميت فاحذرى * مطالبة بالقلب واليد والفم
أماهو فى غيل غدا غابه القنا * تحف به آساد كل ملثم
ولو أن لى ركنا شديدا بنجدة * أويت له من باس لحظك فارحمى

وهو اشبيلى كان من أهل الفلسفة كما فى المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وأنيسه وفيه يقول بعض أعدائه

دولة لابن تاشفين على * طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها * من خبايا مالك بن وهيب

وأمر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى أنشأ دولة بنى عبد المؤمن * وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعى بعض اخوانه

بمعاليك وجدك * جد بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن * لم يطب شئ لفقدك

وقال

وراغب فى العلوم مجتهد * لكنه فى القبول جلمود
فهو كذى عنة به شبق * ومشتهى الاكل وهو ممعود

وقال

لئن عرضت نوى وعدت عواد * أدالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم * تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان أندى * على كبدى وأحلى فى فؤادى

وله فى مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى * ولم تدر مايلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها * تثير غماما فى الندى من الند
ولم أر نارا كلما شب جرها * رأيت الندامى منه فى جنة الخلد

وقوله من قصيدة

وان هم نكصوا يوما فلا عجب * قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود أحمد والايام ضامنة * عقبى النجاح ووعد الله منتظر

وقال

تقريب ذى الامر لاهل النهى * أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وما ضره * تقريب أهل اللهو فى الندره
عطارد فى جل أوقاته * أدنى الى الشمس من الزهره

وقوله

تفكر فى نقصان مالك دائما * وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية * وخيفة حال الفقر شر من الفقر

قوله وخيفة الخ فى نسخة وخوفك الخ اه

وقوله

ياليلة لم تبن من القصر * كأنها قبلة على حذر
لم تك الا كلا ولا ومضت * تدفع فى صدرها يد السحر

وقال فيمن نظر اليه فأعرض عنه

قالوا اثنى عنك بعد البشر صفحته * فهل أصاخ الى الواشى فغيره
فقلت لا بل درى وجدى يعارضه * فرد صفحته عمدا لأبصره

وقال

حكت الزمان تلونا * لمحبها العانى الاسير
فوصالها برد الاصيل وهجرها حر الهجير

وقال يستدعى

هو يوم كما تراه مطير * جاب القر فيه والزمهرير
وأرانا الغمام والبرد ثوبين علينا كلاهما مجرور
ولدينا شمسان شمس من الرا * ح وشمس تسعى بها وتدور
عن الرأى أن تشب الكوانين باجزالها وترخى الستور
فاترك الاعتذار فيه فترك الشرب فى مثل يومنا تغرير

وقال

هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا * على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال

غبت عنا فغاب كل جمال * ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاود نا الانس وقرت قلوبنا فى الصدور
فلو انا نجزى البشير بنعمى * لوهبنا حياتنا للبشير

وقال

كم ضيعت منك المنى حاصلا * كان من الاحزم أن يحفظا

فالفظ بها عنت فمن حق ما * يخفى صواب الرأى أن يلفظا
فان تعللت باطماعها * فانما تخلب مستيقظا

وقال

يقولون لى صبرا وانى لصابر * على نائبات الدهر وهى فواجع
سأصبر حتى يقضى الله ما قضى * وان أنا لم أصبر فما أنا صانع

وقال

بابى خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما واخـ * ـتلما قدرا ورفعه
ومسير الشمس تستهـ * ـدى بضوء النجم بدعه

وقال فى فرس أشهب

وأشهب كالشهاب أضحى * يلوح فى مذهب الجلال
قال حسودى وقد رآه * يخب تحتى الى القتال
من ألجم الصبح بالثريا * وأسرج البرق بالهلال

وقال

ومتى صروف الدهر بين معاشر * أصحهم ودا عدو مقاتل
وما غربة الانسان فى غير داره * ولكنها فى قرب من لا يشاكل

وقال

أصبحت صبا دنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكى دما
هذا وقد سلم اذ مر بى * فكيف لو مر وما سلما

وقال

وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضربها الجوى وهمت شؤن
يناجى بعضنا باللحظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون
فلا والله ما حفظت عهود * كما ضمنوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل * لانصف من يفى ممن يخون
أمر بدار كم وأغض طرفى * مخافة أن تظن بى الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمى الاشبيلى فى النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثى صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادك يا قبر انسكاب الغمام * وعاد بالروح عليك السلام
ففيك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الظلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلى

وكأنما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
أو كالقيان لبسن موشى الحلى * فلهن فى وشى اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلى

أما ترى النرجس الغض الذكى بدا * كأنه عاشق شابت ذوائبه
أو المحب شكا لما أضر به * فرط السقام فعادته حبائبه

وقال

ورب نيلوفر غدا مجمل الرا * ئى اليه نفاسة وغرابه
كمليك للزنج فى قبة بيـ * ـضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

وقال أبو الاصبغ بن سيد

كأنما النرجس فى منظر الحسن الذى أمثاله تبتغى
أنامل من فضة فوقه * كاس من التبر به أفرغا

وقال أبو اسحق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة فى كتاب حديقة الارتياح

قوله سلمة فى نسخة مسلمة اهـ

يوم كأن سحابه * لبست عمائم الصامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
فالغيث يبكى فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا * والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنة * واطرب فان العمر فائت

وله

ورب ليل طال لا صبح له * ذى نجوم أقسمت أن لا تغور
قد هتكنا جنحه من فلق * من خمور ووجوه كالبدور
ان بدت تشبهها فى كاسها * نار ابراهيم فى برد ونور
صرعتنا ان علونا ظهرها * فى ميادين التصابى والسرور
وكأنا حين قمنا معشر * نشروا بعد ممات من قبور

وقال أبو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب الا عن قلبى * ولم أجد الا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم * يا حسبى الله ونعم الوكيل

وقال

يقولون ان السحر فى أرض بابل * وما السحر الا ما أرتك محاجره
وما الغصن الا ما انثنى تحت برده * وما الدعص الا ما طوته مآزره
وما الدر الا ثغره وكلامه * وما الليل الا صدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة فى محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى * وقال الرصافى أبو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومى الاندلس فى جريرى

وبنفسى من لا أسميه الا * بعض الماسة وبعض اشاره
هو والظبى فى الجمال سواء * ما استعار الغزال منه استعاره

أغيد يسلك الحرير بفيه * مثل ما يسلك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

لو جئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ولأبي جعفر أحمد بن الجزار

ومازلت أجني منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجنى ولا زرع يحصد

ثمار أياد دانيات قطوفها * لأوراقها ظل علي ممدد

يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكري فوقهن تغرد

ولما نفي أبو جعفر بن البني من ميورقة وأقلع في البحر ثلاثة أميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر أحد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

أحبتنا الالى عتبوا علينا * وأقصونا وقد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل بالعيش بعدكم انتفاع

أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع

اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نوئها

وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور

قالوا تصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر

تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من أجفانه الحور

يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر

ورب راق في خضراء مونقة * كما تفتح في أوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضي أبو المطرف بن عميرة المخزومي لما قصر شعر ملك الاندلس زيان بن مردنيش حزين في يوم رفع فيه أبو المطرف شعرا فخرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبي المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسى * وراحة من أذاع المدح صفرا

فأنجح سعي ذا اذ قص شعرا * وأخفق سعي ذا اذ قص شعرا

واسم أبي المطرف أحمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية * وكان الكاتب الحسيب أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود ويماشيه في غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد

لكن لكيما يكون داع * لقربنا خيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع * وكان صنوبري الاندلس أبو اسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب وشهرته تغني عن الاطناب فيه مغرى بوصف الانهار والازهار وما يتعلق بهما وأهل الاندلس يسمونه الجنان ومن أكثر من شيء

عرف به وتوفي سنة ثلاث أو خمس وثلاثين وخمسمائة وولد سنة خمسين وأربعمائة ومن نظمه قوله

ربما استضحك الحباب حبيب * نفضت لونها عليه المدام
كلما رق قاصرا من خطاه * يتهادى كما تهادى الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا * فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفي السراج ثم تراجع نوره فقال

واغرّ ضاحك وجهه مصباحه * فأنار ذا اقرا وذلك فرقدا
ما ان خبا تلقاء نور جبينه * حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وله

كتبت وقلبي في يديك أسير * يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفي كل حين من هواك وأدمعي * بكل مكان روضة وغدير

وله

كنا بناد لدينا البدر ندمان * وعندنا أكؤس للراح شهبان
والقضب مائسة والطير ساجعة * والارض كاسية والجو عريان

ولما سئل أبو بكر محمد بن أحمد الانصاري المعروف بالابيض عن لغة فعجز عنها بحضرة من خجل منه أقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف فاتفق أن دخلت عليه أمه في تلك الحال فارتاعت فقال

ريعت عجوزي أن رأتني لابسا * حلق الحديد ومثل ذا الدروع
قالت جننت فقلت بل هي همة * هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها * اني لما سن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا * ووزيره المشهور ركاب النار
مازال يأخذ سجدة في سجدة * بين الكؤس ونغمة الاوتار
فاذا اعتراه السهو سبح خلفه * صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر باحضاره فقرّعه وقال ما دعاك الى هذا فقال اني لم أر أحق بالهجو منك ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك انصافا ولم تكلها الى أحد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله وأنشد له ابن غالب في فرحة الانفس قوله في حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية * لو قابلت كوكبا في الجو لالتهبا
تانق القين في احكام صنعتها * حتى أفاض على أطرافها الذهبا
كأنها بيضة قد قد قونسها * وكل جنب لها بالطعن قد نقبا

قال فيمن يحدث نفسه بالخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من أماليه اللطيفه

تحذر أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
وأذكر منك مصلوبا فابكي * وتضحكني أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو علي عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

ومما شجا قلبي وفض مدمعي * هوى قد قلبي اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن * وكانت كميم ألحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميمها فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتآليف ما يغني عن الاطناب في وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى في العربية وكان في لسانه لكنة ولما أراد مأمون بني عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم في مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاء منه ثلك الله ونثرك يريد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تستجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
فقلت ماذا الكم صوابا * عش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السماكين سام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحلت مدحة فأنت زهير * أو تشبب فعروة بن حزام
أو تبا كر صيد المها فابن حجر * أو تبكي الديار فابن جذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فأبو الطيب البعيد المرامي

ولما استرسلت نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لماله من الاصالة في وادي آش فحسده أهل بلده وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة فخطبوا في بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مرد نيش ووجه لهم عماله وأوصاهم أن يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفع واله أشعارا كان يستريح بها على كاسه ويبثها بحضر من يركن اليه من جلاسه * ومنها قوله وقد استشعر من نفسه انها أهل للتقديم مستحقة لطلب سلفه القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما للملك من صدر
وكيف أطلع في أفق العلا قمرا * ويستهل بكفي واكف الدرر

وكيف أملا صدر الدهر من رعب * وأستقل بحمل الحادث النكر
وأستعد لما ترمى الخطوب به * وأستطيل على الايام بالفكر
لكننى ربما بادرت منتهزا * لفرصة مرقت كاللمح بالبصر
فى أم رأسى ما يبدو الزمان به * شرحا فسل بعدها الايام عن خبرى

فعند ما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادى آش من حمله اليه وقيده وقدم به الى مرسية أسيرا بعد ما كان مرتقبا أن يقدم أميرا فلما وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له أمكن الله منك يا فاجر فقال أنت أعزك الله أولى بقول الخير من قول الشر ومن أمكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به أن يستقدر بالقول فاستحيا منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه أشعار فى تشوقه الى بلاده منها قوله

لقد بلغ الشوق فوق الذى * حسبت فهل للتلاقى سبيل
فلو أننى مت من شوقكم * غراما لما كان الا قليل
تعللنى بالتدانى المنى * وينشدنى الدهر صبر جميل
فقل كبثينة اذ أصبحت * بعيدا فلم يسل عنها جميل
أغض جفونى عن غيرها * وسمعى عن اللوم فيها ثقيل

ولم يزل على حاله من السجن الى أن تحيل فى جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التى أولها

نازع البدر اللياح * بنت الدنان
فلم يدع لك اقتراح * على الزمان

وفيها يقول

يا أهل أقول للحسود * والعيس تحدى
يا لاثمى على السراح * كانت أمانى
أخرجها ذاك السماح * الى العيان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها وأحكمت الغناء بها وأهداها الى ابن مردنيش بعد ما أوصاها انه متى دعاها الى الغناء وظفرت به فى أطرب ساعة وأسرها غنته بهذه الموشحة وتلطفت فى شأن رغبتها فى سراح قائلها فلعل الله تعالى يجعل فى ذلك سببا واتفق أن ظفرت بما وصاها به وأحسنت غناء الموشحة فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه وأعجبه مقاصد قائلها فسألها لمن هى فقالت لمولاى عبدك ابن نزار فقال أعيدى على قوله يا لاثمى على السراح فأعادته فداخلته عليه الرقة والاريحية بما أصابه فأمر فى الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه فى ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وأدناه وقال له يا أبا الحسن قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مبا حالك أن تطلب الملك بها وبغيرها ان قدرت فأنت أهل لان تملك جميع الاندلس لا وادى آش فقال له والله يا سيدى بل ألتزم طاعتك والاقرار بأنك بعثتنى من قبر ما فيه الحساد والوشاة ثم شربا حتى تمكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الآن أريد أن أسألك عن شئ قال وما هو

ياسيدى قال عمالى أم رأسك حين قلت
في أم رأسي مايعيا الزمان به * شرحا فسل بعدها الايام عن خبرى
فقال له ياسيدى لاتسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان لعبت بأفكاره الامانى وغطت على عقله الا ٓمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها زوجتى فكيف أطلب مادونه قطع الرؤس ونهب النفوس فضحك ابن مردنيش وجدد له الاحسان وجهزه الى بلده وأمر عماله أن يشاوركوه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأثل به مجده وعظم سعده ومن شعره قوله
انظر الى الروض سحيرا وقد * بث به الطل علينا العيون
يرقب منا يقظة للمنى * فقل لها أهلا بداعى المجون
وحثها شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون
وقوله
تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا
فقد نبهت هذى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا
ومهما تكن فى ضيقة فأدر لها * كؤس الطلى فالسكر يوسع ماضاقا
وقوله
عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى
تركته أعطاف الغصون مظللا * ولنا عن النهج القويم مضللا
أمسى يغازلنا بمقلة أشهل * والطرف أسحر ماتراه أشهلا
وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ماتمام هذه المسرة الا حضور أبى جعفر بن سعيد وهو الا ٓن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالنا معهما وانهما لا يأتيان الاجما يأتى به اجتماع النسيم والروض خلا فى موضع وكتب له
ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر
انا حضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أو ناثر
كل مخلى للذى يختاره * فى الامر من ناه له أو زاجر
ما ان لهم شغل بفن واحد * بل كل مايجرى بوفق الخاطر
شدو ورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتغامز بنواظر
وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لنا شوق لبدر زاهر
سيدى لازلت متقدما لكل مكرمة هل يجمل التخلف عن ناد قام فيه السرور على ساق وضحك فيه الانس بملء فيه وانسدل به ستر الصون وفاء عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو وثار قتام الند وهطلت سحاب ماء الورد وجليت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المنقلة بالعاج والابنوس وكان قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أو بنى حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان نظمها

امتزاج الماء بالراح فطورا تستخفي فيبدو خجلها وطورا تمتزج فيظهر وجلها والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه في حجرها كولد ترضعه بدرّها وساقي الشرب كالغصن الرطيب أوراقه أردية الشرب وأزهاره الكؤوس التي لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ساق يفهم بالاشاره حلو الشمائل عذب العباره ذو طرف سقيم وخد كانه من خفرة لطيم ولدينا من أصناف الفواكه والازاهر ما يحار فيه الناظر وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس وأصداغ الآس ونهود السفرجل وقدود قصب السكر ومباسم قلوب الجوز وسرر التفاح ورضاب ابنة العنب فقد اكتمل بهذه الاوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب

فطر بجناح الشوق عند وصولها * اليك ولا تجعل سوالك جوابها
فلا عين الا وهي ترنو بطرفها * اليك فيسر في المطال حسابها
فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة * لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر فجعلت وصولي جواب ما نظم ونثر وألفيت الحالة يقصر عن خبرها الخبر فانغمسنا في النعيم انغماس عرف الزهر في النسيم ومرّ لنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله تعالى به في الجنه * وشرب يوما مع أبي جعفر بن سعيد والكتندي الشاعر في جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء تحرك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور ورخام يصنع في أنبوبة الماء صورة خباء فقالوا نقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال أبو جعفر يصف الراقصة

وراقصة ليست تحرك دون أن * يحركها سيف من الماء مصلت
يدورها كرها فتنضي صوارما * عليه فلا تعيا ولا هو يبهت
اذا هي دارت سرعة خلت انها * الى كل وجه في الرياض تلفت

وقال ابن نزار في خباء الماء

رأيت خباء الماء ترسل ماءها * فتنازعها هب الرياح رداءها
تطاوعه طورا وتعصيه تارة * كراقصة حلت وضمت قباءها
وقد قابلت خير الانام فلم تزل * لديه من العلياء تبدي حياءها
اذا أرسلت جودا أمام يمينه * أبى العدل الا أن يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضر الامير أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما ألجأته الضرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيأ وكانت هذه عنده معدّة فزعم انه ارتجلها قال أبو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمي أبا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفؤ الآخر وقال الكتندي

وصهريج تخال به لجينا * يذاب وقد يذهبه الاصيل
كأن الروض يعشقه فنمه * على أرجائه ظل ظليل
وتقصده أكف الشمس عشقا * فتأبى ان تنال لها قبول

اذا رفع النسيم القضب عنها * فحينئذ يكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدّى عكسها جرٌ بليل
وللجون فيه دون سبك * جلاجل زخرفت نصبا تجول
فيا روضا به صقلت جفوني * وأرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادى * وقبل صفح جدوالك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا * من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستنير بها نجوم * مع الاصباح ليس لها افول
يهيم بهم نسيم الروض الفا * فمن وجد له جسم عليل

وروى أن الوزير أبا الاصبغ عبد العزيز بن الارقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها ضبة بيضاء فى يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

نشرت عليك من النعيم جناحا * خضراء صيرت الصباح وشاحا
تحكى بخفق قلب من عاديته * مهما يصافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمى برأى ظافر * فترقب الفأل المشير نجاحا

وكان هذا الوزير آية الله تعالى فى الوفاء وأرسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فأعجبت المعتمد محاولته ووقع فى قلبه فأراد افساده على صاحبه وأخذ معه فى أن يقيم عنده فقال له ما رأيت من صاحبى ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركى له فى حين تقوض الى أمره ووثق بى وحملنى أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم على فلما عاد الى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له فقال له فى أثناء ذلك وجرى لى معه ما ان أعلمتك به خفت أن تحسب فيه كالامتنان والاستظهار وتظن أن خاطرى فسد به وان كتمتك لم أوف النصيحة حقها وخفت أن تطلع عليه من غيرى فيعطى ذلك من عندك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه فى أن يعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبى عامر

فتى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامى التليل * وتحسبه غصنا مائلا

وللوزير الكاتب أبى محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو حسنة وادى آش يخاطب يحيى الميورقى

أنعم بتسريح على فضله * سبب الزيارة للعظيم ويترب
ولئن تقول كاشح انى الهوى * أرست معالمه وانك مذهبى
فقالتى ما ان ملكت وانما * عمرى أبى حمل النجاد بمنكبى
وعجزت عن أن أستثير كمينها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتبها اليه وقد أسن وملّ من الجهد معه يرغب فى سراحه الى الحجاز رحمه الله تعالى وتقبل نيته بمنه ويمنه * وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسى وكان صاحب سيف وقلم وعلم وعلم

قوله ضبة فى نسخة صنيفة وليحرر اه

يا دانيا مني وما أنا زائر * لا أنت معذور ولا أنا عاذر
ماذا يضرك اذ ظللت بظلمة * أن لا يطالع منك بدر زاهر

وتوفي المذكور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة * وقال التطيلي الاعمى في أسد رخام يقذف الماء

أسد ولو أني أنا * قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه أسد السما * ء يمج من فيه المجره

قال ابن ظافر صرنا في بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل فرأينا فيها بتراعليها دولابان متحاذيان قد كادت أفلاكهما نجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الاماني بالمفاليس وهما يئنان أنين الاشواق ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد تظلم جواهره في أجياد الغصون والسواقي قد أذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى وحيات الجاري حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والجو قد صقل النسيم درعه وزعفران العشي قد ألقي في ذيل الجو ردعه فأوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملا أبصارنا وأسماعنا مسرة والتذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزمرا حين شجت قيان المطر بالحانها وشدت على عيدانها أم ذكرا نغما وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما الذيذ الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما في تراكيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذي هو شجون الى ذكر قول الاعمى التطيلي في أسد رخام يقذف الماء أسد ولو اني الخ فقال القاضي أبو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيره واستمددت مادة غريزتي الغزيره فظهر لي معنى ملأ في اطرابا وأوسعني اعجابا وأطرق كل منا ينظم ما جاش به مد بحره وأنبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقرة العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف واحد منا على ما صنعه الآخر فكان الذي قال

حبذا ساعة العشية والدو * لاب يهدي الى النفوس المسره
أدهم لا يزال يعدو ولكن * ليس يعدو مكانه قدر ذره
ذو عيون من القواديس يبكي * كل عين من فائض الدمع ثره
فلك دائر بنا نجوما * كل نجم يبدي لدينا المجره

وكان الذي قلت

ودولاب يئن أنين ثكلي * ولا فقد اشتكاه ولا مضره
ترى الازهار في ضحك اذا ما * بكى بدموع عين منه ثره

حكى فلكا تدوربه نجوم * تـؤثر فى سرائرنا المسره
يظل النجم يشرق بعد نجم * ويغرب بعدما تجرى المجره

فعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابى محمد عبد الله بن شعبة الوادى آشى ابن شاعر فعرض عليه شعرا نظمه فأعجبه فقال

شعرك كالبستان فى شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لى طائعا * ما يصنع الفارس بالبند

ولشاعر الاندلس أبى عبد الله بن الحداد الوادى آشى وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتى وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الاميرا
وكنت سمير أشعارى سفاها * فعدت بها لفلسفتى سميرا

وله فى العروض تأليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقيه والآراء الخليليه ورد فيه على السرقسطى المنبوز بالجار وله فى المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادى المقدس شاطئ * فللمنبر الهندى ما أنا واطئ
وانى فى رياك واجد ريحهم * فجمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوافئ
لذلك ما حنت ركابى وحمحمت * عرابى وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجها ما هاجنى ولعلها * الى الوجد من نيران قلبى لواجئ
رويدا فذا وادى لبينى وانه * لورد لبانانى وانى لظامئ
موارد تهيامى ومسرح ناظرى * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بأنه همز فى هذه القصيدة ما لا يهمز فقال

عجبت لغماز بن على بجهلهم * وان قناتى لا تلين من الغمز
تجلت لهم آيات فهمى ومنطقى * مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همزية أوحدية * وويل بها وويل لذى الهمز واللمز
رموها بنقص بينت فيه نقصهم * ومن لمس الافعى شكا ألم النكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس

فذر العقيق مجانبا لعقوقه * ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلى بالقواضب والقنا * للاغيد المعطار لا المعطال
جبوك الامن توهم خاطرى * وحلوك الامن تصور بالى
والقارظان جميل صبرى والكرى * فمتى أرجى منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

سامح أخاك اذا أتاك بزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
فى كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا فأعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فأخبر فتبسم

وقال أتعرف الى من أشار بهذا المعنى قال ما أعرف الا انه مليح فقال المعتصم كنت فى الصبا وهو صبى ألقب بسراج الدولة فقاتله الله ما أشعره فسألوه فلما باحثوه فى ذلك أقر بحسن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية وحبس أخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت ان السعد ليس بمنجح * مالا يكون السعد من اعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع * والرمح لا يمضى بغير سنانه

وبلغت الابيات المعتصم فقال شعره أعقل منه صدق فانه لا يتهيأ له صلاح عيش الا باخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم أمر باطلاقه ولحاقه به ولما قال فى المعتصم

يا طالب المعروف دونك فاتركن * دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل اذا أعطاك حبة خردل * ألقاك فى قيد الاسير الطائح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده * لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه وأبعده ففر من بلده ومن المنسوب اليه فى النساء

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا * وامح هواها بنسيان وسلوان
فالغيد كالروض فى خلق وفى خلق * ان مرجان أتى من بعده جان

وله

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما * دم رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية فى المطرب ان من المجيدين فى الجد والهزل ورقيق النظم والجزل صاحبنا الوزير أبا بلال وقال لى انه كان وبرد شبابه قشيب وغصن اعتداله رطيب بقميص النسك متقمص وبعلم الحديث متخصص فاجتاز يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الاكابر ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بخواص ندمائه حال وصوت المثانى والمثالث عال فقال أطلعوا الينا هذا الفقيه فلعلنا نضحك منه فلما مثل بين يديه وحيا أمر الساقى بمناولته كأس الحميا فتقبض متأنفا وأبدى تمعرا وتقشفا والسلطان يستغرب ضحكا بما هجم عليه ويد الساقى ممدودة اليه واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل * لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى باعطافه برغبته * فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسرى عنه واستحسن من الفقيه ما بدا منه وأمر له بجائزة سنية وخلعة رائقة وما أحسن قول ابن الزقاق

يا سرحة الحى يا مطول * شرح الذى بيننا يطول
ولى ديون عليك حلت * لو انه ينفع الحلول

وقوله

انظر الى الوادى اذا ما غردت * أطياره شق النسيم ثيابه

قوله لو قد مضى فيه اقتران فعل الشرط بقد وهو غير سائغ فتنبه اه مصححه

قوله أبا بلال فى نسخة أبا هلال اه

اتراه

أتراه أطربه الهديل وزاده * طربا وحقك أن حللت جنابه

وله في غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالقار أضحى على الحيا * والليل قد لامس الهلالا

وكتب أبو محمد عبد الله في معذرة الى بعض أصحابه من الاسر في طليطلة

لو كنت حيث تجيبني * لاذاب قلبك ما أقول
يكفيك مني أنني * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما ألفي رسول
هذا وكم بتنا وفي * أيماننا كاس الشمول
والعود يخفق والدخا * ن العنبري به يجول
حال الزمان ولم أزل * مذ كنت أعهده يحول

ولابي الحسن علي بن مهاهل الجلياني في أبي بكر بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في دولة الملثمين

لولا النهود لما غرالت نهد * وعلى الخدود القلب منك يخدد
يا نافذا قلبي بسهم جفونه * مالي على سهم رميت به يد

وقال أبو زكريا يحيى بن مطروح في غلام كاتب أطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * في خده حاكيا ما خط بالقلم
لام العذول عليه حين أبصره * فقلت دعني فزين البرد بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشحر أو من در مبتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضي ونزل المطر على أثره وكان الناس في جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ في أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الاوسي مختصا بوزير عبد المؤمن أبي جعفر بن عطية فقال فيه

أبا جعفر نلت الذي نال جعفر * ولا زلت بالعلياء تسمو وتجبر
عليك لنا فضل وبر وأنعم * ونحن علينا كل مدح محبر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد أحس من عبد المؤمن التغير الذي أفضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه أبي جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر أمره الصلب فكان هذا عام الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

وما أنا عن ذاك الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم

بغيرك أجرى ذكر فضلك في الندى * كما قد جرى بالروض هب نسيم
وان كان عندى للجديد لذاذة * فلست بناس حرمة لقديم

ولأبي عبد الله محمد بن علي اللوشي يخاطب صاحب المسهب

بي اليكم شوق شديد ولكن * ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
ان بغير كم الفراق فودى * لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله

لو ان لى قلبا كقلبك كنت أهجره هجركا
يكفيك انك قد نسيت ولست أنسى ذكركا
ومن العجائب انني * أفنى وأكتم سركا
كن كيفما تختاره * فالحب يبسط عذركا

وله

هل عندكم علم بما فعلت بنا * تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم أن تامنوها انها * سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبي محمد عبد المولى وكان ماجنا المانى اليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا

انما دنياك أكل * وشراب وتصاب * ثم من بعد صراخ * ووداع وتراب

وله

يانديم اشرب على * أفق صقيل وحديقه
واسقني ثم اسقني * ثم اسقني خمرا وريقه
من غزال تطلع الشمس بخديه انيقه
لا تفوت ساعة * من كاس خمر وعشيقه
واجتنب ما سطرت * جهلاء هذى الخليقه
رغبوا في باطل * زور بزهد في الحقيقه
ليس الا ما تراه * أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد قلنا له ما هذا الاعتقاد الفاسد الذى لا ينبغي لاحد أن يصحبك به فقال هذا قول لا فعل وقد قال الله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم قال ابن سعيد ولولا أن حاكي الكفر ليس بكافر ما ذكرتها وهذا منزع من قال من المجوس

خذ من الدنيا بحظ * قبل أن ترحل عنها
فهي دار لا ترى من * بعدها أحسن منها

وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا وطلب منه بعض الارذال أن يكتب له شفاعة عند أحد العمال فكتب له رسالة فيها هذه الابيات

كتبته مولاى في طالع * ما طار فيه طائر اليمن
وفكرة جائلة والحشا * يلهب بالهم و بالحزن

كلاهما به ساقط أخرق * مشتهر بالطعن واللحن
أكذب خلق الله أرداهم * أخونهم في الخوف والامن
يكفر ما يسدى اليه ولا * يعذر خلقا سيئ الظن
فان صنعت الخير أفديته * شرا وأضحى الجد ذا غبن
واتقد الناس عليك الذى * تسدى له فى أى ما فن
فافعل به ما هو أهل له * واسعه نفسا اولا أكن
أهنه واصفعه ولا تترك الـ * ـبواب يكرمه لدى الاذن
واقطع بفيه القول واحرمه من * رد جواب أنسه يدنى
وكلما استنبط رأيا فسفهه ودعه مسخن الجفن
فهو اذا أكرمته فاسد * وصالح بالهون واللعن
شفاعتى فى مثله هذه * فلاسقاها هاطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسربه وحمله الى العامل وسافر اليه أياما فلما دفعه اليه قرأه وضحك ودفعه الى من يشاركه فى ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخرجه الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتنى لارذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة اذن فقال له أوتريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر من يأتيه بالابيات فقرئت عليه فانصرف فى أسوا حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فتزيا هذا الرجل بزى أهل البادية وزور كتابا على لسان زوجة لعبد المولى فى بلدة أخرى وقال فى الكتاب وقد بلغنى انك تزوجت غيرى وأردت أن أكتب اليك فى أن تطلقنى فوصلنى كتابك تعرفنى فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر فى طلاقها فردنى ذلك عما عزمت عليه فانظر فى تعجيل ما وعدت به من طلاقها فانك ان لم تفعل لم أبق معك أبدا فلما مر بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها أنا رجل بدوى أتيت من عند فلانة زوجة أبى محمد عبد المولى فعند ما سمعت ذلك أعلمت ستها وأخذت الكتاب فوقفت على ما فيه غير شاكة فى صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ما سبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت اليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح وأن عدوا له اختلقه عليه فلم يفد ذلك عندها شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذى فعل ذلك فقال له لاجزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادى أظلم فما كان ذنبى عندك حين كتبت فى حق ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ما ذنبى أنت كلك ذنوب

ألست بألأم الثقلين طرا * وأثقلهم وأخشنهم لسانا
فهما تبغ برا عند شخص * تزد منه بما تبغى هوانا

فانصرف عنه عالى اللسان بلعنته وكان أحمد بن عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد نخطر له يوما جلد عميرة واتفق أن مر السيد يوما بذلك الموضع فنظر اليه فى تلك الحال فقال له السيد ماتصنع فقال الدواة جفت ولم أجد ما أسقيها به الاما ظهرى فضحك

السيد وأمره بجارية فقال

قل للعميرة طلقت بعد طول زواج

قد كان مالى ضياعا * يمر فى غير حاج

حتى حبانى بحسنا * قابل للنتاج

فكان نافل خمر * من حنتم لزجاج

كانت تمر ضياعا * فاصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد

جنبونى عن المدامة الا * عند وقت الصباح أو فى الاصيل

واشفعوها بكل وجه مليح * ودعونى من كل قال وقيل

واذا ما أردتم طيب عيشى * فاحجبونى عن كل وجه ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

أتانى زائرا فبسطت خدى * له ويقل بسط الخد عندى

فقلت له أيا مولاى ألفا * فقال وأنت ألفا عبد عبدى

وعانقنى وقبلنى ونادى * بالطف منه كيف رأيت وعدى

وقال فى استهداء مقص

الاقل نم فى مطلب قد حكا لا * يفصل اذ نبغى الوصال مفصلا

تشق به صدر النهار وقد بدا * ظلاما بامثال النجوم مكللا

وقال

سارت كبدر وليل الخد يسترها * ولو بدا وجهها جاءتك بالفلق

ودونها من صليل اللامعات حمى * فالبرق والرعد دون الشمس فى الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكندى الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء فأخذوا يوما فى أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل وهما منتزهان من أشرف وأظرف منتزهات غرناطة ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد وكان الرصافى قد أظهر الزهد وترك الخلاعة فقالوا اما نبغى عن أبى جعفر ابن سعيد اكتبوا له فصنعوا هذا الشعر وكتبوه له وجعلوا تحته أسماءهم

بعثنا الى رب السماحة والمجد * ومن ماله فى ملة الظرف من ند

ليسعدنا عند الصبيحة فى غد * لنسعى الى الحوز المؤمل أو نجد

نسرح منا أنفسا من شجونها * تموت فى شجون من شرة من اللحد

ونظفر من بخل الزمان بساعة * ألذ من العليا وأشهى من الحمد

على جدول ما بين ألفاف دوحة * تهز الصبا فيها لواء من الرند

ومن كان ذا شرب يخلى بشأنه * ومن كان ذا زهد تركناه للزهد

وما ظرفه يأبى الحديث على الطلى * ولا أن يديل الهزل حينا من الجد

تميز معانى الشعر أغصان ظرفه * ويمرح فى ثوب الصبابة والوجد

وما نغص العيش المهنأ غير أن * يمازجه تكليف ما ليس بالود
قطعنا من الخلان عقد فرائد * ولما نجد الا لك واسطة العقد
فماذا تراه لا عدمناك ساعة * فنحن بما تبديه في جنة الخلد
ورشدك مطلوب وأمرك نافذ * تقاب وكل منك يهدي الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما أو الدر في العقد * هو الزهر نفاح الصبا أم شذا الود
أتاني وفكري في عقال من الاسى * فحل بنفث السحر ما حل من عقد
ومن قبل على أين مبعث وجهه * علمت جناب الورد من نفس الورد
وأيقنت أن الدهر ليس براجع * لتقديم عصر أو وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام فضله * ترادف موج البحر ردا الى رد
فكم طيها من فائت متروم * يجز بما قد ضمرت معطف الصلد
فيا من بهم تزهى المعالي ومن لهم * قيادا المعالي ما سوى قصدكم قصدي
فسمعا وطوعا للذي قد أشرتم * به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة * مقلدة الاجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكاملة فاطلعوا * بها زهرا أزكى نسيما من الند
وعندي ما يحتاج كل مؤمل * من الراح والمعشوق والكتب والنرد
وكل الى ما شاء ولست نائيا * عنا ناله ان المساعد ذو الود
ولست خليا من تأنس قينة * اذا ما شدت ضل الخلي عن الرشد
لها والد في جرها لا تزيله * أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا قينة قد كنت منها مكانه * تقلبني ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد قال اني زاهد * اذا حل عندي أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا * فعندي له في عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته فنزلهم أحسن يوم على ما اشتهوا وما زالوا بالرصافي الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكندي

غلبناك عما رمته يا ابن غالب * براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بدا زهده مثل الشهاب فلم يزل * به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا ما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغي أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر أناله ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التي تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كر * تاع فأجفلت الغزاله

قوله الود في نسخة الورد

قوله يحتاج في نسخة يختاره هي أنسب بقوله فكل الى ما شاءه اهـ مصححه

فكأنما من بعده * جمعنا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحبارى واليه أشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا يخفى حسن التوريتين فسلم له الجميع تسليم السامع المطيع * وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلأبى جعفر أيضا فيها وهو من بدائعه قوله

بدا ذنب السرحان ينبئ أنه * تقدم سبق والغزالة خلفه
ولم تر عينى مثله من متابع * لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

وقوله

اسقنى مثل ما أنار لعينى * شفق ألبس الصباح جماله
قبل أن تبصر الغزالة تستد * رج منه على السماء غلاله
وتأمل لعسجد سال نهرا * كرعت فيه أو تقضى غزاله

ومن نظم أبى جعفر قوله

لو لم يكن شدو الحمائم فاضلا * شدو القيان لما استخف الاغصنا
طرب ثنى حتى الجماد ترقصا * وأفاض من دمع السحائب أعينا

وقوله

فى الروض منك مشابه من أجلها * يهفو له طرفى وقلبى المغرم
الغصن قد والازاهر حلية * والورد خد والاقاحى مبسم

وقوله

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وقوله وقد مر بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه

قصر الخليفة لا أخليت من كرم * وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته * والغيل يخلو وتبقى هيبة الاسد

وقوله من أبيات

سرح لحاظك حيث شئت فانه * فى كل موقع لحظة متأمل

وقوله أيضا

ولقد قلت للذى قال حلوا * ههنا سر فاتنا ما سئمنا
لا تعين لنا مكانا ولكن * حيثما مالت اللواحظ ملنا

وقال

ألا هاتها ان المسرة قربها * وما الحزن الا فى توالى جفائها
مدام بكى الابريق عند فراقها * فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

وقال

تريح سلى اللوز وشيم به * حيث الامانى ضافيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى * ولا تزره دون شاد وراح

وكن

وكن مقيما منه حيث الصبا * تنار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما يثنى القدود ارتياح
وشق جيب الصبر قصفا اذا * شقت جيوب الطل منه الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا * واسترقصتني الراح عند الرواح

وقوله

ألا حبذا روض بكرنا له ضحى * وفى جنبات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة * تمزق ثوب الطل منها وترقع
ونحن اذا ماظلت القضب ركعا * تظل لها من هزة السكر نركع

وكان ابن الصابونى فى مجلس أحد الفضلاء باشبيلية فقدم فيما قدم خيار فجعل أحد الادباء يقشرها بسكين فخطف ابن الصابونى السكين من يده فألح عليه فى استرجاعها فقال له ابن الصابونى كف عنى والا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبى صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابونى وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف الا بعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابونى

بعثت بمرآة اليك بديعة * فأطلع بسامى أفقها قمر السعد
لتنظر فيها حسن وجهك منصفا * وتعذرنى فيما أكن من الوجد
فأرسل بذا التخطك برهة * لتجنى منه ماجناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر احسانا وأبقى على العهد

وقوله فى لابس أحمر

أقبل فى حلة موردة * كالبدر فى حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمى * يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عوّل عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه يعض يديه على ماجرى عليه فمات عند ايابه الى الاسكندرية كمدا ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد نخر الدينار والدرهم * لما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فرد فم

ومر فيها الى أن قال فى وصف الدنانير

كأنها الانجم والبعد قد * حقق عندى انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

ياعير حمص عيرتك الحمير * يا كلك البرمكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبى العباس أحمد بن الصابونى شاعر اشبيلية الشهير

الذكر والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن وله فيه قصائد عدة منها قوله فى مطلع

استول سباقا على غاياتها * بنجح الامويين فى بدآتها

وله الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى * ومن حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال وهو من شقورة اجتاز يابدة وهو صبى صغير بطلب الادب فأضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهما منها عنقود أسود فقال القاضى انظر اليه فى العصا فقال ابن أبى الخصال كرأس زنجى عصى فعلم انه سيكون له شان فى البيان * وحدث أبو عبد الله بن زرقون أن أبا بكر بن المنخل وأبا بكر الملاح الشلبيين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب وحازا قصب السبق فى حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء فركب ابن المنخل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح ويقول له قد قطعت ما بينى وبين صديقى وصفيى أبى بكر فى اقذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادى أظلم وانما يجب أن يلحى من بالشر تقدم فعذره أبوه فبينما هما على ذلك اذ أقبلا على واد تنق فيه الضفادع فقال أبو بكر لابنه أجز تنق ضفادع الوادى فقال ابنه بصوت غير معتاد فقال الشيخ كأن نقيق مقولها فقال ابنه بنو الملاح فى النادى فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال أبو بكر وتصمت مثل صمتهم فقال ابنه اذا اجتمعوا على زاد فقال الشيخ فلا غوث الملهوف فقال الابن ولا غيث لمرتاد ولا خفاء أن هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف ممن هو فى سن الصبا * ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الاندلس أعادها الله تعالى الى الاسلام عن قريب انه سميع مجيب ما حكى ان ابن المرغوى النصرانى الاشبيلى أهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول

لم أر ملهى لذى اقتناص * ومكسبا مقنع الحريص
كمثل خطار ذات جيد * أتلع فى صفرة القميص
كالقوس فى شكلها ولكن * تنفذ كالسهم للقنيص
ان تخذت أنفها دليلا * دل على الكامن العويص
لو أنها تستثير برقا * لم يجد البرق من محيص

ومنها فى المديح

يشفع تنويله بود * شفع القياسات بالنصوص

وقال

الله أكبر أنت بدر طالع * والنقع دجن والكماة نجوم
والجود أفلاك وأنت مديرها * وعدو لك الغاوى وهن رجوم

وقال

نزلت فى آل مكحول وضيفهم * كنازل بين سمع الارض والبصر
لا تستضئ بضوء فى بيوتهم * ما لم يكن لك تطفيل على القمر

وسببها انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا * وقال نسيم الاسرائيلى

يا ليتني كنت طيرا * أطير حتى أراكا
بمن تبدلت غيرا * ولم تحل عن هواكا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجاري في المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلي في اصفرار تجالا

كان محياك له بهجة * حتى اذا جاء الماحيّ الجمال
أصبحت كالشمعة لماجنى * منها الضياء اسودّ فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأ على أبي علي الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العزفي حقه وكان أظهر الاسلام ماصورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدرّ الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

وألي بقلبي منه جمر مؤجج * تراه على خديه يندى ويبرد
يسائلني من أيّ دين مداعبا * وشمل اعتقادي في هواه مبدد
فؤادي حنيفيّ ولكن مقلتي * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرّز الرايات
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا * حرّ المصيف فشبها لفحات
خد جرى ماء النعيم بجمره * فاسودّ مجرى الماء في الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري في رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بملء العيبه فيما جمع بطول الغيبه في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبه خلافا في اسلام ابن سهل باطنا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدي أبو عبد الله بن مرزوق مانصه صح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت في بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله للناس ماظهر ولله مااستتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قلي قد كان ذاك وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حازبه قصب السبق في النظم والتوشيح وما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقي وموسى يشبها * تجد خير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلي * فأسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله برّد ما بقلبي من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

قوله يوجهه جيش الفتور هكذا في الاصل ولعله بجفنه جيش الفتور أو بوجهه جيش الفتون تأمل اه مصححه

وقال الراعى رحمه الله تعالى سمعت شيخنا أبا الحسن على بن سمعة الاندلسى رحمه الله تعالى يقول شيآن لا يصحان اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشرى من الاعتزال ثم قال الراعى قلت وهما من مروياتى أمّا اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظنى صحته لعلى بروايته وأمّا الثانى وهو توبة الزمخشرى فقد ذكر بعضهم انه رأى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمن توبة الزمخشرى من الاعتزال فقوى جانب الرواية انتهى باختصار وقال الراعى
٢ أيضا مانصه وقد نكت الاديب البارع ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الاندلسى على الشيخ أبى القاسم فى تغزله حيث قال

أموسى أيا بعضى وكلى حقيقة * وليس مجازا قولى الكل والبعضا
خفضت مكانى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

وفى هذا دليل على أن يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم قال هذين البيتين قبل اسلامه والله تعالى أعلم وقد روينا انه مات مسلما غريقا فى البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام فى آخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم ابن سهل فى التوجيه باصطلاح النحاة قوله

رقت عوامله وأحسب رتبتى * بنيت على خفض فلن تتغيرا

ومنه

تنأى وتدنو والتفاتك واحد * كالفعل يعمل ظاهرا ومقدّرا

وقوله

اذا كان نصر الله وقفا عليكم * فان العدا التنوين يحذفه الوقف

وقوله

وقرأنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله

ثبات بناء الحرف خامر طبعه * فصرت لتأثير العوامل جازما

وقوله

لك الثناء فان يذكر سواك به * يوما فكالرابع المعهود فى البدل

يعنى الغلط وقوله

اذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا * أجابت ظنونى ربما وعساى

وقوله

وقلت عساه ان أقت برقّى * وقد نسخت لا عنده ما اقتضت عسى

وقوله

يتنى لى الحال ولكنه * يدخل لا فى كل مستقبل

وقوله

خفضت مقامى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

وقوله فى غلام شاعر

قوله مقامى الذى سبق مكانى والمآل واحد اه

كيف

كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل في حسنه * طال على النابغة الجعدي

وحدث أبو حيان عن قاضي القضاة أبي بكر محمد بن أبي المنصر الفتح بن علي الانصاري الاشبيلي بغرناطة أن ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلي كان يهوديا ثم أسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال أبو حيان وقفت عليها وهي من أبدع ما نظم في معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى * أداري بها همي اذا الليل عسعسا
أتاني حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذي جاء زائرا * أصبت الاماني خذ قلوبا وأنفسا
كساني موسى من سقام جفونه * رداء وسقاني من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لي خوان * والنوم عن عيني بري

وقد عارضه غير واحد فما شقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودي فكان قد تمكن عند الادفونش ملك طليطلة النصراني وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدني لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الاذلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمرين شبهين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوي في الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت في حال الفراغ تعود
وقد حال ما بيني وبينك شاغل * فلا تطلبني بالذي كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلحى وتطرد
الا فأت في أبوابه كل مسلك * ولا تلك فلاحيثما شئت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدني لنفسه

ولما جال ليل العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر
وأصبح عذالي يقولون صاحب * فأخلو به جهرا ولا أتستر

وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى

حضرة الادفنش لا برحت * غادة أيامها عرس

فاخلع النعلين تكرمة * فى ثراها انها قدس

قال وأدخلونى الى بستان الخليفة المستنصر فوجدته فى غاية الحسن كأنه الجنة ورأيت على بابه بوابا فى غاية القبح فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى قلت رأيت الجنة الا انى سمعت أن الجنة يكون على بابها رضوان وهذه على بابها مالك فضحك وأخبر الخليفة بما جرى فقال له قل له انا قصدناذلك فلو كان رضوان عليها بوابا لخشينا أن يرده عنها ويقول له ليس هذا موضعك ولما كان هنالك مالك أدخله فيها وهو لا يدرى ماوراءه ويخيل أنها جهنم قال فلما أعلمنى الوزير بذلك قلت له الله أعلم حيث يجعل رسالاته * وكان فى زمان الياس بن المدور اليهودى الطبيب الرندى طبيب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة فأصلح الناس بينهما مرارا وظهر لالياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه

لا تخدعن فما تكون مودة * ما بين مشتركين أمرا واحدا

انظر الى القمرين حين تشاركا * بسناهما كان التلاقى واحدا

يعنى انهما معا لما اشتركا فى الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا واعتراضهما يوجب الكسوف * وكتب أيوب بن سليمان المروانى الى بسلم بن شمعون اليهودى الوشقى فى يوم مطير لما كنت وصل الله تعالى اخاءك وحفظك مطمح نفسى ومنتزع اختيارى من أبناء جنسى على جوانبك أميل وأرتع فى رياض خلقك الجميل هزتنى خواطر الطرب والارتياح فى هذا اليوم المطير الداعى بكاؤه الى ابتسام الاقداح واستنطاق البم والزير فلم أر معينا على ذلك ومبلغا ماهنالك الا حسن تطولك وتجشمك من المكارم ما جرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركه وجعل فى تركها الخير والبركه فهل توصل مكرمتك أخاك الى التخلى معك فى زاويه متكئا على دن مستند الى خابيه ونحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التى لم يبق من اللذات الاهى ونجيل الالحاظ فيما تعودت عندك من المحاسن والاسماع فى أصناف الملاهى وأنت على ذلك قدير وكرمك بتكلفه جدير ولا يعين المرء يوما على راحته الا كريم الطباع وها أنا والسمع منى الى الباب وذوا لشوق حليف استماع

فان أتى داع بنيل المنى * ودع أشجانى ونم الوداع

وهذا المروانى من ذرية عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان وهو من أهل المائة السادسة * وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت اسمعيل اليهودى وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر وقال لها أبوها يوما أجيزى

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت * منها بظهر واستحلت جرمها

فة فكرت غير كثير وقالت

كالشمس منها البدر يقبس نوره * أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

وقام

فقام كالمختبل وضمها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر مني ونظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جان يمد لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا * ويبقى الذي ما ان اسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها وقالت في ظبية عندها

ياظبيـــة ترعى بروض دائما * انى حكيتك في التوحش والحور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب * فلنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق التغلبي ثم الغرناطي بعض أصحابه الى أنس بقوله

سيدي عندي اترج ونـــارنج وراح
وجنى آس وزهر * وحمام لا يباح
ليس الا مطرب يسـ *ـلي الندامى والملاح
ومكان لا تسهال * قد نأى عنه الفلاح
لا يرى يطلع فيه * دون أكواس صباح
فيه فتيان لهم في * لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا
لا كقوم أوجعتهم * لهم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لا يجيب
فقلت ليس عجيبا * أن لا يجيب حبيب
هون عليك فاني * من حبه لا أتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مسجون بدار الاشراف باشبيلية وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه فلما لحني أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة فقلت له قالوا انك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار وما أحسبك الا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أتراني اذا ازمت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذي أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدني

ليس عندي من الهموم حديث * كلما ساءني الزمان سررت
أتراني أكون للدهر عونا * فاذا مسني بضر ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكأني * عند اقلاع همها ما ضررت

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القاضي

بدا أنف التعريف في طرس خده * فيا هل تراه بعد ذلك يشكر
وقد كان كافورا فهل أنا تارك * له عندما حاء مسك وعنبر
وما خير روض لا يرف نباته * وهل أنتن الاثواب الا المشهر

قوله والعشر كلمات في نسخة اسقاط لفظ كلمات اه

قوله فلنصطبر في نسخة بدله فعانيا اه

وقال

أبى لى أن أقول الشعر أنى * أحاول أن يفوق السحر شعرى
وأن يصغى اليه كل سمع * ويعلو ذكره فى كل ذكر

قال الحجارى أخبرنى انه أحب أحد أولاد الاعيان ممن كان يقرأ عليه فلما خلا به شكا اليه ما يجده فقال له الصبيان يفطنون بنا فاذا أردت أن تقول شيأ فاكتبه لى فى ورقة فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه وكتبت له

يامن له حسن يفوق به الورى * صل هائما قد ظل فيك محيرا
وامنن على بقبلة أوغيرها * ان كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

وكتب بعدها من الكلام ما رأيته فلما حصلت الورقة عنده كتب الى فى غيرها أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ما قابلتنى به لئلا أشكوك الى أبى فيقول لى حاش لله أن يقع الفقيه فى هذا وانما أنت خبيث رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لاخرجك من عنده فأبقى معذبا معك ومعه وان أنا أوقفته على خطك صدقنى واسترحت ولكن لا أفعل هذا ان كففت عنى وان انتهيت فلا أخبر به أحدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه وجعلت أرغب اليه فى أن يرد الرقعة الى فأبى وقال هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلم فى ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراءة فلا أجسر أكلمه لانى رأيت صيانتى وناموسى قد حصل فى يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وأمثاله * وقال جابر بن خلف القبصى وكان فى خدمة عبد الملك بن سعيد وقرأ مع أبى جعفر بن سعيد وتهذب معه يخاطبه حين عاثت الذئاب فى غنمه

أيا قائدا قدمها فى العلا * وسادعلينا بذات وجد
عدا الذئب فى غنمى عائثا * وقد جئت مستعديا بالاسد

وكثر عليه الدين فكتب اليه أيضا

أفى أيامك الغر * أموت كذا من الضر
وأخبط فى دجاهى * ووجهك طلعة الفجر

فضحك وأدى دينه * ولما خلع أهل المرية طاعة عبد المؤمن وقتلوا نائبه ابن مخلوف قدموا عليهم أبا يحيى بن الرميمى ثم كان عليه من النصارى ما علم ففر الى مدينة فاس وبقى بها ضائعا خاملا يسكن فى غرفة ويعيش من النسخ فقال

أمسيت بعد الملك فى غرفة * ضيقة الساحل والمدخل
تستوحش الارزاق من وجهها * فما تزال الدهر فى معزل
النسخ بالقوت لديها ولا * تقرعها كف أخ مفضل

وأنشدها لبعض الادباء فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا شخص متنكر لا يعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها من كف أخ لا يعرفك ولا تعرفه وأنت المفضل بقبولها فأخذها وحسن بها حاله وقال له بعض

هذا اشعرك أيام خلعك فهل قلت أيام أمرك قال نعم لما قتل أهل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن وأكرهونى أن أتولى أمرهم قلت

أرى فتنا تكشف عن لظاها * رماد بالنفاق له انصداع

وآل بها النظام الى انتشار * وسادبها الاسافل والرعاع

سأحمل كل ماجشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

وأصل بنى الرميمى من بنى أمية ملوك الاندلس ونسبوا الى رمية قرية من أعمال قرطبة وقال أبو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت أقطار الغير أحبة * ومدحت أقواما بغير صلات

أموال أشعارى نمت فتكاثرت * فجعلت مدحى للبخيل زكاتى

وهذا من غريب المعانى وفى بنى عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم لما رأى من كثرة عددهم والتئامهم بالسلطان

ملأت قلبى هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد

كاثر الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد

كلهم ذئب اذا امنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلى ملك المرية بذ الناس فى وقته باربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال ابو حيان وكان قبل محنته صير شعراه أوقات لعب الشطرنج أومايسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عنى نيام * وهضمى على الدهر شئ حرام

وذاع هذا البيت فى الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سيوقظها قدر لاينام وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوى المعرفة مشاركا فى الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها و بلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك وكان مقتله بيد باديس بن حبوس ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

قوله حبوس فى نسخة حيوس اه

لى نفس لاترتضى الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا

لو رقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغى هناك صعودا

أنا من تعلمون شيدت مجدى * فى مكانى مابين قومى وليدا

وكان بينهم بداء أبى جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فماذا الذى * تصنع فيه ياسخيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ما أشتهى * وحاسدى خارجه فى هوان

وكان الاعمى التطيلى شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كلايا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل له يا أبا بكر لم تقع فى الناس فقال أنا أعمى وهم

لا يبرحون حفر الماء عذرى فى وقوعى فيهم فقال له السائل والله لاكنت قط حفرة لك وجعل بواليه برّه ورفده ومن شعره

وجوه تعز على معشر * ولكن يهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب * وليل المحب بلا آخر

وله

رنجيكم بالفسوق دارى * يدل من الحرص كالحمار
يخلو بنجل الوزير سرّا * فيولج الليل فى النهار

ومن شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الاستجى كاتب ابن الاحمر فيمن اسمه فضل الله

من الناس من يؤتى بنقد ومنهم * بكره ومنهم من بمالك اذا تمشى
ومنهم فتى يؤتى على كل حالة * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن

ما حمدناك اذ وقفنا ببابك * للذى كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلنا * أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال فى المذهب كنت بمجلس القاضى ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفى الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاستجى شاعر استجة الملقب بزحكون فقام الاستجى وانشده قصيدة منها

الملك ابن حمدين اتخلت قصائدا * بها رقصت فى القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أشترى * اذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الاحسان فحسده هلال البيانى على ذلك فلما فرغ من القصيدة قال له هلال أعد على البيت الذى فيه رقص الحمائم فأعاده فقال له لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق فقال له فى الحين ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن وكان على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب وعمل فيه * ولما قال المقدم بن المعافى فى رثاء سعيد بن جودى

من ذا الذى يطمع أو يكسو * وقد غدا حلف الندى الرمس
لا اخضرّت الارض ولا أورق الـعود ولا أشرقت الشمس
بعد ابن جودى الذى لن ترى * أكرم منه الجن والانس

فقيل له أترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعنى حتى بذنوبه ولقد نهانى ذلك الادب عن مضار جمة كنت أقع فيها على رأسى أفلا أرعى له ذلك والله ما ضربنى الا وأنا ظالم له أفأبقى على ظلمى له بعد موته وقيل له لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها * وقال عبد الملك بن مروان بن نظيف

لا أشرب الراح الا * مع كل خرق كريم
ولست أعشق الا * ساجى الجفون رخيم

ومدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة أولها

قوله فما عذرى فى وقوعى فى نسخة فما عذرى فى الوقوع ولعله فما هو عذرى الخ او نحو ذلك تأمل اه مصححه

عرج على ذاك الجناب العالى * واحكم على الاموال بالآمال
فيه ابن حمدين الذى لنواله * من كل أرض شد كل رحال

فقال له القاضى ما هذا الوثوب على المدح من أول وهلة ألا تدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول أيضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى بما لك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كلما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الا أن أتركه عند أول بيت فاستحسن ذلك منه وأحسن اليه ومن هذه القصيدة

فاش موال برّه ونواله * فله جميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا أنشده منه

وكأن عينى برعى النجم فى الظلم * وعبرتى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام أنت لا تبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا وعاشقا وغير عاشق فخجل هلال وكان على عينه نقطة * وحكى ابن حيان أن الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض أسفاره وتطأطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

وما لا نرى مما يقى الله أكثر

وطلب صدر البيت فعزب عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فأنشد الامير

نرى الشمس مما ينتقى فنهابه

فأعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم السرادق وأعقب ابنا يسمى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس

يريد السرى بالليل من خيل بربرا

ففهم الزجالى انه عرّض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مد مجالما أراده ومعرّضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرّض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أول أمره ومعرفة الغناء فقلق الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ما جرى من الاول الى الآخر وأنشد

وما الحر الامن يدين بمثل ما * يدان ومن يخفى القبيح وينصف
هم شرعوا التعريض قذفا فعندما * تبعناهم لاموا عليه وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فأنشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين
أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعت ما أتى به امامنا من تبديل الحدود وتضاحكا * وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور صاحب بلنسية ويعرف بالمنصور الصغير قطعة أولها

يا أحسن الناس آدابا وأخلاقا * وأكرم الناس أغصانا وأوراقا
ويا حيا الارض لم تكبت عن سنتى * وسقت نحوى ارعادا وابراقا
ويا سنا الشمس لم أظلمت فى بصرى * وقد وسعت بلاد الله اشراقا
من أى باب سعت غير الزمان الى * وحب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى * أنى أخذت على الايام ميثاقا
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك لى * أسى عليه وأبدى منه اشفاقا

فأجابه بهذه القطعة

ما زلت أولك اخلاصا واشفاقا * وأنثنى عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من أملى أن أقتنيك أخا * فأخفق الامل المأمول اخفاقا
فقلت عرش من الاخوان أكلؤه * حتى أرى منه أثمارا وأوراقا
فكان لما زها أزهاره ودنا * اثمارها حنظلا مرّا لمن ذاقا
فلست أوّل اخوان سقيتهم * صفوى وأعلقتهم بالقلب اعلاقا
فما جزونى باحسانى ولا عرفوا * قدرى ولا حفظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال فى حقه فى المطمح انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق فى وده والتبريز ومنقض الامور ومبرمها ومخمد الفتن ومضرمها اعتقل بالرهى واستقل بالامر والنهى على انتهاض بين الاكفاء واعتراض المحول رسومه والاعفاء فاستمر غير مراقب وأمر ما شاء غير ممتثل للعواقب ينتضى عزائم تنتضى فان ألمت من الايام مظلمة أضا الى أن أودى وغار منه الكوكب الاهدى فانتقل الامر الى ابنه أبى بكر فناهيك من أى عرف ونكر فقدر بى على الدهاء وما صبا الى الظبية والمهاه واستقل بالهول يقتحمه والامر يسديه ويلحمه فأى ندى أفاض وأى أجنحة بدى هاض فانقادت اليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه بحر طام ولم يزل بالدولة قائما وموقظا من بهجتها ما كان نائما الى أن صار الامر الى المأمون بن ذى النون أسد الحروب ومسد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر الى غير وكل فما تعدى الوزارة الى الرياسه ولا تردى بغير التدبير والسياسه فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائله وآراء لم تكن آفلة أدرك بها ما أحب وقطع غارب كل منافس وجب الى أن طحه العمر وأنضاه وأغمده الذى انتضاه فخلا الامر الى ابنيه فتبلدا فى التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذى النون وجلب اليهما كل جلب ما خلا المنون فانجلوا بعدما ألقوا ما عندهم وتخلوا وكان لابى عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجوانح ويودع انتهى المقصود من الترجمة * وكان للوزير أبى الفرج ابن مكبود قد أعياه علاجه وتهيأ للفساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها الا عند حكم وكان وسيما للحسن قسيما فكتب اليه

أرسل بها مثل ودك * أرق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابنى وعبدك

قوله فى ذاك حرصى فى نسخة بدله انى حريص وقوله من غير ذنب فى نسخة من عظيم ذنب اهـ

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

ماتغيبت عنك الالعذر * ودليلى فى ذاك حرصى عليكا
هبك ان الفرار من غير ذنب * أتراه يكون الا اليكا

وقال فى المطمح فى حق أبى الفرج من ثنية رياسه وعترة نفاسه ما منهم الا من تحلى بالاماره وتردى بالوزاره وأضاء فى آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو أحد أمجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما تخاله وبلا الا انه بقى وذهبوا ولقى من الايام مارهبوا فعاين تنكرها وشرب عكرها وجال فى الآفاق واستدر أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فأخمل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندفنت آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ماقاله وحاله قد أدبرت والخطوب اليه قد انبرت أخبرنى الوزير الحكيم أبو محمد المصرى وهو الذى آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه فى أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لايحجب عنه وتكون منة من أعظم نعمائه فأجابه بالاسعاف واستساغ منه ما كان يعاف لعلمه بقلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أناقد أبهت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر منى السابق
فالشمس أنت وقد أظل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى ففازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
ولنا بوجهك حجة مبرورة * فى كل يوم تنقضى وتعاد

وقال الفتح فى حقه ماصورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للخلفاء فانتجعتهم الادباء واتبعتهم العظماء وانتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء وأبو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذى لايبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستفتى الندام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف وأرى قينات السرور مجاوره وآيات الحسن متلوه وله كتاب سماه حديقة الارتياح فى وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاصا جر عليه رداه وصرعه فى مداه فقد كان فى المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه باللوام فى ذلك واللواح فاطمأن اليه أبو عامر واغتر وأنس الى ما بسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته فى اغتياله فرصه لم يعاق بها حصه ولم يضيق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط فى البحيرة وانكفا ولم يعلم به الا بعد ماطفا فأخرج وقد قضى وأدرج منه فى الكفن حسام الجد منتضى فمن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما أبدع فيه وأحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجل فى أعين النظار منظره
كانه أكؤس البلور قد صنعت * مسدسات تعالى الله مظهره

قوله فقد كان الخ هكذا فى الاصل ولعل المناسب لما كان الخ تأمل اهـ مصححه

وبينها ألسن قد طوقت ذهبا * من بينها قائم بالملك يؤثره

الى أن قال واجتمع بجنة بخارج اشبيليه مع أخدان له عليه فبينما هم يديرون الراح ويشربون من كاسها الافراح والجوّ صاح اذ بالافق قد غيم وأرسل الديم بعدما كسا الجو بمطارف الرذاذ وأشعر الغصون دهر قباذ والشمس منتقبة بالسحاب والرعد يبكيها بالانتحاب فقال

يوم كأن سحابه * لبست عمامات الصوامت

حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت

والغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت

والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت

وخرج الى تلك الخميلة والربيع قد نشر رداه ونثر على معاطف الغصون نداه فأقام بها وقال

وخميلة رقم الزمان أديمها * بمفضض ومقسم ومشوب

رشفت قبيل الصبح ريق غمامة * رشف المحب مراشف المحبوب

وطردت في أكنافها ملك الصبا * وقعدت واستوزرت كل أديب

وأدرت فيها الدهر كاس مدامة * مع كل وضاح الجبين مهوب

وقال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد

قلبي وقلبك لا محالة واحد * شهدت بذلك بيننا الالحاظ

فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا * ان الحسود بمثل ذا يغتاظ

وقال

يا من حرمت لذاذتي بمسيره * هذي النوى قد صعرت لي خدها

زوّد جفوني من جمالك نظرة * والله يعلم ان رأيتك بعدها

وقال في المطمح في ابن برد المذكور انه غذي بالادب وعلا الى أسمى الرتب وما من أهل بيته الا شاعر كاتب ملازم لباب السلطان مراقب ولم يزل في الدولة العامرية بسبق يذكر وحق لا ينكر وهو بديع الاحسان بليغ القلم واللسان مليح الكتابه فصيح الخطابه وله رسالة السيف والقلم وهو أوّل من قال بالفرق بينهما وشعره مثقف المباني مرهف كالحسام اليماني وقد أثبت منه ما يلهيك سماعا ويريك الاحسان لماعا فمن ذلك قوله يصف البهار

تأمل فقد شق البهار كمائما * وأبرز عن نواره الخضل الندى

مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا أهيف القد ممشوقا أبدى صفحة ورد وبدا في ثوب لازورد

لما بدا في لازور * دي الحرير وقد بهر

كبرت من فرط الجما * ل وقلت ما هذا بشر

فأجابني لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال

قوله مثل شامت في نسخة ضحك شامت وقد تقدمت هذه الابيات فلتنظر اه

قوله جيد فى نسخة خد اه

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللماى

أما فديتك ما نستلم * منازل سلمى على ذى سلم
منازل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم
أما تجدن الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال فى المطمح فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها بمطبوعها اذا كتب نثر الدر فى المهارق ونمت فيه أنفاسه كالمسك فى المهارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تطل لدوحته فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال فى قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب على بن حمود العلوى وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروى فيأتى على البديه بما يفعله المروى ويبديه فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة روض القلم فى فنائك مونق وغصن الادب بمائك مورق وقد قذف بحر الهند دره وبعث روض نجد زهره فأهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده على مبانى قصده * وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الارض أمواهها * وجللت السندس الاخضرا
وهز الرياح صنابيرها * فضوعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس ألطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال فى حقه فى المطمح من بيت جلاله ونخر أصاله كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل وسعوا فى الخلافة حتى حضروا بايعها وكثر مشايعها وجدوا فى الهدنة وانعقادها وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها فانبرمت عراها وارتبطت أولاها وأخراها فظهرت البيعة واتضحت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحل مطلعها وفلكها مع اشتهار فى اللغة والآداب وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السرى وهو به كلف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل جرّده من ذهنه أى سيف صقيل وأتى به منتسخا منورا فى ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفترى فسر به المنصور وأعجب ولا غاب عن بصره ساعة ولا حجب وكان له بعد هذه المدة حين أدجت الفتنة ليلها وأزجت ابلها وخيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القواضب والمواضى كالحية النضناض ثم اشتهر بعد واقترن له السعد وفى تلك المدة يقول يتشوق الى أهله

سقى بلدا أهلى به وأقاربى * غواد بأثقال الحيا وروائح
وهبت عليهم بالعشى وبالضحى * نواسم برد والظلال فوائح
تذكرتهم والنأى قد حال دونهم * ولم أنس لكن أوقد القلب لافح

وممّا شجانى هاتف فوق أيكة * ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتئد يكفيك أنى نازح * وأن الذى أهواه عنى نازح
ولى صبية مثل الفراخ بقفرة * متى خاضتا فيها طمتها الطوائح
اذا عصفت ريح أقامت رؤسها * فلم يلقها الا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم * سوى سانح فى الدهر لو عنّ سانح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام ايام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض فى ذلك الاتصال وتثاقل عن الحضور فى كل وقت وتغافل فى ترك الغرور بذلك المقت وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الامور دونه وينفرد مغيبا عنه شؤنه فكتب اليه

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

وله

رأت طالعا للشيب بين ذوائبى * فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صبح تجاربى * انار على أعقاب ليل نوائبى

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شهيد بقوله

أفى كل عام مصرع لعظيم * أصاب المنايا حادثى وقديمى
وكيف اهتدائى فى الخطوب اذا دجت * وقد فقدت عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقية * كغرّة مسودّ القميص بهيم
فان ركبت منى الليالى هضيمة * فقبلى ما كان اهتضام تميم
اباعبدة انا غدرنا لك عندما * رجعنا وغادرناك غير ذميم
أتخذل من كنا نروض بأرضه * ونكرع منه فى اناء علوم
ويجلوا العمى عنا بأنوار رأيه * اذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الحجا * عقائم أفكار بغير عقيم
ولم نعتمد مغناك نغدوا ولم نزر * رواحا الفصل الحكم دار حكيم انتهى

وقال الوزير الفقيه أبو أيوب بن أمية

أمسك دارين حياك النسيم به * أم عنبر الشحر أم هذى البساتين
بشاطئ الروض حيث الروض مؤتلق * والراح تعبق أم تلك الرياحين

وحلاه فى المطمح بقوله واحد الاندلس الذى طوّقها فخارا وطبقها بأوانه افتخارا ماشئت من وقار لا تحيل الحركة سكونه ومقدار يتمنى مخبر أن يكونه اذا لاح رأيت المجد مجتمعا واذا فاه أضحى كل شئ مستمعا تكتحل منه مقل المجد وتنتحل المعالى أفعاله اتصال ذى كلف بها ووجد لو تعرّفت فى انلاق سجاياه لحدت الشيم واستسقيت بحياه لما استمسكت الديم ودعى للقضاء فارضى وأعفى عنه فكأنه ما استقضى لديه تثبتت الحقائق وتبينت العلائق وبين يديه يسلك عين الجدد ويدع اللدد اللدد وله أدب اذا حاضر به فلا البحر اذا عصف ولا أبو عثمان اذا وصف مع حلاوة فيما شاء تستهوى

تعبيره

قوله متى خاضتا فيها فى نسخة متى خاضتا تيها الخ ولا يخفى ما فيه فلعله محرف والاصل متى سبحت فيها أو نحو ذلك مما يلائم تأمل اه مصححه

تحبيره وانشاءه وقد أثبت له بدعا يثني اليها الاحسان جيدا واخدعا فمن ذلك قوله في منزل حله متنزها

يامنزل الحسن أهواه وآلفه * حقا لقد جمعت في صحنك البدع
لله ما اصطنعت نعماك عندي في * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير أبي مروان بن الدب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس بنبته فأقام بها أياما متأنسا وبجذوة السرور مقتبسا وأولاه من التحف وأهدى اليه من الطرف ما غمر كثره وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير وأين الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به * يندى وصوب الحيا يهمي وينهمل
وجال طرفي في أرجائه مرحا * وقت اجتيازي يستعلي ويستفل
يرنو بلفتته حيث ارتقى زهر * عليه من منثنى أفنانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان وواتانا به الأمل

وحل بعد ذلك متنزها بها على عادته فاحتفل في موالاة ذلك البر واعادته فلما رحل كتب اليه

يادار أمنك الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذي * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنـ * ـت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الدنا * وأذعنت لك قاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو أبي العلاء المعري في الصاهل والساجع وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك وهززت بعقدها سنائك وسروك فلم ألفظها عن شبع ولا جهلت ارتفاعها عما يجتلي من نوعها ويستمع ولكن لما أنست من أنسك بانتجاعها وحرصك على ارتجاعها دفعت في صدر الولوع وتركت بينها وبين مجاثمها تلك الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فاسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افانين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج أفكارك وانها الشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذي قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قدها به وفراها وقدح زند المعالي حتى أوراها مع صون يرتديه ولا يكاد يبديه وشيبة ألحقته بالكهول فاقفرت منه ربعها المأهول وشرف ارتداه وسلف اقتدى أثره الكريم واقتداه وله شعر بديع السرد مفوف البرد وقد أثبت له منه ما ألفيت وبالدلالة عليه اكتفيت فمن ذلك قوله

قوله ولاخوانه هكذا في الاصل ولعلها محرفة والاصل ولامثاله اونحوه ومع ذلك فلا ولى اسقاطها تأمل اه مصححه

تركت التصابي للصواب وأهله * وبيض الطلا للبيض والسمر للسمر
مدامي مدادي والكؤس محابري * وندماي أقلامي ومنقلتي سفري

وله

لا تنكروا أننا في رحلة أبدا * نحث في نفقة طورا وفي هدف
فدهرنا سدفة ونحن أنجمها * وليس ينكر مجرى النجم في السدف
لو أسفر الدهر لي أقصرت عن سفري * وملت عن كلفي بهذه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فانني * أرى العيس حسرى والكواكب طلعا
كأن أديم الصبح قد قدّ أنجما * وغودر درع الليل فيها مرقعا
فاني وان كان الشباب محببا * الي وفي قلبي أجل وأوقعا
لآنف من حسن بشعري مفترى * وآنف من حسن بشعري قنعا انتهى

وقال الوزير أبو الوليد بن حزم

اليك أبا حفص وما عن ملالة * ثنيت عناني والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته * ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك في أفياء ظلي صولة * لها بين أحناء الضلوع دبيب
ولكن أبي الا اليك التفاتة * فزاد عليه من هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى * اذا العيش غض والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم أحشاء روضة * بها لخفوق العاصفات وجيب
وللزهر في ظل الرياض تبسم * وللطير منها في الغصون نحيب

وقال في الزهد

ثلاث وستون قد جزتها * فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب * فما ترعوى أوفما تزدجر
تمر لياليك مراحثيثا * وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذن * لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة للمنون * وتعلم أن ليس منها مفر
فاما الى جنة أزلفت * واما الى سقر تستعر

وقال ابن أبي زمنين

الموت في كل حين ينشر الكفنا * ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا
تبكي المنازل منهم كل منسجم * بالمكرمات وترثي البر والمننا

حسب

حسب الحمام لو أبقاهم وأمهلهم * أن لا يظن على معلوه حسنا

وقال فى المطمح الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابى زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منفتل شجرها هاجر المنحرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه وايداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه وبينه ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا فى شعاب تلك المسالك ايغال وله تآليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار وأشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال فمنها قوله الموت فى كل حين ينشر الكفنا فذكر الابيات انتهى * وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها

وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأهوى لها

وقال فى المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ما تكلم تقليدا ولا عدا اختراعا وتوليدا ما تمدنت به الاندلس أن تكون كالعراق ولا حنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه وما برح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عيشة الثمرات ولكنه أربى على من من ذلك غذى وأزرى على من هنالك نعل وحذى تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أى اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ونابذ الدنيا وقد تصدت له بأفتن محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها وألبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وجد فى اقتناء نخبه وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام وكتاب القصد فى الاهواء والملل والنحل وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك مما لم يعطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون يخوض الى المجد والمكرمات ولابن حزم فى الادب سبق لا ينكر وبديهة لا يعلم انه روى فيها ولا فكر وقد أثبت من شعره ما يعلم انه أوحد وما مثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع * وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر لقضاء أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكنى

لنا بحكم فيه أشهى فن * فأنت فى ذا اليوم أمشى منى

وقال فى المطمح ان ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبق فيها واتسق فى سلك مقتفيها وكانت له اشارات غامضه وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضه ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسب بها اليه رهق وظهر له فيها مزحل عن الرشد ومزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع فى استباحتها الخرق وغدت مهجوره على التالين محجوره وكان له تعمق فى البلاغة وتدقيق لمعانيها وتزويق لاغراضها

قوله ولم يقف فى نسخة ولم يثقف اه

وتشييد لمبانيها انتهى وهو من نمط الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم أسلم والله تعالى بأمرهم أعلم *(ومن حكايات أهل الاندلس) في الانقباض عن السلطان والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الحسيني إذ قال كان فصيح اللسان جزيل البيان وكان أنوفا منقبضا عن السلطان لم يتشبث بدنيا ولم ينكث له مبرم عليا دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر وجاه المحتجب وقال أبيت عن أمانة هذه الديانه كما أبت السموات والارض عن حمل الامانه اباية اشفاق لا اباية عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باجباره أو حمل السيف ان تمادى على تأبيه واصراره فلما بلغه قوله هذا اعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقه وكانت القلوب على حبه متفقه وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الآفاق وعندما اطمأنت داره وبلغ أقصى منتاه مداره قال كان لم يكن بين ولم تك فرقة الابيات انتهى وهذه الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى فانت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهي قطعة عرفها ذاك *(ومن دعابات أهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن أبي الحلى وهو على أبو الحلى الكناني أبو الحسن قال لسان الدين كان شيخا مليح الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على الدولة مضطلعا بمشكلاتها كثير الحكايات يحكى انه شاهد غرائب وطرائف ينميها اليه بعض الطلبه ويتعدون ذلك الى الافتعال والمداعبه حتى جمعوا من ذلك جزءا سموه السالك والحلى في أخبار ابن أبي الحلى فمن ذلك انه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبتها بازاء كوة فار ورفعت اليد الاخرى لصيده فناداها باسمها فزوت رأسها وجعلت اصبعها على فمها على هيئة المشير بالصمت وأشباه ذلك وتوفي المذكور سنة ٤٠٦ قاله في الاحاطة *(ومن أجوبة ملوك الاندلس) أن نزارا العبيدي صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المرواني أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب * وحكى انه كتب الى العبيدي ملك مصر مفتخرا

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

*(ومن غريب ما يحكى من قوة أهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته أذفونس ملك ملوك الروم فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد أفسدت ملكك ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل بساحة ولا تمكن منها براحه فلما وصلته الرسالة عف وأمر بالكف وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك الروم فأجاب

الى ما ارشهن ولما ساروا الى المدينة البيضاء وهى قلعة رباح غربى طليطلة خرج حريز لابسا لامة حربه برمق الروم منه شخصا أوتى بسطة فى الجسم والبسالة يتحدثون بآلات حربه ويتعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدث وهيبة يجزع للقائها الشجاع و يكترث فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك يا حريز أريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبارز لا يبارز الا كفاءه وان لى بينة على صدق قولى ان ليس لى فيهم كفؤ هذا رمحى قد ركزته فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرنى يا حريز كيف تقلعه فركب وأشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك وأكرمه انتهى وكان حريز هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير أبو المطرف بن المثنى كتب اليه

يافريدا دون ثانى * وهلالا فى العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلسان

فجاوبه حريز وهو يومئذ أمير قلعته

يافريدا لا يجارى * بين أبناء الزمان
جاءمن شعرك روض * جاده صوب البيان
فبعثناها سلافا * كسجاياك الحسان

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فأمره أن يكتب الى المأمون بن ذى النون فى شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغنى أن الحصن الفلانى دخله النصارى ان شاء الله تعالى فهذه الواقعة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن بل هى الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانا لله على هذه المصيبة التى هدت قواعد المسلمين وأبقت فى قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا الامورك نقادا لصغيرك وكبيرك فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الابله الجلف وأسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت أن عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدرى من أى شئ يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضى أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه أم من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله لما طر أعلى من يخاطبه أم من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو أنه القسطنطينية العظمى ما زاد على عظمه وهونه شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفى عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا لص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا فى بعض السنين باعه أحدهم بعشرين دينارا ولعمرى انه لم يغبن فى بيعه ولاربح أرباب ابتياعه وأراح من الشين بنسبته والنظر فى خداعه قلت

شعرى ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل حتى خطب فى أمره بما لم يخطب به فى حرب وائل فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذى النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن أن يمت بسواها وخدمة محمود أولاها وأخراها ولسنا ممن اتسعت مملكته وعظمت حضرته فيحتاج الى انتقاء الكتاب والتحفظ فى الخطاب وانما نحن أحلاس ثغور وكتاب كتائب لاسطور وان يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم فانه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم وله الوفاء الذى تحدث به فلان وفلان بل سارت بشأنه فى أقصى البلاد الركبان وليس ذلك بقادح عند ناقيه بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة فى الاكرام والتنويه انتهى * ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الاغبياء وقد يتنبه فيه تنبه الاذكياء فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزا المذكور ومطلعها

يذكرنى بهم العنبر * وظلم ثناياهم سكر

الى أن قال

ولولا معاليك ياذا الندى * لما كان فى الارض من يشعر
فلا تنكرن زحامى على * ذراك وفى كفك الكوثر

ومشى فى موكبه وهم فى سفر وكان فصل المطر والطين فجعل فرسه فى ذنب فرس ابن عكاشة فلما أثارت يدا فرسه طينا جاء فى عنق أميره ففطن لذلك الامير فقال له يا أبا محمد تقدم فقال معاذ الله أن أسىء الادب بالتقدم على أميرى فقال فان كان كذلك فتأخر مع الخيل فقال مثلى لا يزال على ركابك فى مثل هذه المواضع فقال له فقد والله أهلكتنى بما ترمى يدا فرسك على من الطين فقال أعز الله الامير فوالله ما علمت أن يد فرسى تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه * وكان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن يطفت من بنى يفرن قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان فى غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم يكتم فكتب له

يا ظبيا بالله قل لى * متى ترى فى حبالى
يتر عمرى وحالى * من خيبتى منك خالى

فكتب له الغلام فى ظهر الرقعة

ان كنت ظبيا فأنت الشهبر تبغى اغتيالى
وليس يخطر يوما * حلول غيل ببالى

ثم كتب بعدهما هذا ما اقتضاه حكم الجواب فى النظم وأنا بعد قد جعلت رسنى بيد سيدى فعسى أن يقودنى الى ما أحب لا ما أكره والذى أحبه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضى بدوام الاخلاص ونأمن فى مغبته من العار والقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما على الصورة التى ذكرها

ماذا ترى فى يوم أمن طرزت * حلل السحاب به البروق المذهبه
وأنا وكاسى لا جليس غيره * ملآن لا يخلو الى أن تشربه

قوله يفرن فى نسخة يفون اهـ

والانس

والانس ان يسرته متيسر * ومتى تصعبه فيا ما أصعبه
فأجابه
يامالكا بذ الملوك بعلمه * وخلاله وعلوه فى المرتبه
وافى نداك فخرت عند جوابه * اذ ما تضمن ريبة مستغربه
أنا اذا لخلوتقول حاسد * وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه
هبنى الى يوم تطيش به النهى * والبيض تنضى والقنا متناشبه
وهناك فانظرنى بعين بصيرة * فالشبل يعرف أصله من جربه
ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى أن قتل فى جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة
ياصارما أغمدته * عن ناظرى الصوارم
وزهرة غيبتها * من الطيور كمائم
ياكوكبا خر من انجمى وأنفى راغم
بكت على وشقت * جيوبهن الغمائم
قل للحمائم انى * أصبحت أحكى الحمائم
وأنثر الدمع مهما * رأيت للزهر باسم
تالله لالذ عيش * لمسترف لك عادم
ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على الميورقى صاحب فتنة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه
أيحيا ورحى ناصرى وحسامى * ويجزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله ويحامى
ألا غنيانى بالصهيل فانه * سماعى ورقراق الدماء مدامى
وحطا على الرمضاء رحلى فانها * مهادى وخفاق البنود خيامى
وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من أبطال عصره وكان يدفع فى المواكب ويشقها يمينا وشمالا منشدا
أكر على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها
حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو رآك السلطان لزاد فيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام ويعرض بهلاك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى
*(ومن حكاياتهم فى الظرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية
طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح

وإذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
وإذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي طرباً على ظهر يده قال الراوي فلقد رأيته يكبر على الجنازة والابيات على ظهر يده *(ومن حكاياتهم في البلاغة) ما ذكره في المطمح أن الوليد بن عقال لما انصرف من الحج اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه قليلاً ثم قال له أنشدني لمليح الاندلس يعني ابن عبد ربه فأنشده

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا * ورشاً بتعذيب القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * دراً يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما كمل انشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى جعلت من العذار حمائلا

انتهى

وحكي أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فقيل انه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لاحد قال الصفدي وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام وهو أمر صعب الى الغاية وأرى انه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ما سمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب في تهوين هذا الامر وعدم تهويله أن واصل ابن عطاء كان يعدل الى ما رادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير في كلام العرب فاذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساع أو صافن أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزني أو غير ذلك أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك وأما ابن زيدون فأقول في حقه أقل ما كان في تلك الجنازة وهو وزير ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج في هذا المقام الى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت * سحائب منه أعقبت بسحائب

وقد استعمل الحريري هذا في مقاماته عند ما يذكر طلوع الفجر وهو من القدرة على الكلام وأرى الخطيب ابن نباتة ممن لا يلحق في هذا الباب فانه أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون وهذا أمر بارع معجز والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدي ملخصاً وقال في الوافي بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه وقال بعض الادباء من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون فقد

استكمل الظرف وكان يسمى بحترى المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى (رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث أبو الربيع سليمان ابن علي الشابي الشهير بكثير يروى من يحبني عليه ويقول انه أبرد من الثلج فخاطبه كثير بقوله

يا حبيبا له كلام خلوب * قلبت في لظى هواه القلوب
كيف تعزوا الى محبك بردا * ومن الحب في حشاه لهيب
أنت شمس وقلت انى ثلج * فلهذا اذا طلعت أذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على أربعة أمثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد أحكم والتوسط أجمل

وقال ابن السيد البطليوسي متغزلا

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أضناني
في فيه سمط جوهر يروى الظما * لوعلني ببروده أحياني

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مضمنا

الى كم ينفد الدينار مني * ويطلب كف من عنه يحيد
ألم أنشده في وادي هيامي * به لو كان يعطفه النشيد
حبيبي أنت تعلم ما أريد * ولكن لا ترق ولا تجود
وكم غنيت حين تنكبتني * مني شيطانها أبدا مريد
يريد المرء أن يؤتي مناه * ويأبى الله الا ما يريد

وقال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تزدجر * يامشبه البدر المنير
لاسرحن نواظري * في ذلك الورد النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة أهل الاندلس في الجد والهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه *(ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) أنه لما ثار أيوب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الحبائل وكانت له همة وأنفة عظيمة وخلع عن امارته وحصل في حبالته أدخل رأسه تحته فانتظر من حضر معه أن يتكلم أو يخرج رأسه فلم يكن الا قليل حتى وقع

ميتا رحمه الله تعالى * ولما ثار الميورقي بافريقية على بني عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جلة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فانا لا نحتاج لك الى برهان على أمير لسانه الحسام ويده التأييد الرباني الذى لا يرام قد نصب خيامه بالبراح ولم يتخذ سورا غير سمر القنا وبيض الصفاح له من العزم رد ومن الحزم كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه * فكل قرارة حصن حصين وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون بخزية ولا يتركون من عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك فى شك فاقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسبك وأنت بالخيار فى الظعن والاقامه فان حللت نزلت خير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت فى كنف السلامه اذ قد شهرنا بانا لا نقيد الا بالاحسان وأن ندع لاختياره كل انسان *(ومن حكايات أهل الاندلس فى الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد بن عباد فأدخلت عليه جلة من دنانير السكة فأمر له بخريطتين منها وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب مايحمل هذه الدنانير الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتنى جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمة * لاقد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأنى فشانى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

ومن نظم أبى العرب المذكور

الام اتباعى للامانى الكواذب * وهذا طريق المجد بادى المذاهب
أهم ولى عزمان عزم مشرق * وآخر يثنى همتى للمغارب
ولا بد لى أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

وذكر الحافظ الحجارى فى المسهب انه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقى من أجواد تلك الحلبة فقال يا ابن أخى لم يقدر أن يقضى لى الاصطحاب بهم فى شباب أمرهم وعنفوان رغبتهم فى المكارم ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

فان يكن أتاه على الهرم فانا أتيناه وهو فى سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحمل نفسه مالا يحمله الزمان ويبسم فى موضع القطوب ويظهر الرضا فى حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول قلت له فالمعتمد بن عباد كيف رأيته فقال قصدته وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى غزوته النصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روع الله سربا فى رحابهم * وان رموا فى بترويع وابعاد

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد
ذى المكرمات التى مازلت تسمعها * أنس المقيم وفى الاسفار كالزاد
ياليت شعرى ماذا ترتضيه لمن * ناداه ياموئلى فى جحفل النادى

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان وأمر خادماً له فأعطانى ما أعيش فى فائدته الى الآن فانى انصرفت به الى المرية وكان يعجبنى سكناها والتجارة بها لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاء ماء وجهى على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر فى القصيدة وأنا مترقب لنقده لكونه فى هذا الشان من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك الامن عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى أن انتهى الى قولى

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد

فقال لاى شئ بخلت عليهم أن يسقوا بكفه فقلت اذ لم يكن يلحقنى من النقد ما لحق ذا الرمة فى قوله ولا زال منهلا بجرعائك القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فتألقت غرته وبدت مسرته وقال انا لله على أن لم يعنا الزمان على مكافأة مثلك قال وكنت ممن زاره بسجنه باغمات وحملتنى شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام فى الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدرى من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محى وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجانى على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه أمر لى باحسان على قدر ما استطاع فارتجلت

آليت لا أقبل احسانكم * والدهر فيما قد عراكم مسى
فنى الذى أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قد نسى

قال وفيه أقول من قصيدة

ياطالب الانصاف من دهره * طلبت أمراً غير معتاد
فلو يكون العدل فى طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللحجارى المذكور كتاب فى البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * امنى من سطوة الدهر
يشام للشرب على جنبه * ويصرف الذنب الى الخمر

وله فى فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * ويسلم فى الكفاح من الجماح
كأن أديمه ليل بهيم * تحجل بالبديع من الصباح

اذا احتدم التسابق صار جزما * تقلب بين أجنحة الرياح

وكتب أبو العلاء ادريس بن أزرق الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته عند ابن عبد العزيز

ألاليت شعرى هل أعود الى الذى * عهدت من النعمى لديكم بلا جهد

فوالله مذ فارقتكم ماتخلصت * من الدهر عندى ساعة دون ما كد

خذوا باذن كى أطير اليكم * فلاعار فى شوق الى المال والمجد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره وكان ذلك فى محفل ليكون أبلغ فقال والله لقد ذكرتنى أمره ولقد أحسن الدلالة على حاله فان الرجل كريم وعلينا وضع اللوم لاعليه ووالله لاوسعنه مالا ووجدا بقدر وسعى ثم أخذ فى الاحسان اليه حتى برّ يمينه رحمه الله تعالى

هكذا هكذا تكون المعالى * طرق الجد غير طرق المزاح

ولنذكر جملة من بنى مروان بالاندلس فنقول قال محمد بن هشام المروانى صاحب كتاب أخبار الشعراء

وروضة من رياض الحزن حالفها * طل أطلت به فى افقها الظلل

كأنما الورد فيما بينها ملك * موف ونوارها من حوله خول

وكان فى مدة الناصر وأدخل عليه يوما لبذاكره فاستحسنه وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ويتخلقوا بخلقه فاستعفى من ذلك وقال ان الفتيان لايتعلمون الابشدة الضبط والقيد والاغلاظ وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهونى وقد يحقد لى بعضهم ذلك الى أن يقدر على النفع والضرر قالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولى عهد الناصر وهو غلام وله فيه

متع بوجهك جفنى * ياكوكبا فوق غصن

يامن تحجب حتى * عن كل فكر وأذن

وخامر الخوف فيه * خاطرى بذهن

فليس للطرف والقلب غير دمع وحزن

فانى ذو ذنوب * وانت جنة عدن

وقال أخوه أحمد بن هشام

قطعت الليالى بارتجاء وصالكم * ومانلت منكم غير متصل الهجر

وما كنت أدرى ما التصبر قبلكم * فعلمتمونى كيف أقوى على الصبر

وما كنت ممن يعلق الصبر فكره * ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

*(ومن حكاياتهم فى علو الهمة) أنه كان سبب قراءته واجتهاده انه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبى عبدة وهو غلام فاستخبره القائد فرآه بعيدا من الادب والظرف ورأى له ذهنا قابلا للصلاح فقال أى سيف لو كانت عليه حلية فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعلم الى أن صار ابن أبى عبدة عنده كما كان هو عند

ابن

قوله ادريس فى نسخة يونس اه

ابن أبي عبدة أولا فحضر بعد ذلك معه وجالا في مضمار الادب فرأى ابن أبي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ما هذا أين هذا اعما كان فقال ان كلمتك عملت في فكري ما أوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سران لي عليك حقا اذ بعثتك على التأدب والتميز فاذا حضرنا في جماعة فلا تتطاول على تقصيري وحافظ على أن لا أسقط من العيون بارباء غيرى على فقال لك ذلك وزيادة * وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيئ الخلق في أول أمره كثير الاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق عما يقال في جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثرا التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الآن بناء أسكن فيه ابني المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى الثقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده وفقد خوله ومن كان يستريح معه ونظر الى ما سلبه من الملك ضجر فقال للثقة عسى أن يصلني غلماني وأصحابي أتانس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصلك احد وأن تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية فعلم أن الامير قصد محنته بذلك وتاديبه فاستدعى دواة وكتب الى أبيه اني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك عقابا بالذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم أعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه في عفوه وصفحه

وانّ أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم أن الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان وما فعلت ذلك عقابا لك وانما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه أخف على من التوحد والتوحش والتخلي عما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهي فقال له فاذ قد عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع وترى كأنك لم تر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم أنك أقرب الناس الي وأحبهم في وبعد هذا انما يخلو صدرك في وقت من الاوقات عن انكار علي وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها وانك لذو همة ومطمع ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من الشخص على ما يسوء فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ولقد يخف علي اليوم من قاسيت من فعله

وقوله مالو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبوه منى ما شفيت منهم غيظى ولكن رأيت الاغضاء والاحتمال لاسيما عند الاقتدار أولى وتطرت الى جميع من حولى ممن يحسن ويسىء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض وتطرت الى المسىء يعود محسنا والمحسن يعود مسيئا وصرت أندم على من سبق له منى عقاب ولا أندم على من سبق له منى ثواب فالزم يا بنى معالى الامور وان جماعها فى التغاضى ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب منه جانب ولا ينال ما تترقى اليه همته ولا يظفر بأمله ولا يجد معينا حين يحتاج اليه فقبل المنذر يده وانصرف ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفع قدره ومن شعره فى ابن عم له

ومولى أبى الاأذاى وانى * لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد
تودّدته فازداد بعدا وبغضة * وهل نافع عند الحسود التودّد

وقوله

خالف عدوّك فيما * أتاك فيه لينصح
فانما يتمنى أن * تنام عنه فيربح

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة فى الغناء حسنة فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بجامع قلبه فقال لاحد خدامه ماترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التى وقعت منا أحسن موقع فقال تقدر ما تساوى من الثمن وتدفع له بقدرها فقوّمت بخمسمائة دينار فقال المنذر للخديم ماعندك فيما ندفع له فقال الخمسمائة فقال ان هذا اللؤم رجل أهدى لنا جارية فوقعت منا موقع استحسان نقابله بثمنها ولو أنه باعها من يهودى لوجد عنده هذا فقال له ان هؤلاء التجار لؤماء بخلاء وأقل القليل يقنعهم فقال وانا كرماء سمحاء فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه فادفع له ألف دينار واشكره على كونه خصنا بها وأعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا وفيها يقول

ليس يفيد السرور والطرب * ان لم تقابل لواحظى طرب
أبهت فى الكاس لست أشربها * والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب منى معاشر جهلوا * ولو رأوا حسنها لما عجبوا

وقال له أبوه يوما انى فيك لتيها مفرطا فقال له حق لفرع أنت أصله أن يعلو فقال له يا بنى ان العيون تمج التياه والقلوب تنفر عنه فقال يا أبى لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يحمل عن ذلك وانى لم أر العيون الا مقبلة على ولا الاسماع الا مصغية الى وان لهذا السلطان رونقا يقسه التبذل وعلوا يخفضه الانبساط ولا يصونه ويشرّفه الا التيه والانقباض وان هؤلاء الانذال لهم ميزان يسبرون به الرجل منا فان رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته وان رأوه ناقصا عاملوه بنقصه وصيروا تواضعه صغرا وتخفضه خسة فقال له أبوه لله أنت فابق ومارأيت * وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره

أفنيت عمري في الشر * ب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا * ولا اطلاع صباح
أحيي الليالي سهدا * في نشوة ومراح
ولست أسمع ماذا * يقول داعي الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكي الكفر ليس بكافر وعتبه أحد اخوانه على هذا القول فقال اني قلته وأنا لا أعقل ولم أعلم انه يحفظ عني وأنا أستغفر الله تعالى منه والذي يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

يا أخي فرقت صروف الليالي * بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب * نتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان

أحبك يا ريحان ما عشت دائما * ولولا مني في حبك الانس والجان
ولولاك لم أهو الظلام وسهده * ولا حييت لي في ذرى الدار غربان
وما أعشق الريحان الا انه * شريكك في اسم فيه قلبي هيمان
على انه لم يكمل الظرف مجلس * اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم في ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومي * لهم في الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالي * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه بمدح آخر فقال أحد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره رب الصنائع فاجر على ما جبلت عليه في نفسك ولا تكن كالاجرب يعدي غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا ما أشعر به وحمله على العودة وقد ظن بنا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده ويديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادي وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان ما دام العمر * وقال أخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس أبان وقد خلا معه على راحة هل لك أمل نبلغك اياه فقال لم يبق لي أمل الا أن يديم الله تعالى عمرك ويخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال ما مالت اليك نفسي من باطل وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر وفي ذلك يقول أبان

يا من يلوم ولا يدري بعين أنا مفتتون لو ابصرته ما كنت تلحاني

من مازجت روحه روحي وشاطرني * ياحسنه حين أهواه ويهواني

وكان للامير محمد ابن الامير عبد الرحمن ثلاثة أولاد نجباء القاسم والمطرف ومسلمة ولهم أخ رابع اسمه عثمان فمن نظم القاسم في عثمان أخيه وقد زاره فاستسقاه ماء فأبطأ عليه غلامه لعلة لم يقبلها القاسم

الماء في دار عثمان له ثمن * والخبز شيء له شان من الشان

فاسلح على كل عثمان مررت به * غير الخليفة عثمان بن عفان

وله

شغلت بالكيمياء دهري * فلم أفد غير كل خسر

اتعاب فكر خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف ويعرف بابن غزلان وهي أمه وكانت مغنية بديعة محسنة عوادة أديبة

هل انتكن مشرفا على نهر * أرمي بطرفي اليه من قصري

عند أخ لو دهته حادثة * أعطيته ما أحب من عمري

وقال أخوهما مسلمة

ان شيبا وصبوة لمحال * أولم يأن أن يكون زوال

فدع النفس عن مزاح ولهو * تلك حال مضت وجاءتك حال

وكان يقول اني لا أفارق الامن اختار مفارقتي ومن خادعني انخدعت له وأريته أني غير فطن بخداعه ليعجبه أمره وأدخل عليه مسرة بنفسه ورأيه * وقال محمد ابن الامير المنذر ابن الامير محمد في جاريته الاراكة

قل للاراكة قد زا * د بالدنو اشتياقي

وهاج ما بي اليها * تمثلي للعناق

واني وبقاي * جمر جرى في المآقي

طويت ما بي ليوم * يكون فيه التلاقي

فان أعد لاجتماع * حرمت يوم افتراق

لا يعرف الشوق الا * من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد أهدى له سعيد بن فرج ياسمينا أبيض واصفر وكتب معه

مولاي قد أرسلت نحوك تحفة * بمرادما أبغيه منك تذكر

من ياسمين كاللجين تبرجت * بيضا وصفرا والسماح يعبر

فاجابه بما نصه

أتاك تفسيري ولما يحل * مني على أضغاث أحلام

فاجعله رسما داعما زائرا * مني ومنك غرة العام

وبعث اليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم * ما سمعنا جودا مدى العمر لازم

فدعائي بأن تدوم دعاء * لي لازال طول ما عشت دائم

ماسمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك أن رجلا أهدى له في قادوس وردا أحمر وأبيض فأمر أن يملأ له دراهم فقالت له جارية من جواريه ان رأى الامير أن يلون ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم * وكان المرواني المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء فرآ جميلا فمال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكنا لا نتغلغل في نظرها ولا ندعي العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين التي وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لروحك بما شئت فقال أو ما هي حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأراك شريكا لي فقال ولولا ذلك للمتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أفدي الذي مربي فمال له * لحظي ولكن ثنيته غصبا
ماذاك الاخاف منتقد * فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوف انتقادي فاني أدعوه اليك حتى يملأ منه ولا تنسب الي ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك في الفقهاء لمعدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكني لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل المرء أن لا يفني عمره فيما لا ينفقه عصره وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولي العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى * وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هاك يا مولاى خطا * خطه في اللوح مطا
ابن سبع في سنيه * لم يطق للوح ضبطا
دمت يا مولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله

زارني من همت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر
أقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضا والفجر لم ينفجر
واستعار الروض منه نفحة * بثها بين الصبا والزهر
أيها الطالع بدرا نيرا * لا حللت الدهر الا بصري

وكان مغري مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذي أغنانا عن مفاتحته ودله على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أنا في صحة وجاه ونعمى * هي تدعو لهذه الالحان
وكذا الطير في الحدائق تشدو * للذي سر نفسه بالقيان

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة

قدمت بحمد الله أسعد مقدم * وضد لك أضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت أهله * كما حاز بسم الله فضل التقدم

وأما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجاري فيه انه لم يكن في ولد الناصر ممن لم يل الملك أشعر منه ومن ابن أخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وله في الصنوبر

ان الصنوبر حصن * لديه حرز وباس
حفت حراج ارها * بمن عداه تراس
كأنما هو ضد * لما حواه الرياس

وبعض سيوف الاندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر الا أن تلك نائتة وهذه محفورة وقال

أتاني وقد خط العذار بخده * كما خط في ظهر الصحيفة عنوان
تزاحمت الالحاظ في وجناته * فشقت عليه للشقائق أردان
وزدت غراما حين لاح كأنما * تفتح بين الورد والآس سوسان

وقال

لئن كنت خلاع العذار بشادن * وكاس فاني غير نزر المواهب
واني لطعان اذا اشتجر القنا * ومقتحم طرفي صدور الكتائب
واني اذا لم ترض نفسي بمنزل * وجاش بصدري الفكر جم المذاهب
جليد يود الصخر لو أن صبره * كصبري على ما نابني للنوائب
وأسرى الى أن يحسب الليل أنني * لطول مسيري فيه بعض الكواكب

وأما ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان في بني أمية شبه عبد الله بن المعتز في بني العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ومن شعره القصيدة المشهورة

غصن يهتز في غصن نقا * يجتني منه فؤادي حرقا
سال لام الصدغ في صفحته * سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما * يحسن الغصن اذا ما أورقا

ومنها

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ما غربت في فمه * تركت في الخد منه شفقا

ومنها

وكأن الورد يعلوه الندى * وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا النمط قد فاق به أهل عصره ويظن انه لا يوجد لاحد منهم أحلى وأكثر أخذا

قوله وكان جواب العزيز له الخ مخالف لما سبق قريبا من أن هذا جواب منه للعزيز لا من العزيز له فلعل ما هنا محرف والاصل وكتب في جواب العزيز أما الخ وقوله لهجوناك الذي تقدم لاجبناك والمراد بالعزيز نزار العبيدي فتنبه اه مصححه

قوله على ما نابني الخ في نسخة على ما نالني من مصائب اه

بجامع القلوب من قوله

وذعت من أهوى أصيلا ليتني * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذى ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذا الذوق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذا ذكراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا * والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرنى بمن أهواه

قوله فكأنها فى نسخة فكأنما اه

ولله قوله

وعشى كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشحوب
هب فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
ظلت فيه ما بين شمسين هذى * فى طلوع وهذه فى غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب
رب هذا خلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت فى قضيب
أى وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق * ليس فيه أمارة للتقطيب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحد رؤساء بنى مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لاعداك الطرب * شرب كريم فى العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
فى قدح لم يك يسقى به * غير أولى المجد وأهل الحسب
ما جاراذ أسقاك من كفه * فى جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على راسك برا به * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبى عامر مدة الى أن رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه فمن أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر فى ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلق * كالمسك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم * وقام فى العلم عودى
فتواه جدد دينى * جدواه أورق عودى

وله فى أبى عامر بن المظفر بن أبى عامر من قصيدة يمدحه بها

بأبى عامر وصلت حبالى * فزمانى به زمان سعيد
فتى زدت فيه وداوشكرا * فنداه وقد تناهى يزيد
كيف لى وصفه وفى كل يوم * منه فى المكرمات معنى جديد

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فما ذلولا بعد ما كان قد أعيا

وقال عبيد الله بن محمد المهدى وهو من حسنات بنى مروان ويعرف بالاقرع

أقول لآمالى ستبلغ ان بدا * محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعانى كل يوم تعلل * فقلت لها ان لاح يفنى التعلل
لئن كان منى كل حين ترحل * فانى أن أحلل به لست أرحل
فتى ترد الآمال فى بحر جوده * وليس على نعمى سواه المعوّل

وقال هذه فى الوزير ابن عطاف فضن عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

أيها الممكن من قدرته * لا يراك الله الا محسنا
انما المرء بما قدمه * فتخير بين ذم وثنا
لا تكن بالدهر غرا واذا * كنت فانظر فعله فى ملكنا
كل ما خولت منه ذاهب * انما تصحب منه الكفنا
مد كفا نحو كف طالما * أمطرت منه السحاب الهتنا
أو أرحنى بجواب مؤيس * فطال البر من شر العنا

فلم يعطه شيأ وكان له كاتب فتحيل فى خمسين درهما فأعطاها له فلما سمع الوزير بذلك طرده وقال له من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فوالله مالبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوج الكاتب بزوجته وسكن فى داره وتحول فى نعمته فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره

أيا دار قولى أين ساكنك الذى * أبى لؤمه أن يترك الشكر خالدا
تسمى وزيرا والوزارة سبة * لمن قد أبى أن يستفيد المحامدا
وولى ولكن ليس يبرح ذمه * فها هو قد أرضى عدوّا وناقدا
واضحى وكيل كان يأنف فعله * نزيلك فى الحوض الممنع واردا
بجزاء باحسان لذا واساءة * لذا الساع ورث الجد قاعدا

والمثل السائر فى هذا رب ساع لقاعد * وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان فى غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب * فتلقه بسلافة وحبيب
فصل جديد فلتجدد حالة * يأتى الزمان بها على المرغوب
الجو طاق فالقه بطلاقة * واذا تقطب فالقه بقطوب

لله أيام ظفرت بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله

لى فى كفالات الرماح لوأنها * وفت ضمان يبالغ الآمالا

وكأن دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضنا به أن لا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة ويحضر معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المضحك يا مولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطلّ عذاره فقال له ما تطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب لعنك الله ومرّ سليمان به يوما وهو سكران وقد أوقف ذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان وبم لقبت هذا الثائر فقال يا مولاى بصفته القائم فقال ويحتاج الى خاتم فقال نعم ويكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة * وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة لكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * ترحمنى بالله من هجركا

وكيف بالهجر وأنى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جوّ السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق

فتراه من تحت المحاق كأنما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المروانى يستعطف المنصور بن أبى عامر وقد سجنه لتنول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * فى عبدك المتوسل المتحرم

بوسائل المدح المعاد نشيدها * فى كل مجمع كوكب أو موسم

لا تستبح منى حمى أرعى له * يا من يرى فى الله أحمى محتمى

وقال الاصم المروانى يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح معارضا بائية أبى تمام (السيف أصدق انباء من الكتب) بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله فى الطلب

وأين يذهب من فى رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب

لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب

ولو تيقن بأساحل ذروته * لصار كالعهن من خوف ومن رهب

منه يعاود هذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا في سالف الحقب
ويلبس الدين غضا ثوب عزته * كأن أيام بدر عنه لم تغب

وقال في نارنجة

وبنت أيك دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها أثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى نبي الله أقبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال

وشادن قلت له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال في زلباني

لله سفاح بدا لي سحرا * فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظي * وكذاك تفعل ناره بعجينه

وقال وقد نزل في فندق لا يليق بمثله

يا هذه لا تفندي * ان صرت في منزل هجين
فليس قبح المحل مما * يقدح في منصبي وديني
فالشمس عالية ولكن * تغرب في حمأة وطين

وقال أحمد المروانية

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودى
فقيد وهو موجود بقلبي * فواعجبا لموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشي يرثي ابن شهيد وهو من أصحابه

أيا من به كان السرور مواصلا * وأسلم قلبي للصبابة والفكر

ومنها

لعمرك ما يجدي النعيم اذا نأت * وجوههم عني ولا فسحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموية

وذي جدل أطال القول منه * بلا معنى وقد خفي الصواب
فقلت أجيبه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم أر غير صمتي من مريح * اذا ما لم يفد فيه الخطاب

وقال أبو يزيد بن العاصي

عابه الحاسد الذي لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا
انما وجهه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله

اذا شئت أن يصفو صديقك فاطرح * نزاع الذي يبديه في الهزل والجد

وان كنت من أخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواك فى جنة الخلد
الى أن يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى أهل الاندلس جملة فنقول أمر أبو الحجاج المنصفى أن يكتب على قبره

قالت لى النفس أتاك الردى * وأنت فى بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرناهذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب ضيق فى براح
هل شكوتم من سقام * أوجلستم للصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أتيتم فرادى * ذلك حكم المستراح

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حبوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللماى بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحنى عائدى فقلت له * لا لا تزدنى على الذى أجد
أما ترى النار وهى خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقدرين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نيق الشاطبى

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجع تماما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليد مأثرة * اذ لا سبيل الى تخليد جثمان

وقال أبو الحسن اللورقى

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ماليه
ولباسط آماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قواد المأمون بن ذى النون

نفضت كفى من الدنيا وقلت لها * اليك عنى فما فى الحق أغتبن

قوله محمد بن غانم الخ فى نسخة أ محمد غانم بن الوليد اه

من كسر بيتي لي روض ومن كتبي * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدري به ما جرى في الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابي سوى موتي ويدفنني * قوم وما لهم علم بمن دفنوا

وقال أبو عامر بن الحمار

ولي صاحب أحنو عليه وانه * ليوجعني حينا فلا أتوجع
أقيم مكاني ما جفاني وربما * يسائلني الرجعى فلا أتمنع
كأني في كفيه غصن أراكة * تميل على حكم النسيم وترجع

وقال أبو العباس بن السعود

تبا لقلب عن الاحباب منصرف * يهوى أحبته ما خالس النظرا
مثل السجنجل فيه الشخص تبصره * حتى اذا غاب لم يترك به أثرا

ومرض أبو الحكم بن علندة فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم ففطن لذلك وأنشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة * فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابدأ بحقه * فمن خنصري كفيك تبدأ بالعقد

وقال القاضي أبو موسى بن عمران

ما للتجارب من مدى * والمرء منها في ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا * من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغير ما * ل كالخيام بلا عماد
شرف الفتى بنضاره * ان الفقير أخو الجماد
ما العلم الا جوهر * قد بيع في سوق الكساد

قوله كالخيام في نسخة كالخباء اه

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطي

اياك من زلل اللسان فانما * عقل الفتى في لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها في وردة ثم دفعها الي والى صاعد وقال قولا فأبهمت دوننا أبواب القول فدخل الزبير وكان أميا لا يذكر من الكلام الا ما علق بنفسه في المجالس وينفذ مع هذا في المطولات من الاشعار والأشعر بأمرنا فجعل يقول دون روية

ما للأديبين قد أعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة في وردة ركبت * كمقلة تطرف في وجنه

وقال أبو محمد بن حزم في طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد وانبلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها * فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج
كأني وهي والكاس والخمر والدجا * حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها اذ تضيق الاعاريض عنه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الاكشونى الاندلسى يصف فرسا وردا أغر محجلا

فكأن غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام أبى عامر هذا لا يخلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزهر

كمشحذ من حجر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز

تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم وردنا فيه كل منى * وقل فى مثل ذاك اليوم أن نردا

فى روضتين بشطى سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب مفتقدا

يبدد القطر فى أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر فى رداء عروس * صبغته بزعفران العشى

ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه فى دلاص الكمى

ولبعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفا مثل الخباء وتمزقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الا تشاجر فكر طب حاذق

لعبت به أيدى الصبا فكأنها * أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة فى ماء

ولم أر فيما تشتهى العين منظرا * كتفاحة فى بركة بقرار

يفيض عليها ماؤها فكأنها * بقية خد فى اخضرار عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب

وباكية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم

يروقك منها ان تأملت نحوها * زبرجد والتفاف أراقم

تخلص من ماء الغدير سبائكا * فتنبتها فى الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكأنه * دون السماء دخان عود أخضر
والطل مثل برادة من فضة * منثورة فى تربة من عنبر
والشمس أحيانا تلوح كأنها * أمة تعرض نفسها للمشترى

وقال أبو الحسن بن سعد الخير

لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
فكأنه دنف يدور بعهده * يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى طرفه عن دمعه * فتفتحت أضلاعه أجفانا

وقال ابن أبى الخصال

وورد حقى طالعتنا خدوده * بثغر ونشر يبعثان على السكر
وحف ترنجان به فكأنه * خدود العذارى فى مقانعها الخضر

وقال ابن صارة

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كأنها كرة من أحمر الذهب
أو جذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجى

ومياسة تزهو وقد خلع الحيا * عليها حلى حمرا وأردية خضرا
يذوب بها ريق الغمامة فضة * ويجمد فى أعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة أيضا

ونارنجة لم يدع حسنها * لعينى فى غيرها مذهبا
فطورا أرى ذهبا مضرما * وطورا أرى سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح فى السرو

أيا سرو لا يعطش منابتك الحيا * ولا يد عن أعطافك الخضر النضر
فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما * تلف على الخطى رايانه الخضر

وقال أبو اسحق الخولانى

نيلوفر شكله كشكلى * يعوم فى أبحر الدموع
قد ألبست عطفه دروعا * خود لريح الصبا شموع
يلوح اذ لونه كلونى * من فوق فضفاضة هموع
مثل مسامير مذهبات * فى حلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات أرت من حسنها بدعا * ولم يزل عصر مولانا يرى بدعه
شبيهة بالثريا فى تألفها * وفى تألقها تلتاح ملتمعه

هامت بمناه تبغي أن تقبلها * واستشرفت تجتلي مرآه مطلعه
ثم اتقى بعضها من بعضها غلبا * على البدار فوافى وهي مجتمعه

ورفع هذه الابيات الى الامير أبي يحيى زكريا * وقال حازم

لانور يعدل نور الوز في أنق * وبهجة عند ذي عدل وانصاف
نظام زهر يظل الدر منتثرا * عليه من كل هامي القطر وكاف
يناترى وهي أصداف لدرحيا * بيض غدت دررا في خضر أصداف

وقال ابن سعد الخير في رمانة

وساكنة في ظلال الغصون * بروض يروقك أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ * غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد * تضرج بالدم أسنانه

وقال ابن نزار الوادي آشي

ورمانة قد فض عنها ختامها * حبيب أعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب * وناولني منها شبيه لثاته

وقال بعضهم في القراسيا ويقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل أشطانه * رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق * وما اسود منه عيون المها

وقال بعضهم

وأين معاهد الحسن فيها * وللانس التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها * لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها * ومن بطحائها في مطلعين
وأغيد يرتقي من تلعتيها * ومن غر القلوب بمرتعين
اذا أهوى لسوسنة يمينا * عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه * ومن زهراتها في حلتين
وراح أصيله ما بين نهر * ودولاب يدور بمسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه * سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت * عليه كل غصن كالرديني
ملاعب في غرامي عند ذكرى * صباه وغضه المتلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ

يا حرقة البين كويت الحشا * حتى أذبت القلب في أضلعه
اذكيت فيه النار حتى غدا * ينساب ذاك الذوب من مدمعه
يا سؤل هذا القلب حتى متى * تزوي برشف الريق من منبعه
فان في الشهد شفاء الورى * لا سيما ان مص من مكرعه
والله يدني منكم عاجلا * ويبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو علي بن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصاري الجياني نزيل فاس وولي خطابتها ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب وفي عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه انه شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة * ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مرت من ذلك جملة وستأتي أيضا زيادة على الجميع فنقول قال في بدائع البداءه ما صورته روى عبد الجبار بن حمديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فأقنا فيه يوما فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا حاكت الريح من الماء زرد فأجاز كل منهم بما تيسر له فقال لي أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت يا أبا محمد فأعدت القسيم له فقال أي درع لقتال لو جمد انتهى وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع في محله ثم قال صاحب بدائع البداءه بعد ما سبق ما صورته وقد نقله ابن حمديس الى غير هذا الوصف فقال

نثر الجو على الترب برد * أي در لنحور لو جمد

فتناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ما جمد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد دام جوده فيصح وينعقد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فزارة

ولربما سلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا

طبعته لجينا فزانت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الايادي من قصيدته الطائية المشهورة

ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي

لو انه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

قال علي بن ظافر وأخبرني من أثق به قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين الدساتين سابقا فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت على أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر به من لحقه من أصحابه فرأى ابن جامع الصباغ أول من لحق به فقال أجز كأنها فرق العصا فقال هامة زنجي عصي فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال علي بن ظافر وأخبرني أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا أن الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلدة ولا يستقر عن وطره وطن وكان كثيرا ما يتطلب لما يصدر عن أرباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن

قوله المعتمد على الله أبو القاسم في نسخة البدائع المعتمد على أبو القاسم اه

قوله ابن جامع في نسخة البدائع ابن حاج اه

جامع هذا قبل اشتهاره فمرّ على حانوته وهو آخذ فى صناعة صباغته والنيل قد جرّ على يديه ذيلا وأعادنهارهما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين رند وزند فقال مابين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستعجاله وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه * وبلغنى أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فمرّ عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال لحم سباط الخرفان مهزول فقال يقول للمفلسين مهزول انتهى * ولماصنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم الشعر خطة خسف أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التى أولها الدهر يفجع بعد العين بالاثر وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف * وذكر ابن بسام فى الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ ابو الوليد بن ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك فى هذا الكتاب * وقال ابن الغليظ المالقى قلت يوما للاديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ونحن على جرية ماء أجز

شربنا على ماء كأن خريره فقال بديها بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا بكتب بالفه * فانى مشغوف به وكئيب

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتى بالمرية فنظرا الى وسيم يسبح فى البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذى لاح لك فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء سماء له * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلى الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر بن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر المروانى وابن الخياط والطبنى فحضروا اليه فسألهم عنى وقال وجهوا اليه فوافانى رسوله مع دابة بسرج حلى ثقيل فسرت اليه ودخلت المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولى وقاموا جميعا لى حتى طلع أبو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا سحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت أن فى أنفسه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام ولا تراض الا بمستحصد النظام ورأيت أصحابى يصيخون الى ترنمه فقال لى ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جالبا فى المحافل ما يسوء الى ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت انى المراد فاستنشدته فأنشد

مرض الجفون ولثغة فى المنطق فقلت لمن حضر لا تجهدوا أنفسكم فما المراد غيرى ثم أخذت الدواة فكتبت سببان جرا عشق من لم يعشق

من لى بألثغ لا يزال حديثه * يذكى على الاحشاء جمرة محرق

ينبى فينبو فى الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقى

قوله ومبادرة العمل الخ فى البدائع مع مضيه فى عمله الخ

قوله عبدون فى نسخة وهبون اه

قوله والطبنى فى نسخة والطبى اه

لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو أنها كتبت له في مهرق

ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا علي وأخبروني أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسألوني أن أحمل مكاوي الهجاء على حماره فقلت

أبو جعفر كاتب محسن * مليح سنا الخط حلو الخطابه
تملأ شحما ولحما وما * يليق تملؤه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياة * ولكنه رشح ماء الجنابه
يجري الماء في سفله جري لين * فأحدث في العلو منه صلابه

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الداني في كتابه سقيط الدرر ولقيط الزهر أن المعتمد بن عباد صنع قسيما في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهي ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبد الله الرشيد وكلاهما في حسنه متناهي

ومن اغتدى سكناً لمثل محمد * قد جل في العلياء عن الاشباه
لا زال يبلغ فيهما ما شاءه * ودهت عداه من الخطوب دواهي

وخرج القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط في جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضي أبو الحسن معاتباله وشاعر أثقل من جسمه ثم استجاز ابن سوار فقال تأتي معانيه على حكمه

يهجو فلا يهجى فهل عندكم * ظلامة تعدي على ظلمه
لسانه في هجوه حية * منية الحية في سمه
يصيب سر المرء في رميه * كأنما العالم في علمه
أما أبو موسى ففي كفه * عصا ابنه والسحر في نظمه

وفي المقتبس في تاريخ الاندلس أن الامير عبد الرحمن خرج في بعض أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها هائما بها فانتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة الساري * في الليل لم يدر به الداري

ثم أتاه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار فحيا في ظلام الدجى * أحبب به من زائر ساري

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور في بعض غزواته قسيما وهو نرى الشيء مما يتقى فنهابه ثم أرتج عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائبا عن حضرته فأراد من يجيزه فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالي وكان يكتب له فأنشده القسيم فقال وما لا نرى مما يقي الله أكثر فاستحسنه وأجازه وجله استحسانه على أن استوزره *

وذكر ابن بسام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما

سبعمائة مثقال فأهدى الغزال الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم ابن المرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذا سكنى أبوئه فؤادى * وذا نجلى أقلده المعالى

شغلت بذا الطلا خلدى ونفسى * وأكفى بذاك رخى بال

دفعت الى يديه زمام ملكى * محلى بالصوارم والعوالى

فقام يقر عينى فى مضاء * ويسلك مسلكى فى كل حال

فدم للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفى قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

قال بديها

بل تعاليت رتبة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه غنى يوما بين يدى العالى بالله الادريسى بما لقة بيت العبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يختال * أن غدت للحى أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

انما العالى امام هدى * حليت فى عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوى الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابى العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم

يا من رمى قلبى فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع عبيد الله بن قرناس بديها

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة * وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس * ترى الزق فى بيتها شائلا

وزنا لها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها يجيزه

وقلت خذى جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

وركب المعتمد فى بعض الايام قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا باذانه فقال ابن عمار يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة فقال ابن عمار ان كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلى أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الى ولا يعبأ بى حتى قنطت لخيبتى مع فرط تعبى وهممت بالنكوص على عقبى فانى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى اذ بغلام معه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبة فنك وقال لى افتح الطاق التى تليك ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقدة تفتحهما تارة وتسدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لى أجز

انظرهما فى الظلام قد نجما فقلت كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نور واحدة فقلت وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب ولكن ماهنا أتم مساقا فلذلك نبهت عليه * وذكر صاحب فرحة الانفس فى أخبار أهل الاندلس أن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس فى جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للمجون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور يعنى أحد وزرائه فقال أخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضى منه فقال أهجوه أنا وأنت ثم صنع

لب أبو القاسم ذو لحية * كبيرة فى طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل مأبون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال أمين الله فى عصرنا * لى لحية أزرى بها الطول

وابن جهير قال قول الذى * مأكله القرضيل والفول

لولا حيائى من امام الهدى * نخست بالمخس شو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعنى تمام البيت كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابها قله على حكم المثنى مع الطبع والراحة من التكلف فقال لب يامولانا أنت هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والقرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر

وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولوا اسم للاست بها فكأنه قال لولا حياتي من امام الهدى نخست بالمخس الذي هو الذكر استه * وقال ابن ظافر أخبرني من أثق به قال اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاستاذ أبو العباس بن صارة في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فترافدا في صفتها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل عزة ذا وذلة هذه * تبكي الغمام وتضحك الازهار

وقال أبو بكر محمد بن الزبيدي النحوي صاحب الشرطة يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر ابن عثمان المصحفي لما كتب كتابه فيه فاضت نفسه بالضاد مبينا له اللحن دون تصريح

قل للوزير السني محتده * لي ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بهظ الاولين باهظها
يقرّ لي عمرها ومعمرها * فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة * لو كان يثني النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي مطرحة * فان نفسي قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفي

خفض فواقا فأنت أوحدها * علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد * أبناؤها كلهم يحافظها
ألفاظهم كلها معطلة * ما لم يعوّل عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * أقر بالعجز عنك جاحظها
غلم بني العالمين عنك كما * ثنى عن الشمس من يلاحظها
وقد أتتني فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها
فأوضحنها تفز بنادرة * قد بهظ الاولين باهظها

فأجابه الزبيدي وضمن شعره الشاهد على ذلك

أتاني كتاب من كريم مكرّم * فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسرّ جميع الاولياء وروده * وسيء رجال آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذي قد أضاعه * لدي سواه والكريم حفيظ

وباحثت عن فاظت وقبلي قالها * رجال لديهم في العلوم حظوظ
روى ذا الذي عن كيسان سهل وأنشدوا * مقال أبي الغياظ وهو مغيظ
وسميت غياظا ولست بغائظ * عدوّا ولكن الصديق يغيظ
فلا رحم الرحمن روحك حية * ولا هي في الارواح حين تفيظ

قلت وفي خطاب الوزير بهذا البيت وان حكى عن قائله مالا يخفى أن اجتنابه المطلوب على أنه قد يقال فاضت نفسه بالضاد كما ذكره ابن السكيت في خلل الالفاظ والله أعلم * وكتب الزبيدي المذكور الى أبي مسلم بن فهد

أبا مسلم ان الفتى بجنانه * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليست ثياب المرء تغنى قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسي

وقال وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع الى أهله باشبيلية ولم يأذن له فكتب الى جاريته سلمى

ويحك يا سلم لا تراعي * لابد للبين من زماع
لا تحسبيني صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق * لولا المناحات والنواعي
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

واجتمع جماعة من الادباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيأ فيه فقال سهل بن مالك

لما حططت ببدتة قتب النوى * والقلب يرجو أن يحول حاله
والجو مصقول الاديم كأنما * يبدى الخفي من الامور صقاله
عاينت من بلد الجزيرة مكنسا * والبحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل في المرآت تبصره وقد * قربت مسافته وعز مناله

فقال الجماعة والله لا يقول أحد منا بعد هذا شيأ * ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البلنسي صداق املاك وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو بالعكس أنشد بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيرت غيرا فصرت عيرا * وهكذا من يجد سيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي وكان الى جانبه بديهة

ما أنت ممن يظن فيه * بذاك جهل فظن خيرا

ووقف أبو أمية بن حمدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب في ورقة أبو أمية بالباب ودفع

الورقة للخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نوّن تاء أمية ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل فى غير العلم *(ومن حكايات أهل الاندلس فى العفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلى البطليوسى ثم ان النحلى سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أباد ابن عباد البربرا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونسى ما قاله حتى حل بالمرية فأحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج فقال النحلى يا مولاى ما عندكم فى المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك فى قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلى وجعل يعتذر فقال له خفض عليك انما ينفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من يسمعه فاحتمل مثلك فى حق من هو فى نصابه ثم أحسن اليه وخاف النحلى ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرضنى بعده العالم
وكانت مريته جنة * فخنت بها جاء آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد دياره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال فى بلنسية أبو عبد الله الرصافى وقد خرج منها صغيرا

بلادى التى ريشت قويدمتى بها * فريخا وآوتنى قرارتها وكرا
مهادى ولين العيش فى ريق الصبا * أبى الله أن أنسى اعتيادى بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشى

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه
سيفنى كل ذى شبح ونفس * وتلتحق النهاية بالبدايه
وينصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالبرايه
كأن مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه
فنل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار اليابسى وهو من رجال الذخيرة

أمطيت عزمك منه متن سابحة * خلت الحباب على لباتها لببا
تبدو على الموج أحيانا ويضمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجيلى النحوى

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس
اذا سلمت نفسى ودينى منهم * فحسبى أن العرض منى لهم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قد نويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدى الغمام عقودها
وسقت بماء الورد وال * مسك الفتيت صعيدها

والطير تشدو في الغصو * ن المائدات قصيدها
وتعبر بمع المستعير نظيمها ونشيدها

وكان في دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدي وردها كل عام الى عارض الجيش أحمد بن سعيد فغاب العارض سنة فقال

قال لي الورد وقد لا * حظته في روضتيه
وهو قد أينع طيبا * جمع الحسن لديه
أين مولاي الذي قد * كنت تهديني اليه
قلت غاب العام فايأس * أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى * ظهر الحزن عليه

وقال محمد بن أفلح

ما أستريح الى حال فأحمدها * بالبين قلبي وقبل البين قد ذهبا
ان كان لي أرب في العيش بعدكم * فلا قضيت اذن من حبكم أربا

وقال أحمد بن تليد الكاتب

لم أرض بالذل وان قلا * والحر لا يحتمل الذلا
يارب خل كان لي خاملا * صار الى العزة ما خلا
حرمت المامي على بابه * ووصله لم أره حلا
تأبى على النفس من أن أرى * يوما على مستثقل كلا

وقال اسحق بن المنادم وقد أهدى له من يهواه تفاحة

مجال العين في ورد الخدود * يذكر طيب جنات الخلود
وآرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها فضحت المسك طيبا * فقالت لي بطيب أبي الوليد

وقال غالب بن عبد الله الثغري

يا راحلا عن سواد المقلتين الى * سواد قلب عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وأنت الروح فيه فما * ينفك مرتحلا مادمت مرتحلا
وللفراق جوى لو مر أبرده * من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن بن الامام الغرناطي يهجو مراكش المحروسة

يا حضرة الملك ما أشهالي وطنا * لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر * وأكلة من بذنجان ابن معيوب

وابن معيوب هذا كان من خدام أبي العلاء بن زهر يزعم الناس انه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر في باذنجان * ولما بنى الفقيه أبو العباس بن القاسم قصره بسلا وشيده وصفته الشعراء وهنته به ودعت له وكن بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمارة ولم يكن أعد شيأ فافكر قليلا ثم قال

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها حلول الشمس في الحمل

فما كدارك فى الدنيا لذى أمل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وفيهم يقول ابن بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم قبدان
هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتى فنظرا الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذى لاح لك فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ويروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى
مفضض الثغر له شامة * مسكية فى خده المذهب
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع فى بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية الحبا * تحمل نارية الجنا
درنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب ريا
تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا علينا * فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الافق غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تريك لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدى وأنا أسير بشاطبة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والطرف لابن عفيون فوجدت فيه قال الحسين بن الضحاك

قوله أبو الحسن بن زنون فى نسخة محمد بن ذنون اهـ

ما كان أحوجنى يوما الى رجل * فى وسطه ألف دينار على فرس
فى كفه حربة يفرى الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو رجعت ولم أظفر ببهجته * وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بينى وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

ما كان أحوجني يوما الى خنث * حلو الشمائل في باق من الغلس
في كفه قهوة يسبي النفوس بها * محكم الطرف للالباب مختلس
فلو رجعت ولم أظفر بحكمته * وقد رويت من الصهباء كالقبس
فلا هنيت بعيش وابتليت بما * يكون منه صدود الشادن الانس
هذا أذواشهى من مئ رجل * في وسطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن نيق فقال

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يردد الذكر في باق من الغلس
في حلقه غنة يشفي النفوس بها * وفي الحشا زفرة مشبوبة القبس
فلو رجعت ولم أوثر تلاوته * على سماع غناء الشادن الانس
فلا حججت اذن نفسي ولا اعتمدت * بي النجائب قصد البيت ذي القدس
ولا أسلت لغير المصطفى مقلا * تبكي عليه بهامي الدمع منبجس

قال ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجائب صنع الله تعالى انه عند فراغي من كتب هذه القطعة وصل الفكاك الى وحل قيودى وأخرجني الى بلاد المسلمين وهي

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يأتي فينبهني في خفية الغلس
يفك قيدي وغلي غير مرتقب * ولا مبال من الحجاب والحرس
وقوله لي تأنيسا وتسلية * هذا سلاحى فالبسه وذا فرسي
فلو جبنت ولم أقبل مقالته * وأمتطي الطرف وثبا فعل مفترس
اذن خلعت لباس المجد من عنقي * وصار حظي منه حظ مختلس
وأخلفتني أماني التي طمحت * نفسي اليها واحساني لكل مسى

وقال أبو بكر بن جيش وقد زاره بعض أوداثه في يوم عيد فطر

أكل ذا الاجمال في ذا الجمال * قد أستحفظ ذاك الكمال
يامالكا بالبر رق أما * يكفيك أن تملكني بالوصال
سرت الى ربعي زورا كما * سرى الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى * حقا لاني قد رأيت الهلال
صومي مقبول وبرهانه * أني أدخلت جنان الوصال

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان كان والده خطيب البلد

يا عائدي وهو أصل مابي * أفديك من ممرض طبيب
اصميت لما رميت قلبي * بسهم ألحاظك المصيب
وجئتني منكر السقم * وتلك من عادة الحبيب
يا ساعة قد عفرت فيها * ما كان للدهر من ذنوب
ما كان في فضلها مثال * لولم تكن جلسة الخطيب

وخاطب أبو زيد بن أبي العافية أبا عبد الله بن العطار القرطبي بقصيدة منها هذا البيت

وكيف

وكيف يفيق ذو صبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعرّض له بطوله وحوله ولصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الابيات يعرّض له فيها بجربه وكان أبو زيد أصابه جرب كثير

أجل يا نافث السحر الحلال * أتاني منك نظم كاللآلي

بروقك أولا لفظا ومعنى * ويلدغ آخرا لدغ الصلال

تعرّض فيه أنك ذو مطال * حليف وساوس حول طوال

كأنك لم تجرّب قط خلقا * ولم تعرف بتجربة الليالي

أأنسيت التجارب اذ تجارى * بهن الجرب ريا مع الشمال

فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو أعطيت فيه جراب مال

وجرّب جاريتك واختبره * وجرّب جلده ان كان قالى

وجارٍ بنيك لا تستحى منه * ومن تجار بابك لا تبالى

وأجريالك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجرى بانتقال

وجرّب أهل جربة تلف قوما * أبوا الا بس الجوارب والنعال

تجارا باعة تجروا بزيت * تسموا بالتجار بغير مال

اذا سمعوا بجمرٍ فى جريب * جروا بيطالة التمر البوالى

اذا جرّبت هذا الخلق ابدى * لك التجريب أجربة خوالى

ترى بالتجر دهرا جرّ بؤسا * عليك وجاد بالنوب الثقال

وخرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام بمسجد قرية فاخطأ فى قراءته وسها فى صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

يا خجلتى لصلاة * صليتها خلف جلف

فلما خرج الثانى كتب تحته

أغض عنها حياء * من المهين طرفى

فلما خرج الثالث كتب تحته

فليس تقبل منا * لو انها ألف ألف

وقال أبو اسحق بن حنيف فى أحدب أخذ مع صبى فى خلوة فضربا وطيف بهما والاحدب على عنق الصبى

رأيت اليوم محمولا * وأعجب منه من حمله

بجال الناس تحملهم * وهذا حامل جمله

وقال أبو الصلت الاندلسى

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها ذنبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابى العباس بن تصال يذكره بحاله

يا غارسا لى ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك

أخاف من زهرها سقوطا * ان لم يكن سقيها ببالك

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزا وعدا

أباعبد الاله وعدت وعدا * فأنجز تربح الشكر الجزيلا
ولا تمطل فان المطل يمحو * من الاحسان رونقه الصقيلا
اذا كان الجميل يجيء طبعا * فاني أكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يا مولاى لى من جابر * اذ غدا قلبي من البلوى جذاذا
غير صك أحمر تكتب لى * فيه للذاعشاصح هذا

وقال أبو الحسن بن الزقاق في غلام يهودي كان يجلس معه وينادمه يوم سبت

وحبب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

وقال أبو حيان

ويعجبنى رشف تلك الشفاه * وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الاراك * وورد الرياض وكأس المدام

وكتب أحد الادباء بمرسية الى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه بابيات في غرض فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله

ماللمحب لدى غير صبابة * تقضى عليه ولوعة وغرام
فدع الطماعة واسترح باليأس من * وصل عليك الى الممات حرام

وقال السميسر

قرابة السوء شر داء * فاجهل اذا لم تعش حميدا
ومن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

وقال ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى عين وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب * ودجا ليلتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرني اسمه الآن

اذا مال ذو ود بود صديقه * فيا أيها الخل المصاحب لى مل بى
فانى مثل الماء لينا لصاحبي * وناهيك للاعداء من رجل صلب

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبي

وخائط راقنى جمالا * وصاله غاية اقتراحى
تنم منه الخيوط فتلا * بين اقاح وبين راح
تراه في السلم ذا طعان * بنافذات بلا جراح
حلته أشبهت فؤادى * لكثرة الوخز فى النواحى

تقطع الثوب راحتاه * كصنع الحائطه الملاح
فقبله ما رأيت بدرا * ممزقا بردة الصباح

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نوئها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البقي البعمري وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة من تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى * وقال أبو العباس القيجاطي فيما أنشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال أبو محمد بن الجاف المعافري البلنسي

أقول وقد خوفوني القران * وما هو من شره كائن
ذنوبي أخاف وأما القران * فاني من شره آمن

وأبوه أبو أحمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع * وقال أبو العباس

وبين ضلوعي للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل أبو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه أبو عبد الله الشاطبي وأبو عثمان سعيد بن قوشترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار في مآخذ النظار فقال ابن قوشترة

عابوه بالزرق الذي بجفونه * والماء أزرق والسنان كذلكا

فقال الشاطبي

والماء يهدي للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال أبو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذا في أجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني رحمهم الله تعالى وسامحهم * وكتب الشيخ الامام العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسي النحوي عند قول الحريري امنا أن يعزز بثالث ما نصه قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما وهو قول بعض الفضلاء

ما الامة اللكعاء بين الورى * كمسلم حر أتى ملأمه
فه اذا استجديت من قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

ثم قال وبخامس وسادس

قوله قوشترة في نسخة قرشرة اه

انقذتمهوى أذره فانثنى * مهياعذولى فى الذى انقذته
مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللحظ تامن دمه انتهى

قلت رأيت فى المغرب فى هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتى الحريرى رحمه الله تعالى * وقال أبو بكر بن عبادة الشاعر فى أبى بكر والد الوزير أبى الوليد بن زيدون

قوله سبعين فى نسخة ستين اه

أى ركن من الرياسة هيضا * وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى * كى يوافوا به ثراه الاريضا
مثل حمل السحاب ماء طيبا * لتداوى به مكانا مريضا

وكان المذكور توفى فى ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن فى الربض سنة ٤٠٥ وولد سنة ٣٠٤ * وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

وعهدى بالشباب وحسن قدى * حكى ألف ابن مقلة فى الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كأنى * أفتش فى التراب على شبابى

وقال

يارب يوم زارنى فيه من * أطلع من غرته كوكبا
ذو شفة لمياء معسولة * ينشع من خديه ماء الصبا
قلت له هب لى بها قبلة * فقال لى مبتسما مرحبا
فذقت شيأ لم أذق مثله * لله ما أحلى وما أعذبا
أسعدنى الله باسعاده * ياشقوتى ياشقوتى لو أبى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا وظرفا ولوذعية وشهرة قال ابن عبد الملك كان أديبا بارعا حلو الكلام مليح النثر مبرزا فى نظم الزجل قال لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تحكم فيها ألقاب البديع وتنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه وبلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى مبلغا حجره الله عمن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم وقال الفتح فى حقه مبرز فى البيان ومحرز للسبق عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس وكساه ملابس فامتطى اسمى الرتب وتبوأها ونال أسنى الخطط وما تملأها وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره ويعرف كيف أساء له الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالى السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الاعلى الى الاكتاف

والماذى العسل والنطاف جمع النطفة وهى الماء الصافى قل أو كثر * وقال الفقيه ابو بكر ابن القوطية صاحب الافعال فى اللغة والغريب فى زمن الربيع

ضحك الثرى وبدالك استبشاره * فاخضر شاربه وطر عذاره
ودنت حدائقه وزر زنبته * وتعطرت أنواره وثماره
واهتز ذابل كل ماء قرارة * لما أتى متطلعا آذاره
وتعممت صلع الربا بنباته * وترنمت من عجبها أطياره

وقال

وقال فى المطمح فى حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف وثنية كلها شرف وهو أحد المجتهدين فى الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمنتدبين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى * وقال القاضى الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتواحسه اذقيل جد نحوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم

فعادوا قميصا فى فراش فلم يجد * ولا لمسوا شيأ يدل على جسم

طواه الهوى فى ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال فى المطمح فيه انه قاضى الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز فى النسك والزهد دائم الارق فى التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحيز الى فئة الورع وأهله وله تآليف فى التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين واشعار فى هذا المعنى . منها قوله

فررت اليك من ظلمى لنفسى * وأوحشنى العباد وأنت أنسى

قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنس وحدتى فى قعر رمسى

وللعظمى من الحاجات عندى * قصدت وأنت تعلم سر نفسى

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبى محمد والده بالكون فى صحبته ومسايرته فى غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لا يجحده فقال له الحكم ان ضمن لى أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزاة وجازيته أفضل المجازاة فأجابه اليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم انه رجل مزءود وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور فألفه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفى المستنصر اذ ذاك انتهى * وقال ابن سيده صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

قال فى المطمح الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سيده امام فى اللغة والعربيه وهمام فى الذئبة الادبيه وله فى ذلك أوضاع لافهام أخلافها استدرار واسترضاع حررها تحريرا وأعاد طرف الذكا بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانيه وبها أدرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغه ولا سيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب وأحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدوله وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب كيات مساوره ففر الى بعض الاعمال المجاوره وكتب اليه منها مستعطفا

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

فتنضى هموم طلحته خطو بها * ولا غاربا يقين منه ولا متنا

غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا

فيا ملك الاملاك انى محلأ * عن الورد لا عنه اذاد ولا أدنى

تحققت مكروها فأقبلت شاكيا * لعمرى أما أذون لعبدك أن يعفى
وان تأكد فى دمى لك نية * فأنى بسيف لا أحب له جفنا
اذا ما غدا من حر سيفك باردا * فقدما غدا من برد نعماكم سخنا
وهل هى الا ساعة ثم بعدها * ستقرع ما عمرت من ندم سنا
ومالى من دهرى حياة ألذها * فتجعلها نعمى على وتمتنا
اذا ميتة ارضتك عنا فهاتها * حبيب الينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الاندلسى المخزومى المالقى

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وقال فى المطمح فيه انه عالم متفرس وفقيه مدرس وأستاذ متجرد وامام لاهل الاندلس مجود وأما الادب فكان جل شرعته وهو رأس بضيعته مع فضل وحسن طريقه وجد فى جميع الامور وحقيقه انتهى * وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة

تجاف عن الدنيا وهون لقدرها * ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة * فلا ذمة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله فى كل نعمة * يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك ما لاحظ فيه لعاقل * فان طريق الحق أبلج لا يخفى
وشح بأيام بقين قلائل * وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضى موليا * فجدته تبلى ومدته تفنى
نخوض ونلهو غفلة وجهالة * وننشر أعمالا وأعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى * وتنتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا * لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة * وقد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبى أخشاها ولست بآيس * وربى أهل أن يخاف وأن يرجى
وان كان ربى غافرا ذنب من يشا * فانى لا أدرى أأكرم أم أخزى

وقال فى المطمح الفقيه الامام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذى التاحت به معالمها صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند وفرق بين الموصل والقاطع وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات وجد فى تصحيح السقيم وجدد منه ما كان كالكهف والرقيم مع معاناة
٣٠ العلل وارهاف ذلك العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتثقيف وشرح المقفل

واستدراك

واستدر الكالمغفل وله فنون هي للشريعة رتاج وفي مفرق الملة تاج أشهرت للحديث ظبا وفرعت لمعرفته ربا وهبت لتفهمه شمال وصبا وشفت منه وصبا وكان ثقة والانفس على تفضيله متفقه وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم يجده منه الا مانفث به أنفه وأنفى فيه عن معرفه فمن ذلك قوله وقد دخل اشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها الا تهلل أسرة فأقام بها حتى أخلقه مقامه واطبقه اغتمامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعافا بعد ما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا لاءمته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمري مخلق يورث البلى
اذا هان حر عند قوم أتاهم * ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبي الدودس

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ماغدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمع بالدجا * فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال في المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يحط لسواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر في بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقذفته النوى وطردته عن كل نوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وبهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يمد به يدا أخبرني من دخل عليه بالمرية فرآه في غاية الاملاق وهو في ثياب أخلاق وقد توارى في منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عمن يجتديه عاتبه في ذلك الاعتزال وآخذه حتى استنزله بغيض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فما في ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يد المنى البيتين انتهى * وقال الفقيه القاضي الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وتمسك من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما يتجرد من أمله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعمر له ربع ادكا * رك في العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول أيام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين التراقب واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
فدعوه في أكفانه * ودعوه يجني ما جناه
وتمتعوا بمتاعه المخزون واحووا ما حواه

قوله ابن أبي الدودس في نسخة اسقاط لفظ أبي اه

يامنظراً مستبشعاً * بلغ الكتاب به مداه
لقيت فيه بشارة * تشفي فؤادي من جواه
ولقيت بعدك خيرمن * تباه ربي واجتباه
في دار خفض ماشهت * نفس المقيم بها أتاه

وقال في المطمح انه كهل الطريقه وفتى الحقيقه تدرع الصيانه وبرع في الورع والديانه وتماسك عن الدنيا عفافا وماتماسك التماسا بأهلها والتفافا فاعتقل النهى وتنقل في مراتبها حتى استقر فيها في السها وعطل أيام الشباب ومطل فيها سعاد وزينب والرباب الاساعات وقفها على المدام وعطفها الى الندام حتى تخلى عن ذلك واترك وأدرك من المعلومات ما ادرك وتعرى من الشبهات وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات وله تصرف في شتى من الفنون وتقدم في معرفة المفروض والمسنون وأما الادب فلم يجاره في ميدانه أحد ولا استولى على احسانه فيه حصر ولاحد وجده أبو الحجاج الاعلم هو خلده منه ماخلد ومنه تقلد ماتقلد وقد أثبت لابي الفضل هذا مايسقيك ماء الفضل زلالا ويريك سحر البيان حلالا فن ذلك ما كتب به الى وقد مررت على شنت مرية بعد مارحل عنها وانتقل واعتقل من نوانا وبيننا مااعتقل وشنت مرية هذه داره وبها كمل هلاله وابداره وفيها استقضى وشيم مضاؤه وانتضى فالتقينا بها على ظهر وتعاطيناذ كر ذلك الدهر فجددت من شوقه ما كان قد شب عن طوقه فرامني على الاقامه وسامني على ذلك بكل كرامه فأبيت الا النوى وانثنيت عن النوى فودعني ودفع الى تلك القطعة حين شيعني

بشراى أطلعت السعود على * آفاق أنسي بدرها كملا
وكسا أديم الارض منه سنا * فكست بساتطها به حللا
ايه أبانصر وكم زمن * قصراذ كارك عندى الاملا
هل تذكرن والعهد يخجلني * هل تذكرن أيامنا الاولا
أيام نعثر في أعنتنا * ونجر من أبرادنا خيلا
ونحل روض الانس مؤتنقا * ونحل شمس مرادنا الحملا
ونرى ليالينا مساعفة * تدعو رفاقتنا النا الجفلى
زمن نقول على تذكره * ماتم حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم وماعرضت * الا لتمحق كل مافعلا

ووافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا فرأيته مستشرفا متطلعا يرتاد موضعا يقسم به لثغور الانس مرتشفا ولشدبه مرتضعا فحين مقلتي تقلد في اليه واعتقلني وملنا الى روضة قد سندس الربيع في بساطها ودبج الزهر درانك أوساطها وأشعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها فأقمنا بها نتعاطى كؤس أخبار ونتهادى أحاديث جهابذة وأحبار الى أن نثر زعفران العشي وأذهب الانس خوف العالم الوحشي فقمت وقام وعوج الرعب من ألسنتنا ما كان

استقام وقال

وعشية كالسيف الاحدة * بسط الربيع بها لنعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء ويتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض المجود نجوما
وتساقطت فكانها مسترقا دنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترمى الرياح لها نثير أزاهر * فتمده فى شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعه وبرع فى صفته أعظم براعه

ومهفهف ذلق صليب المكسر * سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضره ان كان كعب براعة * وبحكمه اطردت كعوب السمهرى

وله عندما شارف الكهوله واستأنف قطع صرة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم عليه بنانى
فأطعت نصاحى ورب نصيحة * جاوبتها فلججت فى العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى * مرحا وأعثر فى فضول عنانى
وأجل كاسى أن ترى موضوعة * فعلى يدى أو فى يدى ندمانى
أيام أحيا بالغوانى والغنا * وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهم * بغناهم دون من الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يل * فى غيه بصارف الازمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر اليه سليم الاديم كريم القديم كانما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا ووهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال ويتحلى بشيات تقسمات الجمال *وله يصف سرجا برزة جياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب مابين القادمة والآخر كانما قد من الخدود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه *وله فى وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى ثريا السماء فكانه نكال وسائره جمال *وله فى وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخ ينوب كلما استنيب ويصيب *وله فى وصف قميص كافورى الاديم بابلى الرسوم تباشر منه الجسوم ما يباشر الروض من النسيم *وله فى وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعقاله أو وكب استقل به أخواله *وله فى وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى ببعض اختصار

*وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى

أومى لتقبيل البساط خنوعا * فوضعت خدّى فى التراب خضوعا
ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الازيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمنن على بردّه مصدوعا
العبد قد يعصى وأحلف اننى * ماكنت الاسامعا ومطيعا
مولاى يحيى فى حياة كاسمه * وأنا أموت صبابة وولوعا
لاتنكروا غيث الدموع فكل ما * يحمل من جسمى يكون دموعا

والرمادى المذكور عرّف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبدالله الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهى موضع بالمغرب وهو قرطبى كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه فى فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب فى وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبى ويوسف بن هرون على أن فى كون المتنبى من كندة القبيلة كلاما مشهورا وأخذ أبو عمر بن عبد البر عن الرمادى هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تآليفه قال ابن حيان توفى الرمادى سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعيد فى المغرب أن الرمادى اكتسب صناعة الادب من شيخه أبى بكر بن هذيل الكفيف عالم أدباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لاتلمنى على الوقوف بدار * أهلها صيروا السقام ضجيعى
جعلوا لى الى هواهم سبيلا * ثم سدّوا على باب الرجوع

وروى الرمادى عن أبى على كتاب النوادر ومدح أباعلى بقصيدة كما أشرنا اليه فى غير هذا الموضع وقال فى المطمح انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق وومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفى كلتاهما بالبديع يعل وينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه فى الفريقين وابداعه فى الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده ومامنهما الامن اقتدح فى الاحسان زنده وتمادى بأبى عمرو طلق العمر حتى أفرده صاحبه ونديمه وهريق شبابه واستشن أديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وأدركته الفتنة فخاض لجتها وأقام فرقا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها فاقة نهكته وبعدت عنه الافاقة حتى أهلكته وقد أثبت من محاسنه مايعجبك سرده ولا يمكنك نقده فن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس فى هوادجهم * لولا تلألؤها فى ليلهنّ عشوا
شككت محاسنها عينى وقد غدرت * لانها بضمير القلب تختمش
شعر ووجه تبارى فى اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت فى سقمى منها أفى فرشى * منها تنكست الا الطيف والفرش

الى أن قال وكان كلفا بفتى نصرانى استسهل لباس زناره والخلود معه فى ناره وخلع برود لمسوحه وتشرع من صيحه وراح فى بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب

نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمي وكاسي
فيقضي ما أمرت به اجتلابا * لمسروري وزاد خضوع راسي

وله في مثله

ورأيت فوق النحر درّ * عا فاقعا من زعفران
فزجرته لونا سقا * مى بالنوى والزجر شانى
يا من نأى عنى كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعينى الفرقديـ * ـن ولا أراه ولا يرانى
لاقدرت للتأوبة * حتى يؤوب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دا لا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس يا نصير وهات * انّ هذا النهار من حسناتى
بأبى غرة ترى الشخص فيها * فى صفاء أصفى من المرآت
تتزاحم الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يا نصير انا اجتمعنا * بقلوب فى الدين مختلفات
انما نحن فى مجالس لهو * نشرب الراح ثم أنت مواتى
فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهـ * ـو اعتمدنا مواضع الصلوات
لومضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه ذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة وأهلها سدد اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فسجنه الخليفة دهرا وأسكنه من النكبة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألفى موجدته عليه وله فى السجن أشعار صرح فيها ببثه وافصح فيها عن جل الخطب لفقد صبره ونكثه فمن ذلك قوله للك الآمن من شجو يزيد تشوقى ومنها

فوافوا بنا الزهراء فى حال خالع الاعنـ * ـة لاستيفائهم فى التوثق
وحولى من أهل التأدب مأتم * ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو أن فى عينى الحمام كروضها * وان كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندى بمخنق
أعينىّ ان كانت لدمعى فضلة * تثبت صبرى ساعة فتدفقى
فلو ساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنقت دمعى أم من البحر تستقى

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لى بظن محقق
ولكننى فيما زجرت بعقلق * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

فقد كانت الاشعار في مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت سنلتقي
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقي

الى أن قال وله أيضا

على كبرى تهمي السحاب وتذرف * ومن جزعي تبكي الحمام وتهتف
كأن السحاب الواكفات غواسلي * وتلك على فقدي نوائح هتف
الا ظعنت ليلى وبان قطينها * ولكنني باق فلوموا وعنفوا
وآنست في وجه الصباح لبينها * نحولا كأن الصبح مثلي مدنف
واقرب عهد رشفة بلت الحشا * فعاد شتاء باردا وهو صيف
وكانت على خوف فولت كأنها * من الردف في قيد الخلاخل ترسف

وله

قبلته قدام قسيسه * شربت كاسات بتقديسه
يفزع قلبي عند ذكرى له * من فرط شوقي قرع ناقوسه

وسجن معه غلام من أولاد العبيدي فيه مجال وفي نفس متأمله من لوعته أوجال فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها

جليسك ممن أتلف الحب قلبه * ويلذع قلبي حرقة دونها الجمر
هلال وفي غير السماء طلوعه * وريم ولكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامرني السكر * ولا شك في أن العيون هي الخمر
أناطقه كيما يقول وانما * أناطقه عمدا لينتثر الدر
أناعيده وهو المليك كاسمه * فلي منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار * وقال محمد بن هانئ

قد مررنا على مغانيك تلك * فرأينا بها مشابه منك
عارضتنا المها الجوادل سربا * عند أجراعها فلم نسل عنك
لا يرع للمها بذكرك سرب * أشبهتك في الوصف ان لم تكنك
كن عذيري لقد رأيت معاجي * يوم تبكي بالجزع والهي وأبكي
بجنين من ربع وتشك * وأنين من موجع كتشكي

وقال صاحب المطمح في حقه الاديب أبو القاسم محمد بن هانئ ذخر خطير وروض أدب مطير غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون وبهرج باقتنانه فيه كل الفنون وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتتقلد ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد زهت به الاندلس وتاهت وحاست بيدائعه الاشمس وباهت فحسد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق غير أنه نبت بها أكنافها وشمخت عليه آنافها ورثت منه وزويت الخيرات فيها عنه لانه سلك مسلك المعري وتجرد من التدين وعرى وأبدى الغلو وتعدى الحق الجلو فمجته الانفس وأزعجته الاندلس فخرج على غير اختيار وما عرج على هذه الديار الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر ابن الاندلسيه

مأوى تلك الجنسيه فنباهيك من سعد وورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وما قرع فاسترجع عنده شبابه واتجع وبله وربابه وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فأفرط فى مدحه فيه فى الغلو وزاد وقرع عنده تلك المزاد ولم يتورع ولا ثناه ذوورع وله بدائع يتصير فيها ويحار ويخال لرقتها أنها أسحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع فى أغراضه الفرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وما شاء منها اقتاد وقد أبت له ما تحن له الاسماع ولا تتمكن منه الاطماع فمن ذلك قوله

ليلتنا اذ أرسلت واردا وحفا * وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا * بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده * وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا * ولم يبق اعنات التثنى له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ارتجاجة * اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة * أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحى الى كبد هوى * ومن شفة تؤوى الى شفة رشفا

ومنها

كأن السماكين اللذين تراهما * على لبدتيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه * وذا أعزل قد عض أعله لهفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقه * مفارق الف لم يجد بعده الفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا
كأن أخاه حين حوم طائر * اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشربها صرفا
كأن عمود الصبح خاقان معشر * من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر
أبنى العوالى السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير
جيش تعدله الليوث وفوقها * كالغيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها * مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار فى * جمع الهرقل وعزمة الاسكندر

في قبسة صدأ الحديد لباسهم * في عبقري البيض جنة عبقر
وكفاه من حب السماحة أنه * منها بموضع مقلة من محجر

ومنها

نعماؤه من رحمة ولباسه * من جنة وعطاؤه من كوثر

وله أيضا من قصيدة في جعفر بن علي

ألا أيها الوادي المقدس بالندى * وأهل الندى قلبي اليك مشوق
ويا أيها القصر المنيف قبابه * على الزاب لا يسدد اليك طريق
ويا ملك الزاب الرفيع عماده * بقيت لجمع المجد وهو فريق
فلم أنس لا أنس الامير اذا غدا * يروع بخوى ملكه ويروق
فللعود مجرى من صفيحة وجهه * اذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للمجد حتى كأنما * جرت في سجاياه العذاب رحيق
أما وأبي تلك الشمائل انها * دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصبر النفس عنه ودونه * من الارض مغبر الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أوشئت دائما * فليس لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة * فما لمتها الا وأنت حقيق

وله من أخرى

خليلي أين الزاب مني وجعفر * وجنات عدن بنت عنها وكوثر
فقبلي نأى عن جنة الخلد آدم * فما راقه من جانب الارض منظر
لقد سرني أني أمر ببالة * فيخبره عني بذلك مخبر
وقد ساءني أني أراه بلدة * بها منك منه عظيم ومشعر
وقد كان لي منه شفيع مشفع * به يمحص الله الذنوب ويغفر
أفي الناس أفواجا اليك كأنما * من الزاب بيت أو من الزاب محشر
فانك لمن قد رزق الله شمله * ومعشره والاهل أهل ومعشر

فيخبره عني الخ في نسخة ليخبرني عنه الخ اه

وله أيضا

ألا طرقتنا والنجوم ركود * وفي الحي أيقاظ وهن هجود
وقد أعجل الفجر الملمع خطوها * وفي أخريات الليل منه عمود
سرت عاطلا غضبى على الدهر وحده * ولم يدر نحر ما دهاه وجيد
فما برحت الا ومن سلك أدمعي * قلائد في لباتها وعقود
ويا حسنها في يوم نضت سوالفا * تريع الى أترابها وتحيد
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا * وأنا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالي مالهن مواثق * ولا كالغواني مالهن عهود
ولا كالمعز ابن النبي خليفة * له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن رمان

قفا بي فلا مسرى سرينا ولا نسرى * والا نرى مثنى القطا الوارد الكدر ٢
قفا نتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتى الريح طيبة النشر
لعلنا نرى الوادى الذى كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فاواد يسيل بعنبر * والا فما تدرى الركب ولا ندرى
أكل كنيس بالصريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا أنى أسائل عنهم * وهم بين أحناء الجوانح والصدر
وهل علموا أنى أيمم أرضهم * ومالى بها غير التعسف من خبر
ولى سكن تأتى الحوادث دونه * فيبعد عن عينى ويقرب من فكرى
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقى بجام من الخمر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا * فوالعصر انى بعد يحيى لفى خسر
وآليت لا أعطى الزمان مقادتى * على مثل يحيى ثم أغضى على الوتر
حنينى اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك أم سيوف أبيك * وكؤوس خمرك أم مراشف فيك
أجلاد مرهفة وفتك محاجر * لا أنت راحمة ولا أهلوك
يابنت ذى السيف الطويل نجاده * أكذا يجوز الحكم فى ناديك
عيناى أم مغناك موعدنا على * وادى الكرى ألقاك أم واديك

وله أيضا

أحبب بهاتيك القباب قبابا * لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بأيدى البيض أم عنابا
والله لولا أن يعنفنى الهوى * ويقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا أن أغير لمتى * عبثا وألقاكم على غضابا
لخططت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاحثث مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غرابا

ومنها

قد طيب الاقطار طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدن نحو أرض اليك وانما * جئت السماء ففتحت أبوابا
ورأيت حولى وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
أرض وطئت الدر من رضراضها * والمسك تربا والرياض جنابا
ورأيت أجبل أرضها منقادة * فحسبتها مدت اليك رقابا

سد الامام بها الثغور وقبلها * هزم النبي بقومك الاحزابا انتهى

وقال ابن هانئ يصف الاسطول

معطفة الاعناق نحو متونها * كما نبهت أيدى الحواة الافاعيا
اذا ماوردن الماء شوقا لبرده * صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة * ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الاديب أبو عمر أحمد بن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال غدوت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة ظلام الـ * ـدياجي منه سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت النهى جماح شوقى * لاجرى بالعفاف على طباعى
وبت بها مبيت الطفل يظما * فيمنعه الفطام عن الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فاتخذ الرياض من المراعى

وقال

للروض حسن فقف عليه * واصرف عنان الهوى اليه
أما ترى نرجسا نضيرا * يرنو اليه بمقلتيه
نشر حبيبى على رباه * وصفرتى فوق وجنتيه

وقال

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها * ويترك شمل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كأنها * من الاين تمشى ظالع أو مقيد

وقال فى المطمح محرز الخصل مبرز فى كل معنى وفصل متميز بالاحسان منتم الى فئة البيان ذكى الخلد مع قوة العارضه والمنة الناهضه حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهرا الضبط مشهورا لمن انبسط فيه بعض البسط حتى ان أهله لا يتكلمون فيه الا رمزا ولا يخاطبون الا ايماء فلا تسمع لهم ركزا فتكلم فيه خصما له كلاما استطال به عليه لفضل بيانه وطلاقة لسانه ففارق عادة المجلس فى رفض الانفه وخفض الجنة المؤتنفه وهز عطفه وحسر عن ساعده وأشار بيده مادا بها الوجه خصمه خارجا عن حد المجلس ورسمه فهم الاعوان بتقويمه وتثقيفه ووزعهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضى بنفسه وقال له مهلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حقك واقصر عن ادلالك فقال له مهلا يا قاضى أمن المخدرات أنا فاخفض صوتى وأستر يدى واغطى معاصمى لديك أم من الانبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله تعالى الا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى قوله لا تشعرون ولست به ولا كرامة وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل فى القيامة فى موقف الهول الذى لا يعدله مقام ولا يشبهه

انتقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت في منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولا بد في الخصام من افصاح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضي ولم يحر جوابا وكان في الدولة صدرا من أعيانها وناسق درر تبيانها نفق في سوقها وصنف وقرط محاسنها وشنف وله الكتاب الرائق المسمى بالحدائق وأدركه في الدولة سعي وقض له فيها رعي واعتقله الخليفة وأوثقه في مكان أخيه فلم يومض له عفو ولم يشب بكدر حاله صفو حتى قضى معتقلا ونبي للنائبات نعيا مشكلا وله في السجن أشعار كثيره وأقوال مبدعات منيره فمن ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعدما أسهره الوجد وأرقه

بأيهما أنا في الشكر بادي * بشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى وازداد في أملي ولكن * عففت فلم أجد منه مرادي
وما في النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتيادي انتهى

وقال الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن الحداد

يا غائبا خطرات القلب محضره * الصبر بعدك شيء لست أقدره
تركت قلبي وأشواقي تفطره * ودمع عيني وأحداقي تحدره
لو كنت تبصر في تدبير حالتنا * اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تحظو بلذتها * والدهر بعدك لا يصفو تكدره
أخفي اشتياقي وما أطويه من أسف * عن البرية والانفاس تظهره

قال في المطمح هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الا معن أو صمادح فلم يرم مثواهما ولم ينتجع سواهما واقتصر على المزيه واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها يتردد ره في ذلك المنتدى ويرشف أبدا ثغور ذلك الندى مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف وذهابه مذاهب أهل الشرف وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهه ويقلدان كاهله ما شاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ما قذفه من دروه وقاءبه من محاسن غرره فمن ذلك قوله

الى الموت رجعى بعد حين فان أمت * فقد خلدت خلد الزمان مناقبي
وذكراي في الآفاق طيبا كانها * بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففي أي علم لم تبرز سوابقي * وفي أي فن لم تبرز كتائبي

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرز به من عرى الاحسان ما لم ينفصم واستغرقها يكمل بدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذي أوله عج بالحمى حيث الظباء العين فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى * في سلك غيري دري المكنون
والكها تشكو استلاب مطيها * عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لا يدا * فلسان من سرق القريض يمين

وله

ان المدامع والزفير * قد أعلنا ما فى الضمير
فعلام أخفى ظاهراً * سقمى على به ظهير
هب لى الرضا من ساخط * قلبى بساحته الاسير

وله أيضا

أيها الواصل هجرى * أنا فى هجران صبرى
ليت شعرى أى نفع * لك فى ادمان ضرى

وله أيضا

يا مشبه الملك الجعدى تسمية * ومخجل القمر البدرى أنوارا

وله

تطالبنى نفسى بما فيه صونها * فأعصى ويسطو شوقها فأطيعها
ووالله ما يخفى على ضلالها * ولكنها تهوى فلا أستطيعها

وقال

بخافقة القرطين قلبك خافق * وعن خرس القلبين دمعك ناطق
وفى مشرق الصدغين للبدر مغرب * وللفكر حالات وللعين سارق
وبين حصا الياقوت ماء وسامة * مخلاة عنه الظباء السوابق
وحشو قباب الرقم أحوى مقرطق * كما آس روض عطفه والقراطق

انتهى باختصار* وقال الاسعد بن بليطة

برامة ريم زارنى بعد ماشطا * تقنصته بالحلم فى الشط فاشتطا
رعى من أفانين الهوى غير الحشا * جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال لمرقوم غرير برامة * تأوبنى بالرقتين لدى الارطى
فأكسبنى من خدها روضة الجنى * وألدغنى من صدغها حية رقطا
وباتت ذراعاها نجادا لعاتقى * اذا التقتا بالحلى غنى لها لغطا
وسل اختصارى غصنها من مخصر * طواه الضنى طى الطوامير فامتطا
وقد غاب كل الليل فى دمع بحره * الى أن تبدى الصبح فى الليلة الشمطا

ومنها فى وصف الديك

وقام لها ينعى الدجا ذو شقيقة * يدير لنا من عين أجفانه نقطا
اذا صاح أصغى سمعه لاذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا
كأن أنوشروان أعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومن غزلها

غلامية جاءت وقد جعل الدجا * لخاتم فيها فص غاليه خطا
فقلت أحاجيها بما فى جفونها * وما فى الشفاه اللعس من حسنها المعطى

مخمرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
أرى نكهة المسواك في خمرة اللمى * وشاربك الخضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قبلته فاخاله * على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

وقال في المطمح في تحلية الاسعد انه سرد البدائع أحسن السرد واقترس المعاني كالاسد الورد وأبرز درر المحاسن من صدفها . وحاز من فخر الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد وزف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقلص لهم من الحظوة ظل وارف وقد أثبت له ما يعترف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية أمسنا * والمزن يسكبنا بعيني مذنب
والشمس قد مدت أديم شعاعها * في الارض تجنح غير أن لم تغرب

وقوله

وتلذ تعذيبي كانك خلتني * عودا فليس يطيب ما لم يحرق

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون

تظنونني كالعود حقا وانما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار * وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما في المطمح من فحول الشعراء وأعتم الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة أطالت همه وأكثرت كده وغمه

يورق في الليل الذي أنا نائمه * فتجهل ما ألقى وطرفك عالمه
وفي الهودج المرقوم وجه طوى الغشا * عن الحسن فيه الحسن قد حار راقمه
اذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه * يضلهم عن منهج القصد فاحمه
أظلمار أوا تقليده الدر أم زروا * بتلك اللآلي انهن تمائمه

وقال الاديب أبو عبد الله ابن عائشة في فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كنت تهوى خده وهو روضة * به الورد غض والاقاح مفلج
فزد كلفا فيه وفرط صبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحلاه في المطمح بأن قال اشتهر صونا وعفافا ولم بعقيلة حضره زفافا فآثر انقباضا وسكونا واعتمد الهاركونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله فبدا منه في الحال انزواء في تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجمود لا يحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبه جلبت اليه مسرى الظهور ومهبه وكان له أدب واسع المدى يانع كالزهر بلله الندى وتظم مشرق الصفحه عبق النفحه الا أنه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه ما يدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله في ليلة سعدت له بفتى كان يهواه ونفعت له حبه وصل أبدت جواه

لله ليل بات عندي به * طوع يدي من مهجتي في يديه
وبت أسقيه كؤس الطلى * ولم أزل أسهر شوقا اليه
عاطيته حمراء ممزوجة * كأنها تعصر من وجنتيه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير الاجل أبي بكر بن عبد العزيز وهي من أبدع منازل الدنيا وقد مدت عليها أدواحها الافيا وأهدت اليها أزهارها العرف والريا والنهر قد غص بمائه والروض قد خص بمثل أنجم سمائه وكانت لبني عبد العزيز فيها أطراب تهيأ لهم فيها من الايام آراب فلبسوا فيها الانس حتى أبلوه ونشروا فيها الحظ وطووه أيام كانوا بذلك الافق طلوعا لم تضم عليهم النوب ضلوعا فقعد أبو عبد الله مع لمة من الادباء تحت دوحة من أدواحها فهبت ريح أنس من أرواحها سطت باعصارها وأسقطت لؤلؤها على باسم أزهارها فقال

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وكان في زمان عطلته ووقت اصفراره وعلته ومقاساته من العيش أنكده ومن التخوف أجهده كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ويستطيب تلك الريح ويجول في أجارع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها فانها صحيحة الهواء قليلة الادواء خضلة العشب والازاهر قد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور والايك قد نشرت ذوائبها على صفحته والروض قد عطر جوانبه بريحه وأبو اسحق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع انسه تفح له بالمنى عبق وشذا ومسح عن عيون مسراته القذى وغدا على ما كان وراح وجرى متى افتتا في ميدان ذلك المراح قريب عهد بالفطام ودهره ينقاد في خطام فلما اشتعل رأسه شيبا وزرت عليه الكهول جيبا أقصر عن تلك الهنات واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق واقصر عن الهوى والشوق وقنع بادنى تحيه ومايستشعره في وصف تلك العهاد من أريحيه فقال

الا خلياني والاسى والقوافيا * أرددها شجوى واجهش باكيا
أآمن شخصا للمسرة باديا * وأندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالي فكرة * قدحت بها زندا وما زلت واريا
وقد بان حلو العيش الا تعلة * تحدثني عنها الاماني خاليا
ويا برد هذا الماء هل منك قطرة * فهل فأستسقي غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى وأهلها * ليال وأيام تخال كما الليا ليا
فقل في كبير عاده صائد الظبا * اليهن مشتاقا وقد كان ساليا
فيارا كبا يستعمل الخطو قاصدا * ألا عج بشقر رائحا أو مغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقما * وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لأثيلات هنالك وأجرع * سقيت أثيلات وحييت واديا

انتهى

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة أشهر من أن يطال في أمره وليس الخبر كالعيان * وقال ابو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبي خالد اللخمي الاشبيلي الكاتب في فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم * ذخرت عطاءه لخير معظم
تبعا لمذخور الفتوح فانه * جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنال اذا انتمت * رفعت الى اليرموك صوت المنتمي
وتوسطت في النهروان بنسبة * كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار في تحفة القادم هو صدر في نبهائها وأدبائها يعني اشبيلية ومن له قدر في منجبيها ونجبائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبي خالد وتوفي بها سنة ٦١٢ وأورد له قوله

وبالجواري المنشآت وحسنها * طوائر بين الماء والجو عوّما
اذا نشرت في الجو أجنحة لها * رأيت به روضا ونورا مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا * غدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيات مدّت رؤسها * على وجل في الماء كي تروى الظما
كما أسرعت عدّا أنامل حاسب * بقبض وبسط يسبق العين والفما
هي الهدب في أجفان أكحل اوطف * فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد في هذا الوصف وان نظر الى قول أبي عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

هام صرف الردى بهام الاعادى * ان سمت نحوهم لها أجياد
وتراءت بشرعها كعيون * دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حاك * هدب باك لدمعه اسعاد
حسم فوقها من البيض نار * كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط في يدي كل درّ * ألف خطها على الصاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيدة أنشدنيه

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان على بن محمد الايادي التونسي في قوله

شرعوا جوانبها مجاذف اتعبت * شأو الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا * طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه * ليل يقرّب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة * تختال في عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم * ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها * طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره * في كل لج زاخر متغالب
يسمو بآخوذي الهواء منصب * عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة * لو رام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مقعد * للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم * ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواحم بينهم فتقاذفوا * منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى * من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كانه * صبح يكر على ظلام غيهب

ومن اولها

اعجب بأسطول الامام محمد * وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج أحسن منظر * يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت * اشراف صدر الاجدل المتنصب

ومنها

جوفاء تحمل موكبا في جوفها * يوم الرهان وتستقل بموكب

وهي طويلة من غرر القصائد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره * وقال أبو عمر القسطلي

وحال الموج بين بني سبيل * يطير بهم الى الصوب ابن ماء
أغر له جناح من صباح * يرفرف فوق جنح من سماء

واخذه أبو اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاما * يطير من الصباح بها جناح
اذا الماء اطمأن ورق خصرا * علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه * وأتلع جيده الاجل المتاح

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة فالله تعالى يرحم قائلها * وقال ابن الابار وقد قلت أنا في ذلك

يا حبذا من بنات الماء سابحة * تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة الحمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل ادهم لا يلفى به جرب * فالراكبه بالقار يهنؤه
يدعى غرابا وللفتخاء سرعته * وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن بن الفضل الاديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم وما كان عليه من القصور والبعد عما اتيح له وأوثر به فقال أبو الحجاج ليس فيه من أبي موسى شبه فقال أبو الحسن فأبوه فضة وهو شبه فقال ابن أبي خالد

كم دعاه اذ رآه عزة * وأباه اذ دعاه يا أبه انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهمة لوجرى فى الخيل أكبرها * لغابت الريح فى الاجبال والغرر
تجرى فلما ساقها عام درب * وللرياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

ياحسنها يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت ايكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا * أسماؤها فتصحفت فى المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهى صوامت * وزحفن زحف مواكب فى مأزق
ومجاذف تحكى أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير متأق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فما ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله * وقال عبيد الله بن جعفر الاشبيلى وقد زار صاحبا له مرات ولم يزره هو فكتب على بابه

يامن يزار على بعد المحل ولا * يزورنا مرة من بين مرات
زر من يزورك واحذر قول عاذلة * تقول عنك فتى يؤتى ولا ياتى

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الامانى * ولو حكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلم لى على طول التجنى * وأمكننى على فرط التعاطى
فأولجت المقادر جيد بكر * ولا كفران فى سم الخياط
وغنانى بصوت من حشاه * فأطربنى وبالغ فى نشاطى
فما نقر المثالث والمثانى * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشئ * على عدم اهتبالى واحتياطى
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن على بن جحدر الزجال

كيف أصبحت أيها ذا الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجانى على منك القلوب

ان تلح حومت عليك هياما * أوتغب حنها عليك الوجيب
غيرانى من بينهم مستريب * حين تبدو وليس لى ماريب
كل ماقد ألقاه منك ومنى * دون هذا له تشق الجيوب

وقال أحمد المعروف بالكساد فى موسى الذى كان يتغزل فيه شعراء اشبيلية

مالموسى قد خرّ لله لما * فاض نورا غشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

ولله درّه فى رثاء موسى المذكور اذ قال

فرّ الى الجنة حورها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى الى بعض

وقوله فيه

هتف الناعى بشجو الابد * اذنعى موسى بن عبد الصمد
ماعليهم ويحهم لودفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولقب بالكساد لقوله ويبيع الشعر فى سوق الكساد * وقال أبو القاسم بن أبى طالب الحضرمى المنيشى

صاغت يمين الرياح محكمة * فى نهر واضح الاسارير
فكلما ضاعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

وقال أبو زيد عبد الرحمن العثمانى وهو من بيت امارة

لاتسلنى عن حالتى فهى هذى * مثل حالى لاكنت يامن يرانى
ملنى الاهل والاخلاء لما * أن جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبربى ولايغرّك دهر * ليس منه ذو غبطة فى أمان

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد الاوكشى

لاحبذا المال والافضال يتلفه * والبخل يحميه والاقدار تعطيه

وقال

لاتبكين لاخوان تفارقهم * فاننى قبلك استخبرت اخوانى
فماحمدتهم فى حال قربهم * فكيف فى حال ابعاد وهجران

وقال أبو عمران موسى الطريانى لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى صورة مدينة فأعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينة مسوّره * تحار فيها السحره
لم تبن فيها الايدا * عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره
وما لها مفاتح * الا البنان العشره

وقال أبو عمرو بن حكم

حاشا لمن أملكم أن يخيب * وينثنى نحو العدا مستريب
هذا وكم أقرأنى بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن على بن الجعدى القرمونى

اياك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن على بن ليال فى مجبرة عناب محلاة بفضة

منعلة بالهلال ملجمة * بالنسر مجدولة من الشفق
كأنما حبرها يمسح فى * فرضتها سائلا من الغسق
فأنت مهما تردتشبهها * فى كل حال فانظر الى الافق

وقال فى مجبرة أبنوس

وخديمة للعلم فى أحشائها * كلف بجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال أبو العباس أحمد بن شكيل الشريشى

تفاحة بت بها الليلة * أبثها سرى والشكوى
أضمها معتنقا لانها * اذا ذكرت خدّ من أهوى

وقال

تفاحة حامضة عضها * فى قبل من قطب الوجها
ولم أخل من قبلها محسنا * يجرى عليه العض والنجها

وقال ابو جعفر أحمد الشريشى

على حسن نور الباقلاء أدرهما * على الصب كاسى خمرة وجفون
يذكرنى بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ماترون وانما * كميت الصبا الماجرى عاد أشهبا

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذى الوزارتين أبى مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

فى ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبرى اذا فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عذرا الى المجد عنى حين فارقنى * ذاك الجلال فأعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبى وأقعدنى * ما كان أودعنى عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * وأطوادرواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن أبى بكر بن عبد العزيز

نديمي لاعدمتك من نديم * أدرها في دجى الليل البهيم
لخير الانس أنس تحت ستر * يصان عن السفيه أو الحليم

وقال الثائر أبو عبد الله الجزيري

في أتم رأسي سر * يبدو لكم بعد حين
لابلغن مرادي * ان كان سعدي معيني
أولا فاكتب ممن * سعى لاظهار دين

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا وتوسعوا في الرفاهية وأهملوا حق الرعية جعل يتستر وقال هذه الابيات وشاع سره في مدة ناصر بني عبد المؤمن فطلبه ففر ولم يزل ينتقل مستخفيا مع أصحابه الى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة فبينماهو ذات يوم في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ أنكر ذلك رجل من العامة وقال لهم ما تتقون الله تعالى تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزؤا به وأهل تلك الجهة لا تحتمل شيأ من ذلك فصاح بقية من العامة فاجتمع جمع وحملوا الى الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان * ولما عتب المنصور بن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري وسجنه في الزاهرة ثم صفح عنه قال وكتب به اليه

عجبت من عفو أبي عامر * لابد أن تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

فاستحسن ذلك وأعاده الى حاله * وقال على لسان بهار العامرية وهو النرجس

حدق الحسان تقر لي وتغار * وتضل في وصفي النهى وتحار
طلعت على قضبي عيون تمائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
واخص شئ بي اذا شبهته * درر تمنطق سلكه دينار
انا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه
بمشابه الشعر الاحم أعاره القمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جعد النجيع من الطلى * في صارم المنصور يوم قراعه
فحكاه غير مخالف في لونه * لافي روائحه وطيب طباعه

وقال في القمر حين جعل يختفي بالسحاب ويبدو أمام المنصور

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيظهر ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

وقال الحجاري في المسهب سألت أبا الحسن علي بن حفص الجزيري أن ينشد شيأ من شعره فقال يا أبا محمد اذا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور في أيامكم أثر * الا الذى في عيون الغيد من حور

قالاولى له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فلق غلاما قد كدر رونق حسنه السفر وأثر في وجهه كآثار الكلف في القمر فصافحه ثم قال

بأبى الذى صافحته فتوردت * وجناته وأناه نحوى قده

قمر بدا كلف السرى في خده * لما توالى في الترحل جهده

لكن معالم حسنه تمت كما * قد تم في صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظنا هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختبار

وانتظر ويحك نقد الليل فيه والنهار

أنا جربت فلم أكشف صديقا باختيارى

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتنى موقف العشاق

يا حسنها والريح يلحف بعضها * بعضا كاعناق الى أعناق

والورد نذ والاقاحى مبسم * وغدا البهار ينوب عن أحداق

لم أنفصل عنها بكاس مدامة * حتى حمت محاسن الاخلاق

ولما كتب أبو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد أبى العباس أحمد بن بلال يستدعيه ليوم أنس بقوله

أبا العباس لو أبصرت حولى * ندامى بادروا العيش الهنيا

يحيون المدام ولا انتقاد * وقارهم ويزدادون غيا

وهم مع ما بدا لك من عفاف * يحبون الصبية والصبيا

ويهوون المثالث والمثانى * وشرب الراح صبحا أو عشيا

على الروض الذى يهدى لطرف * وأنف منظرا بهجا وريا

فلا تلم السرى على ارتياح * حكى طربا بجانبه سريا

وبادر نحو نادما خلا من * ندامى فقد عهدتك لوذعيا

أجابه بقوله

أبيت سوى المعالى يا عليا * فما تنفك دهرك أريحيا

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسرى للمكارم مشرفيا

وترتاح ارتياحا بالمثانى * وتفتض الصبية والصبيا

وتهوى الروض قلده نداه * وألبسه مع الحلل الحليا

وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليج فميت حيا

تذكرنى الشباب فلست أدرى * أصبحا حين تذكر أم عشيا

فلو أدركتنى والغصن غض * لادركت الذى تهوى لديا

ولم أترك وحقك قدر لحظ * وقد نادينني ذاك التدبا

وقال بعض أهل الاندلس

وفرع كان يوعدني بأسر * وكان القلب ليس له قرار

فنادى وجهه لا خوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين أن قائلهما أندلسي غير أني رأيت في كلام بعض الافاضل نسبتهما لاهل الاندلس والله تعالى أعلم * وقال أبو الوليد القسطلي

وفوق الدوحة الغناء غدير * تلألأ صفحة وصفا قرارا

اذا ما انصب أزرق مستقيما * تدور في البحيرة فاستدارا

يجرده فم الانبوب صلتا * حساما ثم يفلته سوارا

ولابي كثير الطريفي يمدح الناصر بن المنصور

فتوح لها يهتز شرق ومغرب * كما طردت في السمهرية أكعب

تجلت على الدنيا شموس منيرة * فلم يبق في ليل الكآبة غيهب

أقام بها الاسلام شدو مغرد * وظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب

فلا سمع الا وهو قد مال نحوها * ولا قلب الا في مناها يقلب

وقال ابو عامر بن الجد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها * قطعتها بوصال اللثم والقبل

نعمت فيها بأوتار تعللني * أحلى من المن أو امنية الغزل

أحبب الي بها اذ كلها سحر * أراحت الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشبلي كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن أبي حفص

مذ الي الكاس من لحظه * لا يحوج الشرب الى الكاس

ومنذ حياني بآس فلم * أيأس ولكن كان لي آسي

وقال لولا الناس قبلته * ما أشأم الناس على الناس

وقال أبو بكر محمد بن المليح وهو من رجال الذخيرة على لسان خال سوار مذهب

أنا من الفضة البيضاء خالصة * لكن دهتني خطوب غيرت جسدي

علقت غصنا على أحوى فأجسدني * يرى الوشاح وهذى صفرة الجسد

وما أحسن قوله من قصيدة في المعتضد والد المعتمد

غرته الشمس والحمايده * بينهما للنجيع قوس قزح

واما ابنه أبو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل اول أمره بالزهد وكتب التصوف فقال له أبوه يا بني هذا الامر ينبغي أن يكون آخر العمر وأما الآن فينبغي أن تعاشر الادباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الادب فلما عاشرهم وزينوا له الراح فتهتك في الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامرأة لا تليق بحاله وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه أبوه

يا سخنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لي بنيا

أبكيت عيني أطلت حزني * أمت ذكري وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنى ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشر جئ اليا
فاليوم أبكيك ملء عيني * ان كان يغني البكاء شيا

فأجاب أباه بقوله

يا لائم الصب في التصابي * ماعنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل ونيتها اليا
وقلت هذا قصير عمر * فاربح من الدهر ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشبلي يستدعي

فديتك باكر نحو قبة روضة * تسيح بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها * ونحن لديها في انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محله * صدودك عمن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو أبو الحسن علي بن السيد

يارب ليل قد هتكت حجابه * بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر طالع * فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مسرب
والليل منهزم يطير غرابه * والصبح يطرده ببازأشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبي الامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه وينادمه بقصيدته التي أولها

أناشاعر الدنيا وأنت أميرها * فمالي لايسري الي سرورها

اشار الامير الى مضحك له كان حاضرا أن يخبق له القول أ ناشاعر الدنيا فقال له ابن الروح على من خبقت يعني انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أناشاعر الدنيا أو لقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل * وقال أبو بكر بن المخل الشلبي

كم ليلة دارت علي كواكب * للخمر تطلع ثم تغرب في فمي
قبلتها في كف من يسعى بها * وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسن بنانه مع كاسه * غيم يشير لنا ببعض الانجم

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار

قرأت كتابك مستشفعا * بوجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتاب * قرأت الشفاعة في خده

وقال

غزا القلوب غزال * جنت اليه العيون
قد خط في الخد نونا * وآخر الحسن نون

قال الحجاري وأكثار ابن عمار في المعذرين واحسانه فيهم يدلك على انه كما قيل عنه كان مشغوفا بالكاس والاستلقاء من غير نعاس * وكان أبو الفضل بن الاعلم من أجل الناس وأذكاهم في علم الادب والنحو وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحي فقال ابن صارة فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول في ضحضاح
ماخده جرحته عيني انما * صبغت غلالته دماء جراحي
لله زاي زبرجد في عسجد * في جوهر في كوثر في راح
ذي طرة سجية ذي غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البريء ولحظه * أبدا شريك الموت في الارواح

وقال الرمادي

ونور غيث مسبل * وقهوة تسلسل
تدور بين فتية * بخلقهم تمثل
والافق من سحابه * طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة * برادة تغربل

وقال

بدر بدا يحمل شمسا بدت * وحدها في الحسن من حده
تغرب في فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع في خده

ومن نظم أبي الفضل بن الاعلم السابق الذكر

وعشية كالسيف الا حده * بسط الربيع بها لنعلي خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جما وحده

وهو جعفر ابن الوزير أبي بكر محمد ابن الاستاذ الاعلم من رجال القلائد والمسهب وسمط الجمان وكان قاضي شنترية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه ابو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه يخاطب المعتمد ابن عباد

قوله وهو شارح في نسخة شاعر اه

يامن تملكني بالقول والعمل * ومبلغي في الذي أملته أملي
كيف الثناء وقد أعجزتني نعما * مالي بشكري عليها الدهر من قبل
رفعت للجود أعلاما مشهرة * فبابك الدهر منها عامر السبل

وقال أبو علي ادريس بن اليمان العبدري

قبلة كانت على دهش * اذهبت ما بى من العطش
ولها فى القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتنى والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدا * درهم فى كف مرتعش

وسأله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التى مدح بها ابن حمود فقال له أشعارى مشهورة وبنات صدرى كريمة فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبى عمرو بن طيفور والحافظ ابى الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافى * والمعانى والعروض

وقال فيه ابن طيفور

انما الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهم

وقال أبو عمران بن سعيد أخبرنى والدى انه زار ابن حمدين بقرطبة فى مدة يحيى بن غانية فوجدته فى حالة من العلماء والادباء فقام وتلقانى ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأنى أخشى التثقيل وأعلم أن سيدى مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنتم وانا طلبت لقاءنا * ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هى جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدى عندى أحب الى وان ترتبت على فيه الملامة من منازعته منتصرا لحقى فاستحسن جوابى وقال لى كرره فانه والله ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لى وما تكتب فيهما فقلت لاجد ما أخبر به والدى اذا أبت اليه فأملاهما على فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت انهما له وقنعت بذلك * وقال الحجارى صاحب المسهب فى أخبار المغرب

كم بت من أسر السهاد بليلة * ناديت فيها هل لجنحك آخر
اذ قام هذا الصبح يظهر ملة * حكمت بأن ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهى المغرب تقتضى أن يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى الى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنتمرى المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك ابقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو

ابن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم انك تقول بالفتح والكسر والذى ذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لى أبقاك الله تعالى ماتعتقد فيه والى أى كتاب تسند القولين لاقف على صحة من ذلك فأجابه وصل الى أدام الله تعالى توفيقك هذا السؤال العزيز ووقفت على ما تضمنه والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته والذى أحفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب الا أنى لا أسند ذلك الى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب البارع أو غيره معلقا فى عدة نسخ من كتاب البيان والتبيين على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو

حصر مسهب جرى جبان * خير عى الرجال عى السكوت

والمعلقة تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال أبو على أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا أكثر فى غير صواب وأسهب فهو مسهب بالكسر اذا أكثر وأصاب قال ابو عبيدة أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر من خرف وتلف ذهن وقال أبو عبيد عن الاصمعى أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف وأهتر فان أكثر من الخطا قيل أفند فهو مفند انتهت المعلقة فرأى مملوكك أيدك الله تعالى واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ألا ترى الى قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال خير عى الرجال عى السكوت والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعنى الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لانه من الثرثرة والهذر ألا تراهم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار وقال الشاعر

فلا تمارون ان ماروا باكثار فهذا ما عندى والله تعالى الموفق للصواب قال الاعلم ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه * على الملك المجتبى المتخل
سلام امرئ ظل من سيبه * خصيب الجناب رحيب المحل
أتانى سؤالك أعزز به * سؤال مبرّ على من سال
يسائل عن حالتى مسهب * ومسهب المبتلى بالعلل
لما اختلفا فى بنائيهما * وحكمهما واحد فى فعل
أتى ذا على مفعل لم يعل * وذا على مفعل قد أعل
فقلت مقالا على صدقه * شهيد من العقل لا يستزل
بناء البليغ أتى سالما * سلامته من فضول الخطل

وأسهب ذا السيئات فزل * ذليلا ثنى متنه فانخذل
وأحسن ذا الجرى وصفه * على سنن المحسن المستقل
فهذا مقالى مستبصرا * ولست كمن قال حدسا فضل
تقلدت فى رأيه مذهبا * يخصك بين الظبا والاسل
سمولك فى الروع مستشرفا * الى مهجة المستميت البطل
كأنك فيها هلال السما * يزيد بهاء اذا ما أهل
بل أنت مطل كبدر السما * يضئ الظلام اذا ما أطل انتهى

قلت رأيت فى بعض الحواشى الاندلسية أن ابن السكيت ذكر فى بعض كتبه فى بعض ماجعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائى أو الفراء والقضاء بينهم فيها وهى ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائى والفراء وعن كتابه الجارى بين الناس هل هو أول كتاب أو أنشأ بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائى أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف فى ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فيما يروى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو اياها فأجاب سيبويه بعد أن أطرق شيأ فاذا هو اياها فى بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذا هو هى ففيها من الاختلاف عنهم ماترى فان كان أجاب باذا هو هى فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه فى جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا فى المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أى مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير للزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا الوجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى فى المسئلة أن الكسائى أو الفراء قال لسيبويه بعد أن أجاب برفع الضميرين على ماتوجبه القياس كيف تقول يابصرى خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائى أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب فى الخبر مع النكرة والمعرفة فتأول الكسائى والفراء فى اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر فى النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكانه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة وقولهما فى هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول فى الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق

المفاجأة بزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول قائما أى خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال وقوله فى المسئلة اياها لا يتم الكلام فى الاسم الاول دونها ألا ترى انك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام أولا ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وانما المفاجأة للضمير الآخر فلا بد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع فى الخبر لان الظرف له لا للمخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى فى غلطهما أن اياها معرفة والحال لا تكون الا نكرة فقد اجتمع فى قولهما أن أنيا بحال لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطؤهما واصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط وأما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لا غير فباطل وكيف ينسب اليه وهو علمنا أن الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام ونظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول فى الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لا يكون مستقرا للاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة اذا كانت للخبر لم يكن الامر نوعا معرفة كان أو نكرة فاذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال فجرى قولك ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد قائم وقائما فى جواز الرفع والنصب مجرى فى الدار زيد جالس وجالسا فتأمل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين وأما نصب الخبر المعرفة بعد اذا تم الكلام أو لم يتم فباطل لا تقوله العرب ولا يجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى أجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول لما قدمت جوابه والخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع أولى وأحق الا انه آثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفى دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلى فجوابه عندى وجهان حسنان أحدهما أن يكون الضمير المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور فكانه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب أى فاذا الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل فكانه قال فاذا الزنبور يلسعها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما أنت شرب الابل أى انما أنت تشرب شرب الابل فاختزل الفعل وبقى عمله فى المصدر ولم يرفع لانه غير الاسم الاول فلو أضمرت شرب الابل لاتصل الضمير بالفعل فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت انما أنت اياه فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الآخر أن يكون قوله فاذا هو اياها محمولا على

قوله نصب الخبر الخ هكذا فى الاصل ولا تخلو هذه العبارة عن تأمل لما يظهر فيها من النقص فى اولها وشبه التضارب فى الاول والآخر ولينأمل وفوق كل ذى علم عليم اه مصححه

المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل فى تأليف المسئلة ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فلما السعى الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أولا ودلت عليه اذا لما فيها من المفاجأة على الفعل الواقع بعدها الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة قولنا فلما اسعى الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول وبقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج فيكون فى حذف الخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذى هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو فى المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجئ بعده من الخبر الذى هو اياها فافهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن فى الحذف واستعمال العرب النظائر وهى أكثر من أن تحصى فمنها قولهم ما أغفله عنك شيأ أى تثبت شيأ ودع الشك وقولهم لمن ٢
أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أى من أنت تذكر زيدا وربما قالوا من أنت زيد بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدأ أخرى وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا لعلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول فى المسئلة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز فى المسئلة أن تقول فاذا هى هو على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه وتكون هى كناية عن اللسعة على تقدير فاذا اللسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هى هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا اللسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز فى المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هى هى على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفى هذا كفاية ان شاء الله تعالى * وأما نسب سيبويه ففارسى مولى لبنى الحرث بن كعب بن علة بن خالدة بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذى شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية

رائحة التفاح وكان من أطيب الناس رائحة وأجلهم وجها وقيل معنى سى ثلاثون ومعنى بويه رائحة فكان معناه الذى ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة * وأما سبب تعويله على الخليل فى طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة بضم العين فقال له حماد اخطأت انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيضاء من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده ومنشؤه بها ليكتب الحديث ورويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملى على حماد قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى الا من لو شئت لاخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت يا سيبويه فقال سيبويه سأطلب علما لا تلحننى فيه فلزم الخليل وبرع فى العلم * وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائى والفراء فلما كانا عليه من تمكن الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه لانه كان أعلم أهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب فوفد على يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ما ذهب اليه من مناظرة الكسائى فسعوا له فى ذلك وأوصلوه الى الرشيد فجرى بينه وبين الكسائى والفراء ما ذكروا واشتهر وكان آخر أمره أن الكسائى وأصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب ما لقنوا وأن قال يحيى بن خالد أو الكسائى للرشيد يا أمير المؤمنين ان رأيت أن لا يرجع خائبا فعلت فأمر له بعشرة آلاف درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة وأقام هنالك مدة الى أن مات كمدا ويروى انه ذربت معدته فمات فيرون انه مات غما ويروى أن الكسائى لما بلغه موته قال للرشيد ده يا أمير المؤمنين فانى أخاف أن أكون شاركت فى دمه ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال

أخيين كانا فرق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

ومات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى * وأما كتابه الجارى بين الناس فلم يصح انه أنشأه بعد كتاب آخر قبله على أن ذلك قد ذكر فهذا ما حضر فيما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املاء يوم الثلاثاء عشى النهار لثمان خلون لصفر سنة ٤٧٦ انتهى * وقال الالبيرى رحمه الله تعالى

لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا بجمع المال
لا خير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسأل عنه أى سؤال

وكان أبو الفضل بن الاعلم من أحسن الناس وجها وأذكاهم فى علم النحو والادب وأقرأ النحو فى صباه وفيه يقول ابن صارة الاندلسى رحمه الله تعالى

أكرم بجعفر اللبيب فانه * ما زال يوضح مشكل الايضاح

قوله على أن الخ هكذا فى الاصل وانظر ما موقع ذلك هنا ولعل فيه تحريفا * والاصل على ان ذلك لما ذكر وليحرر اه مصححه

ه قوله سنة ٤٧٦ فى نسخة سنة ٦٤٤ وليحرر اه

قوله وكان ابو الفضل الخ تقدم له ذلك قريبا مع الابيات فهو محض تكرار اه مصححه

ماء الجمال بوجهه مترقرق • فالعين منه تجول في ضحضاح
ما خدّه بجراحه عيني اغا • صبغت غلالته دماء جراحي
قد زان زبرجد في صعجد • في جوهر في ككوثر في راح
ذي طرّة سجية ذي غرّة • عاجية كالليل والاصباح
وشأله خد البرى • ولحظه • أبدا شريك الموت في الارواح
وقال محمد بن هانئ الاندلسي من قصيدة
السافرات كأنهن كواكب • والناعمات كأنهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لوانها • عن لابسيها في الخدود تبين
لاعطشنّ الروض بعدهم ولا • يرويه لي دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر • وأخونهم انى اذن لخؤون
لا الجو جو مشرق وان اكتسى • زهوا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن اذ العبير له ثرى • والبان روح والشموس قطين
الظل لا متنقل والحوض لا • متكدر والامن لا ممنون
وقال القسطلي في أسطول أنشأه المنصور بن أبي عامر من قصيدة
تحمل منه البحر بحرا من القنا • يروع بها أمواجه ويهول
بكل ممالات الشراع كأنها • وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت • خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وفت • أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء سمام ما لهن مفاحص • وورق حمام ما لهن هديل
سواكن في أوطانهن كأن سما • بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى • غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم مالها • بما حملت دون العداة مقيل
وقد أطنب الناس في وصف السفن وأطابوا وفرطوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك في هذا الكتاب • وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي حدثني بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوي كان في حانوت وراق بتونس وهنالك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خده مشيرا وقال أين الشعراء تحريكا للجراوي فقال ارتجالا
وعلوى الجمال اذا تبدى • أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا • ويحكي لون عاشقه اصفرارا
قال أبو بحر ثم سألني أن أقول في هذا المعنى فقلت بديها
أومى الى خده بسوسنة • صفراء صيغت من وجنتي عبده
لم ترعيني من قبله غصنا • سوسنه نابت ازاء ورده
أعملت زجرى فقلت ربما • قرب خد المشوق من خده

فحدثنى المذكور انه اجتمع مع أبى بكر بن مجبر رحمه الله تعالى قبل اجتماعه بى فى ذلك الموضع الذى اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثنى وسأله أن يقول فى تلك الحال فقال بديها

بى رشأ وسنان مهما انثنى * حار قضيب البان فى قده
مذولى الحسن وسلطانه * صارت قلوب الناس من جنده
أودع فى وجنته زهرة * كأنها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله * أنى أرى خدى على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الاخير قال أبو بحر ثم قلت فى تلك الحال

أبرز من وجنته وردة * أودعها سوسنة صفرا
وانما صورته آية * ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم فى الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غذاه نمير الماء فى كل بستان
تطلع فى أقماعه فكأنه * قلوب نعاج فى مخاليب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها فى وصف دمشق

اذا رحلت عروبة عن حماها * تأوه كل أواه حليم
الى سبت حكى فرعون موسى * يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أملود قويم * يميس بكل ثعبان عظيم
اذا انسابت أراقمها عليها * تذكرنا بها ليل السليم
وشاهدنا بها فى كل حين * حبالا ألقيت نحو الكليم

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا فى وسيم عض وردة ثم رمى بها وسئل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف فى * بردى جمال طرزا بالتيه
سوسان أنمله تناول وردة * فغدا يمزقها أقاحى فيه
فكأننى شبهت وجنته بها * فرمى بها غضبا على التشبيه

وقال أيضا فيمن عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المحاسن باسم * اذا قام الاسياف ناظره قهر
تعمد كلب عض وجنته التى * هى الورد ايناعا وأبقى بها أثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء فى صفحة القمر

قوله واغيد الخ تقدمت له هذه الابيات وكذلك غيرها فى غير ما موضع كما يظهر ذلك بالتصفح اه

وقال آخر يصف شجة فى خد وسيم

عذيرى من ذى صفحة يوسفية * بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب أتحسن وصفها * فقلت هلال لاح فى شفق الشمس

وقال القاضى أبو الوليد الوقشى فيمن طرّ شاربه

قد بينت فيه الطبيعة أنها * لبديع أفعال المهندس باهره
عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال أبو الحسن بن عيسى

عابوه أسمر ناحلا اذا زرقة * رمدا وظنوا ان ذاك يشينه
جهلوا بأن السمهرى شبيهه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو ذر الخشنى

أنكر صحبى اذ رأوا طرفه * ذا حمرة يشقى بها المغرم
لا تنكروا ما احمر من طرفه * فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خالص الرندى

ياشادنا برز العذار بخده * وازداد حسنا ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جدّبى الهوى * كم بين مختصر وبين مطرّز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافرى

قوله مفوز فى نسخة معون اه

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلا عقد كل عزيمة
خد وخب عيل صبرى منهما * هذا بنمنمة وذا بنميمة

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لا هو
ما الذى قد أنكرت من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
جسمه فى الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو ان حباب علاه

وقال الهيثم

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار
هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا انوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة اعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى الهاد
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

وقال أبو الحسين النقرى

قوله النقرى فى نسخة النفزى اه

بدا يوسفا وشدا معبدا * فللعين ما تشتهى والاذن
كأن بأعلاه قمرية * تغرّد من قده فى غصن

وقال ابن صارة

مقام حرّ بأرض هون * عجز لعمرى من المقيم
سافر فان لم تجد كريما * فمن لئيم الى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبى به قريحا
سخطك قد زادنى سقاما * فابعث الىّ الرضا مسيحا

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافى التى يتحدّى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

ياما لكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل

قد أخمستني منة مثلها * يضيق القول على القائل
وان أكن قصرت في وصفها * لحسنها عن وصفها شاغلي

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما نأت ناى الكرى عن ناظري * ووردته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يجزى بها * فوهبت قلبي واعتذرت اليه

وقال في جارية له كان يحبها وبينما هي تسقيه اذ لمع البرق فارتاعت

يروعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
ياليت شعري وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

ومن توارد الخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الاول وأمره أن يذيله فقال

ولن ترى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة * فثنى بذا الرقيبه لم يشعر
اسراره بتستر واواره * بتصبر وخياله بتوقر

وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها فجرى بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تصف لي بعدو الاقلم * لم أر في عنوانها جوهره
درت بأني عاشق لاسمها * فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت اذا أبصره ثابتا * قبله والله لاأبصره

وقال في هذه الجارية

سرورنا بعدكم ناقص * والعيش لا صاف ولا خالص
والسعد ان طالعنا نجمه * وغبت فهو الآفل الناكص
سمولك بالجوهر مظلومة * مثلك لا يدركه غائص

وقال فيها أيضا

جوهرة عذبني * منك تمادى الغضب
فزفرتي في صعد * وعبرتي في صبب
يا كوكب الحسن الذي * زرى بزهر الشهب
ملكك القلب فلا * ترضى له بالوصب

وقال في جارية اسمها وداد

اشرب بكاس من وداد ودادك * وتانس بذكرها في انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرآه * وسكناه في سواد فؤادك

وقال

لك الله كم أودعت قلبي من أسى * وكم لك ما بين الجوانح من كلم

لحاظك طول الدهر حرب لمهجتى * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمى

وقال

قلت متى ترحمنى * قال ولا طول الابد

قلت فقد أيأستنى * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب له معها

يا من تزينت الريا * سة حين ألبس ثوبها

جاءتك جامدة المدا * م تخذ عليها ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة

مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح

وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضى له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدى الرشيد بن المعتمد فى مجلس انسه فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا القصره بالدوام ولملكه بتراخى الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

قوله سنة ٤٩٣ فى نسخة سنة ٤٨٣ اه

يا دارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته وأمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر على أى حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

بالله نفسى على مالن أفرقه * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما ليست أملك من احدى المصيبات

قال فتلافيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لاهد مبناه * وشمل مأثرة لاشتت الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل السعد مسراه

حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

باس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض أنسه على أنى وقعت فيما وقع فيه الكل لقولى البيت كالبيت وأمر اثر ذلك أبا بكر بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فأيقنا ان هذا التطير يعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت أيامه وتدانى حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يبدأ به فالا وكان المغنى السوسى فأول شعر قاله

نطوى المنازل علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فمات بعد خمسة أيام وكان الغناء من هذا الشعر في خمسة أبيات * وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن

فبح الدهر فماذا اصنعا * كلما أعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادى كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخنا صم وان * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع في نائله * قد أزال اليأس ذاك الطمعا
راح لا يملك الا دعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد باغمات فلما قاربت الصدر وأزمعت السفر صرف حيله واستنفد ما قبله وبعث الى مع شرف الدولة ولده وهو من بنيه أحسن الناس سمتا وأكثرهم صمتا تخجله اللفظه وتجرحه اللحظه حريص على طلب الادب مسارع في اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين غير مخيطين وكتب معها أبياتا منها

اليك النزر من كف الاسير * وان تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وان عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه وأجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق ديني * لئن شقت برودي عن غدوري
ولا كنت الطليق من الرزايا * اذا أصبحت أجحف بالاسير
جذيمة أنت والزباء خانت * وما أنا من يقصر عن قصير
تصرف في الندى حيل المعالى * فتسمح من قليل بالكثير
وأعجب منك أنك في ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعني سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالى * غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وأتبعتها أبياتا منها

حاش لله أن أجيح كريما * يتشكى فقرا وقد سد فقرا
وكفاني كلامك الرطب نيلا * كيف ألقى درا وأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت * لاسقى الله بعدك الارض قطرا

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب أيام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس في السوق يتعلم الصياغة فقال

شكاتنا لك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

وعاد طوقك في دكان قارعة * من بعدما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصواغ أنمله * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيني اليك به * لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى
ما حطك الدهر لما حط عن شرف * ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لح في العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما
واصبر فربتما أحمدت عاقبة * من يلزم الصبر يحمد غب ما لزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
ابكى حديثك حتى الدر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات في حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات في نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فأنشدت في الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات * رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * ويا سراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتى لجادت فيه أبياتى
اناف قبرك في هضب يميزه * فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا * فأنت سلطان أحياء وأموات
ما رىء مثلك في ماض ومعتقدى * أن لا يرى الدهر في حان وفى آت

انتهى

وقد زرت أنا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو وأخبار المعتمد كثيرة
وقال وزيره أبو الوليد بن زيدون

متى أخف الغرام يصفه جسمى * بألسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو أن الثياب نزعن عنى * خفيت خفاء خصرك في الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة أمرك فرض ارا * ه من كل مفترض أوكدا
هى الشرع أصبح دين الضمير * فلو قد عصاك لقد ألحدا

وقال فيه

يا ندى يمنى أبى القاسم عم * يا سنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر أشنب * لحبيب من عجاج العسر

وقال

مهما امتدحت سواك قبلى فانما * مدحى الى مدحى لك استطراد
تغشى الميادين الفوارس حقبة * كيما يعلمها النزال طراد

وقال

يحيى بريحان التحية * ويصبى معتقة السماح
فهما أتاقد غمت من الايادى * اذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب الى أبى عامر يستدعيه

أبا المعالى نحن فى روضة * فانقل الينا القدم العاليه
أنت الذى لوتشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن

لله أيام مضت مأنوسة * ما كان أحسنها وأنضرها معا
لوساعة منها تباع شريتها * ولوانها بيعت بعمرى أجمعا

(رجع) وقال أبو القاسم أسعد من قصيدة فى المعتصم بن صمادح

وقد ذاب كحل الليل فى دمع فجره * الى أن تبدى الليل كاللمة الشمطا
كأن الدجاجيش من الزنج نافذ * وقد أرسل الاصباح فى اثره القبطا

ومنها

اذا سار سار الجود تحت لوائه * فليس يحط المجد الااذا حطا

وقال ابن خلصة المكفوف النحوى من قصيدة

ملك تملك حر المجد لا يده * نالت بظلم ولا مالت الى البخل
مهذب الجد ماضى الحد مضطلع * لما تحمله العلياء من ثقل
أغر لا وعده يخشى له أبدا * خلف ولا رأيه يؤتى من الزلل
قد جاوزت نطق الجوزاء همته * به وما زحلت عن مرتقى زحل
يأبى له أن يحل الذم ساحته * ما صد من جلل أو سد من خلل

ومنها

ان لم تكن بكم حالى مبدلة * فما انتفاعى بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح

عج بالحمى حيث الغياض العين * فعسى تعن لنا المهاة العين
واستقبلن أرج النسيم فدارهم * نسدية الارجاء لا دارين
أفق اذا ما رمت لحظ شموسه * صدتك للنقع المثار دجون
أنى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
انى يصاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون
ذرنى أسر بين الاسرة والظبا * فالقلب فى تلك القباب رهين

يا ربة القرط المعير خفوقه * قلبي أما لحرا كه تسكين
توريد خدك للصبابة مورد * وفتور طرفك للنفوس فتون
فاذا رمقت فوحي حبك منزل * واذا نطقت فانه تلقين

ومنها في وصف قصر

راس بظهر النون الا انه * سام فقبته بحيث النون
هو جنة الدنيا تبوأ نزلها * ملك تملكه التقى والدين
فكانما الرحمن عجل اله * ليرى بما قد كان ما سيكون
وكانت بانيه سمار انما * يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه * شتان ما الاحياء والتحيين

ومنها في المديح

لا تلقى الاحكام حيفا عنده * فكانما الافعال والتنوين

ومنها

وبدا هلال الافق أحنى ناحلا * عهد الصيام كانه العرجون
فكان بين الصوم خطط نحوه * خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم * في صده عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه * يا رب ما علموا مذاقة ثغره

وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الاندلسي

قالوا تدانيت من وداعهم * ولم نر الصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم أنني بغد * أسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دهاك الوداع فاصبر * ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغي الوداع فدعني * عنك في حومة القتال أحامي
خذ جناني عن جنة ولساني * عن سنان وخاطري عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتي الكرا * كما قد نفى عن يدي العدم
فقد قر حبك في خاطري * كما قر في راحتيك الكرم
وفر سلوك عن فكرتي * كما فر عن عرضه كل ذم
فحبي ومفخره باقيا * ن لا يذهبان بطول القدم
فابقى لي الحب خال وجد * وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه * وانى على ريب الزمان لقاسى
وأذعر منه هيبة وهو المنى * كما يذعر المخمور أول كاس

وقال

من لى بطرف كأننى أبدا * منه بغير المدام مخمور
ما أصدق القائلين حين بدا * عاشق هذا الجمال معذور

وقال

أيا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت نور الربيع * فقد صار ينبت شوك القتاد
فهل كنت من عبد شمس فأخشى * عليك ظهور شعار السواد

وقال وما أحكمه

ما عجبى من بائع دينه * بلذة يبلغ فيها هواه
وانما أعجب من خاسر * يبيع أخراه بدنيا سواه

وقال من مخمسة يرثى فيها ابن صمادح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لى بمجبول على ظلم البشر * منصف فى أحكامه جار الحور
مر بنا يسحب أذيال الخفر * ما أحسد الظبى له اذا نفر
وأشبه الغصن به اذا خطر

كافورة قد طرزت بمسك * جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورعى ونسكى * بعد لجاجى فى التقى ومحكى
فاليوم قد صح رجوعى واشتهر

نهيت قدما ناظرى عن نظر * علما بما يجنى ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر * فاليوم قد عاين صدق الخبر
اذ بات وقفا بين دمع وسهر

سقى الحيا عهدا لنا بالطاق * معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانفس والاشواق * أيأس فيه الدهر عن تلاق
وربما ساعد دهر ثم سر

أحسن به مطلعا ما أغربا * قابل من دجلة مرأى معجبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا * حسبته ينشر بردا مذهبا
ينظر فيه جلاء للبصر

يا رب أرض قد خلت قصورها * وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها مزورها * لا يأمل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر

تنتحب الدنيا على ابن معن * كأنها ثكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا أستثنى * أثنى بنعماه ولا أثنى

والروض

والروض لا يشكر معروف المطر

عهدى به والملك فى ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدر التم من أزراره * وتكمن العفة فى ازوراره
ويحضر السؤدد أيان حضر

قل للنوى جد بنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا حدا نحوهما اشتياق * ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذى بردمن الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح
مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح الموج زور

يقتحم الهول بها اغترارا * فى فتية تحسبها سكارى
قد افترش المسد المغارا * حتى اذا اشارفت المنارا
هب كما بل العليل المحتضر

يؤم عدل الملك الرضى * الهاشمى الطاهر النقى
والمجتبى من ضئضئ النبى * من ولد السفاح والمهدى
فخر معد ونزار ومضر

حيث ترى العباس يستسقى به * والشرف الاعظم فى نصابه
والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تختلط الدنيا به
وسيرة الصديق تقضى وعمر

وقال ابن خفاجة فى صفة قوس

عرجاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنها هى حية تنساب
واذا انحت والسهم منها خارج * فهى الهلال انقض منه شهاب

وقال

وعسى الليالى أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن فى النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها فرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبى

سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة فى ذراكا

وقال

اقض على خلك أوساعد * عشت بجد فى العلا صاعد
فقد بكى جفنى دما سائلا * حتى لقد ساعده ساعدى

وقال

وأسود يسبح في بركة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في صفوها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقال

حبابها ونسيمها كنسيمه * فشربته من كفه في ودّه
متساغة فكأنها من ريقه * محمرّة فكأنها من خدّه

قوله فشربته هكذا في الاصل ولعل الاولى فشربتها تأمل اهـ مصححه

وقال

لعمري لو أوضعت في منهج التقى * لكان لنا في كل صالحة نهج
فما يستقيم الامر والملك جائر * وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال يرثي صديقا من أبيات

تيقن أن الله أكرم جيرة * فأزمع عن دار الحياة رحيلا
فان أقفرت منه العيون فانه * تعوّض منها بالقلوب بديلا
ولم أر أنسا قبله عاد وحشة * وبردا على الاكباد عاد غليلا
ومن تلك أيام السرور قصيرة * به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال

تفاوت نجلا أبي جعفر * فمن متعال ومن منسفل
فهذا يمين بها آكله * وهذا شمال بها يغتسل

وقال ابن الرفاء

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا * وفي الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهمت أن الغرب بحر أخوضه * وأن الذي يبدو من الشرق ساحل

وقال ابو محمد بن عبد البر الكاتب

لا تكثرن تأملا * وأمسك عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك

وقال أبو القاسم السميسر

يا آكلا كل ما اشتهاه * وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجني * فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم * أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه بشفاء الامراض في أخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى ومن قوله

خنتم فهنتم وكم أهنتم * زمان كنتم بلا عيون
فأنتم تحت كل تحت * وأنتم دون كل دون
سكنتم بارياح عاد * وكل ريح الى سكون

وقال

يا مشفقا من خمول قوم * ليس لهم عندنا خلاق

ذلوا وباطـــالما أذلوا * دعهـــم يذوقوا الذى أذاقوا

وقال

وليتم فما أحسنتم مذ وليتم * ولاصنتم عمن يصونكم عرضا
وكنتم سماء لا ينال منالها * فصرتم لدى من لا يساقلكم أرضا
ستسترجع الايام ما أقرضتكم * ألا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطى

قد كنت لا أدرى لاية علة * صار البياض لباس كل مصاب
حتى كسانى الدهر سحق ملاءة * بيضاء من شيبى لفقد شبابى
فبذا تبين لى اصابة من رأى * لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصرى

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فـذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى * لانى قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتى لراعك منظرى * ورأيت بى ما يصنع التفريق
ولحال من دمعى وحر تنفسى * بينى وبينك لجـــة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت باربع * له أربعا منها الصبا والشمائل
من الفتح خوان العنان كانه * مع البرق سار أو مع السيل سائل

وقال ابن عبد المجيد البرجى

أريح متن المهند والجواد * فقد زمنا بجدك فى الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالى * فقض براحة حق الهوادى

وقال عبادة

انما الفتح هلال طالع * لاح من أزراره فى فـــلك
خده شمس وليل شعره * من رأى الشمس بدت فى حلك

وقال ابن المطرف المنجم

يرى العواقب فى أثناء فكرته * كان أفكاره بالغيب كهان
لاطرفة منه الا تحتها عمل * كالدهر لا دورة الا لها شان

وقال أبو الحسن بن اليسع

راموا ملامى وكان اغرا * وذم حبى وكان اطرا
لو علم العاذلون ما بى * لانقلبت فيه لامهم را

وقال

لما قدمت وعندى * شطر من الشوق وافى
قدمت قلبى قبلى * فصنه حتى أوافى

ولما خاطب المستنصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله

ماحال عينيك ياعين الزمان فقد * أورثتني حزنا من أجل عينيكا

وليس لي حيلة غير الدعاء فيا * رب برا وي الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ ابو المطرف بن عميرة المخزومي خدمة عن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس

مولاي حالهما والله صالحة * لما سألت فأعلى الله حاليكا

ما كان من سفر أو كان من حضر * حتى تكون الثريا دون نعليكا

وقال الاديب أبو العباس الرصافي وهو من أصحاب أبي حيان

هذا هلال الحسن أطلع بيننا * وجميعنا بجلي محاسنه شغف

لما رأى طل العذار بخده * ماء النعيم أتى اليه ليرتشف

فكان ذا الخد أنكر أمره * فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال

وعشية نعمت بها أرواحنا * والجو قد أخذت هنالك حقها

وكأنما ابريقنا لما جثا * ألقى حديثا للكؤس وقهقها

وقال الامام الحافظ أبو الربيع بن سالم

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فما أعمله

غازل من كاسي حبيبا له * فكلما قبله أخجله

وقال أبو القاسم بن الابرش

رأيت ثلاثة تحكي ثلاثا * اذا ما كنت في التشبيه تنصف

فتجوا النيل منفعة وحسنا * وشنترين مصر وأنت يوسف

وقال في غريق وقيل انه مما تمثل به

الحمد لله على كل حال * قد أطفأ الماء سراج الجمال

أطفأه ما كان محياله * قد يطفئ الزيت ضياء الذبال

وهو القائل

لولم يكن لي آباء أسود بهم * ولم يؤسس رجال الغرب لي شرفا

ولم أنل عند ملك العصر منزلة * لكان في سيبويه الفخر لي وكفى

فكيف علم ومجد قد جمعتهما * وكل مختلق في مثل ذا وقفا

وقال أبو الحسن بن حريق

أصبحت تدمير مصرا كاسمها * وأبو يوسف فيها يوسفا

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلي في بعض الهوزنيين وقد غرق في نهر طلبيرة عند قتحم

ولما رأوا أن لا مقر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرأ منهم

فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثلم السد الحسام المثلم

فيا عجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وقال أبو العباس اللص

قوله ابي حيان في نسخة ابي جنارة اه

قوله أبو القاسم في نسخة باسقاط لفظ أبو اه

وقائلة والضنا شاملي * علام سهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق الفرا * ش حتى خفيت على العوّد
فقلت وكيف أرى نائماً * وراء المنية بالمرصد
ولما قرئ عليه ديوان أبي تمام ومرّ فيه وصف سيف قال أنا أشعر منه حيث أقول
تراه في غداة الغيم شمساً * وفي الظلماء نجماً أو ذبالا
يروعهم معاينة ووهماً * ولو ناموا لروعهم خيالا
وقال أبو اسحق الالبيرى
تزلدانى واحداً بعد واحد * وأعلم انى بعدهم غير خالد
وأحمل موتاهم وأشهد دفنهم * كأنى بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا في علمي لهم وجهالتي * كمستيقظ يرنو بمقلة راقد
قيل ولو قال في البيت الثاني كأني عنهم غائب غير شاهد لكان أحسن وأبدع وأبرع في الصناعة الشعرية قاله ابن الابار رحمه الله تعالى * وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة
اذا خانك الرزق في بلدة * ووافاك من همها ما كثر
ففتاح رزقك في بلدة * سواها فردها تنل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتا * ب مفتاحها أبداً في الطرر
وقال أبو الطاهر اسمعيل الخشني الجيانى المعروف بابن أبي راكب وقيل ان أخاه الاستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك
يقول الناس في مثل * تذكر غائباً تره * فمالي لا أرى سكني * ولا انسى تذكره
وأنشد أبو المعالي الاشبيلي الواعظ بمسجد رحبة القاضي من بلنسية أبياتاً منها
أنا في الغربة أبكي * ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي * من بلادي بمصيب
عجباً لي ولتركي * وطناً فيه حبيبي
وقال أبو القاسم بن الانقر السرقسطي
احفظ لسانك والجوارح كلها * فلكل جارحة عليك لسان
واخزن لسانك ما استطعت فانه * ليث هصور والكلام سنان
وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد مما نسبه لابي وهب الزاهد
قد تخيرت أن أكون مخفاً * ليس لي من مطيهم غير رجلي
فاذا كنت بين ركب فقالوا * قدموا للرحيل قدمت نعلي
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآني فقد رآني ورحلي
وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الانصاري الثغري
كم من قوي قوي في تقلبه * مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف
ومن ضعيف ضعيف الرأي مختبل * كأنه من خليج البحر يغترف
وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب

مضت أعمارنا ومضت سنونا * فلم تظفر بذى ثقة يدان
وجربنا الزمان فلم يفدنا * سوى التخويف من أهل الزمان

وحكى عن الفقيه الاديب النحوى ابى عبد الله محمد بن ميمون الحسينى قال كانت لى فى صبوتى جارية وكنت مغرى بها وكان أبى رحمه الله تعالى يعذلنى فيها ويعرض لى ببيعها لانها كانت تشغلنى عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدنى اغراء بها فرأيت ليلة فى المنام كأن رجلا يأتينى فى زى أهل المشرق كل ثيابه بيض وكان يلقى فى نفسى انه الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان ينشدنى

تصبو الى مى ومى لاتنى * تزهو بيلوائك التى لا تنقضى
وتخارك القوم الالى مامنهم * الا امام أو وصى أو نبى
فاثن عنانك للهدى عن ذى الهوى * وخف الاله عليك ويحك وارعوى

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته فسألت الجارية هل كان لها اسم قبل أن تسمى بالاسم الذى أعرفه فقالت لا ثم عاودتها حتى ذكرت انها كانت تسمى مية فبعتها حينئذ وعلمت انه وعظ وعظنى الله به عز وجل وبشرى * وقال ابن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة

ذهب الناس فانفرادى أنيسى * وكتابى محدثى وجليسى
صاحب قد أمنت منه ملالا * واختلالا وكل خلق بئيس
ليس فى نوعه بحى ولكن * يلتقى الحى منه بالمرموس

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فا الذى أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة انهما لابن شرف وقد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضع * وقال المعتمد بن عباد

اقنع بحظك فى دنياك ما كانا * وعز نفسك ان فارقت أوطانا
فى الله من كل مفقود مضى عوض * فأشعر القلب سلوانا وايمانا
أكلما سنحت ذكرى طربت لها * مجت دموعك فى خديك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد * بزته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره وارقب اثره فرجا * واستغفر الله تغنم منه غفرانا

وقال أبو عامر البريانى فى الصنم الذى بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة * أبدى الثبات بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم * تتابعت بعد سهوه لنا صنما
كالبرد الفرد ما أخطا مشبهه * حقا لقد برد الايام والامما
كأنه واعظ طال الوقوف به * عما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا * أسمى وأوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما لاحسن * وقال السميسر

اذا شئت ابقاء أحوالكا * فلا تجرجاها على بالكا
وكن كالمار بقبر لجنازها * يمر وأنت على حالكا

وقال

هن اذا ما نلت حظا * فأخو العقل يهون
فبقى حطك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مخفل لنفسه

مضت لى ست بعد سبعين حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فياليت شعرى أين أو كيف أومتى * يكون الذى لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لايخدعنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا فى التماس الحق تأييدا
عمى القلوب عروا عن كل فائدة * لانهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا بجهل عظموها * فعزت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك فى الحياة ولاتكن * تبقى عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائى القرطبى على القاضى أبى الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولاتقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لاتلمنى لان سبقت لحظ * فات ادراكه ذوى الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث فى العد * وو يعلو النخال فوق اللباب

وقال أبو عبد الله الجبلى الطبيب القرطبى

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولاتدعه فان الناس قدماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمى مولى بنى أمية

عاشر الناس بالجميل وسدد وقارب
واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب
لايسود الجميع من * لم يقم بالنوائب
ويحوط الاذى وير * عى ذمام الاقارب
لاتواصل الاالشريف الكريم المناصب

قوله محمد الخ فى نسخة أبو محمد عبد الله اه

من له خير شاهد * وله خير غائب
واجتنب وصل كل وغد دنيء المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب * ترقيشه سامى الحباب
يصف السماء صفاوة * لصفائه ليس بذى احتجاب
وكأنما هو رقة * من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أبكار المنى عصر الشباب
والطل يبدو فوقه * كالخال فى خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو * ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جر فيـ * ـها ذيله جون السحاب

وقال

شق محاسنه فمن زهر على * نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لا تفى * احراق صفحته لهيبا مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه * بردا بجزن فى الاصيل مسلسلا
وكانما لمع الظلال بمتنه * قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب افريقية

ان البشائر كلها جمعت * للدين والدنيا وللأمم
فى نعمتين جسيمتين هما * برء الامام وبيعة الحرم

قال ابن الابار وأخبرنى بعض أصحابنا يعنى أبا عمرو بن عبد الغنى انه أنشدهما الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثانى فقلت له على البديهة

فخر لشعرى على الاشعار يحفظه * خليفة الله كان الله حافظه

وأشار بقوله بيعة الحرم الى ماذكره ابن خلدون وغيره واحد من المؤرخين أن أهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له بيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة فى ترجمة المستنصر فليراجعها من أرادها * وقال ابن الابار

ألا اسمع فى الامير مقال صدق * وخذه عن امرئ خدم الاميرا
متى يكتب تردوشلا اجاجا * وان يركب ترد عذبا نميرا

وقال مجيبا للتجانى

أيها الصاحب الصفى مباح * لك عنى فيما نصصت الروايه
ان عنانى اسعاف قصدك فيها * فلكم لم تزل بها ذا عنايه
ولها شرطوا فحافظ عليه * ثم كافى وصيتى بالكفايه
وتمام الاخلال جهدك لاقيـ * ـت من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجانى

ان رأى سيدى الذى حازفى العلـم مع الحـلم والعلا كل غايه
وحوى المجد عن جدود كرام * كلهم فى السماح والفضل آيه
أن أرى عنه بالاجازة أروى * كل ما فيه لى تصح الروايه
من حديث وكل نظم ونثر * وفنون له بهن درايه
فله فى ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام فى رفعة وعز وسعد * وأمان ومكنة وحمايه
ماتولى جيش الظلام هزيما * وعلت للصباح فى الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه * وأما التجانى أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه فى كتابه الحلى التيجانيه قال ابن رشيد وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره وقال فى موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى * وقال ابن مفوز أبو الحسين

اذا عرتك علة * يعجز عنها ما تجد
فلتقتصد فانه * ما عال قط مقتصد

وقال

حاز دنياه كلها * محرزا أكبر المنن
من حوى قوت يومه * آمنا سالم البدن

وقال

أعن أخاك فى الذى * يأمله ويرتجيه
فالله فى عون الفتى * ما كان فى عون أخيه

وقال

أنفس ما أودعته * قلبك ذكرى موقظه
وخير ما أتلفته * مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القمى أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس فى ابداعها * ألسكرها أم شكرها تتأود
فيقول ارباب البطالة تنثنى * ويقول ارباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القمى قلت لابن مكنون ما الذى يدل على انهما فى وصف الثمار فقال وهل أنت لهما فقلت

يا من أتى متنزها فى روضة * أزهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار فى دوحاتها * والريح تنسف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أطرافها * وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد غلط المذكور فى نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابى زيد الفازازى

من قصيدة أولها

نعم الاله بشكره تتقيد * فالله يشكر فى النوال ويحمد
مدّت اليه أكفنا محتاجة * فانالها من جوده ماتعهد

والبيتان فى أثنائها غير أنّ أولهما فى ديوانه هكذا تاهت عقول الناس فى حركاتها انتهى
ورأيت فى روضة التعريف للسان الدين بعدهما بيتا ثالثا وهو

واذا أردت الجمع بينهما فقل * فى شكر خالقها تقوم وتقعد انتهى

وحكى أنّ حافظ الاندلس امام الادباء ورئيس المؤلفين حسنة الزمان نادرة الاحسان
أبا محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجى الحجارى صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله
بعبد الملك بن سعيد جدّ على بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه فى قلعته فلما وقف
ببابه وهو بزى بداوة ازدراه البوابون فقال لهم استأذنوا الى على القائد فضحكوا به
وقالوا له ما كان وجد القائد من يدخل عليه فى هذه الساعة الا أنت فمدّ يده الى دواة
فى حزامه وصحاة وكتب بها بباب القائد الاعلى لازال آهلا بأهل الفضيلة رجل
وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها عليك أحالنى الذكر الجميل فان رأى سيدى
أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتى ويذر ولا عتب على القدر
ورغب الى أحد غلمانه فأوصل الورقة فلما وقف عليها القائد قال من شلب بلده وهذا مطلع
قصيدته ماله ذا الاشأن ولعله الوزير ابن عمار وقد نشر الى الدنيا عجلوا بالاذن له فأذن له
فدخل وبقى واقفا لم يسلم ولا كلم أحدا فاستثقله الحاضرون واستبردوا مقصده ونسبوه
للجهل وسوء الادب فقال له أحدهم مالك لا تسلم على القائد وتدخل مداخل الادباء
والشعراء فقال حتى أخجل بجميعكم قدر ما أخجلتمونى على الباب مع أقوام أنذال وأعلم
أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أتقيه ان قدّر لى
خدمته فقال له عبد الملك أتأخذنا بما فعل السفهاء منا قال لا والله بل أغفر لك ذنوب الدهر
أجمع واغاهى أسباب نقصدها النحا وربما مثلك أعزك الله تعالى وتمكن التأنيس ويحل
قيد الهيبة ثم أنشد من رأسه ولا ورقة فى يده

عليك أحالنى الذكر الجميل * فصح العزم واقتصر الرحيل
وودّعت الحبيب بغير صبر * ولم أسمع لما قال العذول
وأسبلت الظلام على سترا * ونجم الافق ناظره كليل
ولم أشك الهجير وقد دعانى * الى أرجائك الظل الظليل

وهى طويلة فأكرمه وقربه رحم الله تعالى الجميع * وأهديت للمعتمد بن عباد شمعة
فقال فى وصفها أبو القاسم بن مرزقان الاشبيلى وهو ممن قتل فى فتنة المعتمد

مدينة فى شمعة صوّرت * قامت حماة فوق أسوارها
وما رأينا قبلها روضة * تتقد النار بنوّارها
تصير الليل نهارا اذا * ما أقبلت ترفل فى نارها
كأنها بعض الايادى التى * تحت الدجى تسرى بأنوارها

من مالك معتمد ماجد * بلاده أوطان زوارها

وقال أبو الاصبغ بن رشد الاشبيلي لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث يا غافلا * كلون العقيق أو العندم
أظن الغمائم في جوها * بكت رحمة للورى بالدم

وفيها أيضا

لاتكن واثم الكآبة مما * قد غدا في الثرى نمير انجيعا
لطم البرق صفحة المزن حتى * سال منه على الرياض نجيعا

وله في دولاب

ومحنون اذا دارت سمعت لها * صوتا أجش وطل الماء ينهمل
كان أقداحها ركب اذا سمعوا * منها حداء بكوا للبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالي الجفون شقيق بدر * تبسم عن عقيق فوق در
له نفحات مسك أي مسك * له نفثات سحر أي سحر
شكوت له الهوى والهجر منه * فقال عليك باسمي سوف تدرى
تعلمت القساوة من سمي * وأحرقت القلوب بنار هجري

وقال أبو بكر بن حجاج الغافقي في موسى وسيم اشبيلية الذي كان شعراؤها يتغزلون فيه

من مبلغ موسى المليح رسالة * بعثت له من كافرى عشاقه
ما كان خلق راغبا عن دينه * لولم تكن توراته من ساقه

وقال

ان الزويلي فتى شاعر * قد أعجب العالم من نظمه
وأنت يا موسى قد اخترته * واختار موسى قبل من قومه

وقال

على معاذ قرون لو يعاينها * فرعون ما قال اوقد لى على الطين
قالت له عرسه اذجاء ينكحها * ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بعون فقال لها * انى استعنت على نفسى بعون

وقال أبو وهب عبد الرؤف النحوى وكان له حظ فى قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية * باس اذا حصلته لبسا
وصاحب اللحية مستقبح * يشبه فى طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاهت به * وماست الريح به ميسا

وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط

ياغزالا عن لى فابـ * ـتز قلبي ثم ولى

قوله نمير انجيعا هكذا فى الاصل ولعله محرف عن نجوع بالواو لانه بمعنى النمير وأما النجيع بالياء فهو الدم الضارب الى السواد أو دم الجوف وحبط يضرب بالدقيق وبالماء كما فى القاموس اه مصححه

أنت منى بفؤادى * يامنى نفسى أولى

وقال أحمد بن المبارك الحبيبى فى الناصر قبل أن يلى عهد جده

ياعابد الرحمن فقت الورى * بهذه العليا وهذا الكرم
ماجعل الله الندى فى امرئ * الا وقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس أبابكر أحمد بن عثمان المروانى ونادمه ليلة فلما قرب الصباح قال له أين ما تحدث عنك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال الدواة والقرطاس فأمر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى أن أنشده هذه الابيات

بتنا نداى صفاه يستحث لنا * فى جامد الفضة التبر الذى سبكا
كل مصيخ الى ماقال صاحبه * ولا يبالى أصدقا قال أم أفكا
موقرون خفاف عند شربهم * ولا يخافون فيما أحدثوا دركا
لا تعدمن اذا أبصرتهم فرحا * أما ترى الصبح من بشريهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد الله المروانى فى الخيرى

عجبت من الخيرى يكتم عرفه * نهارا ويسرى بالظلام فيعرب
فتجنى عروس الطيب منه يدالدجا * ويبدوله وجه الصباح فيحجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوى

للبين فى تعذيب نفسى مذهب * ولنا ثبات الدهر عندى مطلب
أما دنو الحادثات فانها * تأتى لوقت صادق لايكذب

وشرج الاديب المصرى هذيل الاشبيلى يوما من مجلسه فنظر الى سائل عارى الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فأخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال له صح الجوع فقد كفاك الله مؤنة البرد * ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير والتهكم يمزج ذلك باظراف ويضحك الثكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب أن تقد له هذه الفتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابى فى هذا الوقت مافتحته له فقال فانى ابن عباد فقال مصفوع ألف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التى كانت البارحة * وكان فى زمان المعتمد السارق المشهور بالبازى الاشهب وكان له فى السرقة كل غريبة وكان مسلطا على أهل البادية وبلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته وبناته وجعلن يبكين حوله ويقلن لمن تتركنا نضيع بعدك واذا ببدوى على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب فصاح عليه ياسيدى انظر فى أى حالة أنا ولى عندك حاجة فيها فائدة لى ولك قال وما هى قال انظر الى تلك البئر لما أرهقنى الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال فى اخراجها وهذه زوجتى وبناتى يمسكن بغلك

خلال ما تخرجها فعمد البدوى الى حبل ودلى نفسه فى البئر بعد ما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقى حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرّت به وكان ذلك فى شدّة حرّ وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غاب عن العين وخلص فحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال علىّ حتى مضت زوجته وبناته بثيابى وأسبابى ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازى الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الهلكة فقال له يا سيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرّحتك وأحسنت اليك وأجريت عليك رزقا يقالك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يا مولاى كيف لا أقبل التوبة وهى التى تخلصنى من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصار من جملة حراس أحواز المدينة * ويحكى أن منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر أن ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال يا سيدى البنيان انما هو مثل ذكر ابليس بقدر حتى يقوم فكاد المنصور ينفضح من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا * وكان أحمد المقرى المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال فى موسى الذى تغزل فيه ابن سهل

ما لموسى قد خرّ لله لما * فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال فى رثائه

فرّ الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى على بعض

وقال فيه

هتف الناعى بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم وحدهم لو دفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولابن سهل الاسرائيلى فى موسى هذا ما هو مثبت فى ديوانه * وكان محمد بن أحمد بن أبى بكر القرموطى المرسى من أعرف أهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله فى المعرفة بالاندلس يقرئ الامم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد أدنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا وكنت كذا فاجابه بما أقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه أنا عمرى كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك منى انتهى * وقال أبو عبد الله محمد بن سالم القيسى الغرناطى يخاطب السلطان على ألسنة أصحابه الاطباء الذين ببابه مورّيا باسمائهم

قوله ما لموسى الخ هما وما بعدهما قد سبق ذكرها ولعل ذلك لمناسبة فى الموضعين وكذا يقال فى كل ما كرر فى هذا الكتاب فتدبر اه مصححه

قد جمعنا بيابكم سطر علم * لبلوغ المنى ونيل الاراده
ومن أسماتنا لكم حسن فال * سالم ثم غالب وسعاده

وقال أبو عبدالله بن عمر الاشبيلي الخطيب

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال الكاتب أبو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغيرحاله باشبيلية

لا تسلني عن حالتي فهي هذي * مثل حالي لا كنت يامن يراني
ملني الاهل والاخلاء لما * أن جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبربي ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة في أمان

ودخل الاديب النحوي أبو عمران موسى الطبراني الى بعض الاكابر يوم نيروز وعادتهم أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى مدينة أعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها فقال

مدينة مسوره * تحار فيها السحره
لم تبنها الايدا * عذراء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درمك مزعفره
ومالها مفاتح * الا البنان العشره

ورفع الى القائد أبي السرور صاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها بزاد وقد عزم على سفر فأذم عليه بذلك ثم أتبعه بتحف مما يكون في الديوان مما يجلبه الافرنج الى سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره فكتب اليه

أيا سابقا بالذي لم يجل * بفكري ولم يدل في خطاب
ويا غائصا في بحار الندى * ويا فاتحا للعلا كل باب
كذا فلتكن نعم الاكرمين * تفاجى بنيل المنى والطلاب
ولم أر أعظم من نعمة * أتتني ولم تك لي في حساب
سأشكرها شكر عهد الرضى * وأذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الى المنصور بن أبي عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة ولم يضمنها غير بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فأحرجت المنصور وأقامته وأقعدته فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرني فكتب عنه

شمتت مواليها عبيد نزار * شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه * ومن شعر المذكور في المنصور

انهض على اسمك انه منصور * وارم العدو فانه مقهور
ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم * فبذكر باسك كلهم مذعور
ولتبلغن مدى مرادك فيهم * ويكون يوم لي العدا مشهور

قوله العثماني في نسخة الضبي اه

قوله ودخل الخ هكذا في الاصل وهو مكرر قد سبق ذكره ولعله لمناسبة كما سلف فتدبر اه مصححه

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ووددت الراحة منهم فقال له بصر مولاي فلا بد من السآمة فهي على حالتين اما من يكون أمرك اليه أو يكون أمره اليك والحمد لله الذي رفعه عن الحالة الاولى * وقال بعض العجابين في رندة

قصبا لرندة مثل ما * قبحت مطالعة الذنوب
بلد عليه وحشة * ما ان يفارقه القطوب
ما حلها أحد فينشوي بعد دين أن يؤوب
لم آتها عند الضحى * الاوخيل لى الغروب
أفق أغم وساحة * تملا القلوب من الكروب

وقال حيلاص الشاعر الرندي

لا تفرحن بولاية سوغتها * فالدور يعلف أشهرا كي يذبحا

وله في بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولو لم تكن كالبدر نورا ورفعة * لما كنت غرا بالسحاب ملثما
وماذا الا للنوال علامة * كذا القطر مهما لثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندي في مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبي الحسن علي بن سعيد وأطنب في الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لا تذكرن ما غاب عني من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فتى حضرت بمجلس وجرى به * خبري فان الذكر فيه يجمل

ولما نفى بنو ذي النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر في حال سكره ولم يكن فيهم من ينظم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحسد من طلعت عليه الشمس غال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نفسا بتركي دياركم * فنفسي عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لي جانب في دياركم * فما العذر لي أن لا يكون تجنب
زعمتم بأني لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أنني عنه أرغب
وحسبي اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأني الى سيفي ورمحي أنسب
وان مدت الايام عمري للعلا * يشرق ذكري في الورى ويغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبي أمية بن عصام قاضي القضاة بشرق الاندلس عين زمانه نورقت نقطة على العين فتوهمها وظن أنه أبهمها واعتقدها وعقدها وانتقدها فقال

لا تلزمني ما جنته براعة * طمست بريقتها عيون ثناء
حقدت على لزامها فتصوّلت * أفعى تمج سمامها بسماء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر براعة واباء

وشرب المأمون بن ذي النون مع أبي بكر محمد بن ارفع رأسه الطليطلي وحفل من رؤساء

ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى فجرت مذاكرة فى ملوك الطوائف فى ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن ارفع رأسه ارتجالا

دعو الملوك وأبناء الملوك فمن * أضحى على البحر لم يشتق الى نهر
ما فى البسيطة كالمأمون ذوكرم * فانظر لتصديق ما أسمعت من خبر
ياواحدا ما على علياه مختلف * مذجاد كفك لم نحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فما نظرت * عين الى كوكب يهدى ولا قمر
وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم * فلم نعرج على شذر ولا درر

فداخل ابن ذى النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد وأمر له باحسان جزيل عتيد

وقال أبو أحمد عبد المؤمن الطليطلى

رأيت حياتى قادحا فى معيشتى * ويصعب ترك للحياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم * وقد طال تأنيبى لمن ليس يصلح

وله

ولما غدوا بالعيد فرق جمالهم * طفقت أنادى لا أطيق بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفة * ولو كوقوف العين لاحظت الشمسا

وقال الزاهد أبو محمد عبد الله بن العسال

أعندكم علم بأنى متيم * والا فما بال المدامع تسجم
وما بال عينى لا تغمض ساعة * كأنى فى رعى الدرارى منجم

وكان الوزير أبو جعفر الوقشى تياها معجبا بنفسه ومن شعره فى غرضه الفاسد

اذا لم أعظم قدر نفسى وانى * عليم بما حازته من عظم القدر
فغيرى معذور اذا لم يبرنى * ولا يكبر الانسان شئ سوى الكبر

وله

يرومون بى غير المكان الذى له * خلقت وبعضى منكر ذاك من بعضى
فقولوا لبدر الافق يترك سماءه * ويحتل من أجل التواضع فى الارض

وقال

تكبروان كنت الصغير تظاهرا * وباعد أناسا دق منهم ما اشتهى قربا
وكن تابعا للهر فى حفظ أمره * ألست تراه عندما يبصر الكلبا

وقال له بعض ندمائه ممن كان يوما صاحب حيان بن همشك يا أبا جعفر أنت جملة محاسن وفيك الادوات العلية التى هى أهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الارض تشمئز منها فقال له كيف لا أشمئز من شئ أشترك معك فى الوطء عليه فضحك جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لك الفضل فى أن لا تلوح لناظرى * وتبعد عنى ما بقيت مدى الدهر
فوجهك فى عاطى كما صور الردى * ولفظك فى سمعى حديث عن الفقر
ومن حاز ما قد حزته من ركاكة * وعاب فلا يحتج الى كلفة العذر

وله

وله

لك يومان لم تلح لعياني * ولك الفضل في زيارة شهر
ولك الفضل في زيارة عام * ولك الفضل في زيارة دهر
ولك الفضل أن تغيب عني * ذلك الوجه ما تطاول عمري

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذي يرمي بالماء فنفخ فيه رجل أبخر فجرى

ليث بديع الشكل لا مثل له * صيغ من الماء له سلسله
يقذف بالماء على حينه * كأنه عاف الذي قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشي

برح بي أن علوم الورى * اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفاره يركبه فاره * مر بنا في يده صعده
سنانها مشتمل لحظه * وقدها منتحل قده
يزحف للنسائل في جحفل * من حسنه وهو يرى وحده
قلت لنفسي حين مدت لها الآمال والآمال ممتده
لا تطمعي فيه كما الشمس لا * يطمع في تدنيسه حده

وقال

عجبا للمدام ماذا استعارت * من سجايا معذبي وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثناياه * وسكر العقول من لحظاته
وسنا وجهه وتوريد خديه ولطف الديباج من بشراته
والتداوي منها بها التداوي * برضا من هويت من سطواته
وهي من بعد ذا على حرام * مثل تحريمه جني رشفاته

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذي النون فقدم نوع من الحلاوى يعرف بآذان القاضي فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندر فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضي أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب * وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي آية الله في الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه في علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكاس للخليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافي

ومطارح مما تجس بنانه * لحنا أفاض عليه ماء وقاره

قوله أبو الحسين في نسخة أبو الحسن اه

يثني الحسام فلا يروح لوكره • طربا ورزق بنيه في منقاره

وكنت أرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه ولم أزل أقرع بابا بابا وأخرق للاتصال حجابا حجابا حتى جمعت مع شفيع لا يرد عليه وجلست بين يديه فحينئذ حرضه حسب على الاكرام وتلقى بما أوسع من البشر والسلام وقال ليعلم سيدي اني كنت أود الناس في لقائه وأحبهم في اخائه والحمد لله الذي جعلني أنشد

وليس الذي يتتبع الوبل رائدا • كمن جاءه في داره رائد الوبل

ثم قام الى خزانة فأخرج منها عود غناء يطرب دون أن تجس أوتاره وتلحن أشعاره واندفع يغني دون أن أسأله ذلك ولا أتجشم تكليفه الدخول في تلك المسالك

ومازلت أرجو في الزمان لقاءكم • فقد يسر الرحمن ما كنت أرتجي

فذكركم مازلت أتلوه دائبا • اذا ذكروا ما بين سلمى ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت رأسه وقلت له لا أدري علام أشكرك قبل هل على تعجيلك بما لم تدعني أسألك في شأنه أم على ما تفردت باحسانه فما هذا الصوت قال هذا نشيد خسروان من تلحيني قال وأنشدني لنفسه

حننت الى صوت النواعير سحرة • فأضحى فؤادي لا يقر ولا يهدا

وفاضت دموعي مثل فيض دموعها • أطار حها تلك الصبابة والوجدا

وزاد غرامي حين أكثر عاذلي • فقلت له أقصر ولا تقدح الزندا

أهيم بهم في كل واد صبابة • وأزداد مع طول البعاد لهم ودّا

وأنشدني لنفسه

ولقد مررت على المنازل بعدهم • أبكي وأسأل عنهم وأنوح

وأقول ان سألوا بحالي في النوى • ما حال جسم فارقته الروح

وقال وكتب الي

يا حسرة مافضت من لذة وطرا • أين الزمان الذي يرجى به الخلف

أبكيك مل جفوني ثم يرجعني • الى التصبر أني سوف أنصرف

قال أبو عمران وكنت في أيام الفتنة اذا ركنت الى الآمال هونت على نفسي ما ألقى من أهوالها بقولي مع خاطري أين الزمان الذي يرجى به الخلف انتهى * وكان أبو الحسين علي بن الحمارة ممن برع في الالحان وعلها وهو من أهل غرناطة واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عود الغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغني به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكرا مقلتي طائر الكرى • رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء في حقه انه آخر فلاسفة الاندلس قال وأعجب ما وقع له في الشعر أنه دخل حلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره والشعراء تنشده في ذلك فارتجل ابن الحمارة هذين البيتين وأنشدهما بعدهم

ياواحد الناس قد شيدت واحدة • فحل فيها محل الشمس في الحمل

فما كدارك فى الدنيا لذى أمل ✽ ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وسيأتى ذكر هذين البيتين ✽ وكان أهل الاندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسدى أملى علينا ابن الناصف النحوى بداية على قول سيبويه هذا باب ما الكلم العربية عشرين كراسا بسط القول فيها فى مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك فى تبحر أهل الاندلس فى العلم وبحسبك العالم منهم عن المسئلة التى يحتاج فى جوابها الى مطالعة ونظر فلم يحتج الى ذلك ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه الى زيادة ✽ (ومن الحكايات فى مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال فى تخميسه المشهور بماذا على كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى بما نصه استعمل المخمس ماذا فى البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما فجاوبه بقوله أما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الى شاهد وأما استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض على ولى ولا تشكل فى جلى

وليس يصح فى الافهام شئ ✽ اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى فى سورة يونس قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ووقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر ✽ من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر ✽ من الشيزى تكلل بالسنام

وفى السير فى رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح

وهذا الشعر لامية بن ابى الصلت الثقفى ووقع فى الاغانى للوليد بن يزيد فى نديم له يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت ✽ فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى ✽ فيه من الرأى الاصيل

والخبر طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقديم وأولى ولكن الواو لا تفيد رتبه ولا تتضمن نسبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو فى الصحاح ووقع فى الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا أجال وثيرة بن سمالك ✽ من دمع باكية عليه وبالك

وفى الحماسة أيضا واظنها لابى دهبل

ماذا رزئنا غداة الحل من زمع ✽ عند التفرق من خيم ومن كرم

ووقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ✽ وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع فى شعر الخنساء ترثى أخاها صخرا

ألا ثكلت أم الذين غدوا به ✽ الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يوارى القبر تحت ترابه * من الجود فى بؤسى الحوادث والدهر

ولجرير وهو فى الحماسة

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفى الحماسة أيضا ماذا من البعد بين البخل والجود ووقع فى الحماسة أيضا وهو لامرأة

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا * بجيشان من أسباب مجد تصرما

أرادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما ومما يستظهر به قول أبى الطيب المتنبى

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا

وماذا بمصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكاء

ومن ملح المتأخرين كان بمرسية أبو جعفر المذكور فى المطمح وكان يلقب بالبقيرة فقال فيه بعض أهل عصره

قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم * ماذا دهيت به حتى من البقر
هذا وليس بثور بل هو ابنته * وأين منزلة الانثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ولا أذكر قائله

ماذا لقيت من المستعربين ومن * قياس قولهم هذا الذى ابتدعوا
ان قلت قافية بكرا يكون لها * معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا
قالوا لحنت وهذا الحرف منتصب * وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وضربوا بين عبد الله واجتهدوا * وبين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله

ألا فى سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير والله الذى لا اله غيره ما طالعت عليه كتابا ولا فتحت فيه بابا وانما هو غمالة من حوض التذكار وصبابة مما علق به شرك الافكار وأثر مما سلك به السمع أيام خلق الذرع وعقدت عليه الحبى فى عصر الصبى ورحم الله من تصفح وتلمح فتسمح وصحح ما وقع اليه من الاعتلال وأصلح ما وضع لديه من الاختلال فخير الناس من أخذ بالبر والايناس فبصر من جهله واذكر عن وهله وانما المؤمنون اخوة وتصابيهم فى الله رفعة وحظوة ولهم فى السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم اسوة كريمة وقدوة انتهى قال ابن الطراح انظر تحصيل هذا الامام والرئيس الاسمى النفيس واستحضاره كلام الادباء وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعانى ووصفه تلك المغانى وقد كان حامل لواء الادب وفائق أبناء جنسه فى مراتب الطلب وهذه الكلمة أعنى ماذا جرت بسببها

مناظرة بين الاستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحل بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصا وفيه هنات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها ولالذي طي في البيان أن ينشرها وفي ذلك قال الاستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا ليتها عدم * جنبوها قربها ندم
ليتني يا مال لم أرها * انها كالنار تضطرم انتهى

وقوله يا مال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازي انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الاستاذ ابن أبي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه في النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القضية

عاب قوم كان ماذا * ليت شعري كان ماذا
ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ماشئت أن تحيا هنيأ * رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لاعملن الى لقياكم قدمي * ولو تجشمت بين الطين والماء
لان يبل ثيابي الغيث أهون بي * من أن تحرق نار الشوق أحشائي

وأبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوي الاديب أبو زكريا يحيى بن علي ابن سلطان اليفرني ولد سنة ٦٤١ وبرع في العربية وكان يلقب في المشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ويتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول في نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذي ناب من السباع أي مأكول كل ذي ناب وتبقى هي على الاباحة ويدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول في قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر ان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا انها أي نجوانا هذان لساحران أي قولنا هذان لساحران تثبيطا للناس عن اتباعهما وخط المصحف يرده لكن في المصحف اشياء كتبت على غير المصطلح مثل مال هذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفي اليفرني المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا
يارحمة لفؤادي من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
ويارعى الله دهرا ظل يجمعنا * في ظل عيش صفا من طيبه وضفا

موَدّة بيننا فى الحب كاملة * ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

*(رجع) الى كلام الاندلسيين قال صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى فى سكين الكتابة

أنا صمصامة الكتابة مالى * من شبيه فى المرهفات الرقاق
فكأنى فى الحسن يوم وصال * وكأنى فى القطع يوم فراق ٢٠

وقال فى المقص

ومصطحبين ماائتما بعشق * وان وصفا بضمّ واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشئ * سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتدى ذو خلة بفعالنا * فيكون واصل خله كوصالنا
مهما يجئ أحد ليقطع بيننا * نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فأنشده أحد جلسائه وغالب ظنى انه اندلسى

عداوة لا لكفك من قديم * فلا تعجب لمقراض لئيم
لئن أدماك فهو لا شبيه * وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما ألف ابن عصفور كتابه المغرب فى النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيرى وله عليه المنهج المعرب فى الرد على المغرب وفيه تخليط كثير وتعسف

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويأمل أن يأتى لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجنى الخزرجى وسماه شد الزيار على جحفلة الحمار وابن مؤمن القابسى وبهاء الدين بن النحاس *ومن شعر حازم الاندلسى المذكور قوله

لم تدر اذ سألتك ما أسلاكها * أبكت أسى أم قطعت أسلاكها

وعارضه التجانى بقوله

يا ساحر الالحاظ يا فتاكها * فتبا جواز الصد من أفتاكها

*(ومن حكاياتهم فى المجون وما يجرى مجراه أن الوزير أبا بكر بن المليح كان له ابن شاب فاسترسل مع الادب الى أن خرج من القول الى الفعل وأتى بأشياء لا تليق بمثله فكتب اليه أبوه

قوله ومن حكاياتهم الى آخر الابيات هو ثابت فى نسخة من الاصل وهو محض تكرار اه

يا سخنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لى بنيا
أبكيت عينى أطلت حزنى * أمت صيتى وكان حيا
حططت قدرى وكان أعلى * فى كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقمت للشمرجى اليا
فاليوم أبكيك ملء عينى * لو كان يغنى البكاء شيا

فاجابه

فأجابه ابنه بقوله

يالائم الصب في التصابي * ماعنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وثبتها اليا
وقلت عمر الهنا قصير * فاربح من العيش ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا
انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوي مقبلا * فقال سل نحوي كي تحصلا
قرأت باب الجمع من شوقي له * وهو بالاشتغال عني قد سلا
للاستغاثة ابتدأت تاليا * وهو لافعال التعدي قد تلا
وكلما طلبت منه في الهوى * عطفا غدا يطلب مني بدلا
وان أرم محض اضافة له * أعمل في قطعي عنه الحيلا
في ألف الوصل ظللت باحثا * وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلست موصولا وليس عائدا * وليس حالي عن أسى منتقلا
فيا مني نفسي ومن لفهمه * دانت فهوم الاذكياء النبلا
وجدي موقوف عليك لا أرى * عنك مدى الدهر له منتقلا
فما الذي يمنع من تسكينه * والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع اليك مفرد * فلم ترى لضمتي مستثقلا
فالضم للرفع غدا علامة * في مفرد مثلي فأوضح مشكلا
لازلت للهيام عني رافعا * للوصل ناصبا القولي معملا
للشوق مسكنا الهجري صارفا * بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمرا في الاماني ماضيا * وتبتدي بما تشا مستقبلا

وقال محمد بن ادريس القضاعي الاصطبوني

علاه رياض أورقت بمحامد * تنور بالجدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمامة * تروي ثرى المعروف بالعل والنهل
وهل هو الا الشمس نفسا ورفعة * فيقرب بالجدوى ويبعد بالامل
تعم أياديه البرية كلها * فدان وقاص جود كفيه قد شمل

وقال محمد التطيلي الهذلي من أعيان غرناطة

جارت علي لواحظ الآرام * لما رمت أجفانها بسهام
حكمت علي بحكمها فتبسمت * الضفي منها الدى أحكام
ياقاتلي عمدا بسيف لحاظه * أغمد ظباه قبل وقع حمام
كم رمت وصلك والصدود يصدني * ويفل عزمي أمره ومرامي
اني عدمت النفس يوم فراقكم * والبين أسلمها الى الاعدام

قوله حكمت علي الخ هكذا في الاصل بالنقص ويمكن أن يقال في اصلاحه اوبدلا عنه حكمت علي بحكمها جورا فما حال الضنى منها لدى الاحكام
اه مصححه

كيف المقام وأصل جسمي ناحل * ان النفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها * حتى يعود الشهر مثل العام
قد كنت أفرح بالسلو فها أنا * قد زم قلبي في الهوى بزمام
مالت به شحو القتون بدائع * من شادن يحكيه بدر تمام
فقوام أنفسنا بلذة وصله * وجميع أعيننا عليه سوام
قد أبرزت خداه روض محاسن * عظمت على الافكار والاوهام
تندى بماء شبيبة وتنعم * فتروق روق الزهر في الاكمام
فكأنما وجناتها في لونها * ورد الرياض ربا بصوب غمام
وكأنما درع الدجا من شعره * قد حاكه منها يد الاظلام
وكأنما ريق حواه ثغره * مسك أذيف بعنبر ومدام
وكأنما سيف نضت ألحاظه * سيف الامير عماد الاسلام
ذاك الامير محمد بن محمد * ناهيك من ملك أغر همام
ملك علا فوق السماك علاؤه * وسما فادرك غاية الاعظام
لو كان يعتقل السها لاتاه في * شكل الفتاة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرة أجودا * لجرت الى الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للاماني قولها * والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحسد ليله * فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشرك خوف سنانه * لولاه ما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام بسيفه وبياسه * فسبى وأنعم أيما انعام
فالمعتفي يجني جزيل هباته * والمعتدي يصلى الردى بحسام
مهما استعنت به فضيغم معرك * واذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها * وأزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة جحفل قد هدها * في معرك بمهند صمصام
المقتني الجرد المذاكي عدة * للكر في الاعداء والاقدام
من كل مبيض كان أديمه * لون الصباح أتى عقيب ظلام

ومنها

يا خير من ركب الجياد وقادها * تحت اللواء وعمدة الاقوام
لازلتم والسعد يخدم أمركم * في غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الامن في أرجائنا * عبدا يقوم لنا على الاقدام
والله ينصركم ويعلي مجدكم * ماسح اثر الصحو وماء غمام

وكان يحيى السرقسطي أديبا فرجع الى الجزارين فأمر الحاجب ابن هود أبا الفضل ابن حسداى أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى التجارة والقصابه

فاجابه

فأجابه يحيى

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدرى بها كلفى ووجدى * علمت علام أحتمل الصبابه
وانك لو طلعت على يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
وكم شهدت لنا كلاب وهز * بأن الجد قد حزنا البابه
فتكا فى بنى العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يغتر منهم بامتناع * فان الى صوارمنا ايابه
ويبرز واحد منا الالف * فيغلبهم وذلك من الغرابه

ومنها

أبا الفضل الوزير أجب ندائى * وفضلك ضامن عنك الاجابه
وأصغ الى شكوى شكور * أطلت على صناعته عتابه
وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلى * فأبدى لى التجهم والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شئ * فنافرنى وغلظ لى حجابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفحة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدى على * كبدى وهمت بانصداع
لا تعجبى مما رأيت فنحن فى زمن الضياع

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل وال فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالى غير مرضى

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضى أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شملا مرتضى
ما عاقنى عن أن أسير بسيرهم * الا الرياء مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهرى من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا

قوله وقال الاديب الخ تقدم ذلك مع الابيات فلينظر اهـ

كأن على الايام أن لا احله * رويدا فتغشاه الاماصفرا

وقال بعضهم فى الرثاء

عبرات تفيض حزنا وثكلا * وشجون تهم بعضا وكلا

ليس الاصابة أضمرتها * حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابى جعفر البغيل أحد شعراء المرية وكتابها

عزاء على هذا المصاب الذى دهى * وشتت شمل الانس من بعد ما التهى

بفرع علاء فى منابت سؤدد * تسامى رقيا فى المعالى الى السها

أصبت به من بعد ماتم مجده * وقد شمخت منه الشمار يخ وازدهى

فأية شمس فيه للمجد كورت * وأى بناء للمكارم قد وهى

فصبرا عليه لا رزئت بمثله * فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائى المالقى

طلعت طلائع للربيع فاطلعت * فى الروض وردا قبل حين أوانه

حيا أمير المؤمنين مبشرا * ومؤملا للنيل من احسانه

ضنت سحائبه عليه بمائه * فأتاه يستقيه ماء بنانه

دامت لنا أيامه موصولة * بالعز والتمكين فى سلطانه

وقال أبو جعفر أحمد بن طلحة من جزيرة شقر

ياهل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق

وأنطق الورق بعيدانها * مطربة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤوس الشقيق

وقال أبو جعفر الغسانى من أهل وادى آش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية فكتب على حمالة قراب لموطا الامام مالك بعد ما استنجد قرائح أدباء عصره واستصرخ اختراعاتهم لنصره فكلهم قصر عن غرضه وأداء مفترضه فقال هو

ياطالبا لكمال * حفظى أتم كمالك

فما تقلدت مثلى * اذ لم تقلد كمالك

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

خذها على وجه الربيع المخصب * لم يقض حق الروض من لم يشرب

هى سماء علا وهى مارد * فارجمه من تلك الكؤس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الابيات المشهورة

زحزحته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال انه كان جافى الطبع حيث قال زحزحته ولو قال باعدت عنه أضلعا تشتاقه لكان أحسن * وقال السلطان المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس يستدعى

انهض أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

قوله انهض الخ تقدم ذكرهما فى غير هذا المحل اه

فخن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضرا لدينا
وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم
نحن فى مجلس أنس * مابه غير محبك
فتصدق بحضور * واجمع الوقت بقربك
وخف الآن عتابى * مثل خوفى عند عتبك
*(رجع) وقال أبو عبد الله بن خاصة الضرير
ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها * لظن من استصغارها انه ضنا
ولا عيب فى انعامه غير أنه * اذا من لم يتبع مواهبه منا
وله أيضا
يامالكا حدثت عليه زمانه * أمم خلت من قبله وقرون
مالى أرى الآمال بيضا وضحا * ووجوه آمالى حوالك جون
أنا آمن فرق وراج آيس * ورو صدومسرح مسجون
لاتعدنى أنواسيبك لاعدا * لك النصر والتأييد والتمكين
وقال ابن اللبانة
كرمت فلا بحر حكاك ولاحيا * وفت فلا نجم شأتك ولا عسرف
وأوليتنى منك الجميل فواله * عسى السعى من نعماك يتبعه الكب
وقال أبو على اليمانى
أبنات الهديل أسعدن أوعد * ن قليل العزاء بالاسعاد
بيد أنى لا أرتضى مافعلتن * فأطواقكن فى الاجياد
وقال أبو جعفر أحمد بن الدود من كلمه
فغدت غوادى الحى عنك جوانبا * وأسان ألحاظ الرباب ربابا
وقال ابن أبى الخصال فى مليحة لها أربع جوار قبيحات
وليلة طوالها على سنه * بات بها الجفن نادبا وسنه
بأربع بينهن واحدة * كسيئات وبينها حسنه
وقال غالب بن تمام الملقب بالحجام
صغار الناس أكثرهم قبيحا * وليس لهم بصالحة نهوض
ألم تر فى سباع الطير نسرا * يسالمنا ويؤذينا البعوض
وقال ابن عائشة
وروضة قد علت سماه * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما
وله يصف فرسا وهو من بدائعه
قصرت له تسع وطالت أربع * وزكت ثلاث منه للمتأمل

وكأنما سال الظلام بمتنه * وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكأن راكبه على ظهر الصبا * من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وقال

تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد

وتروى هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا * بأقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوا ان مهجتي * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

وقال أبو محمد بن سفيان وهو من أبدع التخلص

فقلت وجفني قد تداعت شؤنه * وحر ضلوعي مقعد ومقيم
لئن دهمت دهم الخطوب وآلمت * فان أبا عيسى أغر كريم

وقال ابن الزقاق

بأبي وغير أبي أغن مهفهف * مهضوم ما تحت الوشاح خميصه
لبس الفؤاد ومزقته جفونه * فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال

سلام على أيامكم ما بكى الحيا * وسقيا لذاك العهد ما ابتسم الزهر
كأن لم نبت في ظل أمن تضمنا * من الليلة الظلماء أردية خضر
ولم نغتبق تلك الاحاديث قهوة * وكم مجلس طيب الحديث به خمر
ألا في ضمان الله في كل ساعة * يجدد لي فيها بشوقي له ذكر
يذكرنيه البرق جذلان باسما * ويذكرني اسفار غرته الفجر
ومارق زهر الروض الا تبسمت * لناظر عيني منه آدابه الزهر

وقال يحيي السرقسطي

هاتها عسجدية كوثريه * بنت كرم رحيقة عطريه
كلما شفها النحول تقوت * فاعجبوا من ضعيفة وقويه
رب خمارة سريت اليها * والدجا في ثيابه الزنجيه

ومنها

كم عقار بذلته بعقار * وثياب صغتها خمريه
ان خير البيوع ما كان نقدا * ليس ما كان آجلا بنسيه

وله

نسبتم الظلم لعمالكم * وغمتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة * ماخطر العدل على بالكم

وقال الرصافي في الدولاب

وذي حنين يكاد شجوا * يختلس الانفس اختلاسا

قوله بأبي الخ كذلك هذان البيتان ذكرهما في غير هذا المحل ولعل ذلك لمناسبة ويقال مثل ذلك في كل ما يظهر تكراره فتدبر اه مصحح

اذا غدا للرياض جارا ◆ قال لها المحل لا مساسا
يبتسم الروض حين يبكي ◆ بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا ◆ صارله عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابوني لنزهة بوادي اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه علي فقال

أبا حسن أبا حسن ◆ بعادك قدنفى وسنى
وما أنسى تذكره ◆ فهل أنسى فيذكرني

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبي ركب

يقول الناس في مثل ◆ تذكر غائبا تره
فمالي لا أرى سكني ◆ وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسي يقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل ◆ سؤال مدل على من سأل
فقلت أيا خير مسترشد ◆ ويا خير من عن امام نقل
أيحرم ان نالني قبلة ◆ غزال ترشف فيه الغزل
وعانقني والدجا خاضب ◆ فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا ◆ فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ماقلته صادقا ◆ وكنت تحريت جهد المقل
وكان ضجيعك طاوي الحشا ◆ أعار المهاة احورار المقل
قريب الرضا وله غنة ◆ تميت الهموم وتحيي الجذل
ففي أخذ أشهب عن مالك ◆ عن ابن شهاب عن الغيرقل
بترك الخلاف على جمعهم ◆ على أن ذلك حل وبل

ونظر الرصافي يوما الى صبي يبكي ويأخذ من ريقه ويبل عينيه كي يحكي أثر البكاء فارتجل الرصافي

عذيري من جذلان يبدي كآبة ◆ وأضلعه مما يحاوله صفر
أميلد مياس اذا قاده الصبا ◆ الى ملح الادلال أيده السحر
يبل مآقي مقلتيه بريقه ◆ ليحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر
أيوهم أن الدمع بل جفونه ◆ وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وكان المذكور أعني الرصافي يميل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة فركبوا زورقا للمسير الى الوادي فوافق أن اجتمع في الزورق شمل الرصافي بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافي من محبوبه فارتجل في ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربي الغرب اذ رآني ◆ مجتمع الشمل بالحبيب
فارسل الماء عن فراق ◆ وارسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك ستكون شاعر زمانك • وحكى ان أبا بكر ابن مجبر قال في ابن لابي الحسن بن القطان بحضرة والده

جاء وفي يساره • قوس وفي اليمنى قدح
كانه شمس بدت • وحولها قوس قزح
يالائمي في حبه • ماكل من لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه أبيات لاندلسي استوطن المشرق في تركي فأقسم أبو بكر انه لم يسمع شيأ من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابي الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد وأولها جد بقلبي ومزح فالله أعلم بحقيقة الامر • وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخشني والقاضي أبو حفص بن عمر وهوا ذذاك وسيم فأثرت الشمس في وجهه فقال أبو ذر

وسمتك الشمس ياقمر • سمة في القلب تنتثر

فقال الآخر

علمت قدر الذي صنعت • فأتت صفراء تعتذر

وقال أبو الحسين البلنسي الصوفي كان لي صديق أمي لا يقرأ ولا يكتب فعلق فتى وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه فأعجبه ذلك وأنشد

رأيت أحمد لما جاء من سفر • والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
فانظر لما أثرته الشمس في قمر • والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما حفظا وتقدما فتعارفا وتساءلا فبادر أبو الوليد بالسؤال وقال كيف يكون قول القائل

ولو أن مابي بالحصا فعل الحصا • وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ماينبغي أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان فلق الحصا فقال وهمت انما يكون فلق الحصا ليكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد أن مابه يحرك ماشأنه السكون ويسكن ماشأنه الحركة فقال أبو مروان مايريد الشاعر بقوله

وراكعة في ظل غصن منوطة • بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وكان اجتماعهما في مسجد فأقيمت الصلاة اثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما انقضت الصلاة قال له الوقشي ألغز الشاعر باسم أحمد فالراكعة الحاء والغصن كناية عن الالف واللؤلؤة الميم ومنقار الطائر الدال فقال له ابن سراج ينبغي أن تعيد الصلاة لشغل خاطرك بهذا اللغز فقال له الوقشي بين الاقامة وتكبيرة الاحرام فككته والبيت لعبد الله بن الدمينة وبعده

ولوأنني أستغفر الله كلما • ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى

ومستشفع عندي بخير الورى عندي • وأولاهم بالشكر مني وبالحمد

قوله أبو الحسين في نسخة أبو الحسن اه

وصلت

وصلت فلما لم أقم بجـــزائه • لففت له رأسي حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحـد الوزراء شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه في الفتح وقال بعد ذلك ماصورته ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه أعف الناس بواطن وأشرفهم في التقى مواطن ماعلمت له صبوه ولاحلت له الى مستنكر حبوه مع عدل لاشيء يعدله وتحجب عما يتقي ممارسل عليه حجابه ويسدله وكان لصاحب البلد الذى يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صوره وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصوره مع ماشئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف قال الفتح وحللنا لاحـدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهـر أحســن من شادن مهر تشقها جداول كالصلال ولاترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضر لنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام مالا يطاق ولايحد ويقصر عن بعضه العد وفي أثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام أحقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ماعهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعني بهـذه القطعة

أتتني أبا نصر نتيجة خاطـــر • سريع كرجع الطرف في الخطرات
فأعربت عن وجد كمين طويته • بأهيــف طاو فاتر اللحظات
غزال أحم المقلتـــين عرفته • بخيف منى للحسن أو عرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية • لكل كحيل الطـرف ذى فتكات
وظن بأن القلب منـك محصب • فلباك من عينيـه بالجمـــرات
تقـرب بالنساك في كل منسك • وضحى غـداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فأصبحت • ضـلوعك مثواه بكل فلاة
يعـز علينا أن تهـيم فتنطوى • كئيبا على الاشجان والزفرات
فلوقبلت للناس في الحب فدية • فـدينـاك بالاموال والبشرات

ومن ايثار ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصـده مقصد المتورعين وجريه جرى المتشرعين أن أحـد أعيان بلده كان متصـلا به اتصال الناظر بسواده محتفلا في عينه وفؤاده لايسلمه الى مكروه ولايفرده في حادث يعروه وكان من الادب في منزلة تقتضي اسعافه ولاتورده من تشفيعه في مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا في رجـل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه في ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيها السـيد المجتبى • ويا أيها الالمعيّ العــلم
أتتني أبيـاتك المحكمات • بما قد حوت من بديع الحكم

ولم أر من قبلها مثلها * وقد نفثت سحرها في الكلم
ولكنه الدين لا يشترى * بنثر ولا بنظام نظم
وكيف أبيح حمى مانعا * وكيف أحلل ما قد حرم
ألست أخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطرم
أأصرفها طالقا باتة * على انوك قد طغى واجترم
ولو أن ذا الغوى الذوى * تثبت في أمره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذي أردت جلبه هنا ولا خفاء أن هذه الحكاية مما يدخل في حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه

يا ساكن القلب رفقا كم تقطعه * الله في منزل قد ظل مثوا كا
يشيد الناس للتحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ما حبي لفاحشة * أعاذني الله من هذا وعافا كا

وله في مثل ذلك

روحي اليك فرديه الى جسدي * من لي على فقده بالصبر والجلد
فالله زوري كئيبا لا عزاء له * وشرفيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملي * بايعتني الود تصفيه يدا بيد
عليك مني سلام الله ما بقيت * آثار عينيك في قلبي وفي كبدي

* واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللاتي لهن اليد الطولى في البلاغة كي يعلم أن البراعة في أهل الاندلس كالغريزة لهم حتى في نسائهم وصبيانهم * (فمن النساء المشهورات بالاندلس أم السعد بنت عصام الحميري) من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما كما حكاه ابن الابار في ترجمتها من التكملة وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سألثم التمثال اذ لم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

ما صورته

لعلني أحظى بتقبيله * في جنة الفردوس أسنى مقيل
في ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به علّه * يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى بأطلال من * يهواه أهل الحب في كل جيل

وأنشدني ابن جابر الوادي آشي عن شيخه المحدث أبي محمد بن هرون القرطبي لجدته سعدونة وأظنها هذه

آخ الرجال من الاباعد والاقارب لا تقاربه
ان الاقارب كالعقا * رب أو أشد من العقارب

هكذا

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسبة البيتين لابن العميد فالله أعلم * ومنهن حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات أبوها كتبت الى الحكم وهي اذ ذاك بكر لم تتزوج

انى اليك أبا العاصى موجعة * أبا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع فى نعماه عاكفة * فاليوم آوى الى نعماك يا حكم
أنت الامام الذى انقاد الانام له * وملكته مقاليدها النهى الامم
لا شئ أخشى اذا ما كنت لى كنفا * آوى اليه ولا يعروني العدم
لازلت بالعزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد والى البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاك كها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو فى حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته

الى ذى الندى والمجد سارت ركائبى * على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعى انه خير جابر * ويمنعنى من ذى الظلامة جابر
فانى وأيتامى بقبضة كفه * كذى ريش أضحى فى مخالب كاسر
جدير لمثلى أن يقال مروعة * لموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى * على زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذى خطته يمناه جابر * لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأى الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفى يا حسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشامين خير الناس مأثرة * وخير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسبا * مقابلا بين آباء وأجداد
جودت طبعى ولم ترض الظلامة لى * فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أقمت ففى نعماك عاطفة * وان رحلت فقد زودتنى زادى

* (ومنهن أم العلاء بنت يوسف الحجارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل ما يصدر منكم حسن * وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم فى عمره * فهو فى نيل الامانى يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيه الصبى * بحيلة فاسمع الى نصحى
فلا تكن أجهل من فى الورى * يبيت فى الجهل كما يضحى

ولها أيضا

افهم مطارح أحوالى وما حكمت * به الشواهد واعذرنى ولا تلم
ولا تكلنى الى عذر أبينه * شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما * أصبحت فى ثقة من ذلك الكرم

(ومنهن أمة العزيز) قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتاب المطرب من أشعار المغرب أنشدتنى أخت جدتى الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى أوجب جرح الصدود

انتهى

والجارية بالراء المهملة نسبة الى وادى الحجارة

قلت هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت لبلدينا القاضى الامام الفاضل أبى الفضل قاسم العقبانى التلمسانى رحمه الله تعالى جوابه والغالب انه من نظمه وهو قوله

أوجبه منى ياسيدى * جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع * فأين ما قلت وأين الشهود

انتهى

(ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية) قال ابن سعيد فى المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل ببدر الدجى * من أفقه العلوى للترب
حسبى بمن أهواه لو أنه * فارقنى تابعه قلبى

(ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية) بالنون نسبة الى بجانة وهى كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهى من أهل المائة الرابعة فمن نظمها من أبيات

عهدتهم والعيش فى ظل وصلهم * أنيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالى سعد لا يخاف على الهوى * عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

(ومنهن العروضية مولاة أبى المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب) سكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته فى ذلك وبرعت فى العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالى وتشرحهما قال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض توفيت بدانية بعد سيدها فى حدود الخمسين والاربعمائة رحمها الله تعالى (ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الاديبة) المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاحى فى تاريخه وأنشد لها مما قالته فى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ارتجالا بين يديه

ياسيد الناس يا من * يؤمل الناس رفده
امنن على بطرس * يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشئ بالشئ يذكر انه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن بن على سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل فى الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الاوهام فى الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الالهى عنده
فلا نعمة الا تؤدى حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع * وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهرى أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الاراك المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء فأنشده

ما أنت فى أمراء الناس كلهم * الا كصاحب هذا الدين فى الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمى كما * أحياه جدك عبد المؤمن بن على

فأمر له بألفى دينار ولم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل منع الجميع ارضى للجميع قال وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى أن حالت بينه وبين من كان أمامه لكثرتها انتهى * (رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب فى المطرب قولها

ثنائى على تلك الثنايا لاننى * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله اننى * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبى جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه أن قتله وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهرين فكتب لها

يامن أجانب ذكر اسمه وكفى بذاك علامه
ما ان أرى الوعد يقضى * والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن * يكون لى فى القيامه
لو قد بصرت بحالى * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه

لمن تتيه عليه * ولا يرد سلامه
ان لم تنيلي أريحي * فاليأس يثني زمامه

فأجابته

يامدعي في هوى الحسن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
أمدعي الحب يثني * يأس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
مازلت تصحب مذ كنت في السباق السلامه
حتى عثرت وأخجلت بافتضاح السآمه
بالله في كل وقت * يبدي السحاب انسجامه
والزهر في كل حين * يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذري * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل أبياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسل فما في جميعكما خير ولا لي برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخزي ولما أطل على أبي جعفر وهو في قلق لانتظاره قال له ماوراءك يا عصام قال ما يكون وراء من وجهه خلف الى فاعلة تاركة اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات قال للرسول ما أحمقك عقلك وأجهلك انها واعدتني للقبة التي في جنتي المعروفة بالكمامة سر بنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت وأراد عتبها فأنشدت

دعي عد الذنوب اذا التقينا * تعالى لا نعد ولا تعدي

وجلسا على أحسن حالة واذا برقعة الكندي الشاعر لابي جعفر وفيها

أبا جعفر يا ابن الكرام الأماجد * خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك في خل قنوع مهذب * كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمس ولائذ

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سميه لنكتب له بذلك فقالت أسميه الحائل لانه يحول بيني وبينك ان وقعت عيني عليه فكتب له في ظهر رقعته

يامن اذا ما أتاني * جعلته نصب عيني
ترالترضي جلوسا * بين الحبيب وبيني
ان كان ذلك فاذا * تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لي * بعد المطال بدين
فان أتيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
أوليس تبغي وحاشا * لك أن ترى طير بين

وفى ميتك بالخمس كل قبح وشين
فليس حقك الا الخراو بالقصرين
وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام وذيل ذلك بقوله
مالك من أهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع أن لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل
فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة وصار هتكة فلما اقرأ الابيات قال للرسول أعلمهما بحالى فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال
قل للذى خلصنا * من الوقوع فى الخرا
ارجع كما شاء الخرا * يا ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس وبا * أنذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * قى لو أتيت فى الكرا
يا لحية تشغف فى الخرء وتشنا العنبرا
لاقرب الله اجتما * عا بك حتى تقبرا
ومن شعرها
سلام يفتح فى زهره الكمام ويطرق ورق الغصون
على نازح قد ثوى فى الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينسا كم * فذلك والله ما لا يكون
وقولها من أبيات
ولو لم يكن نجما لما كان ناظرى * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج * تناءت بنعماه وطيب سروره
وقولها
سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * أظل بأحبابى يذكرنى وهنا
لعمرى لقد أهدى لقلبى خفقه * وأمطرنى منهل عارضه الجفنا
ونسب بعض اليها البيتين المشهورين
أغار عليك من عينى رقيبى * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيونى * الى يوم القيامة ما كفانى
والله تعالى أعلم وكتبت الى أبى جعفر
رأست فما زال العداة بظلمهم * وعلمهم النامى يقولون لم رأس
وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العليا حرون عن الدنس
وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى
ومن قولها فى السيد أبى سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

قوله العبد ينسا كم فى نسخة العبد ينسيكم وكل صحيح كما لا يخفى اهـ مصححه

يا ذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في * قيد الانابة والرضى
ليعيد من لذاته * ما قد تصرّم وانقضى

وذكر الملاحي في تاريخه انها سألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم * غضي جفونك عما خطه قلمي
تصفحيه بلحظ الود منعمة * لا تحفلي برديء الخط والكلم

واتفق أن بات أبو جعفر بن سعيد معها في بستان بحوز مؤمّل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوز مؤمّل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرّد قمريّ على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بدا له * عناق وضمّ وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق لتجيبه على عادتها في مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا غرّد القمريّ الا لما وجد
فلا تحسن الظنّ الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد في الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض أصحابها

أزورك أم تزور فان قلبي * الى ما تشتهي أبدا يميل
فثغري مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتي ظلّ ظليل
وقد أمّلت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

قال الحجاريّ تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبي الحسين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسيّ من أهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهي

عيون مها الصريم فداء عيني * وأجياد الظباء فداء جيدي
أزين بالعقود وان نحري * لأزين للعقود من العقود
ولا أشكو من الاوصاب ثقلا * وتشكو قامتي ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفي أمير المؤمنين فقال اسألوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا ما يكون أجمل منها فقال اسألوا عن عفافها فقالوا لها هي أعف الناس فأرسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى *(رجع الى حفصة)

قوله ابن ابي الحسين في نسخة ابن ابي الحصين بالصاد اه

وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمى وبر قسمى أنى كنت يوما فى منزلى مع من يجب أن يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين فقالت ادفعى لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالى
يفضح الورد ما حوى منه خد * وكذا الثغر فاضح للآلى
ما ترى فى دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض فى انفصال

قال فعلمت انها حفصة وقمت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب فى وقت الرغبة فى الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبى جعفر بن سعيد سابق الحلبة فلنلم ببعض أحواله فنقول هو أبو جعفر احمد ابن عبد الملك بن سعيد العنسى قال قريبه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد فى المغرب سمعت أبى يقول لا أعلم فى بنى سعيد أشعر منه بل لا أعلم فى بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بنى عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه فى اموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أفى مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاى فى أى وقت * أنال فى العيش راحه
ان لم أنلها وعمرى * ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه
وكاس راحى ما ان * تمل منى راحه
والخطب عنى أعمى * لم يقترب لى ساحه
وأنت دونى سور * من العلا والرجاحه
فأعفنى وأقلنى * مما رأيت صلاحه
ما فى الوزارة حظ * لمن يريد ارتياحه
كل وقال وقيل * مما يطيل نباحه
أنسى أتى مستغيثا * فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون مركبا فى الطبع مائلة له النفس ثم وقع على ظهر ورقته قد تركنا سراح أنسك وألحقنا يومك بامسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فغمره احسانا وبرا وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبى جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه فطلب أن يعفيه فابى الى أن شرب أبو جعفر يوما مع بعض خواصه وخرج

ثانى يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا وانخمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما فى نفسه

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر * من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الامس فضلة * من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صبحا وليلا وبعضنا * أصيلا وكل ان شدا جلجل رقص
وشهب بزاة قد رجعنا بشهبها * طيورا يساغ اللهو ان شكت اغصص
وعن شفق تغزى الصباح أو الدجا * اذا أوثقت ما قد تحرك أوقص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا * على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها * بجيم به من كان عذب قد خلص
أدرنا عليه مشمولة ذهبية * دعته الى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص أن يرانى مقيدا * بخدمته لا يجعل الباز فى القفص
وما كنت الا طوع نفسى فهل أرى * مطيعا لمن عن شأو فخرى قد نقص

فكان من أصحابه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما للسيد فعزله أسوأ عزل ثم بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين فى ذلك الاسود وأنا أقدر أن أشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا الى السواد فأسرّها فى نفسه الى أن فرّ عبد الرحمن ابن عبد الملك بن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش فوجد له بذلك سببا فقتله صبرا بمالقة وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه أبا جعفر لعبد المؤمن وينشده من شعره رغبة فى تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده فى مجلسه فأمره بحضوره فعندما دخل عليه قبل يده وأنشد قصيدة منها قوله

عليك أحالنى داعى النجاح * وبعدك حثنى حادى الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا * ترنح حين بشر بالصباح
وذى جهل تغلغل فى قفار * شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر * ويذكر للرياض شذا الرياح

وله فى غلام أسود ساق ارتجالا

أدار علينا الكاس ظبى مهفهف * غدا نشره واللون للعنبر الشحرى
وزاد لنا حسنا بزهر كؤسه * وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

وقوله فيه وقد لبس أبيض

وغصن من الآبنوس ارتدى * بصباح كليل علاه فلق
يحاكى لنا الكاس فى كفه * صباحا بجنح علاه شفق

وقوله مما كتب به الى أخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام

وافى كتابك ينبى * عن سابغ الانعام
فقلت درّ ودرّ * من زاخر وغمام

وقوله

وقوله يذم حماما

يا رب حمام لعنا بها * أبدى الينا كل حمام
أفق له قد اسعرت جحيم كما * أصمت سهام من يدى رامى
يخرق حبا للدخان الذى * لاح كغيم العارض الهامى
وقيم يجذبنى جذبة * وتارة يكسر ابهامى
ويجمع الاوساخ من لؤمه * فى عضدى قصد الاعلامى
وازدحم الانذال فيه وقد * ضجوا ضجيجا دون افهام
وجملة الامر دخلنا بنى * سام وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقى

لا أنس ما عشت حماما ظفرت به * وكان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى ضدين مغتنما * تنعم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الاحسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لمن هذ بتموه فراسة * وعقلا ولولا كم للازمه الجهل
وما هو أهل للثناء وانما * علاكم لتقليد الايادى له أهل
وما أنا الامنكم والبكم * وما فى من خير فأنتم له أصل

وقال

ولما رأيت السعد فى صفح وجهه * منيرا دعانى ما رأيت الى الشكر
وأقبل يبدى لى غرائب نطقه * وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الجديب الى الحيا * وكان ثنائى كالرياض على القطر

وله

لا تنكرن عتابى * ان طال عنك فراقى
فما يضر بعاد * يطول والود باقى

وله

ما خدمناكم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذب فى هذه الدنيا بسلطانكم عن الاصحاب
واذا ما خذلتموهم بشكوى * وبخلتم عنهم برد الجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا اجال العتاب
واذا أرض جدبت لفقطته * فله العذر فى اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج فى يده فقال لوقته

لى من جبينك هادى * فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا * يدل نحو رشاد

أنى وكفك سحب * يبدو بها إذا انقاد

وله في قوادة

قوادة تفخر بالعار * أقود من ليل على سار
ولاجة في كل دار وما * يدري بها من حذقها داري
طريفة مقبولة الملتقى * خفيفة الوطء على الجار
لحافها لا ينطوي دائما * أقلق من راية بيكار
قد ربيت مذ عرفت نفعها * ما بين فتاك وشطار
جاهلة حيث ثوى مسجد * عارفة حانة خمار
بسامة مكثرة برّها * ذات نكاهات وأخبار
علم الرياضات حوته وسا * سته بتقويم وإصرار ٢
مبتاعة للنعل من كيسها * موسرة في حال إعسار
تكاد من لطف أحاديثها * تجمع بين الماء والنار

قوله مبتاعة الخ في نسخة مناعة للفعل في كيسها اهـ

وما سمعنا في هذا الباب أحسن من هذا والبيت السائر

تقود من السياسة ألف بغل * إذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس فقال أبو جعفر

يا من نأى عنا الى جانب * صد اكتيل الشمس عند الغروب
لا تزوعنا وجهك المجتلى * فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا * فإننا عما قليل نتوب
ما ان نشكي الدهر ولا خطبه * لولاك ما دارت علينا خطوب

وله

أيا لائمي في حمل صحبة جاهل * قطوب المحيا سيء الحفظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه صحبته * وإن كان ذا طبع يخالفه طبعي
كما احتمل الانسان شرب مرارة الـ * ـدواء لما يرجو لديه من النفع

وله وقد أحسن ما شاء

تركتكم لا كارها في جنابكم * ولكن أبى ردّي الى بابكم دهري
وطاحت بي الأطماع في كل وجهة * تنقلني من كل سهل الى وعر
وما باختيار فارق الخلد آدم * وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الأيام ليست مقيمة * على ما اشتهاه مشتهٍ أمد العمر
وإنك ان فكرت فيما أتيته * تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لحاج في النفوس إذا انقضى * رجعت كما قد عاد طير الى وكر
واني لمنسوب اليكم وإن نأت * بي الدار عنكم والغدير الى القطر
واني لمثنٍ بالذي نلت منكم * مقيم على ما تعلمون من البر

وإن

وان خنتكم يوما فخانني المنى * وساء لديكم بعد احماده ذكرى
على أنني أقررت أني مذنب * وذو المجد من يغني المقر عن العذر

وله يصف نارا

نظرت الى نار تصول على الدجا * اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها أيدي الرياح وتارة * تخفضها مثل المكبر يسجد
والا فمن لا يملك الصبر قلبه * يقوم به غيظ هناك ويقعد
اما ألسن تشكو بها ما أصابها * وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاى هذي بردتي أخلقت * وليس شيء دونها أسأله
وصرت من باس ومن فاقة * أبكي اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعي أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تداركنا فانا في سرور * وما بسواك يكتمل السرور
أهلة انسنا بك في تمام * أليس تمام بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من له اليه ميل وقال لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاى لم تقصد تعذيب من * يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا بعد وفي * تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زار جنى ضجرة * ويلج منه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما الـ * عيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأنبأ عن عارف قد فسأله عن بلده فقال اشبيلية ففكر ثم قال

ياسيدا لم أكن من قبل أعرفه * حتى تكلم مثل الروض بالعبق
زادني أن غدا في حمص منشؤه * لقد تشاكل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له في انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق وبشاشة فاهتز لما سمع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

قوله الغرب في نسخة الغرباء اه

ياسيدا قد ضمه مجلس * حل به للمزح اخوان
لم يلق من جفائه خجلة * ولا شاء عنه كتمان
كأنه من جمعنا واحد * لم ينب منا عنه انسان
ولم نكن ندريه لكن بدا * في وجهه للظرف عنوان

وله وقد لقي أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب أن قال

ان لحت لم تلح سواك الاعين * أو غبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذي ما ان يمل حضوره * ومغيبه السلوان عنه بؤمن

وله وهو من آياته

انى لاحمد طيفها وألومها * والفرق بينهما لدىّ كبير
هى ان بدت لى شيبة فى جفوة * والطيف فى حين المشيب يزور
واذا توالى صدها أو بينها * وافى على أن المزار عسير

وله وقد سار بعض الاراذل بماله فنكب فى سفره وعاد فقيرا بأسوا أحواله

اغدو لا يغن عنك القيل والقال * فالجود مبتسم والفضل يختال
قالوا فلان رماه الله فى سفر * رآه رأيا بما حالت به الحال
فآب منه سليبا مثل مولده * عليه ذلّ وتقبيح واقلال
فقلت لا خفف الرحمن عنه فلم * يكن لديه على القصاد اقبال
فقل له دام فى ذلّ ومسغبة * ولا أعيدت له فى المال آمال
قد كان حمقك حسن المال يستره * فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه

أيا غائبا لم يغب ذكره * ولا حال عن وده حائل
لئن مال دهرى بى عنكم * فقلبى نحوكم مائل
فانى شاهدت منكم علا * من العجز قس بها باقل
لئن طال بى البعد عن لحظكم * فما فى حياتى اذن طائل

وله وهو من حسناته

شقت جيوب فرحا عندما * آبت وفى البعد تشق القلوب
فقلت هذا موقف ما يشق الجيب فيه غير صب طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا الافق لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد أجمع رأيه على أن يفد على أمير المؤمنين عبد المؤمن فأخذ فى ذلك مع أصحاب له فحاولوا نهيه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

سر نحو ما تختار لا تسمعن * ما قاله زيد ولا عمرو
كلهم يحسد ما رمته * مهما يساعد رأيك الدهر
عجبت ممن رام صدر العلا * يروم أن يصفو له دهر

فقالوا له اتهمتنا فى الود فقال لولم أتهمكم كنت أتهم عقلى والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنوننى عن زيارة خليفة لوالدى عنده مكان وله علينا احسان ولى شافع عنده مقرب لمجلسه عقلى ولسانى ولكنى أنا المخطئ الذى عدلت عن العمل بقول القائل

ولم يستشر فى أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم النفس صاحبا

وله فى شعاع الشمس والقمر على النهر

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمر بن الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله في والده وقد شق عليه درعا

أيا قائد الابطال في كل وجهة ✽ تطير قلوب الاسد فيها من الذعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا ✽ أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
وأنشدت والابطال حولك هالة ✽ أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناء ✽ عمن غدا لك حاسد
فكان منك انخداع ✽ به فرأيك فاسد
بصدره منك نار ✽ لهيبها غير خامد
وغله لك مازد ✽ ت في السعادة زائد
وانما ذاك منه ✽ كالحب في فخ صائد

وله

أبصره من يلوم فيه ✽ فقال ذا في الجمال فائق
أما ترى ما دهيت منه ✽ كان عذولا فصار عاشق

وله في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاى ان يحبسك خير خليفة ✽ فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطة ✽ والمرهفات تصان في الاجفان
فالبشر فتزع الدر من أصدافه ✽ يعليه للاسلاك والتيجان
ولئن غدا من ظل دونك مطلقا ✽ ان القذى ملق عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها ✽ وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ما حواه نفاسة ✽ ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه ✽ سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادي بعده ✽ بذرى الخلافة في ذرى كيوان

مولاى غيرك يعزى بما لم يزل يجرى على الكرام ويذكر تأنيساله في الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزى ✽ وخوض الموت في الحرب السجال

وقد كان مولاى أنشدني لعلي بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه عما ناله من السجن بمثله

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى ✽ حبسي وأى مهند لا يغمد

الابيات ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبخاطرك لا يزال غروبه وطلوعه وانما هى عادة تبعنا هاأدبا وقضينا بها في النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئه ويعقب بالنعمة هذه المرزئه قال فاسر الملك بقسر بعد اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا ويغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

طلعت علينا كالغزالة بالضحى * وعزك طماح ووجهك مشرق
فغفرا لذنب الدهر أجمع انه * أتى اليوم من حسناه ماهو أليق
فلح فى سماء العز بالسعد طالعا * وقدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت للغادون مسرحا * قلوب وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتلاء الدلو الى عقد الكرب * وله يعتذر وقد دعى الى مجلس أنس سيدى ساعدك سولك لما وصل الى أخيك المعتذر بك رسولك قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل مامنع من الوصول

ومن ذا الذى يدعى لعدن فلا يرى * على الرأس اجلالا اليها يبادر

ولكن الاضطرار لايكون معه اختيار وانى لأشوق الناس الى مشاهدة تلك المكارم وأحبهم فى محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف الغمائم ولكن شغلنى عارض قاطع وبرغمى أنى لدعوتك عاص وله طائع وانى بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة فى الغفران مستجير بالخلاص الذى أعهده من خرق فلان ومكر فلان فانى متى غبت لاأعدم مترصدا فرصة يقع عليها اذبابه ومستجما اذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه

ولكننى أدرى بانى نازح * ودان سواء عند من يحفظ العهدا

وانى لاقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليه وجانبت ذلك الجناب السامى والمثابة السنيه

لئن غبت عمن نوره نور ناظرى * لحسبى لديه أن أغيب عقابا
وسوف أوافيه مقرا بزلتى * وفى حلمه أن لايطيل حسابا

وله فى قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه

لله يوم مسرة * أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كمر * تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يسبق اليه ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه * ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية امتن بواديها واعتكف على الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين بساتينه ومنازهه فنزل ليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك وهو فى الزورق متكئ وأصحابه وأصحاب ابيه مظهرون انحطاطهم عنه فى المرتبة فأخرج رأسه أحد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط له ذلك النذل بغاية ماقدر فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ولم يعتد مثل ذلك فى بلده وقال ياسفلة أتقدم على بهذا قبل معرفتى فثنى عليه واحدة أخرى ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال ياوزير اجعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ثم رفع ماعلى استه من ثيابه وقال واعمل من هذا غلافا للحيتك فاذا عرفنا لذهبنا لك فغلبه الضحك على الحرج وجعل أصحابه يقولون له ماسمعت أن من دخل هذا الوادى يعول على هذا وأمثاله فمال عن ذلك المنزه قليلا وأطرق ساعة وقال

ثم رحص لا عدمنا * لذ عاشاك نهر
فبه يلتذ ارتياح * أبد الدهر وسكر
كل عمر قد خلا منك فما ذلك عمر
خصه الله بعيني * فيه للالباب سر
يلعن الانسان فيه * وهو يصفى ويسر

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزه فسمى له وأعلم أن ابن سيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه أملى على السفلة ما قال وصنع فكتب له أبو جعفر

يا سمى وان أفاد اشتراك * غير ما يرتضيه فضل وودّ
أكذا يزدرى الخليل بأفق * أنت فيه ولم يكن منك ردّ
لا أرى من سلطت وغدا ولكن * ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاى وسيدى وأجل ذخرى للزمان وعضدى الذى أفخر بمشاركة اسمه وتتيه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كتسنيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاى لم يصافحنى بالسلام ولا رآنى أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدرى عنده ما نسب لى من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذى زوّر لسيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها والملم اليها فبادر الحكم قبل أن أسبقه فاتسم باسقط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكنى يأبى ذلك خلقى وما تأدبت به ومع ذلك فانى أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا * ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لاتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكننى متكل على حلم سيدى واغضائه متوسل فى الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن من غدا * تعوّد عفوا عن كبار الجرائم
لكم آل عمار بيوت رفيعة * تشيد من كسب الثنا بدعائم
اذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم * ولم نقتنع بالعفو دون المكارم
وانك فرع من اصول كريمة * ولا تلد الازهار غير الكمائم
وانى مظلوم لزور سمعته * وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر بما نصه سيدى الذى أكبر قدره وأجل ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما أخرما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذمك حضورا أو غيبا وانما قصدت بالمعاتبه ما تحتها من المطارحة والمداعبه على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم

لا أنشدت

منذ غدا طرفك لى ظالما • آليت لا أدعو على ظالم

لكننى أتيقن خلاف ذلك وأعلم حق كأنى حاضر ما كان هنالك وقد أطلت عليك وبعد هذا فلتعتمد على أن تصل الى أو أصل اليك فهذا يوم كما قال البستى

يوم له فضل على الايام • مزج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم • والغيم يبكى مثل جفن هام

فاختر لنفسك أربعا هن المنى • وبهن تصفو لذة الايام

وجه الحبيب ومنزلا مستشرفا • ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك همم الامانى فكن بفضلك سامعها ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة الى مجدك منزه مطل على جزيرة شنبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع

قم فاسقنى والخليج مضطرب • والريح تثنى ذوائب القضب

كأنها والرياح تعطفها • صف قنا سندسية العذب

والجو فى حلة ممسكة • قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدى فى مثل هذا المكان جرينا اليه جرى الحلبة لخصل الرهان وان كان فى كسر بيته فليبادر الى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى وان أبطأت الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تترى وان كان لا يجدى هذا الكلام فما أقنع من العقوبة المؤلمة بالالام وعلى المودة المرعية الدعية أكمل ما يكون من السلام فعندما قرأ الرقعة ركب اليه زورقا وصنع هذه الابيات فى طريقه فعند وصوله أنشده اياها

ركبت اليك النهر بحرا فالقنا • بما يتلقى جوده كل قادم

بفيض ولكن من مدام وهزة • ولكن الى بذل الندى والمكارم

وكنا نسمى قبل كونك حاتما • ومذ لاح فينا لم نعد ذكر حاتم

بآل سعيد يفخر السعد والعلا • فأيديهم تلغى أيادى الغمائم

فامتلا أبو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هنالك ووعده بغير ذلك فأطرق ليتمم شيأ فى شكره فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره فى ذلك الوقت عن الارتياح وحث أكؤس الراح فاقبلوا على شأنهم وكان ابن سعيد فى ذلك الحين متسترا بشرب الراح وكان عند أبى جعفر خديم كثير النادر والالتفات يخاف أهل التستر من مثله فقال ابن سعيد هات دواة وقرطاسا فاعطاه ذلك فكتب

يا سيدى قد علمت انى • بهذه الحال لا أظاهر

أخشى اناسا لهم عيون • نواظر منى المعاير

احذرهم طاقتى وانى • وثقت بالله فهو غافر

ولا تقس حالتى بحال • منك اعتذار فالفرق ظاهر

فأنت ان كنت ذا جهار • غير مبال فالجاه ساتر

٧ قوله ولا تقس الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فى الشطر الثانى معنى ووزنا ويمكن أن يقال بدله ولا تقس عليك فى ذا فالفرق عند الانام ظاهر وكذلك وزن الشطر الثانى من البيت بعده ويمكن تغييره بأن يقال فالجاه فى مثل ذا الساتر اللهم الا أن يقال ان هذه القصيدة ليست من مخلع البسيط بل من بحر مولد وزنه مستفعلاتن اربع مرات فتدبر اه مصححه ٧

لا بحش

لا تخش من قول ذى اعتراض * ولا حسود عليك قادر
وانى قد رأيت عمن * يكثر القول وهو ساخر
ما قد أراب العفيف منه * فحسك وظن به يجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم * قال بحال تسر ناظر
والرقص ما بيننا صريعا * بكل كاس عليه دائر
مطرح الصلاة يصغى * لصولة الدف والمزامر
فأغتدى سيدى مشارا * الى مهما مررت خاطر
وان أتيت الملوك أبغى * نوالهم قيل أى شاعر
يذكر فى شعره خلافا * وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك * فما له بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظى * وافى لريح فآب خاسر

فقال له أبو جعفر يا أبا العباس اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت فلو كان هذا المضحك على الصفة التى ذكرت كان الذنب منسوبا الى فى كونى أحضر فى مجلسى من يهتك ستر المستورين ومهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارقنا أثقل من جبل وأصمت من سمكة متزى بزى خطيب فى نهاية من السكون والوقار (وتحت الشباب العار لو كان باديا) فكن فى امن ما شربت معى فانى والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم فى شأنك بأمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب فى ذلك راجع الى فسكن ابن سعيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومد لها فى النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألصقت على الارض خدا

فقال ابن سعيد

هى المراة لكن * من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهر عند ما لاح بردا

فقال ابن سعيد

أهدت لطرفك منه * ما للاكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه * سيف من التبر مدا

فقال ابن سعيد

فاشرب عليه هنيئا * وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا الى منارة ستنبوس قد عكست مصابيحها فى النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سعيد

اخلع على النهر ثوب الشـكر فذلك واجب

فقال أبو جعفر

وانظر الى السرج فيه * كالزهر ذات الذوائب

وحين صفق للأفق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه وقال ماتركت بعد هذا مقالا لقائل ثم جعلوا يشربون فقال أبو جعفر

مقتفى والافق برد * بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

وبساط النهر منها * وهو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر

ورواق الليل مرخى * والشذا بالروض قدنم

فقال ابن سيد

والندى في الزهر منثو * رعلى عقد منظم

فقال أبو جعفر

والصبا جرت على ميت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد

كان ميتا فلما * نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر

وكأن الكاس والقهوة دينار ودرهم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يناغى العود والمزمار هيم

فقال أبو جعفر

فاذاع الانس منا * كل ماكان مكتم

فقال ابن سيد

أي عيش يمنك المستور لوكان ابن أدهم

فقال أبو جعفر

هكذا العيش ودعنى * من زمان قدتقدم

فقال ابن سيد

حين لاخمر سوى ما * بكؤس البيض من دم

فقال أبو جعفر والله ماتعديت ماجال الساعة فى خاطرى فانى ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل فى مصادمة ومقارعة ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التى أمنت وسكنت فشكرت الله تعالى ودعوت بدوامها ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر

نثر الطل عقوده * ونضا الليل بروده

فقال

فقال ابن سعيد

وبدا الصبح بوجه * مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما * قتر الليل بنوده

فقال ابن سعيد

فهلم اشرب وقبل * من غدا ينطق عوده

فقال أبو جعفر

ثم صافحه على رغم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سعيد

واجعل الشكر على ما * نلته منه بجوده

فقال أبو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامى فى هذا البيت فى قوله وشكر أيادى الغانيات جحودها قال فلم لقبت باللص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك واللص المذكور اسمه أحمد بن سعيد يكنى أبا العباس وهو من مشهورى شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح قوله

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل * وانظر الى الجبل الراسى على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأتنا بغمض وزحل والجبل ومن بديع نظم اللص قوله

سلبت قلبى بلحظ * أبا الحسين خلوب

فلم أسمى بلص * وأنت لص القلوب

ولما اجتمع أبو جعفر بن سعيد المترجم به باللص أبى العباس المذكور فى جبل الفتح عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة منزع أبى جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله فى حل من نفسك يكون فى شعرك مثل هذا وتنشدنى ما كان يحملنى على أن أسأت معك الادب والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابى جعفر أبو الحكم بن هرون فى يوم بارد بغرناطة

يا سميى فى علم مجدك مايحتاج فيه هذا النهار المطير

ندف الثلج فيه قطنا علينا * ففررنا بعدلكم نستجير

والذى أبتغيه فى اللحظ منه * ورضاب الذى هويت نظير

يوم قر يود من حل فيه * لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير * الذى قدره معلى خطير

قد بعثنا بما أشرت اليه * دمت للانس والسرور تشير

قوله هرون فى نسخة هرودس اه

كان لغزا فكنكته دون فكر * ان فهمى بما تريد خبير

ومن نظم أبي الحكم

اذا ضاقت عليك خول عنها * وسرفى الارض واختبر العبادا

ولا تمسك رحالك فى بلاد * غدوت بأهلها خبرا معادا

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندى عبد المؤمن فى جبل الفتح بقصيدة أولها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله فى الطلب

قال أبو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود والاولى أن لو قال

شاد الخلافة وهو أول مبتنى ومن هذه القصيدة

أمّا ابن سعد فهو أول مارق * ياليته بأبيه سعد يكتنى

ما قدر مرسية وحكمك نافذ * ان شئت من عدن لارض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن أجدت فقال ارتجالا

من لى أمير المؤمنين بموقفى * هذا وقولك لى أجدت ولم تنى

فلقد مدحتك شائقا أن لا يفى * لسنى بما يعى جميع الالسن

ولابن ادريس المذكور

أيها البدر هل علمت بأنى * لم أبت راعيا لحبالك ودّا

انا لو بات من حكيت بجنبى * لم يكن عنه ناظرى يتعدّى

وله

شتان ما بينى و بينك فى الهوى * أنا أبتغيك وأنت عنى تصدف

واذا عتبتك وارعويت يبين لى * فى الحين منك بأنّ ذاك تكلف

ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا * والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال ما يكون أمير المؤمنين هجرنى الا وقد صح عنده ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور وانما أرغب فى عفوه ورحمته فكان هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه وكان قد نقل عنه حساده انه قال كيف تصح له الخلافة وليس بقرشى * ولا بأس أن نزيد من أخبار اللص الذى جرى ذكرناه مع أبى جعفر بن سعيد فنقول هو النحوى المبرّز فى الشعر أبو العباس أحمد ابن سيد الاشبيلى ذكره ابن دحية فى المطرب وأخبر انه شيخه وختم كتاب سيبويه مرّتين على النحوى أبى القاسم بن الرماك واجتمع به أبو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على أشعار الناس وله

شاموا الردى فأشمّوا الترب أنفهم * ولم يبالوا بما فيها من الشمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانى ان كان اليوم على وجه الارض من يعرف يسمعه فضلا عن أن يقوله وله القصيدة الشهيرة

نداك الغيث ان محل توالى * وأنت الليث ان شاؤا القتالا

سلبت الليث شدّة ساعديه * نعم وسلبت عينيه الغزالا

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد * وقال فى حلقة خياط وهو من محاسنه

كأنها بيضة وخز الرماح بها * بادوقرنسها بالسيف قد قطعا

وقال

فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت * أشكو من الطول ما أشكو من القصر

*(رجع الى أخبار ابى جعفر بن سعيد * قال فى الازهار المنثوره فى الاخبار المأثوره مانصه لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسى وثقف بمالقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره قال فدمعت عيناى حين رأيته مكبولا فقال لى أعلىّ تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت فى الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسرارى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا فى يد الحجاج منتظر محنة الحلاج قادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت أفلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام ثم يفقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى *(رجع الى أخبار النساء ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاضره مشكورة المذاكره كتبت بالذهب على الطراز الايمن

أنا والله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظاهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بأننى بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطى ومأبون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه

ان ابن زيدون على فضله * يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الاير على نخلة * صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لأخصى على

وقالت ولادة تهجو الاصبحى

يا أصبحى اهنأ فكم نعمة * جاءتك من ذى العرش رب المنن
قد نلت باست ابنك ما لم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر
وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن * زاد فى تلك الخطا اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك
ان يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت اليه

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقى
وقد كنت أوقات التزاور فى الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد أمسيت فى حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقى
تمر الليالى لا أرى البين ينقضى * ولا الصبر من رق التشوق معتقى
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله

لحى الله يوما لست فيه بملتق * محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأى سرور للكئيب المؤرق

وكتبت فى أثناء الكلام بعد الشعر وكنت وعدتنى على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا وانى انتقدت عليك قولك سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمى يادارمى على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

انتهى

وبسببها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التى شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدى وغيرهما وفيهما من التلميحات والتندريات ما لا مزيد عليه وقد ذكر ولادة ابن بشكوال فى الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى

* وكان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما ألمعنا به في غير هذا الموضع وكان خاملا ساقطا وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة أوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرّت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استمدت بشيء مما هنالك من الاقذار وقد نشر أبو عامر كميه ونظر في عطفيه وحشر أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يردّ طرفا * وقال في المغرب بعد ذكره أنها بالغرب كعلية بالشرق الا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الادب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة في الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه في هواها

اثرت هزبر الثرى اذ ربض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

ومازلت تبسط مسترسلا * اليه يد البغي لما انقبض

حذار حذار فان الكريم * اذا سيم خسفا أبى فامتعض

وان سكون الشجاع النهو * س ليس بمانعه أن يعض

عمدت لشعري ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض

أضاقت أساليب هذا القريـ * ـض أم قد عفا رسمه فانقرض

لعمري فوّقت سهم النضال * وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها

وغرّك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض

هي الماء يعزّ على قابض * ويمنع زبدته من مخض

*(ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد ان ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فرّ الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية مواضيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووروده وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميد بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب

قوله فلما حل بذلك الغرب هكذا في الاصل وفيه سقط كما يظهر مما بعده فلعل الاصل فلما حل الكرب أو البلاء أو نحو ذلك تأمل اه مصححه

اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولاخبا مافي ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كايام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقي * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام أخلاقا
لاسكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه مالاقى
ياعلق الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسي اذا ما اقتنى الاحباب أعلاقا
كان التجازي بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

انتهى

وقال أيضا ان ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويباح دمه دونها ويهدر لسوء أثره في ملك قرطبة وواليها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بني جهور عليه وسددت أسهمهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه والامتحان الذي خشيه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولاخبا مافي ضلوعه من ملتهب الجمر وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم وطلعت في كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأولها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولاجفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية * (ومن المشهورات بالاندلس اعتماد جارية المعتمد ابن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكية وفي المسهب والمغرب انه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أي درع لقتال لو جمد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هي صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هي فقالت لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء رحمهم

الله

الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السلفي بسنده الى بعض أدباء
الاندلس وسماه ولم يحضرني الآن انه هو الذي قال للمعتمد (أي درع لقتال لو جمد) قال
فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا في الانشاد فجعلني ثانيا وأجازني بجائزة سنية قال ابن
ظافر وقد أخذت هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر قد أذكت الشمس على الماء لهبا
قال القاضي الاعز فكسا الفضة منه ذهبا

*(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن بأغمات قالت له يا سيدي لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا * قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

* وحكى انها قالت له وقد مرض يا سيدي مالنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك ولما
قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله
وضربه بالطبرزين ففلق رأسه وترك الطبرزين في رأسه فقالت الرميكية قد بقي ابن عمار
هدهدا والقصيدة أولها

ألا حي بالغرب حيا حلالا * أناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين أم القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قرية باشبيلية كانت منها أولية بني عباد وفي هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ماتساوي عقالا
فجاءت بكل قصير العذار * لئيم النجارين عما وخالا
قصار القدود ولكنهم * أقاموا عليها قرونا طوالا
أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا لحت كنت الهلالا
أعانق منك القضيب الرطيب * وأرشف من فيك ماء زلالا
وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك أن لا حلالا
سأهتك عرضك شيأ فشيأ * وأكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة أن المعتمد ندد به وذيل على قصيدته الرائية المذكورة
في القلائد بعد قوله

كيف التفلت بالخديعة من يدي * رجل الحقيقة من بني عمار

وسخر به في أبيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام ومازالت عقارب تلك
الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تتقد وضلوعها تحنو وتعتقد وتضمر الغدر
وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكثر عليه الدهر بعوائده
وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغتر
بعوائد ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر

الداخلون فى البلد وأوهنوا القوى والجلد خروج والموت يتعرف ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحسامه يعد بمضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالى عليهم الكر المعاد حتى أوردهم النهر ومابهم جواد وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا الذل عن عزته وقد عزم على أفظع أمر وقال بيدى لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبضة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شر ماظن أنه يحين ولما قيدت قدماه وذهبت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه

اليك فلو كانت قيودك أسعرت * تضرم منها كل كف ومعصم

مخافة من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه فى جنة أوجهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله وأعياه نقله قال

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود

وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد

فقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم جمع هو وأهله وحلتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعد ماضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبرح باللوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول ابن اللبانة

تبكى السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد

على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات أوتاد

عريسة دخلتها النائبات على * أساود لهم فيها وآساد

وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

ياضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

ويامؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع بالوادى

وأنت يافارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم وأعداد

ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى

لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شئ بميقات وميعاد

ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد

حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد

وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل أنداد

وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن أغلال لاجياد

نسيت الا غداة النهر كونهم * فى المنشآت كأموات بألحاد

والناس

والناس قد ملؤا البرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كأنها ابل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ماقصدت جلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة في كتاب نظم السلوك في مواعظ الملوك في أخبار الدولة العبادية ان طائفة من أصحاب المعتمد تآمرت عليه فأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها وأغرى بسفك دمها فأبى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجليل وما خصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى أن أمكنتهم الغرة فانتصروا وابتغاث مستنصر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلافيا الامر عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى في يده

كأن السيف راق وراع حتى * كأن عليه شيمة منتضيه
كأن الموت أودع في سرا * ابرفعه الى يوم كريه

فلقي على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا مرتعا فرأيت القائمين عندما تسنموا الاسوار تساقطوا منها وبعدما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح الهيبة في مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد ضفا الى أن كان يوم الاحد الحادي والعشرون من رجب فعظم الخطب في الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه وترامية على الموت بنفسه مالامزيد عليه ولاانتهى خلق اليه فشنت الغارة في البلد ولم يبق فيه على سبد لاحد ولالبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأناملهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وماهم بسكارى ورحل بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب منه بلغة زاد ولابغية مراد فأمضيت عزيمتي في اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت به شعرا كان لي في صديق اتفق له مثل ذلك في الشهر بعينه من العام الماضي وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم تقل في الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالي * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا

أنت للفضـل كعبة ولو انى * كنت أسطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح انتهى ثم قال ولما خلع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فقال

هم أوقدوا بين جفنيك نارا * اطالوا بها فى حشاك استعارا

أما يخجل المجد أن زودوك * ولم يصحبوك خباء معارا

فقد قنعوا المجد ان كان ذاك * وحاشاهم منك خزيا وعارا

يقل لعينيك أن يجعلوا * سواد العيون عليكم شعارا

ثم انه بقى ماسورا باغمات الى سنة ٤٨٢ فأخذ بمالقة رجل كبير يعرف بابن خلف فسجن مع أصحاب له فنقبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور ليلا فأخرجوا قائدها ولم يضروه وبينماهم كذلك اذ طلع عليهم رجل فسألوه فاذا هو عبد الجبار بن المعتمد فولوه على أنفسهم وظن الناس انه الراضى فبقى فى الحصن ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن فأخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ثم وصلت أم عبد الجبار اليه ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار الى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد فى الحديد وفى ذلك يقول

قيدى أما تعلمى مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما

يبصرنى فيك أبو هاشم * فينثنى القلب وقد هشما

وبقى الى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال وأقام بالعدوة برهة لا يروعه سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقل كان مجاورا الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا تتمكن من منازلته جيش فغدا على أهلها بالمكاره وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير سير بن أبى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده وشره قد تشمر وصرده قد تنمر وجره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما أعد آلات نضاله واحتشدت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ فى مسالكه كل قطر فبقى محصورا لا يشتد اليه الا سهم ولا ينفذ عنه الا نفس أو وهم وامتسك شهورا حتى عرضه أحد الرماه بسهم فرماه فأصماه فهوى فى مطلعه وخر قتيلا فى موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغريره وبقى أهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتد عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافته وولت بأنفاس خافته فتبعهم من بقى ورغب فى التنعم من شقى فوصلوا الى قبضة المهلكات وحصلوا فى غصة الممات فوعمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما رأى الشبل حيفت سورة

الاسد

الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين أركبوه أساودا وأوردوه حزنا بات له معاودا قال

غشتك اغماتيـة الالحان * ثقلت على الارواح والابدان

قد كان كالثعبان قبلك في الورى * فغدا عليك القيد كالثعبان

متمددا بحذاك كل تمدد * متعطفا لا رحمة للعانى

قلبى الى الرحمن يشكو بثه * ما خاب من يشكو الى الرحمن

ياسائلا عن شأنه ومكانه * ما كان أغنى شانه عن شان

هاتيك قينته وذلك قصره * من بعد أى مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسالمه حربه قال

تؤمل للنفس الشجية فرجة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا

لياليك من زاهيك أصفى صحبتها * كذا صحبت قبل الملوك اللياليا

نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض اقلاقا

سرت من الغرب لا يطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا

فأحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا وأحداقا

قد ضاق صدر المعالى اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا

انى غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا

قلت الخطوب اذلتنى طوارقها * وكان عزبى الى الاعداء طراقا

متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوى الاخطار أرماقا

وقال لى من أثقه لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار بجزع بجزعامف رطا وعلم أنه قد صار فى أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بى للمحن ورضى لى أن أمتحن ووالله ما أبكى الا انكشاف من أتخلفه بعدى ويحيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تملت أسرته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا عقد دار ما تنداح دائره أو تلتفت مقلة حائره حتى قال

كذا يهلك السيف فى جفنه * الى هز كفى طويل الحنين

كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمين

كذا يمنع الطرف علك الشكيم * مرتقبا غرة فى كمين

كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين

ألا شرف يرحم المشرفي عمابه من سمات الوتين
ألا كريم ينعش السمهري * ويشفيه من كل داء دفين
ألا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا في سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات وتلقبوا بالامارة وأركبوا السوء نفوسهم الامارة حتى كادت أن تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم وأطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ماشاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هنالك وكانت فيهم طائفة شعريه مدنية أوبريه فرغبوا الى سجانهم أن يستر بجوامع المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم في ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلى بمجالستهم ويجد أثر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره ونجواه الى أن شفع فيهم وانطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقي المعتمد يشتكي من ضيق الكبل ويبكي بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بثه متوجعين فقال

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلي * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن اغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى وأما الايد والبطش فالاسد
فهنيتم النعمى ودامت لكلكم * سعادته ان كان قد خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله في أمري وأمركم الحمد

ومر عليه في موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا أعوزها البشام ولا الاراك وهي تمرح في الجو وتسرح في مواقع النو فتنكد مما هو فيه من الوثاق ومادون أحبته من الرقباء والاغلاق ومايقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر في بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلي لها شكل
فأسرح لا شملي صديع ولا الحشا * وجيع ولا عيناى يبكيهما ثكل
هنيئا لها اذلم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
واذلم تبت مثلي تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
وما ذاك مما يعتريه وانما * وصفت التي في جبلة الخلق من قبل
لنفسي أن ألقى الحمام تشوف * سواى يحب العيش في ساقه كبل

الاعصم الله القطا في فراخها * فان فراخي خانها الماء والظل

وفي هذه الحالة زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درها المتجعين درها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالشفوف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعد ما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تخفق عليه الالويه وتشرق منه الانديه وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيه لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثي أربد أو بكاء ذي الرمة بالمربد سلك فيها للاحتفاء طريقا لاحبا وغدا فيها الذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اغمات
طوت مظلتها لا بل مذلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس أنصله * هنديه وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت الا التواآت القيود به * وكيف تنكر في الروضات حيات
غلطت بينهما بين عقدته * وبينها فاذا الانواع أشتات ٢
وقلت هن ذؤابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذ بها لثقاف المجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجيء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفي على آل عباد فانهم * أهلة مالها في الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدتهن بالادهان أنبات ٢
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات
كأن واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبيل الراح سورات
وربما كنت اسمو للخليج به * وفي الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لا جفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت المآثر من حلاها * وافردت المفاخر من علاها) ورفعت مكارم

الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة في عصره وصاب أندى عبرة في مصره وبعد أيام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور فلم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت من هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وهي قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانخشر الناس اليه واجفلوا وبكوا ببكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين للبكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا ما قيهم بفيض شؤنهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لا تدع حيا ولا تألوا كل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق منا ياها كل جمع وتصمى كل ذى أمر ونهى وترى كل مشيد بوهى ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقه ولوت مجازه في تلك الحقيقه انتهى ما قصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل في أخبار المعتمد بن عباد لمناسبة ما مر وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرف به انه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم في كتبه بنثره سامحه الله تعالى وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات وآثاره الى الآن بالغرب مخلدات وكان من النادر والغريب قولهم في الدعاء للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب بعد اتساع ملكه وانتظام سلكه وحكمه على اشبيلية وأنحائها وقرطبة وزهرائها وهكذا شأن الدنيا في تدريبها نحو ندبتها واغرائها * وقد توجه لسان الدين الوزير ابن الخطيب الى اغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ورأى ذلك من المهمات وأنشد على قبره أبياته الشهيرة التى ذكرتها في جملة نظمه الذى هو أرق من النسيم وأبهج من المحيا الوسيم * قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية أم أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة والف وعمى على أمر القبر المذكور وسألت عنه من نظن معرفته له حتى هدانى اليه شيخ طعن في السن وقال لى هذا قبر ملك ملوك الاندلس وقبر حظيته التى كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن فرأيته في ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى في الابيات وحصلت لى من ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بى الافكار في ضروب الآيات فسبحان من يؤتى ملكه من يشاء لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وما أحسن قول الوزير ابن عبدون في مطلع رائيته الشهيره

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

(وهو القائل)

يا نائم الليل في فكر الشباب أفق * فصبح شيبك في أفق النهى بادى

٢ غضت عنانك أيدى الدهر ناهضة * علما بجهل وإصلاحا بافساد
وأسلت للمنايا آل مسلمة * وعبدت للرزايا آل عباد
لقد هوت منك خانتها قوادمها * بكوكب فى سماء المجد وقاد

ومنها

٢ وما لك كان يحيى شول قرطبة * أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم نطافا والعلا زهرا * فبين ما بين رواد وورّاد

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغض منهم وهى قول أبى الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقى

تعزعن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عمن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى * وضياؤها باق على الآفاق

وقال فى المطمح فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماها فى لخم ومرتقاها الى مفخر ضخم وجدهم المنذر ابن ماء السماء ومطلعهم فى جو تلك السماء وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والهلك ومعتضدهم أحد من أقام وأقعد وتبوأ كاهل الارهاب واقتعد وافترش من عريشته وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود وجد كل طود وأخمل كل ذى زى وشاره وختل بوحى واشاره ومعتمدهم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل

لقد حنت الى ما اعتدت من كرم * حنين أرض الى مستأخر المطر
فهاتها خلعا أرضى السماح بها * محفوفة فى أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقد حن فى طريقه الى فريقه

أدار النوى كم طال فيك تلذذى * وكم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه * كماة الاعادى فى النسيج المسرّد
لجردت للضرب المهند فانقضى * مرادى وعزما مثل حد المهند

والقاضى أبو القاسم هذا جدهم وبه سفر مجدهم وهو الذى اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه أخذ الرياسة من أيدى جابر وأضحى من ظلالها أعيان أكابر عندما أناخت بها أطماعهم وأصاخت اليها أسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد وأتلعوا أجيادا زانها الجيد ونفرعليه أنفه حتى هجابت العدى وتصدى اليها من حضر وتبدى فاقتعد سنامها وغاربها وأبعد عنها عجمها وأعاربها وفاز من الملك بأوفر حصه وغدت سمته به صفة مختصه فلم يمح رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء وما زال يحمى حوزته ويجلو عزته حتى حوته

قوله نمق في نسخة رنق اهـ

الرجام وخلت منه تلك الآجام وانتقل الملك الى ابنه المعتضد وحل منه في روض نمق له ونضد ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه وتسمى بالمعتضد بالله وارتقى الى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه لولا بطش في اقتضاء النفوس كدر ذلك المنهل وعكر أثناء ذلك صفو العل والنهل ومازال للارواح قابضا وللوثوب عليها رابضا يخطف أعداءه اختطاف الطائر من الوكر وينتصف منهم بالدهاء والمكر الى أن أفضى الملك الى ابنه المعتمد فاكتحل منه طرفه الرمد وأحمد مجده وتقلد منه أى باس ونجده ونال به الحق مناه وجدد سناه وأقام في الملك ثلاثا وعشرين سنه لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنه الى أن غلب على سلطانه وذهب به من أوطانه فنقل الى حيث اعتقل وأقام كذلك الى ان مات ووارته تربة اغمات وكان للقاضي جده أدب غض ومذهب مبيض ونظم يرتجله كل حين وينفثه أعطر من الرياحين فمن ذلك قوله يصف النيلوفر

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج * وطيب مخبره في الفوح والارج
كأنه جام در في تألقه * قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه وهو أعني الفتح يشيد قصور الشرف اذا مدح ويهدم معاقلها اذا هجا وقدح * ومن أغراضه قوله في المطمح في حق الاديب أبي جعفر بن البني رافع رايات القريض وصاحب آيات التصريح والتعريض أقام شرائعه وأظهر بدائعه اذا نظم ازرى بالعقود وأتى بأحسن من رقم البرود وكان أليف غلمان وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لا يبالي كيف ذهب ولا بم تمذهب وكانت له أهاجي جرع بها صابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له ما يرشف ريقا ويشرب تحقيقا فمن ذلك قوله يتغزل

من لي بغرة فاتن يختال في * حلل الجمال اذا بدا وحليه
لو شمت في وضح النهار شعاعها * ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت لآلى الحسن حتى خاصت * ذهبية في الخد من فضيه
في صفحتيه من الجمال أزاهر * غذيت بوسمي الحيا ووليه
سلت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله فيه

كيف لا يزداد قلبي * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت علي * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * ر قواما واعتدالا
أشرق البدر كمالا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست أسلو عن هواه * كان رشدا أو ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسي أو أطالا

قوله وكالبدر كذا في الاصل ولعل الاوفق بما بعده أن يقول وكالرمح تأمل اهـ مصححه

دون

دون أن تدرك هذا * تسلب الافق الهلالا

وكنت بميورقة وقد حلها متسما بالعباده وهو أسرى الى القبور من خيال أبى عباده وقد لبس أسمالا ولبس منه أقوالا وأفعالا تجوده هجوده واقراره بالله جحوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يعشقه بالحى وكان لا يتصرف الا فى صفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقه الاجواء ولا يشوقه الاهواء فاذا بأحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه قال له كنت البارحة بحماه وذكر له خبرا ورى به عن وعماه فقال

تنفس بالحمى مطلول أرض * فأودع نشره نشرا شمالا
فصحت العيون الى كسلى * تجرر فيه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا أو شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر وتردد لديه انتهاكه وتكرر أخرجه من بلده ونفاه وطمس رسم فسقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى فقد مهجته فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة اماحته وأخذ ثار الدين منه واراحته ثم آثر صفحه وأخذ ذلك الجرو لفحه وأقام أياما ينتظر ريحا علها تزجيه ويستهديها تخلصه وتنجيه وفى أثناء بلوته لم يتجاسر أحد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

أحبتنا الالى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل

بنى العرب الصميم الارعين * ما تركم بآثار السماح
رفعتم ناركم فعشنا اليها * بوهن فارس الحى الوقاح
فهل فى القعب فضل تنضحوه * به من محض ألبان اللقاح ٢.
لعل الرسل شائبة الثنايا * بشهد من ندى نور الاقاح

وله أيضا

وكأنما رشا الحى لما بدا * لك فى مضاعفة الحديد المعلم
غصب الغمام قسيه فارا كها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله أيضا

نظرت اليه فاتقانى بمقلة * ترد الى نحرى صدور رماح
حميت الجفون النوم يا رشا الحمى * وأظلمت أيامى وأنت صباحى

وقال

قالوا تصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من ألحاظه الحور
يروح في بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مورقة * كما تفتح في أوراقه الزهر

انتهى * وقال في ترجمة ابن اللبانة أبو الحسن شاعر سمح متقلد بالاحسان متشح أم الملوك والرؤساء وعم تلك السعادة القعساء فانتجع مواقع خيرهم واقتطع ماشاء من ميرهم وتمادت أيامه الى هذا الاوان فجالت به في ميدان الهوان فكسد نفاقه وارتدت آفاقه وتوالى عليه حرمانه واخفاقه وأدركته وقد خبت سنونه واستطارت منونه ومحاسنه كعهدها في الاتقاد وبعدها من الانتقاد وقد أثبت منها مايعذب جنى وقطافا ويستعذب استنزالا واستلطافا فمن ذلك قوله يستجدي الامير الاجل أبا اسحق ابن أمير المسلمين

قل للامير ابن الامير بل الذي * أبدى به في المكرمات وفي الندى
والجتني بالزرق وهي بنفسج * ورد الجراح مضعفا ومنضدا
جاءتك آمال العفاة ظوامئا * فاجعل لها من ماء جودك موردا
وانثر على المداح سيبك انهم * نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا
فالناس ان ظلوا فأنت هو الحيا * والناس ان ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرني وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فأنجز لهم الموعود وأورق لهم ذلك العود وكثر اللغط في تعظيمها واستجادة نظيمها وحصل له بها ذكر واتصل له بسببها فكر وله من قطعة يصف بها سيفا

كل نهر توقدت شفرتاه * كاتقاد الشهاب في الظلماء
فهو ماء مركب فوق نار * أو كنار قد ركبت فوق ماء

وكتب الى معزيا عن والدي

على مثله من مصاب وجب * على من أصيب به المنتحب
وقلب فروق واب خفوق * ونفس تشب وهم نصب
فقد خشعت للتقى هضبة * ذؤابتها في صميم العرب
من الجاعلات محاريبها * هوادجها أبدا والقتب
من القائمات بظل الدجا * ولا من تسامر الا الشهب
فكم ركعت اثرها في الدجا * تناجي بها ربها من كثب
وكم سكبت في أواني السجود * مدامع كالغيث لما انسكب
وقد خلفت ولدا باسلا * فصيحا اذا ما قرا أو خطب
يفل السيوف بأقلامه * ويكسر صم القنا بالقصب

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن ابراهيم أجل من جال في خلد واستطال على جلد رشأ يحيي باحتشامه ويسترد البدر بلثامه ويزري بالغصن تثنيه ويغر الحسن لو دنت

قطوفه

قطوفه لمجتنيه مع لوذعية تخالها جريالا وبجية يختال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أنسنا بحمص وانقضى من تلك القمص وكان بثغر الاشبونة فسدّه ولم ينفرج لنا من الانس بعده ما يسدّ مسدّه الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقينا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغفل وقام لنا بما اشتهينا فيها وتكفل فبينا نحن نفض ختامها وتنفض عنا غبار الوحشة وقتامها اذا أنا بابن لبان هذا وقد دخل اذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرّة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرّعها ومازال يشرب أقداحا وينشد فينا أمداحا ويفدي بنفسه ويستهدي الاستزادة من أنسه فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتمّ مسرّة وأعمّ مبرّة وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فشبت بها اليه مجددا عهدا ومتضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره ويجتهد في تجديد ذكره

ماشام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو في مطالعه * من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالافق من قمر * متمم دون أن يرمى بنقصان
به الشبيبة تزهى من نضارتها * كأنسا قطرات فوق بستان
معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه فضة شيبت بعقيان
نبئت عنه بأنباء اذا نفحت * تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدّقها * كالشكل قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيدالله من وضح * مازادت الشمس نور الفجر للرائي
بالله بلغه تسليمي اذا بلغت * تلك الركاب وعجل غير ليان
وليت أني لو شاهدت أنسكما * على كؤس وطاسات وكيزان
فألفظ الكلم المنثور بينكما * كأنما هو من درّ ومرجان
لله درّك يا ذا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلا كما البحر في جود وفي كرم * أو الغمامة تسقي كل ظمآن
ان كان فارس هيجاء ومعترك * فأنت فارس افصاح وتبيان
فاذكر أبا نصر المعمور منزله * بالرفد ماشئت من مثنى ووحدان
قصائدا لأخي ودّ وان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى * وقال في ترجمة الاديب أبي بكر عبد المعطي بيت شعر ونباهه وابو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أيّ انتباه وله أدب باهر ونظم كما سفرت أزاهر وقد أثبت له ما لا يبلغ آمالا فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا في ليلة لم يضرب لها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو قعدي قد شبّ عن طوق الانس في الندى وما قال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قبضته وأقعدته عن ذلك وما أمرضته

قوله بابن لبان هكذا في الاصل هنا وانظره مع ما سبق فيه من انه ابن اللبانة اه مصححه

امام النثر والمنظوم فتح * بجميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لايجارى * يقرّ بفضله سيف ورمح
يبارى المزن ماسمحت سماحا * وان شحت فليس لديه شح

وكان من تسما فى عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ما ينحى تطلبه خيفة من لسانه ومحافظة على احسانه ولما خرج الى اقليش خرج معه وجعل يسايره من شيعه فلما حصلوا بفحص سرادق وهو موضع توديع المفارق للمفارق قرب منه أبو الحسين بن سراج لوداعه وأنشده فى تفرق الشمل وانصداعه

هم رحلوا عنا لامر لهم عنا * فما أحد منهم على أحد حنا
وما رحلوا حتى استفادوا نفوسنا * كأنهم كانوا أحق بها منا
فيا ساكنى نجد لبعد داركم * ظننا بكم ظنا فأخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخن * وقلتم ولم أعتب وجرتم وما جرنا
وأقسمتم أن لاتخونون فى الهوى * فقد وذمام الحب خنتم وما خنا
ترى تجمع الايام بينى وبينكم * ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم انشاده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمريض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له بالانصراف وكتب الى أبى الحسين بن سراج

أما والهدايا مارحلنا ولاحلنا * وان عزمن دون الترحل ماعنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزا * على مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم على البين سلوة * وان كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية بربض الرصافة بقرطبة ومعنا لمة من الاخوان وهو فى جملتهم مناهض لاعيانهم وجلتهم بفضل أدبه وكثرة سحبه فجعل يرتجل ويروى وينشر محاسن الآداب ويطوى ويمتعنا بتلك الاخبار ويقطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا على اقبال الايام وعلى الادبار

أيا ابن عبد الله يا ابن الاكارم * لقد بخلت عنا النصوب الغمائم
لك القلم الاعلى الذى عطل القنا * وفل ظبات المرهفات الصوارم
وأخلاقك الزهر الازاهر بالربا * ترف بشؤبوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعلا * تظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عند أبيه لمة من أهل الادب وذوى المنازل والرتب فى عشية غيم أعقب مطرا وخط فيه البرق أسطرا والبرد يتساقط كدر من نظام ويترأى كثنايا غادة ذات ابتسام وهو غلام ما نضا برد شبابه ولا انتضى مرهف آدابه فقال معترضا بهم ومتعرضا لتحقق أدبهم

كأن الهواء غدير جمد * بحيث البرود تذيب البرد
خيوط وقد عقدت فى الهواء * وراحة ريح تحل العقد

وشرب فى دار ابن الاعلم فى يوم لم ير للدهر فيه اساءه وليل نسخ نور أنسه مساءه ومعه

جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة فوقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان في ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدير ما صفا بذلك الحيف فسكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال * وقال في المطمح في حق أبي بكر يحيى ابن بقي القرطبي صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تنم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أزالته مرعى خصيبا فصار وراكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كالزمان الا أن يحيى بن علي بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صيب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة يجوس خلاله فصرف به أقواله وشرف بعوارفه فعاله وأفرده منها بأنفس درّ وقصده منها بقصائد غرّ انتهى المقصود من ترجمته في المطمح * وقال في حقه في القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطغا عليه حرمانه فما صفا له زمانه انتهى * وابن بقي المذكور هو القائل

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق

الابيات المذكورة في غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبي فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف

وهو من بغي الهوى لا ينصف

كم أداريه ودمعي يكف

أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل أغطش

طالع في غصن بان منتشي

أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف وكم ذا فتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع

أي ريم رمته فاجتنبا

وانثنى يهتز من سكر الصبا

كقضيب هزه ريح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وصلكا * واطرح أسباب هجري ودع

قال خذ لي زهره صذ نوفا

جردت عيناي سيفا مرهفا

حذرا منه بأن لا يقطفا

ان من رام جناه هلكا * فأزل عنك علال الطمع

ذاب قلبي فى هوى ظبي غرير

وجهه فى الدجن صبح مستنير

وفؤادى بين كفيه أسير

لم أجد للصبر عنه مسلكا * فانتصارى بانسكاب الادمع

وقال رحمه الله تعالى

خذ حديث الشوق عن نفسى * وعن الدمع الذى همعا

ما ترى شوقى قد اتقدا

وهمى بالدمع واطردا

واغتدى قلبى عليك سدا

آه من ماء ومن قبس * بين طرفى والحشا جمعا

بأبى ريم اذا سفرا

أطلعت أزراره قمرا

فاحذروه كلما نظرا

فبالحاظ الجفون قسى * انا منها بعض من صرعا

أرتضيه جار أو عدلا

قد خلعت العذر والعذلا

انما شوقى اليه جلا

كم وكم أشكو الى اللعس * ظمئى لو أنه نفعا

صال عبد الله بالحور

وبطرف فاتر النظر

حكمه فى أنفس البشر

مثل حكم الصبح فى الغلس * ان تجلى نوره صدعا

شبهته بالرشا الامم

فلعمرى انهم ظلموا

فتغنى من به السقم

أى ظبي القفر والكنس * من غزال فى الحشا رتعا

انتهى وله أيضا

ماردنى لابس * ثوب الضنا الدارس * الاقمر

فى غصن مائس * شعاعه عاكس * ضوء البصر

آسبر كالسيل * اليه لا باع * الاوداد

والطيف فى خيل * لهن امراع * صح الرقاد

يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم فؤادى
كالاسد العابس * لكنه خانس * من الحور

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولا جمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع * كتمان نورعلائه المتشهر
فى كل أفق من جمال ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
رد فى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
بدر عليه من الوقار سكينة * فيها القبطة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقبلت من تادا لجودك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هومعنى تلاعب الشعراء بكرته وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته سناوسناء
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ماء

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقطعات ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد مانصه بماذا أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك بهم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبراليقين أو عددت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع بأسهم وجودهم وكل ملك آدمى فمفقود وما

تؤخره الاآجل معدود فاول ناشئة ملكهم ومحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر وسابقة شرفهم الاجل الاشهر وزينهم الذى يعد فى الفضائل بالوسطى والخنصر محمد بن عباد ويكنى أبا القاسم واسم والده اسمعيل ومن شعره قوله

ياحبذا الياسمين اذيزهر * فوق غصون رطيبة نضر
قدامتطى للجمال ذروتها * فوق بساط من سندس أخضر
كانه والعيون ترمقه * زمرذ فى خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره فى حقهم فنقول وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته المعتضد أبو عمرو عباد رحمه الله تعالى لم تخل أيامه فى أعدائه من تقييد قدم ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم حتى لقد كانت فى باب داره حديقة لا تثمر الا رؤسا ولا تنبت الا رئيسا ومرؤسا فكان نظره اليها أشهى مقترحاته وفى التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته فبكى وأرق وشتت وفرق ولقد حكى عنه من أوصاف التجبر ما ينبغى أن تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا الماع ومن نظمه عفا الله عنه

أتتك أم الحسن * تشدو بصوت حسن
تمد فى ألحانها * من الغناء المدنى
تقودمنى ساكنا * كأننى فى رسن
أوراقها أستارها * اذا شدت فى فنن

وقوله

شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فضخم وأما جسمها فرقيق

وقوله

قد وجدنا الحبيب يصفى وداده * ووجدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب * لا يرى هجره ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة فى ملكه

لقد حصنت يارنده * فصرت لملكنا عده
أفادتنا ك أرماح * وأسياف لها حده

وقال رحمه الله تعالى

اشرب على وجه الصباح * وانظر الى نور الاقاح
واعلم بانك جاهل * مالم تقل بالاصطباح
فالدهر شئ بارد * مالم تسخنه براح

انتهى * ومن حكايات المعتضد عباد ماذكره غير واحد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه فقال انى شاعر فقالوا أنشدنا من شعرك فقال

انى قصدت اليك ياعباد * قصد القليق بالجرى للوادى

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما يبعد أن يدخل مع الشعراء وينــدرج في سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقي معهم وكان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال بعض لبعض هذه شنعة بنا أن يكون مثل هذا البادى يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقد رأوا أن يقول مثــل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهــم ويكون ذلك حسما لعلة إقدام مثله عليهــم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان في مجلسه ونصب الكرسي لهم رغبوا منه أن يكون هــذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم فأمر بذلك فصــعد الكرسي وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادى * وحرمت عن عيني لذيذ رقادى
وتركتني ارعى النجوم مسهدا * والنار تضرم في صميم فؤادى
فكأنما آلى الظلام أليــة * لا ينجــــلى الا الى ميعاد
لى بين بين أين تقــتاد النوى * ابل الذين تحــملوا بســعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه * والليــل يرفل في ثياب حداد
بشملة حرف كأن زميلها * سرح الرياح وكل برق غادى
والنجم يحدوها وقد ناديتها * يا ناقــتي عوجى عــلى عباد
ملك اذا ما أضرمت نار الوغا * وتلاقت الا جنــاد بالاجناد
فــترى الجسوم بلا رؤس تنثنى * وترى الرؤس لقى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمــل والذى * قد ماسما شرفا على الانداد
ان القريض لكاسد في أرضنا * وله هنا سوق بغــير كساد
فجلبت من شعرى اليك قوافيا * يفنى الزمان وذكرها متمادى
من شاعــر لم يضطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفــة بمداد

فقــال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقــال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسـن اليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى اخبار بقية بنى عباد) المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد أبى عمرو عباد ابن القاضى أبى القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد وأديب على الحقيقة مجيد وهــمام تحلى به للملك لبة وللنظم جيد افنى الطغاة بسيفه وأباد وانسى بسببه ذكر الحرث بن عباد فاطلع ايامه في الزمان حجولا وغررا ونظم معاليه في اجيادها جواهر ودررا وشيد في كل معلوة فناءه وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مســتظرفة أوقاته وآناءه فنفقت به للمحامد سوق وبسقت ثمرات احسانه أى بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من أبنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك وزين بهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته وأخذ البؤس في فيئته واعتز الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك الثبات والمقام في ذلك

المقام الى أن بذل القطب بالواقع واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعره بالوفاء فثاب اليه فكر خاطره وفاه وثبت خلال تلك المدة للنزال ودعا من رام حربه نزال الى أن أصبح والحروب قد نهبته والايام تسترجع منه ماوهبته فثل ذلك العرش واعتدت الليالى حين أمنت من الارش فنقل من صهوات الخيول الى بطون الاجفان وهذه الدنيا جميع مالديها زائل وكل من عليها فان فما اغنت تلك الممالك وما دفعت وليتها ماضرت اذ لم تكن نفعت وكل يلقى معجله ومؤجله ويبلغ الكتاب أجله * وقال الفقيه القاضى أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بنى عباد وقد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه مالا يبلغ مع كثرته الى انصافه وانا الآن أذكر نبذا من أخباره وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رائقه عالى النظم فائقه كان يسمى محمد ويكنى بابى القاسم على كنية جده القاضى استبد بالامر عند موت أبيه المعتضد وفى ذلك يقول الحصرى رحمه الله تعالى

مات عباد ولكن * بقى الفرع الكريم * فكأن الميت حى * غير أن الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ووصل اليهودى ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحلوا بباب من أبواب اشبيلية فوجه اليهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودى والله لا اخذت هذا العيار ولا آخذ منه الا مصيرا وبعد هذا العام لا آخذ منه الا اجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد وأعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ايتونى باليهودى وأصحابه واقطعوا احبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودى الملعون فقال اليهودى لا تفعل وأنا أفتدى منك بزنتى مالا فقال والله لو اعطيتنى العدوة والاندلس ماقبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصرانى فكتب فيهم فوجه اليه بهم فاقسم النصرانى أن يأتى من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الزقاق وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل الى ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا أخذ البلاد يأخذ أموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على أن يخلع ملوك الاندلس ودارت اذ ذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا عنها فلم يكن الا كلمح البصر واذا باقلة شراع قد أطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فأمره باخلائها ففعل وعند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين فى خلع ملوك الاندلس وقتالهم وأرسل الى كل مملكة جماعة من أهل دولته وأجناده يحاصرونها وأرسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع فى قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها على ماجرت به العادة من حب الجديد لاسيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك فى الشرب والملاهى

مالا يخفى أمره فقوى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد مخنق المعتمد وجه عن النصارى فأعدلهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه في البلد فافاق من نومه وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه في يده وليس عليه الاثوب واحد فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ففر الناس أمامه وتراموا من السور ووقف حتى بان الباب وفي ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتى ان يسلب القوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا فاسترحم له ودخل القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب الامان له ولمن معه فأمن وجميع من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصرى الشاعر وكان قد ألف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصرى ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه ثم انتقل حتى وصل اغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى *وقال الفتح في ترجمته مانصه ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدرهدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت ايامه مواسم وثغوره بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان حجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يخلها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقى اثرها باديا ولقى مقتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الامم وموقفا لكل كمى وموقعا لكل ذى انف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماه ومشاهير الحماه أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء وطلع في سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فاصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان ومضمارا لاحراز الخصل في كل معنى وفصل فلم يتحقق بزمامه الاكل بطل نجد ولم يتسق في نظامه الاذكاء ومجد فاصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفضح الرصافى وصفه ايام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجلة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان اقدموا احجم عنترة العبسى وان نخروا أفحم عرابة الاوسى ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه واذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فاصبح خائفا تتعدوه الرياح وناهضا يزجيه البكاء والصياح قد ضحت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه وانمحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت ببهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا للدنيا ما رعت حقوقه ولا ابقت شروقه فكم احيا ها لبنيها وأبدا ها رائقة لمجتنيها وهى الايام لا يتقى من تجنيها ولا تبقى على موالها ومدانيها ادرت آثار جلق واخمدت نار المحلق

قوله وجه عن النصارى هكذا في الاصل ولا يخفى ما فيه فلعله محرف والاصل وجه الى النصارى أو نحو ذلك وليحرر اه مصححه

وذلت عزة ابن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد وتعمت بؤس النعمان وأمكنت غدرها له فى طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس انسه وغير ذلك من أمره ما نذكر بعضها فى هذا الكتاب * وقال فى ترجمة ابنه الراضى بالله أبى خالد يزيد بن المعتمد ما نصه ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة اسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار لهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى فرس سائل الغرة ميمون الاسرة يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق فى السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل أعوج أو ولد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد واقلع عن الدراسه الى تدبير الرياسه ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويورد الآمل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق فى أمر الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء واخفق واستحالت بهجتها واحالت عليها من الخال لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسماك منتسب واقام فيها رهين حصار ومهين حماة وانصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وامكنت منه يدى مسيها فخواه رمسه وطواه عن غده امسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه انتهى والذى اشار اليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون بن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك ما نصه ثم انتقلوا الى رندة احدى معاقل الاندلس الممتنعه وقواعدها السامية المرتفعه تطرد منها على بعد مرتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لانصبابها دوى كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تكون واديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها فى التوعر والامتناع وقد تجوفت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها لباناتها واوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتصور فيها عدو الا عقله ناب أو مخلب فلما أناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد وفيها ابنه الراضى لم يحفل باناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه من منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى فى أمر اشبيلية ما انقضى وافضى أمر أبيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل برا بأبيه وأبقى على أرماق ذويه بعد أن عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل فى يديهم مالوا به عن الحسن وجرعوه الردى واقطعوه الثرى حين اودى وفى ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قرية بائحة بشجنها نائحة بفننها على سكنها وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترنما

بكت أن رأت الفين ضمهما وكر * مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يباح به سر
فمالى لا أبكى أم القلب صخرة * وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وابكى لآلاف عديدهم كثر

بنى صغيرا أو خليل موافق * يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر
ونحن زمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذن ان ضن جفنى بقطرة * وان لومت نفسى فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معى * لمثلهما فلتحزن الانجم الزهر

انتهى* وقال فى ترجمة الراضى ما صورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه ويصميه بسهامه فربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلى وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه فى بث آلامه واستجارة عذله وملامه ما تستبدعه وتحله النفوس وتودعه فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا أفول
حنانك ان يكن جرمى قبيحا * فان الصفح عن جرمى جميل
الست بفرعك الزاكى وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعنى الراضى هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب الفهن أيام خلائه من دوله وجال معهن فى ميدان الى أعظم جوله ثم انتزعوا منه بعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوه والموا بها الما ما قريش بدار الندوه فقال

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبى أى ايقاد
وأذكرونى اياما لهوت بهم * فيها ففازوا بابشارى واحمادى
لاغرو ان زاد فى وجدى مرورهم * فرؤية الماء تذكى غلة الصادى

قوله لاغرو الخ فى نسخة لاغرو أن زاد وجدى فى مرورهم اه

ولما وصل العدو لورقة أعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ونهد نحوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدو دون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضى بالخروج اليه فى عسكر جرده لمحاربته واعده لمصادمته ومضاربته فاظهر التمرض والتشكى وأضمر التقاعس والتلكى فرارا من المصادمه واحجاما عن المساومه وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعه أربح من المقارعه ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باحادة صدر وعنوان فعلم المعتمد مانواه وتحقق مالواه فاعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذى لم تنشر بنوده ولا نصرت جنوده فعندما لاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا باعطاء الغرة بدلا من القرار وتفرقوا فى تلك الافاريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فصيف العدو من بقى مع المعتمد واهتضمه وخضم ما فى العسكر وهضمه وغدت مضاربه مجزعواليه ومجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع السدانه ومضيع الامانه فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله

وفرضه فكتب اليه الراضي

لايكرثنك خطب الحادث الجارى * فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * ان خانه حد أنياب واظفار
لئن أتوك فمن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضارى
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وماعليك لهم اسعاد اقدار
لويعلم الناس فيه أن تدوم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عارى
ولواطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو

قوله السلو والحنو فى سجعة السلق والحنق اه

ألملك فى طى الدفاتر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقامر
واطعن باطراف اليرا * عة مرت فى ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضى الحد باتر
أولست اسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وأبو حنيفة ساقط * فى الرأى حين تكون حاضر
وكذاك ان ذكر الخليل فأنت نحوى وشاعر
من هرمس من سيبويه * من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويت * فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
لجبت وجه رضاى عنك وكنت قد تلقاه سافر
أولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لايستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * واطعته اذ ذاك آمر
قد كان ابصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضي مراجعا بقطعة منها

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ماتحوى الدفاتر
وفلت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لاضرب أقوال بأقـ * ـوال ضعيفات مناكر
قد كنت أحسب من سفا * هانها أصل المفاخر

فاداہا فـــرع لها * والجهل للانسان عاذر
لايدرك الشرف الفتى * الابعـــــال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجدت انهم اكابر
لو كنت تهوى منيتى * لوجدتنى للعيش هاجر
فحسك الموالى بالعبيـ * ـد اذا تؤمل غير ضائر
ان كان لى فضل فنسك * وهل لذاك النور ساتر
أوكان بى نقص فى * غير أن الفضل غامر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
ياليتـه قد غيبته * عندها احدى المقابر
أتريد منى أن أكو * ن كن غدا فى الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيى الاوائل والاواخر
لاتنس يامولاى قو * لة ضارع لاقول فاخر
ضبط الجزيرة عند ما * نزلت بقفرتها العساكر
أيام ظلت بها فريـ * ـدا ليس غير الله ناصر
اذ كان يعشى ناظرى * لمع الاسنة والبواتر
ويصم اسماعى بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة * لكن ثبت بها مخاطر
هبنى اسات كما أسأ * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتى لبنوتى * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة فى البوار والامور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا الغير طيه وقضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسبما سردناه وعلى ما أوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق فى علمه فلا مرد له ولا معقب لحكمه لا اله الا هو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بنى عباد بالاندلس من أبهج الدول فى الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شئ بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد فى أخبار بنى عباد ولا يلتفت لكلاب عقور نبح بقوله

مما يزهدنى فى أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك فى حقهم لايقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضى والمعتمد وغيرهم وقد سردنا خبر بعضهم وكان الدانى المذكور ماثلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقه التى هى أزكى من زهر الحديقه فمن ذلك قوله من قصيدة

يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعه الذين عمروا من المجد أربعه وهم الرشيد عبيد الله والراضى يزيد والمأمون والمؤتمن وكانوا نجوم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن ولقد أجاد فى ذلك كل الاجاده وأطال نجدهم نجاده

يغيثك فى محل يعينك فى ردى * يروعك فى درع يروقك فى برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد
بمهجته شاد العلى ثم زادها * بناء بابناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل ذكر المجد والشرف العد

والمأمون بن المعتمد قتله لمتونة بقرطبة والراضى يزيد قتلوه برندة كما سقنا خبره آنفا وفى حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حمديس الصقلى

ولما رحلتم بالندى فى اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد دنت * فهذى الجبال الراسيات تسير

وفى قضية المعتمد يقول الدانى المذكور

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى فى مناياهن غايات
والدهر فى صفة الحرباء منغمس * لوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده * وطالما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضى قد كتمت * سريرة العالم العلوى اغمات

وهى طويلة ذكرها الفتح وغيره وللدانى أيضا قصيدة عملها فى المعتمد وهو باغمات سنة ٤٨٦

تنشق بريحان السلام فانما * افض به مسكا عليك مختما
وقل لى مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك فى نعمى فقد كنت منعما
افكر فى عصر مضى بك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندى مظلما
وأعجب من افق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع انجما
لئن عظمت فيك الرزية اننا * وجدناك منها فى الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقصمت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل عود ولا كمحمد * وأولاده صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبى حبيب وقومه * عمى طلل يدنو بهم ولعلما
صنيا حوم كانه لمحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدى الليالى قلوبهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الادم تمشى حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترنما
كان لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهى احكى عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلى * ولم يبق فى أرض المكارم معلما
تضيق على الارض حتى كانما * خلقت واياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لى الاسى * دموعا بها أبكى عليك ولا دما
وانى على رسمى مقيم فان امت * سأجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو الخما
وحار ابنك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغارأخوك البحرغيظا فما طمى
وما حل بدر التم بعدك دارة * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * بشم وان امطوك اشأم أدهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم أرحما
عجبت لأن لان الحديد وان قسوا * لقد كان منهم بالسريرة أعلما
سينجيك من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح ابن مريما

ولابى بكر الدانى المذكور فى البكاء على أيامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هى قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيئة تصنيف سماه السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات عدة وفادات لم يخل فى جميعها من افادات وقال فى احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودى على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة أوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه وعظم أمره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم فى الادب حصه ولقضية المعتمد فى صدورهم غصه منهم البالغ فى البلاغة الامد شاعره أبو بحر عبد الصمد وكان به خصيصا وكم ألبسه من برّه حلة وقميصا فقال من قصيدة طويلة أجاد فيها ماشا وجاب بها الى أنفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كل من حضر وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم عيد فسبحان المبدئ المعيد * ويحكى ان رجلا رأى فى منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كان رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وأنشد هذه الابيات متمثلا

رب ركب قد أناخوا عيسهم * فى ذرى مجدهم حين بسق

بكت الدهر زماناً عنهم * ثم أبكاهم دماً حين نطق

وعاش أبو بكر بن اللبانة المعروف بالداني المذكور آنفاً بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك يروعك في حلى ريعانه * راقت برونقه صفات زمانه

وأين هذا من أمداحه في المعتمد * وتذكرت هنا من أحوال الداني انه دخل على ابن عمار في مجلس فأراد أن يندر به وقال له اجلس يا داني بغير ألف فقال له نعم يا ابن عمار بغير ميم وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والاخذ بالثار في المزاح * ونظيره وان كان من باب آخر ان المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء اشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين وقال يا ابن عمار الجيارين ففهم مراده وقال في الحال يامولاي والجباسين فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لا تبعها منهم الاغالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الجيارين بقوله الجيارين اشارة الى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخناشين أي هي وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها وهذا شأو لا يلحق * ومن أخبار المعتمد انه جلس يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء في وصفها فصنع ابن وهبون بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء

تمضي البزاة وكلما أمضيتها * عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنهما وأسنى جائزته * وذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه حمل وافر من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلى فقال له ابو العرب معرضاً ما يحمل هذين الكيسين الا الجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال ابو العرب بديها

أجديتني جملا جوناً شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا

نتاج جودك في أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا

فاعجب لشأني فشأني كله عجب * رفهتني فحملت الحمل والجملا

وذكر الحجاري هذه القصة فقال قعد المعتمد في مجلس احتفل في تنضيده واحضار الطرائف الملوكية وكان في الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين وقد حلي بنفائس الدر فأنشده أبو العرب قصيدة فأمر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة فقال معرضاً بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة الا الجمل فقال خذ هذا الجمل فانه حمال أثقال فارتجل شعرا منه * رفهتني فحملت الحمل والجملا * وذكر أن ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال فسارت بهذا الخبر الركائب وتهادته المشارق والمغارب * وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء في بيت المتنبي الذي زعم انه أمير شعره

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قوله أجديتني في نسخة أهديتني وقد ذكر ذلك في غير هذا المحل

فقال

فقال ماقصر فى مقابلة كل لفظة بضدها الا أن فيه نقدا خفيا ففكروا فيه فلما فكروا قالوا له ماوقفنا على شئ فقال الليل لايطابق الا بالنهار ولا يطابق بالصبح لان الليل كلى والصبح جزئى فتعجب الحاضرون وأثنوا على تدقيق انتقاده قال الصفدى قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبى الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لى فهذا محب يزور أحبابه فى سواد الليل خوفا ممن يشى به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة والصبح أول مايغرى به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الخائف يتلبث الى أن يتوضح النهار ويملئ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يختلج فى صدرى ضعف ماقال الصفدى حتى وقفت على ماكتبه البدر البشتكى ومن خطه نقلت ماصورته هو ماانتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال فى بدائع البداءه جلس المعتمد للشرب وذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه جارية تسقيه وهى تقابل وجهها بنجم الكاس فى راحة كالثريا تخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب يسوق به ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

وبين يديه الخ هكذا فى الاصل والذى رأيته فى البدائع مانصه وبين يديه ساقية تخجل الزهر بطيب العرف والريا وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس فى راحة الثريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركامه الخ اه

روعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع

عجبت منها وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل مايمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندى أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان فى قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لايشكو ملالا

رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيها ماعدة مقاطيع بديهة منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف

لاحا لعينى كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا

كأنما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب

غمامة تحت جنح الليل هامعة * فى جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا

وأنبوب ماء بين نارين ضمنا * هوى لكئوس الراح تحت الغياهب

كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحركها في الماء لمع الحباحب

وقال أيضا

كأن مراجي مر بهم في التظائها * وأنبوب ماء الفيل في سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما * لثيمان في انفاقه بعد لانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين بن زيدون يرثى المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها

هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر * فمن شيم الاحرار فى مثلها الصبر
ستصبر صبر اليأس أو صبر حسبة * فلا تؤثر الوجه الذى معه الوزر
حذارك من أن يعقب الرزء فتنة * يضيق بها عن مثل ايمانك العذر
اذا أسف الثكل اللبيب فشفه * رأى أفدح الثكلين أن يذهب الاجر
مصاب الذى يأسى بموت ثوابه * هو البرح لا الميت الذى أحرز القبر
حياة الورى نهج الى الموت مهيع * لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها

اذا الموت أضحى قصد كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر
ألم تر أن الدين ضيم ذماره * فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثانى عطفه * وجرر من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء يرومه * ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر
اذا عثرت جرد العناجيج فى القنا * بليل عجاج ليس يصدعه فجر

ومنها

أعباد يا أوفى الملوك لقد عدا * عليك زمان من سجيته الغدر

الى أن قال بعد أبيات كثيرة

الا أيها المولى الوصول عبيده * لقد رابنا أن يتلوا الصلة الهجر
يناديك داعينا السلام كعهده * فما يسمع الداعى ولا يرفع الستر
أعتب علينا ذاد عن ذلك الرضا * فتسمع أم بالمسمع المعتلى وقر

ومنها

وكيف بنسيان وقد ملأت يدى * جسام أياد منك أيسرها الوفر
وان كنت لم أشكر لك المنن التى * تملتها تترى فلا بقى الكفر
فهل علم الشلو المقدس انى * مسوغ حال حار فى كنهها الدهر
وان متاتى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضى وابنك البر
هو الظافر الاعلى المؤيد بالذى * له فى الذى ولاه من صنعه سر
له فى اختصاصى ما رأيت وزادنى * مزية زلفى من نتائجها الفخر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ولحظهم شزر
اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماطا حفله فلى الصدر

وفى نفسه العلياء لى متبوّأ * يساجلنى فيه السماكان والنسر

ومنها

لك الخيرات الرزء كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر

فقرت عيون كان أسخنها البكا * وقرت قلوب كان زلزلها الذعر

ومنها

ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاقها الغبر

فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر

ومن قبل ما قدمت مثنى نوافل * يلاقى بها من صام من غيره فطر

ورحت الى القصر الذى غض طرفه * بعيد التسامى أن غدا غيره القصر

وأجل عن الثاوى العزاء فان نوى * فانك لا الوانى ولا الضرع الغمر

وما أعطت السبعون قبل أولى الحجا * من اللب ما أعطاك عشرولك والعمر

ألست الذى ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر

فلا تهض الدنيا جناحك بعده * فمنك لمن هاضت نوائبها جبر

ولازلت موفور العديد بقرّة * لعينك مشدود ابها ذلك الأزر

فانك شمس فى سماء رياسة * تطلع منها حولنا أنجم زهر

شككنا فلم نثبت لايام دهرنا * بها وسن أم هز أعطافها سكر

وما ان تغشتها مغازلة الكرا * وما ان تمشت فى معاطفها الخمر

سوى نشوات من سجايا ممالك * يصدق فى علياتها الخبر الخبر

أرى الدهر ان يبطش فأنت يمينه * وان تضحك الدنيا فأنت لها ثغر

وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هنالك الايادى الشفع والسودد الوتر

هنالك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللها والبأس والنظم والنثر

همام اذا لاقى المناجز ردّه * واقباله خطر وادباره حصر

محاسن ما للروض ساهره الندى * رواء اذا نصت حلاها ولا نشر

متى انتشقت لم تدر دارين مسكها * حياء ولم يفخر بعنبره الشحر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

قد استوفت النعماء فيك تمامها * علينا فمنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوّقه الى تعاطى الحيا فى قصوره البديعة التى منها المبارك والثريا

فز بالنجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتنجز الآمالا

وليهنك التأييد والظفر الذى * صدقا لك فى السمة العلية فالا

يا أيها الملك الذى لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا

أما الثريا فالثريا نسبة * وافادة وانافة وجمالا

قد شاقها الاغباب حتى انها * لو تستطيع سرت اليك خيالا

وفد بورودكها لتغنم راحة * وأحل منازلها لتنعم بالا
وتأمل القصر المبارك وجنة * قد وسطت فيها الثريا خالا
وأدر هنالك من المدام كؤسها * وأتمها وأشفعها جريالا
قصر يقر العين منه مصنع * بهج الجوانب لومشى لاختالا
لازلت تفترش السرور حدائقا * فيه وتلتحف النعيم ظلالا

وأهدى اليه تفاحا واعتقد أن يكتب معه قطعة فبدأبها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا

دونك الراح جامده * وفدت خير وافده
وجدت سوق ذوبها * عندك اليوم كاسده
فاستحالت الى الجمو * د وجاءت مكايده

وكتب الى المعتمد

يا أيها الظافر نلت المنى * ولا اتانا فيك محذور
ان الهلال الزهر قد ضمها * ثوب عليك الدهر مزرور
لازال للمجد الذى شدته * ربع بتعميرك معمور
وافاك نظم لى فى طيه * معنى معمى اللفظ مستور
مراميه يصعب مالم يبح * بالسر تقرى وشعرور

وذكر أبياتا فيها أسماء طيور عمى بها عن بيت طيره فيها والبيت المطير فيه

أنت ان تغز ظافر * فليطع من يشافر

ففكه المعتمد وجاوبه

يا خير من يلحظه ناظرى * شهادة ماشانها زور
ومن اذا خطب دجا ليله * لاح به من رأيه نور
جاءتنى الطير التى سرها * نظم به قلبى مسرور
شعرهو السحر فلا تنكروا * انى به ماعشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها * قيل هما مسك وكافور
هوى لحسن الطير من فكرتى * صقر تولى وهو مقهور
ولاح لى بيت فؤادى له * دأبا على ودك مقصور
حظك من شكرى يا سيدى * حظ تعالى منك موفور
قصرت فى نظمى فاعذرفمن * ضاهاك فى التقصير معذور
فأنت ان تنظم وتنثرفقد * أعوز منظوم ومنثور
لا يعدكم روض من الحظ فى الاكرام والترفيع ممطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظى من نعماك موفور * وذنب دهرى بك مغفور
وجانبى ان رامه أزمة * جرلدى ظلك محجور

يا ابن الذى سرب الهدى آمن * منذ انبرى يحميه مخفور
وآمر الدهر الذى لم يزل * يصغى اليه منه مأمور
أأبس منك الدهر أسنى الحلى * بظافر منجاه منصور
قام وفى المأثور يا من له * مجد مع الايام مأثور
عبدك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره منعما * فاليسر أن يقبل معسور
ان حلال السحر ان صغته * فى صحف الانفس مسطور
نظم زهانى به اذ جاءنى * على عظيم القدر مذخور
لاغرو ان أفتن اذ لاحظت * فكرى منه أعين حور
نم عن معناه ألفاظه * كما وشى بالراح بلور
نبهت اذ عارضته غير أن * لابد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم * ذالك من الاعمال مبرور
ان الذى يرجو موازاتكم * من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور
لازلتم فى غبطة ما انجلى * عن فلق الاصباح ديجور
ولا يزل يجرى بما شئتم * أعماركم لله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن فك معمى كتب به اليه ابن زيدون ما صورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه
فليجل شخصك عنها * ما بالمغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبى الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية (رجع الى بنى عباد) قال ابن حمديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعانى وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فحين تأملتهما قال لى أجز

انظرهما فى الظلام قد نجما * فقلت * كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لى بجائزة وألزمنى الخدمة * وعلى ذكر ابن حمديس فما أحسن قوله

أرى الك ركبت فى الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندى * أمور ألجأتك الى ركوبه

قوله قام وفى المأثور الخ هكذا فى الاصل ولعله محرف والاصل فعاد فى المأثور أو نحو ذلك وليحرر اه مصححه

ولغيره

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه
لولا الذي فيه يتلى * ما جاز عندي ركوبه

وقال ابن حمديس في هذا المعنى

لا أركب البحر أخشى * علي منه المعاطب
طين أنا وهو ماء * والطين في الماء ذائب

(رجع الى بني عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرني الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلي قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكاس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ما ضر ان قيل اسحق وموصله * ها أنت أنت وذي حمص واسحق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به * وان تشابه أخلاق وأعراق
لله درك دارِكها مشعشعة * واحضر بساقيك ما قامت بنا ساق

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجبا وله أخبار في الكرم يقضي الناظر فيها من أمرها عجبا وكذلك اخوته وقد ألمعنا في هذا الكتاب بجملة من محاسنهم وأمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هي التي ترجمناها في هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بني عباد فلنعد الى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد في بعض مصنفاته كان المعتمد كثيرا ما يأنس بها ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وانما كانت مليحة الوجه حسنة الحديث حلوة النادر كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية وكانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهي أبدع منها ملحا وأحسن افتنانا وأجل منصبا وكان أبوها أمير قرطبة ويلقب بالمستكفي بالله وأخبار أبي الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا * ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها ولا يوم الطين وذلك انها رأت الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي في الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالايدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها في بعض الايام فاقسمت انها لم تر منه خيرا قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء لو احسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد اشار في أبياته الرائية الى هذه القضية حيث قال في بناته

يطأن في الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

ويحتمل أن يكون اشار بذلك الى ما تجري به عادة الملوك من ذر الطيب في قصورهم حتى يطؤه باقدامهم زيادة في التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال وأول عيد أخذه يعني المعتمد باغمات وهو سارح وما غير الشجون له مبارح ولا زي الاستحالة الخمول

واستحالة الحول فدخل اليه من يسليه ويسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التساؤل ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافيه وآثار نعيمهن عافيه فقال

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا * فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لا خد إلا تشكى الجدب ظاهره * وليس إلا مع الأنفاس ممطورا
أفطرت في العيد لا عادت مساءته * فكان فطرك للأكباد تفطيرا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فإنما بات بالأحلام مغرورا

انتهى * وقال الفتح أيضا ولما نقل المعتمد من بلاده واعري من طارفه وتلاده وحمل في السفين وأحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي اسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك في اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لا غمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته * والنهر والتاج كل ذله بادي
ماء السماء على أفيائه درر * يا لجة البحر دومي ذات ازباد

وفي ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجني النعيم وفي علياتها فلكا
في أمره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان في بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهي من أجمل المواضع لديه وابهاها وأحبها اليه واشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله في العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزري بحلاوة الضرب ما لم يكن بحلب لبني حمدان ولا لسيف ابن ذي يزن في رأس غمدان وكان كثيرا ما يدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان اليه بعدوانه وسد عليه أبواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بأرض المغربين أسير * سيبكي عليه منبر وسرير

وتنـدبه البيض الصوام والقنا * وينهـل دمـع بينهن غـزير
مضى زمن والملك مسـتأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهـر المضلل فاسـد * متى صلحت للصالحـين دهور
اذل بنى ماء السماء زمانهـم * وذل بنى ماء السمـاء كبير
فياليت شـعرى هل أبيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتـة الزيتون مورثة العـلى * تغنى حمام أو ترن طيور
بزاهرها السامى الذى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسـعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسـيرا لايسـيرا مـناله * ألا كـل ماشاء الاله يسير

انتهى * وقال الحجارى فى المسهب ان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اهدى الى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة وأهل العـدوة بالطبع يكرهون أهل الاندلس وجاء بها الى اشبيلية وقد كثر الارجاف بان سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر فى ذلك فخرج بها الى قصر الزهراء على نهر اشبيلية وقعـد على الراح فخطر بفكرها أن غنت عندما انتشى هذه الابيات

حلوا قلوب الاسد بين ضلوعهم * ولووا عمائمهـم على الاقمار
وتقلـدوا يوم الوغا هنـدية * امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهـة * أو أمنوك حللت دار قـرار

فوقع فى قلبه انها عرضت بساداتها فلم يملك غضبه ورمى بها فى النهر فهلكت انتهى فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للجارية فى قولها (ان خوفوك لقيت كل كريهة) وحصره جيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهرا وسيق الى أمير المسلمين والقصة مشهورة * وقال الفتح فى شأن حصار المعتمد ماصورته ولما تم فى الملك أمده وأراد الله تعالى أن تخـترم عـدده وتنقرض ايامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعدما نثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه وأخذت عليـه الفروج والمضايق واثبتت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وأمطرته من النكاية كل ديمة مدرار وهو ساه بروض ونسيم لاه براح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم انس هو هادمه لايصيخ الى نباءة ولا ينيخ الا على لهو يفرق جموعه جمعه وقد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله وحين اشـتد حصاره وعجزعن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعـلاته فتح باب الفـرج وقد انبع شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمره واشتعلت من التغلب جمره تأجج اضطرامها وسهل بها ايقاد الفتنة واضرامها وعندما سقط الخـبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته جامحا كالمهر قبل رياضته فلحق أوائلهـم عند الباب المذكور وقد انتشروا فى جنباته وظهروا على البلد من أكثر جهاته وسيفه فى يده يتلمظ للطلى والهام ويعد بانفراج ذلك

الاستبهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه وأغربت شمسه ولقي ثانيا فضربه وقسمه وخاض جيش ذلك الداء وحسمه فاجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبني منه ما هد ثم انصرف وقد أراح نفسه وشفاها وأبعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفي ذلك يقول عندما خلع وأودع من المكروه ما أودع

ان يسلب القوم العدا * ملكي وتسلمني الجموع

فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع

قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصنني الدروع

وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيء دفوع

اجلي تأخر لم يكن * بهواه ذلي والخضوع

ما سرت قط الى القتال وكان من أملي الرجوع

شيم الالى انا منهم * والاصل تتبعه الفروع

وما زالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما تربو ثلاث ورقات * ومن حكايات مجالس انسه ايام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر في سلكه ما حكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه في دار المزينية والزهر يحسد اشراق مجالسه والدر يحكي اتساق تانسه وقد رددت الطير شدوها وجودت طربها ولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والازهار تحيي بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثني القضيب ويحمل الكاس في راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكان الثريا وشاحه واتار فكان الصبح من محياه كان اتضاحه فلما ناوله الكاس خامرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

قه ساق مهفهف غنج * قد قام يسقي فجاء بالعجب

اهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للامن الى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وازال توجسه وقال له خرجت من اشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكفكفت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس اخالها لا يحول قلبها ولا خلخالها وقد قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر راياته

بكينا دما حتى كان عيوننا * بجري الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدا
أما وجدت عنا الشجون معرّجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبي على حرّه بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة * وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فكثر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه قال الفتح وأخبرني ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقي وحياه وسفر له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلأت يداه وغمر جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار قد أترعا بصرف العقار ومعهما

جاءتك ليلا في ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لف من مريخه * اذ لفه في الماء جذوة نار
لطف الجود لذا وذا فتألفا * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن في نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء دراري

وقال الفتح أيضا وأخبرني ذخر الدولة انه استدعاه في ليلة قد ألبسها البدر رداءه وأوقد فيها أضواءه وهو على الحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها تخالها زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى حديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تترجم عن غرامه وتجمجم عن تعذر مرامه فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغربه وأنشده

أيا نفس لا تجزعي واصبري * والا فان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرا * وعوضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلم بقصته ولا كشف له عن غصته انتهى * وقال الفتح أيضا أخبرني ذخر الدولة بن المعتضد انه دخل عليه في ليلة قد امتطى السرور سنامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الاماني سوادها وغازل نسيم الروض زوارها وعوادها ونور السراج قد قلص اذيالها ومحا من لجين الارض نبالها والمجلس مكتس بالمعالي وصوت المثاني والمثالث عالي والبدر قد كمل والنصف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال المعتمد

قوله نبالها في نسخة نيالها بالموحدة وانظره اه

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدى البدر في جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لالاؤها فاستكمل اللالاء

لما أرادتنزها في غـــــرية * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليـــه لواء
وحكيته في الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذي الكؤس ضياء
واذا تغنت هـذه في مزهر * لم تال تلك على التريك غناء

وأخبرني ابن اقبال الدولة انه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداء ند واسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قزحه حنايا قوس آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبي محمد المصري

أيها الصاحب الذي فارقت عيـ * ـني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
نتعاطى التي تنسي من الرقة واللـذة الهـوى والهواء
فأته تلف راحـــة ومحـيا * قد أعدا لك الحيا والحياء

فوافاه وألفي مجلسه وقد اتلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور وطرادها واعطته الاماني انطباعها وانقيادها واهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادبرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه مااسترق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس في ثبير وعندما تناولها قام المصري ينشد أبياتا يمدحها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * بشاد مهر ودع غمدان لليمن
فانت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه واسرف في تانسه وأمر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى اجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ له بالمواهب يدا * وله في غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلى الابطال قارعا وفي الدماء والغا ولمستبشع كؤس المنايا سائغا وهو ظبي قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومتكاثف العجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شكتها أحداقه قال

ابصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطرفي انه فلك
أو ليس وجهك فوقه قمرا * يجلي بنير نوره الحلك

وقال فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمح بنا القلم في ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وما ذلك الا لما علمنا أن نفوس

الادباء الى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الابار فى الحلة السيراء رقة فى القلوب وخصوصا بالمغرب فان أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم وان فيها الاعظم عبرة رحم الله تعالى الجميع (رجع الى أخبار النساء) *(ومنهن) العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد اهداها اليه مجاهد العامرى من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن علیم فى شرحه لادب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهى خشبة بين حمالين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ما صورته وبذكر الموسعة اغربت جارية لمجاهد اهداها الى عباد كاتبة شاعرة على علماء اشبيلية بالغرمة التى تظهر فى أذقان بعض الاحداث وتعترى بعضهم فى الخدين عند الضحك فاما التى فى الذقن فهى النونة ومنه قول عثمان رضى الله تعالى عنه وسموا نونته لتدفع العين وأما التى فى الخدين عند الضحك فهى الفحصة فما كان فى ذلك الوقت فى اشبيلية من عرف منهما واحدة * وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهى نائمة فقال

تنام ومدنفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فاجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها *(ومنهن) بثينة بنت المعتمد بن عباد وأمها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحوا من أمها فى الجمال والنادرة ونظم الشعر ولما أحيط بأبيها ووقع النهب فى قصره كانت فى جملة من سبى ولم يزل المعتمد والرميكية عليها فى وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب وكان أحد تجار اشبيلية اشتراها على انها جارية سرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت واظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضى أبى بذلك واشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لابيها وانتظار جوابه وكان الذى كتبته بخطها من نظمها ما صورته

اسمع كلامى واستمع لمقالتى * فهى السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا أنى سبيت وأننى * بنت لملك من بنى عباد
ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا * واذاقنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبى فى ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازنى امرؤ * لم يأت فى اجماله بسداد
اذ باعنى بيع العبيد فضمنى * من صاننى الا من الانكاد
وأرادنى لنكاح نجل طاهر * حسن الخلائق من بنى الانجاد
ومضى اليك يسوم رأيك فى الرضا * ولانت تنظر فى طريق رشادى
فعساك يا أبتى تعرفنى به * ان كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها * تدعو لنا باليمن والاسعاد

قوله لادب الكاتب فى نسخة لآداب الكتاب اه

فلما وصل شعرها لابيها وهو بأغمات واقع في شراك الكروب والازمات سرّ هو وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن امنياتها اذ علما ما آل أمرها وجبر كسرها اذ ذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه حجاب رين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور وكتب اليها أثناء كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور

بنيتي كوني به برّة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول * (ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادي الحجارة ذكرها في المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما احلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا ويعشيها بافراط هيبته

ولها أيضا

لي حبيب لا ينثني لعتاب * واذا ما تركته زاد تيها
قال لي هل رأيت لي من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لي شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب اني من عبيدي على * جمر الغضا ما فيهم من نجيب
اما جهول ابله متعب * أو فطن من كيده لا يجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

ياوحشتي لاحبتي * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعتهم * ياليلة هي ماهيه

* (ومنهن) زينب المرية كانت أديبة شاعرة وهي القائلة

ياأيها الراكب الغادي مطيته * عرّج أنبئك عن بعض الذي أجد
ماعالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه واني في مسرته * وودّه آخر الايام أجتهد

* (ومنهن) غاية المنى وهي جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فاراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي اسألوا غاية المنى فقالت من كسا جسمي الضنا وأراني مولها * سيقول الهوى انا هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضي أبي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزي

سل هوى غاية المنى * من كساجسمى الضنا
وأرانى متيما * سيقول الهوى انا

فقالت تجيزه

فحكى ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى * (ومنهن) حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادى آش وهى خنساء المغرب وشاعرة الاندلس ذكرها الملاحى وغيره ومن روى عنها أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما أبى الواشون الا افراقنا * وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وادمعى * ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم * وخرجت حمدة مرة للوادى مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

اباح الدمع أسرارى بوادى * له للحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يرف بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة انس * سبت لبى وقد ملكت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر * وذاك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقال ابن البراق فى سوق هذه الحكاية أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحى وادى آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف اباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

ومن جزم بذلك الرعينى وقال ان مؤرخى بلاد الاندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازى الذى ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كانت من ذوى الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعنى ولما أبى الواشون الى آخره لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وما غره فى ذلك الابعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد لبس بعضهم أيضا بشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفحة الرمضاء واد الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم

قوله هذين البيتين الخ الذى تقدم آنفا ثلاثة أبيات ولعل الرعينى لم يثبت الوسط وليحرر اه مصححه

وهى

وهي أبيات لم يحلها غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الاندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى * وهو أبو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني أن المنازى عمل هذه الابيات ليعرضها على أبي العلاء المعرّي فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازى كلما أنشده المصراع الاوّل من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله نزلنا دوحه فحنا علينا قال أبو العلاء * حنوّ الوالدات على الفطيم * فقال المنازى انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى * وهذا يدل على ان الرواية عنده حنوّ الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي واختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن (أباح الدمع أسراري بوادي) الابيات انتهى * (ومنهنّ) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز * ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمّله وطالعه السعيد
تشوّقت الجياد له وهزّ الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا في سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكنني لا ارتضي * نفسي مناخا طول دهري من أحد
ولو انني أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعي عن أسد

*(ومنهنّ) مريم بنت أبي يعقوب الانصاري سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية في المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الاربعمائة وذكرها الحميدي وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي اليها بدنانير وكتب اليها

مالي بشكر الذي أوليت من قبل * لو انني حزت نطق اللسن في الحلل

قوله نزلنا الذي سبق حللنا اه مصححه

يافذة الظرف فى هذا الزمان ويا * وحيدة العصر فى الاخلاص فى العمل
أشبهت مريما العذراء فى ورع * وفقت خنساء فى الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك فى قول وفى عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل
مالى بشكر الذى نظمت فى عنق * من اللآلى وما أوليت من قبل
حليتنى بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التى سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشى بها مشى الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن على رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامرى وتسأله فى رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفى آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالى * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم الهناء بنت القاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية سمعت أباها وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تاليف فى القبور ولما ولى أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجدا للمفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هى

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى انه * من عظم فرط مسرتى أبكانى

وبعده البيت وبعده

فاستقبلى بالبشر يوم لقائه * ودعى الدموع لليلة الهجران

*(ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجمل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى ان قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه * نخلة هذى ذكر قائم

قال

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومى هذا لاقرّ لها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمى عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حمته من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا متحفا بالخوخ أحبابه * أهلا به من مثلج للصدور

حكى ثدى الغيد تفليكه * لكنه أخزى رؤس الايور

*(ومنهنّ) هند جارية أبى محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبى وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن ينق يدعوها للحضور وعنده بعودها

يا هند هل لك فى زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك فى الثقيل الاوّل

فكتبت اليه فى ظهر رقعته

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاوّل

حسبى من الاسراع نحوك أننى * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهنّ) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكى العيون الآبيه * ولقد أرى انّ الحجارة باكيه

يا قاصد المصر الذى يرجى به * ان قدّر الرحمن رفع كراهيه

ناد الامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا انّ الرعية فانيه

أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه

شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه

حافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة * وحكى انّ بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان فى مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها فى الورى ماضيه

فياليته لم يكن قاضيا * ويا ليتها كانت القاضيه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولنى القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدرى * له شيوب عاصيه

كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصيه

وسمعت بعض أشياخنا يحكى القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذى كتب يداعب زوج المرأة فكتبت اليه

قوله شيوب هكذا فى الاصل ولعله محرف عن شؤن أو غير ذلك مما يلائم وليحرر اه مصححه

ان الامام ابن الخطيب* ب له شيوب عاصيه الى آخره فالله أعلم

*(ومنهن) نزهون الغرناطية قال فى المغرب من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يا من له ألف خل * من عاشق وصديق
أراك خليت للنا * س منزلا فى الطريق

فأجابته

حللت أبا بكر محلا منعته * سواك وهل غير الحبيب له صدرى
وان كان لى كم من حبيب فانما * يقدم أهل الحق حب أبى بكر

قيل لو قالت وان كان خلانى كثيرا الخ لكان أجود ولما قال فيها المخزومى

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت

ان كان ماقلت حقا * من بعض عهد كريم
فصار ذكرى ذميما * يعزى الى كل لوم
وصرت أقبح شئ * فى صورة المخزومى

وقد تقدمت حكايتها فى الباب الاول من هذا فلتراجع * وقال لها بعض الثقلاء ما على من أكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذى شقوة لما رآنى رأى له * تمنيه يصلى معى جاحم الضرب
فقالت له كلها هنيئا فانما * خلقت الى لبس المطارف والشرب

وقال ابن سعيد فى طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى غرناطة واجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الاديبة وماجرى بينهما وانها قالت له بعقب ارتجال بديع وكان يلبس غفارة صفراء على زى الفقهاء حينئذ أحسنت يا بقرة بنى اسرائيل الا انك لا تسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع ياوزير ثم أنشد

ايه أبا بكر ولا حول لى * بدفع أعيان وانذال
وذات فرج واسع دافق * بالماء يحكى حال أذيالى
غرقتنى فى الماء ياسيدى * كفره بالتغريق فى المال

فأمر بتجريد ثيابه وخلع عليه ما يليق به وزلهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الا من بعد ما أجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت له فى ديوان أجزاله *

وحكى

قوله وتحت الثياب الذى تقدم له فى الباب الاول كما فى الاصل (وان كان قد أمسى من الضوء عاريا) وقوله ومن قصد البحر الذى سبق له ومن ورد البحر فليتنبه اه مصححه

قوله من بعض هكذا فى الاصل ولعله من بعد بالدال تامل اه مصححه

قوله ايه أبا الخ كذا فى الاصل وليحرر ولعله محرف عن أمداحه وليحرر اه مصححه

وحكى عنه فيما أظن أعنى ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأطمعته فى نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صياغها وقالت له يامعلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذى قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذى تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جيئينى بمثال فانى لم أر هذا ولا سمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صوّر لى صورة الشيطان فقال لها ائتينى بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فخجل ولعنها * وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل يا حسنها جنة * لا يدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة * أحسن منها مجد أربابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود * ففى ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكى انها كانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكندى فقال يخاطب المخزومى (لو كنت تبصر من تجالسه) فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون لغدوت أخرس من خلاخله

البدر يطلع من ازرّته * والغصن يمرح فى غلائله

وكانت ناجية ومن شعرها قولها

لله درّ الليالى ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر * بل ريم خازمة فى ساعدى أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أمّا قوامها * فلدن وأمّا ردفها فرداح
ألمّت فبات الليل من قصر بها * يطير ولا غير السرور جناح
فبت وقد زارت بانعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدىّ وشاح

وابن الزقاق هذا له فى النظم والغوص على المعانى الباع المديد ومن نظمه قوله

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ
نسيمه يحيى وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ
يعاف الوردان طمثت حشاه * وفى مال اليتيم له ولوغ

وقوله

كتبت ولو اننى أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنملى * وكان المداد سواد البصر

وقوله

غريرياري الصبح اشراق خده * وفى مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا الخزانة * ويهتز فى برديه منه قضيب

وقوله

ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا فى برده
ماء الشبيبة والغرام أرق من * صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيى الورى بتحية من وصله * من بعد ماوردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أى الجوى بجوانح لم يهده

وقوله

أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومرّ بنا يتهادى وقد * نضى سيف أجفانه طرفه
ومدّ لمبسمه راحة * نخلت الاقاح دنا قطفه
اشارت بتقبيلها للسلام * فقال فمى ليتنى كفه

وقوله

بابى من لم يدع لى لحظه * فى الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته فى ثغره * عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت خجلته فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق

وقال

وعشية لبست ملاءة شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتى معشوق
لوأستطيع شربتها كأنما بها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال فى مسامرة كتاب زعماء

لله ليلتنا التى استجدى بها * فلق الصباح لسدفة الاظلام
طرأت على سمع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين يراعة وحسام

وقال

ومجدين فى السرى قد تعاطوا * غفوات الهوى بغير كؤس
جنحوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يعتبون أيدى العيس
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة فى الرؤس

وقال

وحبب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

قوله فى برديه فى نسخة بالعطفين اه

قوله يعتبون هكذا فى الاصل ومعناه بعيد من المقام فلعله يتبعون بتقديم المثناة والموحدة على العين المهملة تأمل اه مصححه

ولنقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوى الاقدار فنقول قال الخفاجي رحمه الله تعالى

وهاتفة فى البان تملى غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ويشجى قلوب العاشقين أنينها * وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقى عيناى بدر مكارم * تود الثريا انها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يا من تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم تطوك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله أيضا

لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا

هبت الريح بالعشى فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

وله

وسنان ما ان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحزنى * ان سر فى عشقى واسلامى
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

وارتجل أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات فى قرية يش

لله منزلنا بقرية يش * كاد الهوى فيها اذ كارا بى يشى
وحنا اليها والبطاح كانها * صحف مذهبة بابريز العشى

فأجازه الوزير ابن جزى بقوله

في فتية هزت حميا الانس من * أعطافهم فالكل منها منتشى
يأتى علاهـم بالصحيح ولفظهم * بالمنتقى وجمالهـم بالمدهش

وقال السلطان أبو الحجاج الناصرى النصرى مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٥

ولم يتركوا أوطانهم بمرادهم * ولكن لاحوال أشابت مفارقى
أقام بها ليـل التهانى تقلبا * وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليـل الصبابة بالسرى * وأنس التلاقى بالحبيب المفارق
ولم يثنى طـرف من النور ناعس * ولا معطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض الاشبال فى عقر غيرهم * ولا ملعب الغزلان فوق النمارق
وعاطيتها صبح الدياجى مدامة * تميـل بها الركبان فوق الاياثق
اذا ما قطعنا بالمطى تنوفـة * دخلنا لاخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية * عسى ترجع العقبى كموسى وطارق

وله

من عاذرى من غزال زانه حور * قد هام لما بدا فى حسنه البشر
ألحاظه كسيوف الهند ماضية * لها بقلبى وان سالمتها أثر

وقال القاضى أبو القاسم بن حاتم

شكوت بعاد هالة وكان مر ا * لمن ليست مودته صحيحه
فتلك مصيبة عادت ثلاثا * لصحبتها الشماتة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسى مخاطبا للفقيه الفخار

خفف علينا قليلا أيها العلم * فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تألمه * وان تمادى قليلا خانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا * محمد فاسمعوا ما قال والتزموا

وقال ابن جبير اليحصبى فيمن أهدى اليه تفاحا

خليـل لم يزل قلبى قديما * يميل بفرط صاغية اليه
أتانى مقبلا والبشر يبدى * وسائل برة كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح زكى * فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل * يلوح جمال مهديها عليه

وقال قاضى مالقة سيدى ابراهيم البدوى

قطعت يا سى فصنت وجهى * عن الوقوف لذى وجاهه
قصدت ربى فكان حسبى * ألبسنى فضله وجاهه
فـلا يرى يثنى عنانى * مدى حياتى الا تجاهه

وقال ابن خليل السكونى فى فهرسته شاهدت بجامع العديس باشبيلية ربعة مصحف فى أسفار يلحق به انحو خطوط الكوفة الا انه أحسن خطا وابينه وأبرعه وأتقنه فقال لى الشيخ

قوله سنة ٨٢٥ فى نسخة سنة ٨١٥ اه

الاستاذ

قوله عظيمة فى نسخة عظيم اه

الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودّت جوارحه لو انها مقل

ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل فى القدر والوضع فالالفات على قدر واحد والّلامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمى بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرستمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا فى آخره ما صورته كتبته بقلم واحد فقط ما قط قط الامرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى

أذهبن من فرق الفراق نفوسا * ونثرن من درّ الدموع نفيسا

فتبعتها نظر الشجىّ فحدقت * رقباؤها الحوى عيونا شوسا

وحللن عقد الصبر اذ ودّعننى * فحللن أفلاك الخدور شموسا

حلته اذ حلته حتى خلته * عرشا لها وحسبتها بلقيسا

فازورّ جانبها وكان جوابها * لو كنت تهوانا صحبت العيسا

وهى طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروى الاعلى منوال هذه وان كان الحافظ التنسى قال انه نسجها على منوال قصيدة أبى تمام حسبما ذكرناه ذلك فى محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضى بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

ألزمت نفسى خمولا * عن رتبة الاعلام

لا يخسف البدر الا * ظهوره فى تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال

فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافعا الغلام طرّ له عذار

أتانى كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن من ردّه

ومن قبل فضى ختم الكتاب * قرأت الشفاعة فى خدّه

وقال القاضى الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الوقشى قاضى طليطلة

برّح بى أنّ علوم الورى * قسمان ما ان فيهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لا تحسب الناس سواء متى * ما اشتبهوا فالناس أطوار

وانظر الى الاحجار فى بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنها هم * من خشن الطبع ومن لين

مرو تشكى الرجل منه الوجا * واثمد يجعل فى الاعين

قوله مرو الخ فى نسخة (فجامد تدمى به أرجل) اه

ومن نظم ابن الصفار المذكور

اذا نويت انقطاعا * فاعمل حساب الرجوع

وقال أبو مروان الجزيرى

ومن العجائب والعجائب جمة * أن يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصى كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة

لا تأمنن من العدو لبعده * ان امرأ القيس اشتكى الطماحا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى قدس سره العزيز فى كتابه الاسفار عن نتائج الاسفار أنشدنى الكاتب الاديب أبو عمرو بن مهيب باشبيلية أبياتا عملها فى محمود بن ابراهيم ابن أبى بكر الهرغى وكان أجمل أهل زمانه ورآه عندنا زائرا وقد خط عذاره فقلت يا أبا عمرو ما تنظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات فى ذلك وهى

وقالوا العذار جناح الهوى * اذا ما استوى طار عن وكره

وليس كذلك خبرهم * قياما بعذرى أو عذره

اذا كمل الحسن فى وجنة * فخاتمه ويك من شعره

انتهى * قال بعضهم رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه اليه وهو

ايا حاضرا بجماله فى خاطرى * ومحجبا بجلاله عن ناظرى

ان غبت عن عينى فانك نورها * وضميرسرك سائر فى سائرى

ومن العجائب أننى أبدا الى * رؤياك ذو شوق شديد وافر

مع اننى ماكنت قط بمجلس * الا وكنت منادمى ومسامرى

انتهى * وأنشد فى الاحاطة لعبد الله الجذامى

ايا سيدى أشكو لمجدك اننى * صددت مرارا عن مثولى بساحتك

شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها * وما راحتى الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامى فاضل ملازم للقراءة عاكف على الناس مشارك فى العربيه خاطب للرياسة الاديبه اختص بالامير أبى على المنصور ابن السلطان ايام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذرا ايا سيدى البيتين انتهى * وقال فى ترجمة عبد الله بن أحمد المالقى قاضى غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى أبى نصر صاحب القلائد والمطمح أثناء رسالة بقوله

تفتحت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك فى خلق كريم

ابا نصر رسمت لها رسوما * تخال رسومها وضح النجوم

وقد كانت عفت فانرت منها * سراجا لاح فى الليل البهيم

فتحت من الصناعة كل باب * فصارت فى طريق مستقيم

فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك فى هموم

فاقس بابدع منك لفظا * ولا سحبان مثلك فى العلوم

انتهى

قوله ابن عبد الله الخ فى نسخة ابن أحمد باسقاط عبد الله اه

انتهى * وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن الحسن المذحجي الاندلسي بن الكتاني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره

الا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل * وبانت ليالي البين واجتمع الشمل
فسعدى نديمي والمدامة ريقها * وريحانها روضي وتقبيلها النقل

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب مجتمع القبيلة كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل ها كها * جاءت على نسق لها متتابعه
فخزيمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفصائل شائعه
وقريشها تسمى العمارة يافتى * وقصى بطن للاعادى قامعه
ذا هاشم فخذ وذا عباسها * أثر الفصيلة لاتنا طبسابعه

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس سألنى فيها لغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد الكلبي البلياني على القاضي ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة

قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال أبو عبد الرحمن بن جحاف البلنسي

لئن كان الزمان أراد حطى * وحاربنى بأنياب وظفر
كفانى أن تصافينى المعالى * وان عادينني يا أم دفر
فما اعتز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

الا انما سيف الفتى صنو نفسه * فنافس بأوفى ذمة واخاء
يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالى شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسى صبرا لا يروعك حادث * بارتاجه واستشعرى عاجل الفتح
قريب اشتداد فى الخطوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال أيضا

متى يدنو لوعدكم انجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز
أيجمل أن يؤمكم رجائى * فيوقف لا يرد ولا يجاز
وجدكم كفيل بالامانى * ومطلوبى قريب مستجاز
اذا ما امكنت فرص المساعى * فعجز أن يطاولها انتهاز
وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للمهندة اهتزاز

قوله لغرابتها فى نسخة لعزتها اه

فما الانصاف أن ينضى كهام * ويودع غمده العضب الجراز
كأنم العراق بعذب بحر * ويشقى بالظما البرح الحجاز
فأعيى الناس في المقدار حظ * تجاذبه خمول واعتزاز

وأنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

أسرى وأسير في الآفاق من قمر * ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحاء وقد عرّف به تلميذه ابن رشيد الفهري في رحلته فقال بعد كلام أما النظم فبيده عنانه وأما النثر فان مال اليه توكف له بنانه مع تواضع زائد على صلة بخيره عائد لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمي على تونس فتلقى بكل فن يونس وصادفته بحالة مرض من وث في رجله عرض وعنده جملة من العواد من الصدور الامجاد فأدنى وقرب وسهل ورحب وتفاوض أولئك الصدور في فنون من الادب كانها الشذور الى أن خاضوا في الاحاجي واستضاؤا بأنوار أفكارهم في تلك الدياجي فخضت معهم في الحديث وأنشدتهم بيتين كنت صنعتهما وأنا حديث لقصة بلغتني عن أبي الحسن سهل بن مالك وهي انه كان يسائل أصحابه وهو في المكتب ويقول لهم أخرجوا اسمي فكل ينطق على تقديره فيقول لهم انكم لم تصيبوه مع انه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت

وما اسم فكه سهل يسير * يكون مصغرا نجم يسير
مصحفه له في العين حسن * وقلبي عند صاحبه أسير

وكان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع ما به من ألم الى محبرة وطرس وقلم وكتب البيتين بخطه وقال للحاضرين ارووا هذين البيتين عن قائلهما * ومن شيوخ ابن حبيش المذكور أبو عبد الله بن عسكر المالقي كتب له ولاخيه أبي الحسين بخطه اجازة بجميع ما يجوز له وعنه وضمن آخرها هذه الابيات

اجبتكما لكن مقرا بانني * اقصر فيما رمتما عن مداكما
فانكما بدران في العلم أشرقا * فسلم اذعانا وقسرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فانني * أجود بنفسي أن تكون فداكما

قال ابن رشيد وقد جمع صاحبنا أبو العباس الاشعري لابن حبيش فهرسة جامعة ولما وقف عليها ابن حبيش كتب في أولها ما نصه الحمد لله حق حمده أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله اليه وبالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه غير أني أقول واحده ما مريرتي لها بجاحده وأصرح بمقال لا يسعني كتمه بحال والله ما أنا للاجازة بأهل ولا مرامها لدي بسهل اذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل ويعد العلم والعمل اللهم غفرا كيف ينيل من عدم وفرا أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا وصحيفته من الصالحات صفرا وكيف يرتسم في ديوان الجله من يتسم بالافعال المخله ومتى يقترن الشبه بالابريز أو يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى مجانسة الاقيار بالسهى ومن أعظم التوبيخ تشييخ من لا يصلح للتشييخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب ولكنه

جمع

جع لمن لا يستوجب وان القراءة قد تحصلت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ علم ولكن المقروء عليه عدم ولقد شكرت لهذا السرى ما جلب وكنت مسعفاله بما طلب وقرنت الى درة هذا المخشلب قلت وحلى عطل ونطق عطل مكره أخاك لا بطل والله سبحانه وتعالى ينفع بما الخالص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمى حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما * وكتب أيضا رحمه الله تعالى فى جواب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التنجيز ولكن شروط الاجازة موجودة فى المجاز معدومة فى المجيز والله تعالى يصفح بكرمه ومنه ويشكر كل فاضل على تحصيل ظنه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم ويمتعهم بالكمال الرائق المعجب ويقسر بالنجيبين عين المنجب كتبه ابن حبيش انتهى * وقال الوزير الكاتب أبو بكر بن القبطرنة يستجدى بازيا من المنصور بن الافطس صاحب بطليوس

قوله تحصيل ظنه هكذا فى الاصل ولعل الاوفق تحسين تأمل اه مصححه

يا أيها الملك الذى آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنق خلت يدى كذا باجدل
وامنن به ضافى الجناح كانما * جذبت قوادمه بريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليمانى المخمل
أغدو به عجبا أسرف فى يدى * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكى * وآن من يومنا العشى
وعندنا مجلس انيق * وقد ظمئنا وفيه رى
ولى خليل غدا سمى * يا ليته ساعد السمى

فأجابه ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عبد قن * قبلته وجهك السنى
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبى

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا الشمس
فان كان هذا منكما عن توافق * وضمكما انس فهنيكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلى قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا لتحضرنى الشمس
واهدى بأكواس المدام كواكبا * اذا ابصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الانس كله * وان غبتما أم الربيع هى الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا فى موضع هو فيه مفقود فبعث لهم به

وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذاها مثل ما استدعيتماها * عروسا لا تزف الى اللئام
ودونكم بها ثديي فتاة * اضفت اليهما خدي غلام

وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء والكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكن احيانا وينحدر
والارض مصفرة بالمزن طافية * ابصرت درا عليه التبر ينتثر

وقال الجبارى من القصيدة المشهورة (عليك احالني الذكر الجميل) فى وصف زيه البدوى المستثقل ومافى طيه

ومثلى بدن فيه خمر * يخف به ومنظره ثقيل

ولما انصرف ابن سعيد عن ابن هود عذله ابن هود على تحوله عنه فقال النفس تواقه ومالى بغير التغرب طاقه ثم قال

يقولون لى ماذا الملال تقيم فى * محل فعند الانس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحمام اذا شدا * على غصن امسى بآخر نازلا

وقد رأيت أن اكفر ماتقدم ذكره من الهزل الذى أتينا به على سبيل الاحماض بما لابد منه من الحكم والمواعظ ومايناسبها (فنقول) قال ابو العباس بن الخليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسموا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام
ياصاح لو ابصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وافلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الاشبيلى رحمه الله تعالى

قالوا صف الموت ياهذا وشدته * فقلت وامتد منى عندها الصوت
يكفيكم منه أن الناس ان وصفوا * امرا يروعهم قالوا هو الموت

وقال الخطيب الاستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى نزيل بجاية

جعلت كتاب ربى لى بضاعه * فكيف أخاف فقرا أو اضاعه
واعددت القناعة رأس مال * وهل شئ أعز من القناعه

وقال القاضى الكبير الاستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل افريقية

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف

وبادر بأعمال تسرّك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لربّ العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فلم تبق في لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتى * لما فات منه وما ضيعا
ويا ويلتاه لذي شيبة * يطيع هوى النفس فيما دعا
ويعدو اوحقاله اذ غدا * يسمع وعظا وان يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطى رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان
يا عامر الدنيا ليسكنها وما * هي بالتي يبقى بها سكان
تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ ويرحل الركبان
أأسرّ في الدنيا بكل زيادة * وزيادتي فيها هي النقصان

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وذي غنى أوهمته همته * ان الغنى عنه غير منفصل
يجرّ أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء في الحلل
بزته أيدى الخطوب بزته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل
فلا تثق بالغنى فآفته الـ * فقر وصرف الزمان ذو دول
كفى بنيل الكفاف عنه غنى * فكن به فيه غير محتفل

وقال رحمه الله تعالى

لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا لجمع المال
لا خير في كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسأل عنه أي سؤال

وقال رحمه الله تعالى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استقام ولا انتهى
فالى متى ألهو وأخدع بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها
ما حسنه الا التقى لا أن يرى * صبا بألحاظ الجآذر والمها
أنى يقاتل وهو مفلول الشبا * كابي الجواد اذا استقل تأوها
محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
ان أنّ أوّاه وأجهش بالبكا * لذنوبه ضحك الجهول وقهقها

ليست تنبهه العظات ومثله * في سنه قد آن أن يتنبها
فقد اللذات وزاد غيا بعدهم * هلا تيقظ بعدهم وتنبها
يا ويحه ما باله لا ينتهي * عن غيه والعمر منه قد انتهى

وقال الاستاذ ولي الله سيدي أبو عبد الله بن العريف

من لم يشافه عالما باصوله * فيقينه في المشكلات ظنون
من انكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون
الكتب تذكرة لمن هو عالم * وصوابها بمحالها معجون
والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وقال أبو القاسم بن الابرش

أيأسوني لما تعاظم ذنبي * أتراهم هم الغفور الرحيم
فذروني وما تعاظم منه * انما يغفر العظيم العظيم

وقال أبو العباس بن صقر الغرناطي أو المري وأصله من سرقسطة

أرض العدو بظاهر متصنع * ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتى ألقى بوجه باسم * وجوانحي تنقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي رحمه الله تعالى من أبيات

يا شقيق النفس أوصيك وان * شق في الاخلاص ما تنتهجه
لا تبت في كمد من كبد * رب ضيق عاد رحبا مخرجه
وبلطف الله أصبح واثقا * كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنني في أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض قال الغبريني في عنوان الدراية لو لم يكن له من الشعر الا قصيدته السينية التي رفعها للامير أبي زكريا رحمه الله تعالى يستنجده ويستصرخه لنصرة الاندلس لكان فيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال أبو العلاء المعري

تكلم بالقول المضلل حاسد * وكل كلام الحاسدين هواء

ولو لم يكن له من التآليف الا كتابه المسمى بمعادن اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين المحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله تعالى وسامحه انتهى *

وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقرى المحدث المتبحر أبي عبد الله محمد بن حيان الاوسي الاندلسي نزيل تونس عنه ومن طريق والدي صاحب عنوان الدراية عن الخطيب أبي عبد الله بن صالح عنه انتهى (قلت) وسندي اليه عن العم عن التنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مر وقال ابن عبد ربه

قوله تنبهه وقوله يتنبها في نسخة بدلهما تنهنهه ويتنهنها اه

قوله أبو عبد الله في نسخة أبو العباس اه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لابد لله من انجاز ما وعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسى

يا واقف الباب فى رزق يؤمله * لاتقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لاتيأسن فان الله مانحه

وقال الاعمى التطيلى

تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان أولبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
ما لابن آدم لاتفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لايعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلى

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال القاضى أبو العباس بن الغماز البلنسى

من كان يعلم لامحالة انه * لابد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر بأعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

قوله هو الموت الخ قد تقدمت هذه الابيات قريبا ولذا أسقط فى نسخة من الاصل ماعدا البيت الاول وأحال على ذكرها فيما سبق غير أن البيت الثالث منها فيه تغيير يعلم بمراجعته فيما سبق اهـ مصححه

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نغولة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق * صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقربها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتخوا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهى قصيدة طويلة فثارت اذ ذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فأراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذى نور الحق على كلامه باد وقال أبو الطاهر الجيانى المشهور بابن أبى ركب بفتح الراء وسكون الكاف

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا فى جملة من الطلبة فمر بهم رجل معه محبرة أبنوس تانق فى حليتها واحتفل فى عملها فأراهم اياها وقال أريد أقصد بها بعض الاكابر وأريد أن تتموا احتفالى بأن تصنعوا الى بيتكم أبيات شعر أقدمها معها فأطرق الجماعة وقال أبو الطاهر

وافتك من عدد العلى زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
صفراء سوداء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يغب الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفى يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا أعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا بإكمال الصنيعة عندى بذكره فبدر أبو الطاهر وقال

حملت بأصفر من نجار حليها * تخفيه أحيانا وحينا تظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

قال ابن الابار فى تحفة القادم وحضر يوما فى جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله بن زرقون فى شعبان فى مكان فلما تملؤا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون أجز يا أبا عبد الله وأنشد

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عندى الجوع فى رمضان
كما حمد الصب المتيم زورة * تحمل فيها الهجر طول زمان

فقال

دعوها بشعبانية ولو انهم * دعوها بشبعانية لكفانى

انتهى * وقال أبو عبد الله بن خميس الجزائرى

تحفظ من لسانك ليس شئ * أحق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما * أردت سلامة فى ذا الزمان

وقال أيضا

كن حلس بيتك مهما فتنة ظهرت * تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على أحد * ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

وقال

بدا لى ان خير الناس عيشا * من آمنه الاله من الانام
فليس لخائف عيش لذيذ * ولو ملك العراق مع الشام

وله

تجانب جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة فى مجانبة الورى
واذا رأيت من امرئ يوما أذى * لا تجزه أبدا بما منه ترى

وله

قوله يقول الناس الخ قد ذكر هذان البيتان فى غير هذا الموضع اه

قوله خرسان فى نسخة غرثان بالعين المعجمة والمثلثة وكذلك سبق فى ذكر تلك الابيات وما هنا يناسب قوله فتراه ينطق الخ وما سبق يلائم قوله الا حين يرضع غير أن قياس اسم الفاعل من خرس أخرس لا خرسان فلينظر اه مصححه

قوله من آمنه يلزم قراءته بنقل حركة الهمزة الى النون قبلها كما لا يخفى اه مصححه

قوله ترى فى نسخة جرى اه

من أدّب ابناله صغيرا * قرّت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدوّ * يحسد نعماءه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبي

بيد الاله مفاتح الرزق الذى * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذى فقر يكلف شأنه * فى الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما يبد المخلوق فى الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يا من يصيخ الى داعى السقاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى فى ابنة ماتت له

ألا يا موت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حمادلفعالك المشكور لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكرى الغرناطى فى بعض مجالسه قوله

يا غاديا فى غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا فى غد * صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

وممن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفى ابن الحاج المذكور سنة ٧١٠ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى رحمه الله تعالى

الهى مضت للعمر سبعون حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فيا ليت شعرى أين أو كيف أو متى * يكون الذى لابد أن سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته فى غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلى رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف فى فحمة الدجا * نداء غريق فى الذنوب عريق
رجائى ضميرى كى تخلص جملتى * وكم من فريق شافع لفريق

وحكى ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة فى ورقة بيضاء ان قرئت فى ضوء السراج كانت فضية وان قرئت فى الشمس كانت ذهبية وان قرئت فى الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الابيات

لئن صدّنى البحر عن موطنى * وعينى بأشواقها زاهره
فقد زخرف الله لى مكة * بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لى بالنبى يثربا * وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل

وطيب لى بالنبى طيبة * وبالملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربى أندلسى لقوله لئن صدّنى البحر عن موطنى فلذلك أدخلته فى أخبار الاندلسيين على غير تحقيق فى ذلك والله أعلم * وأنشد ابو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمرى الحافظ

تذكرت من يبكى علىّ مداوما * فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التى * أتت عن رسول الله مع صحة الاثر
وعلم الالى من ناقديه وفهم ما * له اختلفوا فى العلم بالرأى والنظر

وأنشد له أيضا

مقالة ذى نصح وذات فوائد * اذا من ذوى الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبى فانه * من أفضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدى اليابرى وسكن أبوه قرطبة

عصيت هوى نفسى صغيرا وعندما * رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتنى * خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

قوله وانتقلت فى نسخة ثم عدت اه

وقيل ان ابنه أبا الحسن علىّ بن عبد الملك قال بيتا مفردا فى معنى ذلك وهو

هنيئاله اذ لم يكن كابنه الذى * أطاع الهوى فى حالتيه وما اعتبر

وقيل ان هذا البيت رابع أربعة أبيات * وقال أبو اسحق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ فى عمره احدى وثمانين سنة فانشده لنفسه

أىّ عيش أو غذاء أو سنه * لابن احدى وثمانين سنه
قلص الشيب به ظل امرئٍ * طالما جرّ صبا حارسنه
تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنه

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسى المالقى

قوله ابن محمد فى نسخة ابن موسى اه

الموت حصاد بلا منجل * يسطو على القاطن والمنجلى
لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مشكل أو من جلى

قوله مشكل يلزم قراءته بغير تنوين للوزن كما لا يخفى اه مصححه

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلى الازدى صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان فى الموت والمعاد لشغلا * وادّكارا لذى النهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخى والفراغا

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني من أهل جليانة من عمل وادى آش

الا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق الفه * وقل فتى ينجي من الغمرات

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول في البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين في الارض وله تآليف منها جامع انماط الوسائل في القريض والخطب والرسائل وأكثره نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعي الطرطوشي

وما الناس الا كالمصاحف عبرة * وألسنهم الا كمثل التراجم
اذا اشتجر الخصمان في فطنة الفتى * فقوله في ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن البلنسي

من كان للدهر خدنا في تصرفه * أبدت له صفحة الدهر الاعاجيبا
من كان خلوا من الآداب سربله * من الليالي على الايام تأديبا

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل ميرتلة مدينة بقرب الاندلس يمدح شهاب الدين القضاعي

شهب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أفلت توارى النور
فارغع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تبصير
تشفى جواهره القلوب من العمى * ولطالما انشرحت بهن صدور
فاذا أتى فيه حديث محمد * خذ في الصلاة عليه يا مغرور
وترحمن على القضاعي الذي * وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي

ثلاثة يجهل مقدارها * الامن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو انه در وياقوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتى لـ * ك والصحة والامن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوي من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه معه قوت يومه فكانما سيقت له الدنيا بحذافيرها وأخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مفتي مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدي فرج الشريف الطحطماني قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول من أصبح آمنا في سربه الحديث *(رجع)* وقال الاستاذ العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسي دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة

اذا نزلت بساحتك الرزايا * فلا تجزع لها جزع الصبي
فان لكل نازلة عزاء * بما قد كان من فقد النبي

وقال رحمه الله تعالى

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى * وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندى روائحها * طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم * راح اذا سكروا من أجله فاحا
يا راحلين الى المختار من مضر * زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على شوق وعن قدر * ومن أقام على عذر كمن راحا

قوله بأليم في نسخة بأنين اه

وقال أبو محمد المحاربي

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت في ظلمائه * رأيا كما سطع السراج
لمعاشر أعيا ثقا * ف من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال أبو عبد الله غريب الثقفي القرطبي

تهددني بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولي أجل وكل * سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
وما يدري لعل الموت منه * قريب أينما منه المصاب

وله

أيها الآمل ما ليس له * طالما غر جهولا أمله
ربما بات يمني نفسه * خانه دون مناه أجله
وفتى بكر في حاجاته * عاجلا أعقب ريثا عجله
قل لمن مثل في أشعاره * يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن في احسانه * فسيكفيك مسيئا عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير في برنامج الطبقي * وقال أبو الحسين سليمان بن الطراوة النحوي المالقي

وقائلة أتصبو للغواني * وقد أضحى بمفرقك النهار
فقلت لها حثثت على التصابي * أحق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم

اذا برمت نفسي بحال أحلتها * على أمل ناء فقرت به النفس
وأزل أرجاء الرجاء ركائبي * اذا رام الماما بساحتي اليأس
وان أوحشتني من أماني نبوة * فلي في الرضا بالله والقدر الانس

وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الاشبيلي مما أنشده لنفسه في الذي سماه بالذخائر والاعلاق في أدب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ماهو فاعله * ولا تنكر الاسماع ماهو قائله

وكان أبو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد رحم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضي أبو الوليد هشام بن محمد القيسي الشلبي المعروف بابن الطلا فاوضت القاضي أبا محمد عبد الله بن شبرين ما يحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لا تنظرن الى ذى رونق أبدا * واحذر عقوبة ما يأتى به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة قادها يوما له القدر

فاجابني في المعنى الذى اتحته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هذا للتكثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدرى انك الخطاء حقا * وانك بالذى تاتى رهين
وتغتاب الاُلى فعلوا وقالوا * وذاك الظن والافك المبين

قال في الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصارى الحارثى كان فقيها جليلا أصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا في العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبي حامد الغزالى وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الامراء والمحافل الجمهورية مقدما في ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تأليفا بين كبار وصغار وكمل له على أبي محمد بن عبد الله بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفخار والسهيلى وغيرهم ومولده في محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثانى ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها في تابوته الذى ألحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا وألممت بما ذكر على وجه التبرك بذكره رحمه الله تعالى ورضى عنه * وقال أبو المتوكل الهيثم بن أحمد السكونى الاشبيلى

يجنى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يرون حيث مصابيح الدنانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشدني بعض أصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت)

قوله سنة ٥٤١ في نسخة سنة ٥٤٨ اه

وبهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمي وقد أنشدهما أيضا ابن الجلاب الفهري في روح الشعر وروح الشحر * وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجاري المعروف بابن افريولة

ركابي بأرجاء الرجاء مناخة * ورائدها علمي بأنك لي رب
وانك علام بما أنا قائل * كما أنت علام بما أضمر القلب
لئن آدها ذنب تولت بعبئه * لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال أيضا

عجبا لمن قد تيقن انه * سيرى اقترافيديه في ميزانه
ثم امتطى ظهر المعاصي جهرة * لم يثنه التأنيب عن عصيانه
أنى عصى ولكل جزء نعمة * من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن * تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد به * وليس يأكله الا ليصلحه

وقال

لا تغبط المجدب في علمه * وان رأيت الخصب في حاله
ان الذي ضيع من نفسه * فوق الذي ثمر من ماله

وقال أبو الحجاج يوسف بن أحمد الانصاري المنصفي البلنسي

قالت لي النفس أتاك الردى * وأنت في بحر الخطايا مقيم
هل اتخذت الزاد قلت اقصري * هل يحمل الزاد لدار الكريم

وكان المنصفي المذكور صالحا وله رحلة حج فيها ومال الى علم التصوف رحمه الله تعالى وله فيه أشعار حملت عنه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي الاموي الاندلسي مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضي القضاة رحمه الله تعالى

هم الابي على مقدار منصبه * وبسط راحته في طي منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلبه * يا مبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا أخي جزعك

صبرا فالصبر في حرب العدا عدد * ذر العدو بعينه الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد * واعلم بأن جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا والله قد رفعك

أعلاك في رتب عز معظمة * بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناويك في بهماء مظلمة * فاصرف هواه وجانب كل مظلمة
واصحب فديتك من بالنصح قد نفعك

قد اجتليت من الايام تبصرة * وقد كفاك الهدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص معذرة * واسأل الهك في الاسحار مغفرة

قوله سنة ٧٤٩ في نسخة سنة ٤٤٩ اهـ

منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفي المذكور بالقاهرة في الطاعون العام سنة ٧٤٩ * وقال أبو عبد الله الحميدى

الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض وأهل الحديث الماء والزهر

من كان قول رسول الله سالكه * فلا شهود له الا الالى ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عند فنائه * أرج فان بقاءه كفنائه

بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال أيضا

دين الفقيه حديث يستضىء به * عند الحجاج والا كان في الظلم

ان تاه ذو مذهب في قفر مشكلة * لاح الحديث له في الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالى بما ارتكب الى أصحاب الحديث بقوله

أرى الخير في الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد

فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن شيطان الحديث مريد

ولابن معين في الرجال مقالة * سيسأل عنها والمليك شهيد

فان يك حقا قوله فهي غيبة * وان يك زورا فالقصاص شديد

أجابه الامام أبو عبد الله الحميدى بقصيدة طويلة منها

وانى الى ابطال قولك قاصد * ولى من شهادات النصوص جنود

اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد

وأقبح شئ أن جعلت لما أتى * عن الله شيطانا وذاك شديد

ومازلت في ذكر الزيادة معجبا * بها تبدئ التلبيس ثم تعيد

كلام رسول الله وحى ومن يرم * زيادة شئ فهو فيه عنيد

ومنها في ابن معين

وما هو الا واحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود

فان صد عن حكم الشهادة جاهل * فان كتاب الله فيه عتيد

ولولا رواة الدين ضاع وأصبحت * معالمه في الآخرين تبيد

هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتنوه رقود

وهم هاجروا في جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام كؤد

وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد

بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود

وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق الا عاند وحقود

وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم رووا لا يستطاع جحود

فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد

ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود

وان رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهري البلنسي والتزم الراء في كل كلمة

اشكر لربك وانتظر * في اثر عسر الامر يسرا
واصبر لربك وادخر * في ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى * والصبر بالاحرار أحرى
والوفر أظهر معشرا * والفقر بالاخيار يغرى

وقال أيضا

اقنع بما أوتيته تنل الغنى * واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو * رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل * بشرا تعش عيش الكرام وتؤجر
واذا سخطت لضر حالك مرة * ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تدكر * لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم أنشدني والدي أحمد بن سعيد بن حزم

اذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة الارضيت بدونها

وقال القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبني كما قد ذكرتم * تجاوزت في قولي وأسرفت في فعلي
أما في رضى مولى الموالي وصفحه * رجاء ومسلاة لمقترف مثلي

وأنشد رحمه الله تعالى لنفسه في اليوم الذي مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراء سنة ٦٩٣

ادعوك يارب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبدا لم يزل أبدا * في كل حال من الاحوال يرجوكا
طالت حياتي ولما أتخذ عملا * الا محبة أقوام احبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال انها مكتوبة على قبره

أاخواننا والموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ في الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طية * وأعلم أن الكل لا بد لاحق
بعيشكم أو باضطجاعي في الثرى * ألم تك في صفو من العيش رائق
فمن مر بي فليمض لي مترحما * ولا يك منسيا وفاء الاصادق

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي ومولده سنة ٦١٤

قوله م الخ في نسخة صادق اه

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه اله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل
دلائل عليه في أوائل أسطري * فذاك نبي مصطفى ورسول

وقال

وقال أمين بن محمد الغرناطي نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى حجرات قد احاطت عراصها * بحور محيط حصره غير ممكن
بحار المعاني والمعالي وان طمت * لدى بذله تفنى وعن هوله تني
محمد المحمود في كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبي اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت * محياه قالت ان ذا طالع سني

وله

أكل القلوب مطيعة لك في الهوى * جانب فديتك من تشا أو والي
الحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالي

وقال أيضا

الا أيها الباكي على ما يفوته * من الخلق في الدنيا جهلت وما تدري
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكي الى آخر العمر
ستدري اذا لقنا وقد رفع اللوا * وأحمد هاد بنا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط في يوم حشره * أجار النبي المصطفى أم أخو الوفر

وله

فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فرار محب لائذ بحبيب
لجأت الى هذا الجناب وانما * لجأت الى سامي العماد رحيب
وناديت مولاي الذي عنده الغنى * نداء عليل في الزمان غريب
أمولاي اني قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبي يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ جزل ونصيب
تناومت في اظلال ليل شبيبتي * فأدركني بالفجر صبح مشيبي

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لو لم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناه لمن يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طليطلة

رأيت الانقباض أجل شيء * وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فرؤيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشيء غير شيء * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاوز بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها باديمي
قلت لا تجزعوا على فاني * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال الخطيب بن صفوان

رأيتك يدنيني اليك تباعدي * فأبعدت نفسي لابتغائي في القرب
هربت له مني اليه فلم يكن * بي البعد في قربي فصح به قربي
فيارب هل نعمي على العبد بالرضا * ينال بها فوزا من القرب بالقرب

وقال الوادي آشي وهذا النظم معناه جليل وتكرار القرب وان قبح عند العروضي فهو عند المحب جميل وهم القوم يسلم لهم في الافعال والاقوال وترتجى بركتهم في كل الاحوال انتهى * وقال بعض قدماء الاندلس

سئمت الحياة على حبها * وحق لذي السقم أن يسأما
فلا عيش الا لذي صحة * تكون له للتقى سلما

وذيله آخر منهم فقال

ولاداء الا الذي لم يزل * يقارب في دينه مأثما
فلست تعالج جرح الهوى * هديت بمثل التقى مرهما

وقال أبو جعفر أحمد السياسي القيسي المري

اذا ما جنى يوما عليك جناية * ظلوم يدق السمر بأساويقصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى * وكل أمره للدهر فالدهر منصف

وقال أيضا

ليس حلم الضعيف حلما ولكن * حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفيه بحلم * أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة العليا علوا فقد أجاد الخيارا
ستريه عند الولاد بنيها العلم والحلم والاناة كبارا

وقال الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي

اعمل بعلمك تؤت علما انما * جدوى علوم المرء نهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم * يعمل به فكأنه لم يعلم

وقال موطئا على البيت الاخير

أمولاي أنت العفو الكريم * لبذل النوال وللمعذره
على ذنوب وتصحيفها * ومن عندك الجود والمغفره

وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة

يقال خصال أهل العلم ألف * ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى * مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال أيضا

ان شئت فوزا بمطلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضى منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ بحظ القدر منهاجا

وقال الاديب الكبير الشهير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سارة البكري الشنتريني رحمه الله

تعالى

قوله بلش هكذا في الاصل والذي رأيته في تقويم البلدان لابي الفداء بليش بكسر الهمزة والموحدة وتشديد اللام بعدها مثناة تحتية فشين معجمة وهي مدينة ضخمة من أعمال مالقة في شرقيها وليس في أعمالها مثلها فلينظر اهـ مصححه

تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

أى عذر يكون لا أى عذر * لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو ماء لم تبق منه الليالى * فى اناء الحياة الا صبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضى البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل ما به يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الدانى ويعرف بعبدون

وبجل شيبى ان ذا الفضل مبتلى * بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى والشيم مخولا
متى ينعم المثرى عينا اذا اعتنى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبيد الله الاموى مولاهم الاندلسى

اذا كان اصلاحى لجسمى واجبا * فاصلاح نفسى لا محالة أوجب
وان كان ما يفنى الى النفس معجبا * فان الذى يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيرى رحمه الله تعالى

لله أكياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر * وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم فى فلك النهى * وجرى بها الاخلاص والايمان
فرست بهم لما اتقوا بجفونهم * مرسى لهم فيه غنى وأمان

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا
وعدت بالفضل فى ورد وفى صدر * بالجود ان قسطوا والحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يا من تعرف بالمعروف فاعترفت * بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير بباب الجود منكسر * من شأنه أن يوافى حين ينضغط
مهما أتى ليمد الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
يا واسعا ضاق خطو الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا فى شكرها خبطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مسرفا قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا * فانما سقطوا بين الورى لقطوا

اذا توزعت الدنيا فالهم * غير الدجنة لحف والثرى بسط
لكنهم من ذرى علياك فى غط * سام رفيع الذرى مافوقه غط
ومن يكن بالذى يهواه مجتمعا * فما يبالى أقام الحى أم شحطوا
نحن العبيد وأنت الملك ليس سوى * وكل شئ يرى بعد ذا شطط

وقال رحمه الله تعالى

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدرى متى يمضى بعمرك

وقال أيضا

اذا كنت تعلم أن الامور * بحكم الاله كما قد قضى
ففيم التفكر والحكم ماض * ولا رد للحكم مهما مضى
تخل الوجود كما شاءه * مدبره وابغ منه الرضى

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب * وشد عليك من حنق عقاله
فكل لله أمرك لاتفكر * ففكرك فيه خبط فى حباله

وقال

عدوك داره ما اسطعت حتى * يعود اليك كالخل الشفيق
فما فى الارض أردى من عدو * وما فى الارض أجدى من صديق

وقال

ان اعرضت دنياك عنك بوجهها * وغدت ومنها فى رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم * ان البنين لامهم أتباع

وقال

يا مجيب المضطر عند الدعاء * منك دائى وفى يديك دوائى
جذبتنى الدنيا اليها بضبعى * ودعتنى لحنق وشقائى
يا الهى وأنت تعلم حالى * لاتذرنى شماتة الاعداء

وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى

كتاب الله عز وجل قولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدءا * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذى وخذها * تكن منها على عين اليقين

وقال

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله بادية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك وذر بنيات الطريق

وقال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى

رحلت

رحلت وانى من غير زاد * وما قدمت شيأ للمعاد
ولكنى وثقت بجود ربى * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفى المذكور بأريولة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٥٦١ * وقال ابن جبير اليحصبى وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادى ورمت أنى أتوب
صرفتنى بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب
رب قلب قلبى لعزمة خير * لمتاب ففى يديك القلوب

والله أعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ورحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال فى صدر الاحاطة وهذا الغرض الذى وضعناله هذا التاليف يطلبنا به ما قصدنا به من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا اجلاء فى الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المثار بفضله انتهى * ولنختم هذا الباب بقول أبى زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلنى

قوله سعد فى نسخة سعيد اه

عفوك اللهم عنا * خير شئ نتمنى
رب انا قد جهلنا * فى الذى قد كان منا
وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا
ان تكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

وذيلته بقولى

فأنلنا الختم بالحسنى وانعاما ومنا آمين

(الباب الثامن)

فى ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله فى أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأى الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ملهوف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بمصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام وأقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعاد اليها آمين يامعين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع فل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم علج يقال له بلاى من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان رهينة عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفى الثانى من امراء العرب بالاندلس وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها وهى سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقى الملك فيهم الى الآن وكان عدة من ملك منهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين

وعشرين ملكا انتهى * وقال عيسى بن أحمد الرازى فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له بلاى من وقعة أخذ النصارى بالاندلس وجد الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك ولقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية وأجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربولة من أرض الفرنجة وافتتحوا بنبلونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له بلاى فدخلها فى ثلثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا وبقى فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجئ منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به وفى سنة ١٣٣ أهلك الله تعالى بلاى المذكور وملك ابنه فاقله بعده وكان ملك بلاى تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جد بنى اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم انتهى باختصار * وقال المسعودى بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر ما صورته وأخذ ما كان بأيدى المسلمين من ثغور الاندلس مما يلى الفرنجة ومدينة اربونة خرجت عن أيدى المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرق الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا فى الشمال افراغه على نهر عظيم ثم لاردة انتهى * ومن أول ما استرده الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن العسال

يا أهل اندلس حثوا مطيكم * فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ويروى صدر البيت الثالث هكذا

من جاور الشر لا يأمن بوائقه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وتروى الابيات هكذا

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقال آخر

يا أهل اندلس ردوا المعار فما * فى العرف عارية الا مردات
ألم تروا بيدق الكفار فرزنه * وشاهنا آخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين أخذ الاذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى وفيه بعض مخالفة لما قبله فى وقت أخذها وسيأتى قريبا بعد ما يؤيده قال وهى مدينة حصينة

قوله بنبلونة فى نسخة ببنبلونة اهـ

قوله سنة ٣٣٠ فى نسخة سنة ٣٣٣ اهـ

قديمة أزلية من بناء العمالقة على ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة فى غاية المنعة ولها قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون ذراعا وهى تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هذه دار مملكة الروم وبها كان البيت المغلق الذى كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شئ من هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى فى وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة على تدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب لا يفتر والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو عقلت قليل

لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى * وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى * وقال ابن علقمة ان طليطلة اخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التى نشأت فى السنة بعدها انتهى * وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلاقة التى نشأت عن أخذ طليطلة وما تبع ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتونى المغرب وبنى مدينتى مراكش وتلمسان الجديده واطاعته البربر مع شكيمتها الشديده وتمهدت له الاقطار الطويلة المديده تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ فى انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه فى أسرع وقت مع ما ظهر لابطال الملثمين ومشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس والطعنات التى تنظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا ما دلهم على عبوره اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى ذلك الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا

قوله ابن بدرون فى نسخة ابن زيدون اه

داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتينا فاختر لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذى لا يجب أن تسبق فيه الى مكرمة وان فى استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربى لكنه ذكى الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم فى منزلة الاعادى فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغيرهم وكفى بهم من وراءهم من الاعادى الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فأعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذى لا يرد فانه خليق بما حصل فى يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكلما وهب جليلا جزيلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لآخرته واعلم أن بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب فى ذلك واقرأ على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما فى أيديكم من الملك فى أوسع اباحة مخصوصين منا باكرم ايثار وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللمط التى لا توجد الا ببلاده وانفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وازمعوا ان رأوا من الفرنج ما يريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه وكان ملك الافرنج الاذفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصاروا مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم فقوى شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاده لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة الى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير فى الكامل وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومتملك أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدى الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا أن يسلم اليه جميع الحصون المنيعة ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير نحو خمسمائة

فارس فأنزله المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى * وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار في ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حتى تأخر الوقت الذي كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا وتشطط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وامعن في التجني وسأل في دخول امرأته القمبيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة وهي التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله وامعن في بنائها واغرب في حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر في الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطي فعرض به في الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته في ذلك مشهورة وبناء الزاهرة أيضا من أعظم مباني الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولنرجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما اشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير في ذلك يهوديا كان وزير الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودي في ذلك وأغلظ له في القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فأنزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة واستفتى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله ان يجعل في عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه في قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك التخوم والجهات ثم يمر على لبلة الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التي سلكها الآخر وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا للموعد هما بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفي ايام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب واشتد علي الحر فأتحفني من قصرك

قوله من أعظم الخ في نسخة من أغرب ما بني في الاسلام اه

بروحة أروح بها على نفسى وأطرد بها الذباب عن وجهى فوقع له ابن عباد بخط يده فى ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك فى مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لاتروح عليك ان شاء الله تعالى فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد وقرئت عليه وعلم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا فى الاندلس توقيع ابن عباد وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه فى ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان فى غمد واحد فأجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا رعى الجمال خير من رعى الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين اسيرا يرعى جماله فى الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش أسيرا له يرعى خنازيره فى قشتالة وقال لعذاله ولوامه ياقوم انى من أمرى على حالين حالة يقين وحالة شك ولابد لى من احداهما أما حالة الشك فانى ان استندت الى ابن تاشفين أو الى الاذفونش ففى الممكن أن يفى لى ويبقى على وفائه ويمكن أن لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فانى ان استندت الى ابن تاشفين فانى أرضى الله وان استندت الى الاذفونش أسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأى شئ أدع ما يرضى الله وآتى ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجى صاحب غرناطة أن يبعث اليه كل منهما قاضى حضرته ففعلا واستحضر قاضى الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية اضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه فى الجهاد وأسند الى وزيره مالابد منه فى تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لاتزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم فما عبرت رسل ابن عباد البحر الا ورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد فوجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت فى سلك يوسف ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت الى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة فى دخول البلد والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحبات بالمطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار وأما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ماتقدم من فعل المعتمد بالارسال وقتلهم وتخوف أكابر الاندلس من الاذفونش وانه اجتمع منهم رؤساء وساروا الى القاضى عبد الله بن محمد وقالوا له ألا تنظر ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقالوا قد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال وما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا ونخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله فقال انهم انا نخشى ان وصلوا الينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين واسأله العبور الينا أو اعانتنا بما يتيسر من الجند فبينما هم فى ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضى بن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده بسبتة وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فأقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له فى القول ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد وبالغ فى ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب فى ظهره الذى يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم أنه بلى برجل لا طاقة له به * وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف فى عبور الجمال رأى مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هى السنة ومن جملة ما فى الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى فى هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انتهى بمعناه وأكثره بلفظه * ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس فهو منهم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء انزعج الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية فى مائة فارس ووجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم وركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والخلوص وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر

والرحمة وبشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه وافترقا فعاد يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد ما كان أعدّه من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما اصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس من عزة سلطانهم ما سرّهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر أو أعان وخرج أو أخرج وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من اصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار وأنا أكفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعبا أمضي اليكم وألقاكم في بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته وأهل مشورته اني رأيت اني ان مكنتهم من الدخول الى بلادي فناجزوني فيها وبين جدرها وربما كانت الدائرة علي يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني أجعل يومهم معي في حوز بلادهم فان كانت علي اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد أهبة أخرى فيكون في ذلك صون لبلادي وجبر لمكاسري وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت انا أن يكون في وفي بلادي اذا ناجزوني في وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم بهؤلاء أقاتل الجن والانس وملائكة السماء فالمقلل يقول المختارون أربعون ألف دارع ولكل واحد أتباع وأما النصارى فيعجبون عن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل أن عدد المسلمين أقل من الكفرة ورأى الاذفونش في نومه كأنه راكب فيل يضرب نقيرة طبل فهالته الرؤيا وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد فدس يهوديا عمن يعلم تأويلها من المسلمين فدل على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرؤيا لك ولا أعبرها لك الا ان صدقتني بصاحب الرؤيا فقال له اكتم علي الرؤيا للاذفونش فقال المعبر صدقت ولا يراها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفي عسكره وتفسيرها قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وأما ضرب النقيرة فتأويلها فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الآية فانصرف اليهودي وذكر للاذفونش ما وافق خاطره ثم خرج من بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد لنفسه متمثلا لا مكملا البيت المشهور

لابد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب

لا بد من يوم يكون * له أخا يوم القليب

ووافت الجيوش كلها بطليوس فأناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد ابن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود وجاءهم الخبر بشخوص الاذفونش ولما تدانى بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عيونه فى محلات الصحراويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لاعلم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصحراويين لايخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتا وطغا وراجعه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم وباتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس وبعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد ابن رميلة القرطبي وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع محققين بحركة الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ولا أرى ابن عباد يصبر لكم ان قصدتموه الحملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له قل له انى سأقرب منه ان شاء الله تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش

عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمي الوطيس واستحر القتل في أصحاب ابن عباد وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لاحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه الصحراويون وساءت الظنون وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسي حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وتذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه في اشبيلية عليلا وكنيته أبو هاشم فقال

أبا هاشم هشمتني الشفار * فلله صبري لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج * فلم يثنني ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود ابن عائشة وكان بطلا شجاعا شهما فنفس بجيئه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصعد أصواتها الى الجو فلما أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية ومر هاربا منهزما وقد طعن في احدى ركبتيه طعنة بقي يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الاربعاء وكان الموعد في المناجزة في يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فأحاطت بابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد جرحا أشواه وفر رؤساء الاندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا انه وهي لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش أن السلطان يوسف في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به جياد خيله ورجله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن اقرانها وتلاحق الاذفونش

قوله وأحجمت في نسخة وجمحت اه

باسود

بأسود نفذت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلحق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان متمنطقا به فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وافلتوا بعد ما تشبثت بهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاواني وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى وبعضه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجأ الاذفونش الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم مآذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهنأه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابي هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفي عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المليم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميع صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكى) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع الا نواح الثكلى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما وهما وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف ابن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشفين بظاهر اشبيلية ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فحلف ابن تاشفين وعزم

عليه في الرجوع وكانت جراحاته تورّمت عليه فسير معه ولده عبد الله الى أن وصل البحر وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنىء بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه قال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعدا لى واشعرى والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره وأقوم به ولما عزم السلطان يوسف بن تاشفين الى بلاده ترك الامير سيرى بن أبى بكر أحد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور اياما قلائل ودخل بلاد الاذفونش وأطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل فى البلاد وحصل أموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا فى جميع ما أخذه وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرّفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال فى أضيق العيش وأنكده وملوك الاندلس فى بلادهم وأهليهم فى أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدوة فمن فعل فذاك ومن أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول فيه أميرا من عساكرك فأول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا بروطه بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهى قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها ينبع من أعلاها وفيها من الاقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الازمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم أن يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج عليه سيرى المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بنى طاهر بشرق الاندلس فسلموا له البلاد ولحقوا ببرّ العدوة ثم نازل بنى صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف ومات غبنا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد بن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرّفه بما فعل ويسأله مرسومه فى ابن عباد فكتب اليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبرّ العدوة بجميع الاهل والعشيرة فان رضى والا فحاصره وخذه وأرسل به كسائر أصحابه فواجهه وعرّفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب فلم يجب بنفى ولا اثبات ثم انه نازل اشبيلية وحاصره بها وألح عليه فأقام الحصار شهرا ودخل البلد قهرا واستخرجه من قصره فحمل وجميع أهله وولده الى العدوة فنازل باغمات وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى وعفا عنه * وأما ابن الاثير ففى كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما مرّ وأخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز فى كل حاضر وباد وما قاساه فى الاسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب يتعظ به العاقل الاريب وأما ما مدحته به الشعراء وأجوبته لهم فى حالى يسره وعسره وملكه وأسره وطيه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفى

كتب التواريخ منه نظيم ونثير وقد قدمنا منه في هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار وينير وخصوصا في الباب السابع من هذا التأليف الذى هو عند المنصف أثير وفي المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بنى منذر وذاك انتساب * زاد في فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالى * والمعالى قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع في كتابه لمح الملح في حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحه وأرحبهم ساحه وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من اعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه * وقال ابن بسام في الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

اسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعات هجر في زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * منى يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى في نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عود وانعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التي لا توجد في سائر بلاد العدوة اذ هي بلاد بربر وأجلاف عربان فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وبقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سيرى بن أبي بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية وبها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا * وفي وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر

قوله بلكين في نسخة بلقين اه

وراق منهم المصر والناس قد حشروا بضفتي الوادي يبكون بدموع كالغوادي فساروا والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها وجمع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل عنده فعرج الى بلاده اذ أجابه الى ماطلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد وهي من أجل المدن وأحسنها منظرا وأمعن يوسف النظر فيها وفي محاسنها وهي على نهر عظيم متبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفي غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية ويمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتأملها وما هي عليه من النعمة والاتراف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون له ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين عاقلا مقتصدا في أموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك نهج الترف والتأنق في اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره في بلاده بالصحراء في شظف العيش فأنكر على من اغراه بذلك الاسراف وقال له الذي يلوح لي من أمر هذا الرجل يعني المعتمد انه مضيع لما في يده من الملك لان هذه الاموال الكثيرة التي تصرف في هذه الاحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم واخراجه في هذه الترهات من أفحش الاستهتار ومن كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد همة في ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته والتوفر لصالحها ولعمري لقد صدق في كل ذلك ثم ان يوسف ابن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته هل تختلف فتنقص عما عليه في بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وانصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك فقالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا لا رضى لهم عنه فأطرق وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال اياما وفي اثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها السلطان وان من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح واني رجل من رعيتك حالي في دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال ولكنني مع ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان اثرت الاصغاء اليه قلته فقال المعتمد له قله فقال له رأيت أن هذا الرجل الذي اطلعته على ملكك مستأسد على الملوك قد حكم على رفقائه ببر العدوة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن أن يطمح الى المطمع في ملكك بل في ملك جزيرة الاندلس كلها لما قد عاينه من هناءة عيشك واني لمتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس وان له من الولد والاقارب

وغيرهم من يودّ له الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أردى الاذفونش وجيشه واستاصل شأفتهم واعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد فانه ان فات الامر فى الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله فى قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم أحد بالجزيرة طفل فن فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه له ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الايمان أن لا يضمر فى نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التى لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم فى موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك فى مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم انه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوى تتفانى الامم وتجرى بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر فى انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه فى اللذات فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ (ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بنى عباد وبنى ذى النون وبنى الافطس وبنى صمادح وغيرهم انتظمت فى سلك الملتونيين وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة فى كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين على بن يوسف وسلك سنن أبيه وان قصر عنه فى بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى أسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى فى هدم بنيان لمتونة الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن على فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم أخرج الافرنج من مهدية افريقية وملك بلاد افريقية وضمها لملكه وتسمى بأمير المؤمنين ولما كانت سنة ٥٤٥ سار الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون ألف فارس فحاصرها وكان أهلها فى غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوى على اثنى عشر ألف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر السائب فسلمها الى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما أصبح رأى الفرنج عادوا الى مكانهم

ونزلوا فى المكان الذى كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد المؤمن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفى السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس فى عشرين ألفا عليهم الهنتاتى فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس وبلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وأرسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فتجهز اليه فى عشرة آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش فبلغه أمر البرشلونى الافرنجى فرجع ونازل مدينة المرية وهى بايدى الروم فحاصرها فاشتد الغلاء فى عسكره فرجع الى اشبيلية فأقام فيها وسار عبد المؤمن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك افريقية وضخم ملكه كما قدمناه * ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فمرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا لاحكامه البلاد فصاهرهم وأحسن اليهم وأصبحوا عنده فى أعز مكان ثم شرع فى استرجاع البلاد التى استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تغير الى باب طليطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى افريقية فمهدها ثم رجع الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين وهى من أعظم بلاد العدو وبقى محاصرا لها شهرا فاصابه المرض فمات فى السنة المذكورة وحمل فى تابوت الى اشبيلية وقيل أصابه سهم من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال * وفى ابنه السيد اسحق يقول مطرف التجيبى رحمه الله تعالى

قوله اسحق فى نسخة أبى اسحق اه

سعد كما شاء العلى والفخار * تصرف الليل به والنهار
مادانت الارض لكم عنوة * وانما دانت لامر كبار
مهدتموها فصفا عيشها * واتصل الامن فنعم القرار

ومنها

فالشاة لا يختلها ذئبها * وان اقامت معه فى وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الاندلس أبو بكر يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ماء الشؤن لغير هذا الشان

ويعقوب

ويعقوب المنصور هو الذى أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان
العدل وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام
الحدود على القريب والبعيد وله فى ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم
ابن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر المشهور

ازال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكثرت الفتوحات فى ايامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر
فى شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين فى مراكزهم ورجع الى كرسى مملكته مراكش
المحروسة وفى سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهى من غرب الاندلس
فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ فى الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح
أربع مدن مما بايدى الافرنج من البلاد التى كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك
باربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى
مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبى وهو من امراء كتاب اشبيلية
قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى فى وقعة مع الفرنج كان الشلبى المذكور
مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور بعد هدنة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل
خرج طائفة من الافرنج فى جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا
فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم فى جيوش موفورة وعساكر مكتبة واحتفل فى ذلك
وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الفرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها
وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه
اطباؤه فعاث الاذفونش فى بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز فرصة وتفرقت جيوش المسلمين
بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق ويطلب بعض
الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء
النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالى قرطبة على قرب قلعة رباح فى يوم
الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من
المسلمين (وحكى) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ ابا يحيى
ابن أبى حفص عم السلطان أبى زكريا الحفصى الذى ملك بعد ذلك افريقية وخطب له

بعض الاندلس فقصد الافرنج الاعلام ظنا أن السلطان تحتها فأثروا فى المسلمين أثرا قبيحا فلم يرعهم الا والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم شر هزيمة وهرب الاذفونش فى طائفة يسيرة وهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر (وحكى) أن الذى حمل لبيت المال من دروع الافرنج ستون ألفا وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه وربما صرح بعض المؤرخين بانها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها وكانت قبل للمسلمين فأخذها العدو وفردّت فى هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على أرجائها وأخذ من أعمالها حصونا وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الافرنج فى أسوأ حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الفرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من ثورة الميرقى عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بنى أيوب سلاطين مصر والشام ثم توفى السلطان يعقوب سنة ٥٩٥ وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنيه فى تاريخ الدولة المرينيه ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التى خلا بسببها أكثر المغرب واستولى الافرنج على أكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هى الطامة على الاندلس بل المغرب جميعا وما ذاك الا لسوء التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشنق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على أمره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد * ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولى بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة فى أيامه * وتوفى سنة ٦٢٠ فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يحسن التدبير وكان اذ ذاك بالاندلس العادل بن المنصور فرأى انه أحق بالامر فاستولى على ما بقى فى أيدى المسلمين من الاندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعاء فكانت الاندلس قرحا على قرح فهرب العادل وركب البحر يروم مراكش وترك باشبيلية أخاه أبا العلاء ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه الموحدون وقدموا يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للامور فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء ادريس باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالاندلس

قوله الذخيرة فى نسخة السيرة اه

فثار

فثار على أبي العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامي ودعا الى بني
العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن أبي العلاء فخرج عن الاندلس اعني أبا العلاء وترك
ماوراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يحارب مع يحيى بن الناصر الى أن قتل يحيى وصفا
الامر لابي العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض
أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان ٢
سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل
عليه الواثق المعروف بابي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين
سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى
بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب
موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا
على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب
بعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور
هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لا يخفى
على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحم الله
تعالى الجميع * ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملكه فاس
فاستصرخ به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم
الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني
وقتل في بعض غزواته ملك من النصارى يقال له ذونند ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا
وهزمهم أشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس
رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد
تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ففر اليه الاذفونش ملك
النصارى لائذا به وقبل يده ورهن عنده تاجه فاعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك
بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب
السلطان بالاندلس غزاة كانت لهم وقائع في العدوة مذكورة ومواقف مشكورة وكان
عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة
(ولما) افضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض
بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام
فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد أخذهم الجزيرة الخضراء
وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل
الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور فجاء بنفسه الى سبتة فرضة المجاز وحشد أساطيل
المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لا تحصى ومنعوا العبور وأعانه أهل الاندلس حتى
استولوا على الجزيرة الخضراء وانكوا في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد افصح عن ذلك
كتاب صدر عن السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح

ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي" الالفي" رحمهم الله تعالى اجمع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني" المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد ابن قلاوون ووصل الى مصر في النصف وقيل في العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٨ بعد البسملة" والصلاة من عند أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره لديه سلطان البرين حامي العدوتين مؤثر المرابطة والمثابره موازر حزب الاسلام حق الموازره ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبي الاملاك مشجي أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق اخلص الله لوجهه جهاده ويسر في قهر عداة الدين مراده الى محل" ولدنا الذي طلع في أفق العلا بدرا تاما وصدع بانواع الفخار فجلا ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فأعلى منها علما وأحيا لها رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تأمينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب المجد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الافخم المعان الموزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد اسمعيل ابن محل" أخينا الشهير علاؤه المستطير في الآفاق ثناؤه زين الايام والليالي كمال عين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه في عقود أهل الملل والنحل حامي القبلتين بعدله وحسامه النامي في حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم احزاب المعاندين وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهي خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء النصر في قهر الارمن والفرنج والتتار محيي رسوم الجهاد معلي كلمة الاسلام في البلاد جمال الايام ثمال الاعلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التي أطلعها الله السعد شمسا في سمائه واحسن ايزاعه للشكران جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الربا مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم مادامت تقل" الفلك حركاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك

الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسر في النفاق
النجوى فأصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي محا
بأنوار الهدى ظلم الشرك ونبيه الذي ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودعا به
حجة الحق فبادت بالكفرة محمولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضى عن آله وصحبه
الذين سلكوا سبيل هداه فسلك في قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من
محجة الصواب أنجح السلك وصابروا في جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب
يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر أضائه في العدا
أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم
كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع
الله سبحانه يعرف مذاهب الالطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة في القصور عن شكرها
بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون
والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاكم الصحيح برهانه
وعلاكم الفسيح في مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم
تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتم سبيلا مبينا فلا خفاء بما كانت عقدته
أيدي التقوى ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه
وقدسه وبقربه مع الابرار في عليين آنسه من مواشاة استحكمت منها العهود تالية الكتب
والفاتحه وحفظ عليها حكم الاخلاص مودتاها الحبة والنية الصالحه فانعقدت على
التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت
وصلة الولاء والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولا عجب
قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان ورد وارد أورد رنق المشارب وحقق قول ومن يسأل
الركبان عن كل غائب أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكيه واكان درته السنيه وانقلابه
الى ما أعد له من المنازل الرضوانيه بجلائل ما وقر لقدره في الصدور وعظيم ما تأثرت له
النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور
قاصدي بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم
والولي الحميم ثم عميت الاخبار وطويت على السبيل الآثار فلم نر مخبرا صادقا ولا معلما
بمن استقر له ذلكم الملك حقا وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل
الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ونحن أثناء
ذلكم الشأن نستخبر الوراد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان
فبعد لأي وقفنا منها على الخبير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر
منكم في نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه قاطعا بكم نار الفتنة وأخمدها
وأبرأ من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وتعبد طريقه
لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاين
أثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجرد حقا الموارث فأصدرنا اليكم هذه

الغياطية المتفننة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من العزاء والهناء بزي
الشعار والدثار ومثل ذلكم الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرى
الاصطبار بموته ولات حين أوانه لكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى
ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث
اصطباره ومن خلفكم فما مات ذكره ومن قام بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت
والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومختضره هنيأ عما من الاجر اكتسب
وصار حميدا الى خير المنقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد
ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسه وحماية زواريته مقيله أو معرسه ونحن بعد
بسط هذه التعزيه نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنيه وفي ذات الله الايراد والاصدار
وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه وعقد
الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه
الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقه وموالاة محققه وثناء كما نمه عن أزكى
من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين
خطتهما منا اليمين وأوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان
لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه في ذلكم من الفعل الجميل
والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكله فضله من البر الذي لا يضيع حتى طبق
فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الوراد والقصاد برا وكان من أجل ما به تحفى وأتحف
وأعظم ما بعرفه الى رضى الملك العلام في ذلك تعرف اذنه للمتوجهين اذ ذاك في شراء رباع
توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين
فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلهم من خراج ما وقفناه عليهم
بهذه البلاد على ما رعاه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله واحترام في تلك الاوقاف
فوائدها به متوفرة متحصله وقد أمرنا مؤدي هذا الكتاب لكم ومورده على جلالكم
كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل
الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مدين
حفظ الله عليه رتبته ويسر في قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال تلك
الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن يتخير لها
من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيها هنالك وخاطبنا سلطانكم في هذا الشان جريا على
الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان
وكمالكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل
عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في اعانة هذا
الوافد بهذا الكتاب على ما توخاه في ذلك الشان من طرق الصواب وثناؤنا عليكم
الثناء الذي يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاه ومقتضى
الموالاه نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات ونبثكم موجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب

على

على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منا للجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم باباتهم اللعين التناصر من كل أوب وأن تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية باجحافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحوا كلمة الاسلام منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى المغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا وقد أخذ أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط في البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها في ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته لمدافعة حزب الضلال وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهره وأرضخنا لهم في النوال ما نرجو به ثواب الآخره وجعلت أجفاننا تتردد في مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن الآجل مشحونة بالعدد الموفوره والابطال المشهوره والخيل المسومه والاقوات المقومه فمن ناج سارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل في الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقي من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلص لتلك العدوة بعد أن أيقنته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه بحرب بها يغنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارتهم وقويت في الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الاورق الى ان المطاولة بحصرها في البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها في البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات في البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب في الاذن له في عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النصح فاذنا له فيه الاذن العام اذ في اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا اعلموا افناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولم يرزؤا مالا ولا عدة ولا لقوا في خروجهم غير الخروج عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطاء وأسلبناهم مما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على الالف عتاقها وخلع تربي على عشرة آلاف

أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفار سمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر أن قدر لنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل على هذه المدره والفرصة منها ان شاء الله تعالى متيسره حتى يفترق عقد الكفار ويفرج بهذه الجهة منهم مجاور وهذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب وكونهم سدوا مسالك العبور عما لجميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا باصفاقهم ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولارادة ما جرت به الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر وتكون على اهبة الجهاد وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها فى الاعاد وعند عودنا من تلك المحاوله تيسر الركب الحجازى موجها الى هنالكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم فى ذات الله لا يخشى جديده من البلاء وما لكم من غرض بهذه الانحاء فوفى قصده على أكمل الاهواء موالى تتميمه على أجمل الآراء والبلاد باتحاد الود متحده والقلوب والايدى على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقده جعل الله ذلكم لنا لصالح العباد مدخورا ليوم التناد مسطورا فى الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله وهو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب فى يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة وكتب فى التاريخ المؤرخ * ونسخة الجواب عن ذلك من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم فى سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث عبد الله ووليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد الانجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله

بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه للتغريد فى الروض سواجعه وجلى فى كاسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثه وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثه وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده فى الاعناق غير منكورة ولا منكوثه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم فى الكفرة غاية أمله وسوله صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ماتراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضح لعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الجمائل سطوره ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكى الرياض اليانعة فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حلل الايام والليالى فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على انه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبهنا الفاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة فى يوم الكفاح واتهينا الى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذى يطرب طائره المسموع والبلاغة التى فضح المتطبع بيانها المطبوع فاما العزاء بأخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسالفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنه ولولا الوثوق بأنه فى عدة الشهداء ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا ملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس فى الآفاق ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه فى اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك فى سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحه وقابلناها بثناء يعطر النسيم فى كل نفحه ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذى لا يعيد طود رسوخه ولا يميل وأما ماذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى الاسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبى عبد الله بن أبى مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما والنظر فى أمر أوقافهما فقد وصل المذكور ومن معه فى حرز السلامة وأكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا فى أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ورسمنا لنوابنا فى نواحى أوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن من ازالة رسمه أو ازالة حكمه بدره أبدا فى مطالعه وزهره دائما يرقص فى كمه لا يزداد الا تخليدا ولا اطلاق ثبوته الا تقييدا ولا عتق اجتهاده الا تقليدا جريا على

قاعدة أوقاف بما لكنا . وعادة نصرتنا في مسالكنا وله مزيد الرعايه وافادة الحمايه ووفادة العنايه وأما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار حزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذى أنكى أهل الايمان وعقد به نوب الزمان كل قلب بأنامل الخفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم بجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحروب سجال وكل زمان لدولة ولرجاله رجال ولو أمكنت المساعدة لطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومه وسالت على عدوكم أباطحهم بقسينا المعوجة وسهامنا المقومه وكحلنا عيون النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل العجاج مزقا ببروق الصفاح واتخذنا رؤسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنه وخضنا جداول السيوف ودسنا شول الاسنه وفلقنا الصخرات بالصرخات وأسلنا العبرات بالرعبات ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريا من يد المتناول وما الناغير امدادكم بجنود الدعاء الذى نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا وأما ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف التلاف وأم حرم فنائها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام وتوزع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر وطالما نامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب فى السحر ولكن فى بقائكم ما يسلى من خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر هين لان الدر يفدى بالذهب وأما ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وأمر ما فيه فارط عزم وان كان فيتدارك والامر يجى كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب ومع اليوم غدا وقد يرد الله الردى ويبعد الظفر بالعدا وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا للاراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى التدبير سرورى التثمير لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذه فكيف بمباشرة المنايا الفذه وهذا جبل طارق الذى فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد ورد الهذا النازل الذى قدم ورد الصبر لما ورد فعادة الالطاف الالهية بكم معروفه وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بانه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يمرق من قسى الكفار ويعرق وأما ما أتحفتموه من الخيل العتاق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم فى منازل الدنيا والآخرة سرفها وشرفها والينا تساق هدايا أنيتها وتحفكم تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأناره بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا انتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤس الاعتناء بهم تنضد حببها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسحنا

لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم من اذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لامسافة لمسافر بين الشرق والغرب وغمرناهم بالاحسان في العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاخذ الثار حماتكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يمحو شبابه مشيبه وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم وتغاوحكم انفاسها المعتبرة وتنافحكم بعنه وكرمه انتهى (ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى اثر ذكره ما نصه أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضي قطب الدين موسى بن أحمد ابن شيخ السلامية الاحمدي أمتع الله بفوائده الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبي الحسن المريني صاحب مراكش تغمده الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائي وأنا أسمع ذلك جميعا من أولهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لرياحتها

وأخجلت ورق الحمى باللوا * ان صدحت في ذروة الغصن

تكاد من لطف ومن رقة * تدخل في الاذن بلا اذن

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٦ بالجامع الاموي بدمشق المحروسة فان رأى روايته ذلك عني فله علو الرأي في تشريفي بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدي الشافعي عفا الله عنه انتهى * وكان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب توقيعه سلطان مصر والشام بمساحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين ابن نباتة المصري ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذي مد يمينه بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فايد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لا مليا الغرب فنالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الاعداء بالهندي ورتب عليها أوقافا تجري اقلام الحساب في اطلاقها وطلقها وحبس املاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم الصحائف وينفع المجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس ورأيته في نهاية الصنعة *

وقال بعض المشارقة في حق السلطان أبي الحسن ما صورته ملك أضاء المغرب بانوار هلاله

وبرث الى المشرق أفواه نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابه كثير الانابه ذا بلاغة وبراعه وشهامة وشجاعه كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة أقام في الملك عشر سنين وسبعة أيام ثم صرف بولده أبي عنان بعد حروب يطول شرحها انتهى من كتاب نزهة الانام *ولما ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن أمر الربعة التي أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه وأرسل معها للسلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكي ثلثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الاناق عشرين مذهبة ومن الخلادي ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة والاكسية المحررة أربعة وعشرين والبرانس المحررة ثمانية عشر والمشقفات مائة وخمسين واحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالي المتنوعة والفرش والمخاذ المنبوق والحلل ثمانمائة وأوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطان جلد وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب ذهب والمهاميز الذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسرج محروزة بالفضة عشرة وعشر علامات معششة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر امثلة مرقومة وثلاثين جلد اشرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهي حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وابنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الربعة المكرمة واعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضي الركب ثلثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوي متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء ربع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا انتهى *وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف اهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ومنها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها الملوك النصارى بعد هداياهم ومنها السلاطين السودان كصاحب مالي ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان انتهى *وقال مؤرخ مصر المقريزي

قوله المنبوق في نسخة المنبوت بالمثناة الفوقية وليراجع اهـ

قوله علامات هكذا في الاصل ولعله ملاآت وليحرر اهـ

فى كتاب السلوك فى سنة ٧٣٨ مانصه وفى ثانى عشرين من رمضان قدمت الحرة من
عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ومعها
هدية جليلة الى الغاية نزل لحملها من الاصطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى
الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسروج
ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها
اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها
سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش
العالى وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع
كثير جدا وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء
بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به فقدرت
قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها
من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم
فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف اردب أرز وقنطار حب رمان
وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة
وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع
الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين
قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجل قدره وقيل لها أن تملى ما تحتاج اليه
ولا يعوزها شئ وانما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم
السلطان الى النشو والى الامير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها
السقايين والضوية وهيآ كل ما تحتاج اليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر
والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها
جمال الدين متولى الجيزة وأمره أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل
كل ما تأمر به وكتب لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى * وقال فى سنة
خمس وأربعين وسبعمائة مانصه وفى نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب
فى جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام وأن يدعوله
الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل
الحرمين بذلك وذلك أن فى السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده
ونصره الله تعالى بعد على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فعمر الفرنج
مائتى شينى وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير
ونجا أبو الحسن فى طائفة من أزامه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة واسروا وسبوا وغنموا
شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على
قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اه كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه
من السلطان أبى الحسن فليراجع قريبا * وقال ابن مرزوق فى المسند الصحيح بعد كلام

قوله ولا يعوزها شئ هكذا فى الاصل ولعله فلم يعوزها شئ بالتفريع على قوله وقيل لها الخ تأمل اه مصححه

ما ملخصه وكان يعنى السلطان أبا الحسن مجتهدا فى الجهاد بنفسه وحرمه وجاز للاندلس برسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود واذ كان من عمالته هو والجزيرة ورندة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين وأنفق على بنائه أحمال مال واعتنى بتحصينه وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام نخيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسرا والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال وآثار بنائه للمحاسن والطوالع قاض غير مجهول اهـ (وقد رأيت) ان أذكرهنا بعض انشاء لسان الدين بن الخطيب فى شأن ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الاندلس وحال العدو الكافر وما ينخرط فى هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين من أولاد السلطان أبى الحسن المريني (ونصه) المقام الذى يصرخ وينجد ويتهم فى الفضل وينجد ويسعف ويسعد ويبرق فى سبيل الله ويرعد فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد مقام محل أخينا الذى حسن الظن بمجده جميل وحد الكفر بسعده كليل وللاسلام فيه رجاء وتأميل ليس للقلوب عنه عميل السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى وعزمه الماضى لصولة الكفر قامعا وتدبيره الناجح لشمل الاسلام جامعا ولكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا معظم مقداره وملتزم اجلاله واكباره المعتد فى الله بكرم شيمته وطيب نجاره المستظهر على عدو الله باسراعه الى تدمير الكافر وبداره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومتقبل الوسائل ومتيح النعم الجلائل مريح من عامله فى هذا الوجود الزائف الزائل والايام القلائل بالمتاع الدائم الطائل والنعيم غير الحائل ومقيم اود الاسلام المائل باولى المكارم من أوليائه والفضائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائل المنجى من الروع الهائل الصادع بدعوة الحق الصائل بين العشائر والفصائل الذى ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل وجعله فى الاواخر شرف الاوائل فخبئه كنز العائل والصلاة عليه زكاة القائل والرضى عن آله وصحبه وعترته وحزبه تيجان الاحياء والقبائل المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل والدعاء لمقام اخوتكم فى البكر والاصائل بالسعد الصادق المخايل والصنع الذى تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر الذى تهزله الصعاد الملد عطف المترانح المتمايل فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزا يانع الخمائل ونصرا يتكفل للكتائب المدونة فى الجهاد ومرضاة رب العباد بسرد المسائل واقناع السائل من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه الا الاستبصار فى التوكل على من بيده الامور وتسبب مشروع تتعلق به باذن الله تعالى أحكام القدر المقدور ورجاء فيما وعد به من الظهور يتضاعف على توالى الايام وترادف

المشهور والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالارواء نيله وعله والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فانا في هذه الايام أهمنا من أمر الاسلام ما رنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما تحققنا من عمل الكفر على مكايدته وسعى الضلال والله الواقى في استئصال بقيته وعقد النوادى للاستشارة في شانه وشروع الحيل في هد أركانه ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى وأهله ساطهم الله تعالى وتولاهم وتمم عوائد لطفه الذى أولاهم فهو مولاهم في غفلة ساهون وعن المغبة فيه لاهون قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الامل عن نافع العمل الامن نور الله تعالى قلبه بنور الايمان وتملى بمناصحة الله تعالى والاسلام تملى السليم واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الفكر الى مطالب الامم النوائب فلما رأينا أن الدولة المرينية التى هى على ممر الايام شجا العدا ومتوعد من يكيد الهدى وفئة الاسلام التى اليها يتحيز وكهفه الذى اليه يلجأ قد أذن الله تعالى فى صلاح أمورها ولم شعثها واقامة صفاها بأن صرف الله تعالى عنها هنات الغدر وأراحها من مس الضر ورد قوسها الى يد باريها وصير حقها الى وارثها وأقام لرعى مصالحها من حسن الظن بحسبه ودينه ورجى الخير من ثمرات نعمه ومن لم يدلم الا الخير من سعيه والسداد من سيرته ومن لا يستريب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج لكم عن العهدة فى هذا الدين الحنيف الذى وسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية وتشبثت به أنفس من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة وفى هذا القطر الذى بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه دينا ودنيا وحمية وفضلا وعلى الحالين فعليكم بعد الله المعول وفيكم المؤمل فارعونا أسماعكم المباركة نقص عليكم ما فيه رضى الله والمجاة من نكيره والفخر والاجر وحفظ النعم والخلف فى الذرية بهذا وعدت الكتب المنزلة والرسل المرسلة وهو أن هذا القطر الذى تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم والضيف والارملة والضعيف وقد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدى به منذ أعوام وسلم الى عبدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته ولا يذهب المعروف بكليته

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو منازل أخاه بسجلماسة ولا أمده والده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا الى الجبل وسماته فى جلة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا أموال فرضت من أجل الله على عباده وطعام صممنا به على الاحتياج اليه فى سبيل جهاده فلم يسهم المتغلب منها لجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا بجل وعلا منها ونابنكيره

الذى هو أحق أن يخشى فضاعات الامور واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت العدد وخلت المخازن وهلكت بها الجرذان وعظمت بها عسرة الاسلام أضعاف ماعظمت جبرته أيام ما كانت تكلفها هم الملوك الكرام والخلفاء العظام والوزراء والنصحاء والاشياخ الامجاد قدس الله تعالى أرواحهم وضاعف أنوارهم ولا كالحسرة فى الجبل باب الاندلس وركاب الجهاد وحسنة بنى مرين ومآثر آل يعقوب وكرامة الله للسلطان المقدس أبى الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والذكر الذى ترد على قبره مع الساعات والانفاس وفود الرحمة وهدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا انكم على علم من أحواله لشرحنا المجمل وشكلنا المهمل انما هو اليوم شبح ماثل وطلل بائد لولا أن الله تعالى شغل العدا عنه بفتنة لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوم طيره الا عليه ولكان بصدد أن يتخذه الصليب دارا وأن يقرّ به عينا والعدوة فضلا عن الاندلس قد أوسعها شرا وأرهق ما يجاوره عسرا نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسوّد الوجوه بالفجع فيه ولا يسمع المسلمين الثكلة وما دونه فهو وان انعش بالتعليل عليله ووقع بالجهد خاقه لحم على وضم الا أن يصل الله تعالى وقايته ويوالى دفاعه وعصمته لا اله الا هو ولى النصير وما زلنا نشكو الى غير المصمت وغد اليد الى المدبر عن الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المبانى المفضضة والخزائن الثرة والاهراء الطامية والحظ التافه من المفترض برسمه فتمضى الايام لا تزيد الضرائر فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة ولا الثغر الا ضعة ولا نعلم أن نظرا وقع له ولا فكرا اعمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته الضعيفه وبلالة مجباه السخيفه فى بناء قصر عنت ميور من جباله

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور

جلب اليه الزليج واختلفت فيه الاوضاع فى رأس نيق لامل نزوة وسوء فكرة فلما تم أقطع الهجران فهو اليوم مجنح البوم وخط الخراب فلا حول ولا قوة الا بالله حتى جاء أمر الله خالى الصحيفة من البر صفر اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من ذلك ونسأله الالهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على اكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فاتحه رضى الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافلهم تتعهدهم فاحترك ذلك الجوار حلوبا ولا استدعى مطلوبا ولا رفدا مجلوبا فالى متى تنضى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال واصلح السعى واجرى ينابيع الخير وأنشق رياح الاقالة وجملة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعى والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قطره جرت بيننا وبينه المراسلة التى اسفرت بعدم رضاه عن كدحنا لنصره ومظاهرتنا اياه على أمره وان كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا وأجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها وأغراض صعبة لم نكملها ونحن نتحقق انه اما أن تهيج حفيظته وتثور احنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التى داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا او يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من

جهات

جهات دينه الغريب الاعقد معها صلحا وأخذ عليها باعاتها اياه عهدا ثم تفرغ الى شفاء غليله وبلوغ جهده ولا شك انها تجيبه صرفا لباسه عن ثغورها ومقارضة كما وقع بأماريرة من مضيق صدورها وموسف جمهورها وكل من له دين فهو يحرص على التقرب الى من دانه به وكلفه وظائف تكاليف رجاء لوعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع مالا نطيق من جموع تداعت من الجزر ووراء البحور والبر المتصل الذى لا تقطعه الرفاق ولا تحصى ذرعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده قليل ومتجعه فى هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد وربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب وحمية لصليبها المنصوب فمن يستدعى لنصر دين الله وحفظ امانة نبيه الا أهل ذلك الوطن حيث المآذن بذكر الله تعالى تملأ الآفاق وكلمة الاسلام قد عمت الربا والوهادا انما الاسلام غريق قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله فى بقية الرمق وقبل الرمى تراش السهام وهذا أوان الاعتناء واختيار الحماة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم مقررا الضرورة منهيا الرغبة مذكرا بما يقرب عند الله مذكرا انما الاسلام جالبا الى من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى تشرح الصدور وتسنى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله مع الجماعة والمسلمون يد على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى مشروع وفى الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر فعسى أن يروع الكفر من العزبالله وشد الحيازم فى سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والشعور لحماية الثغور وعمرانها وازاحة عللها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وجبر ما تلف من عدة البحر أمور تدل على ماوراءها وتخبر بمشيئة الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة البسه الله تعالى سيما الخسف ووسمه بالصغار وما بعد الدنيا الا الآخرة وما بعد الآخرة الا احدى دارى البقاء أفى الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والاعتناء بالجبل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا لا نقنع باليسير وقد ابرمته المواعيد وغيرسومه الانتظار ومن المنقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس والاسراف فى الخير أربح فى هذا المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول وقد أقترا اللهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه والامتعاض مكافئا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده قبل أن يثوب تطر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم ولا عذر لمن علم والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة وطعام الواحد كافى الاثنين والدين دينكم والبلاد بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق حسناتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن

يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد قلدنا العهد الحفيظ علينا المصروف العناية بفضل الله تعالى الينا والله المستعان وعليه التكلان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى *

وفي اعتقادي أن هذا المكتوب للسلطان أبي فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله الذي ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محو اثره حسبما ذكرناه في غير هذا المحل والله سبحانه أعلم (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه في استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المريني لنصرة الاندلس (ما نصه) المقام الذي يؤثر حظ الله اذا اختلفت الحظوظ وتعددت المقاصد ويشرع الادنى منه اذا تفاضلت المشارع وتمايزت الموارد وتشمل عادة حلمه وفضله الشارد ويسع وارف ظله الصادر والوارد والغائب والشاهد ويعيد من نصر الله للاسلام العوائد ويسد الذرائع ويدر الفوائد مقام محل أخينا الذي حسنت في الملك سيره وتعاضد في الفضل خبره وخبره ودلت شواهد مداركه للحقوق وتفهمه للعقوق على أن الله تعالى لا يهمله ولا يذره فلك فخره متسقة دوره ووجه ملكه شادخة غرره السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعا علاؤه هامية لديه من الله تعالى وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه محروسة بعز النصر أرجاؤه مكملا من فضل الله تعالى في نصر الاسلام وكبت عبدة الاصنام أمله ورجاؤه معظم قدره الذي يحق له التعظيم وموقر سلطانه الذي له الحسب الاصيل والمجد الصميم الداعي الى الله تعالى باتصال سعادته حتى ينتصف من عدو الاسلام الغريم ويتاح على يد سلطانه الفتح الجسيم فلان سلام كريم طيب عميم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب لمن أخلص الرغبة اليه أملا وموفي من ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكملا وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا ملك الملوك الذي جل وعلا وجبار الجبابرة الذي لا يجدون عن قدره محيصا ولا من دونه موئلا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا وأوضح طريق الرشد وكان مغفلا وفتح باب السعادة ولولاه كان مقفلا والرضا عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه الذين ساهموه فيما مر وما حلا وخلفوه من بعد بالسير التي راقت مجتلى ورفعوا عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا وكانوا في الحلم والعفو مثلا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يلفى نصه صريحا لا متأولا والصنع الذي يبهر حالا ومستقبلا والعز الذي يرسو جبلا والسعد الذي لا يبلغ أمدا ولا أجلا فانا كتبناه اليكم أصحب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق حلا ومرتحلا وعرفكم عوارف اليمن الذي ينير جذلا ويدعو وافد الفتح المبين فيرد مستعجلا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ومهد أوطانه الا الخير الذي نسأل بعده تحسين العقبى وتوالي عادة الرحمى والحمد لله على التي هي أزكى وسدل جناح الستر الاضفى وصلة اللطائف التي هي أكفل وأكفى وأبر وأوفى ومقامكم عندنا العدة التي بها نصول ونرهب والعمدة التي نطيل في ذكرها ونسهب وقد أوفدنا عليكم

كل

كل مازادلدينا أوفتح الله تعالى به علينا ونحن مهماشدا لخنق بكم نستنصر أوتراخى فتق ودكم نستبصر أوفتح الله تعالى فاو ايكم نهنى ونبشر وقررنا عندكم أن العدوفى هذه الايام توقف عن بلاد المسلمين فلم تصل منه اليهاسريه ولا بطشت له يدجريه ولا افترعت من تلقائه ثنيه ولاندرى ألمكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتتبر أولشاغل فى الباطن لايظهر وبعدذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يبدون فيها الى جنوحها للسلم فى سبيل النصح لاياد سلفت منا اليهم قررها ورسائل ذكرها فلم يخف عنا أنه أمر دبر بليل وخبية تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الامر فوجهنا اليه على عادة تسامح سلفه لنعتبر ماالديه وتنظر الى بواطن أمره ونبحث عن زيد قومه وعمره فتأتى ذلك وجرمفاوضة فى الصلح أعدنا لاجلها الرساله واستشعرنا البساله ووازنا الاحوال واختبرنا واعتززنا فى الشروط ماقدرنا ونحن نرتقب مايخلق الله تعالى من مهادنة تحصل بها الاقوات المهيأة للاتساق وتسكن ماساء البلاد المسلمة من هذا الارجاف ونفرغ الوقت لمطاردة هذه الآمال العجاف أوحرب يبلغ الاستبصار فيه غايته حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أوردناه وشموخ الانف فيما أصدرناه الاما أشعرنا من عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الاعلام والنهوض الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض حمية لله تعالى قداهتزت والنفرة قدغلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب المواعد وشمرت عن السواعد وان الخيل قداطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنه والشفاية سذتها بروق الاسنه وفرض الجهاد قدقام به المؤمنون والاموال قدسمح بها المسلمون وهذه الامور التى تمشت بقريبها أوبعيدها أحوال الاسلام والاماني المعدة لتزجية الايام ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعدكورها وتسويف مواعد النصرة بعد استشعار فورها وأن الحركة معطلة الى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها واليكم وان تراخى الطول ترجع أحكامها والقطر الذى لايفوتكم مع الغفلة ولايعجزكم عن الصولة ولايطلبكم ان تركتموه ولايمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط فى الايدى الممدوده واختلفت المواعد المحدوده وخسئت الابصار المرتقبه ورجفت المعاقل الاشبه وساءت الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر ونفوا أن يعتبر وقالوا هذا لايمكن حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم وحل النصيحة أعناقهم هذا المفترض الذى يبعد والقائم الذى يقعد يأباه الله تعالى والاسلام ويأباه العلماء الاعلام ويأباه المآذن والمنابر ويأباه الهمم والاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا النبا الذى اذا كان باطلا فهو الظن وقه المن وان كان خلافه لرأى ترجح وتنفق بقرب الملك وتبجح فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعه ويمد اليه كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد فى الدين بث افاده يتطارحون عليكم فى نقض ماأبرم ونسخ ماأحكم فانكم تجنون به على من استنصركم عكس ماقصد وتحلون عليه ماعقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانه

وضرورة الاستعانة والاستكانه أى عذر يقبل فى الاطراح والاعراض الصراح كان
الدين غير واحد كان هذا القطر لكلمة الاسلام جاحد كان ذمام الاسلام غير جامع كان
الله غير راء ولا سامع فنحن نسألكم بالله الذى تساءلون به والارحام ونأنف لكم من هذا
الاحجام ونتطارح عليكم أن تتركوا حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو
الذى يتكالب علينا بادباركم بعد ما تضاءل لاستنفاركم ولا نكلفكم غير اقتراب داركم
وما سامكم المسلمون بها شططا ولا حملوكم الا قصدا وسطا وما ذهبتم اليه لا يفوت ولا يبعد
وقد تجاورت البيوت انما الفائت ما وراءكم من حديث تأنف من سماعه أوداؤكم ودين
يشمت به أعداؤكم فأسعفوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا وحاشى
احسانكم أن يرى فيه ردنا وأنتم بعد بالخيار فيما يجريه الله على يديكم من قدره
أو يلهمكم اليه من نصره وجوابكم مرتقب بما يليق بكم ويجمل بحسبكم والله سبحانه
يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن
انشاء لسان الدين) أيضا فى مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب
من الانحاء السابقة (ما نصه) المقام الذى أخبار سعده فى انتظام واتساق وجياد عزه الى
الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه مديدة
الرواق وأياديه الجمة فى الاعناق ألزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادى
وحديث الرفاق مقام محل أبينا الذى شان قلوبنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله
تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله
تعالى والصنائع الالهية تحط بابه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف
بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجية لفراقه مسرورة باقترابه معظم
سلطانه الذى له الحقوق المحتومه والفواضل المشهورة المعلومه والمكارم المسطورة
المرسومه والمفاخر المنسوقه المنظومه الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومه
وحفظها على هذه الامة المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل
ابن فرج بن نصر سلام كريم طيب عميم كما سطعت فى غيهب الشدة أنوار الفرج وهبت
نواسم ألطاف الله عاطرة الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله
جالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة
وأقمارها ومريح القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الامة
بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها
وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها
ولباب مجدها السامى ونجارها نبى الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن
ومطفئ نارها الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من
سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضى عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهده على أحلاء
الحوادث وأمرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها والدعاء
لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها

حتى

ـق تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها
فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب اسعاده
وعززكم عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم
مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من
حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد والى
كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التى تشام
بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل عنها على
حسن مآلها فلله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من
الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه والدعاء الى الله تعالى
فى اظهاره واتمامه ما لا تفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا أيد
الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص
الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب وانا
لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله
والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأتى
بأوطاننا الاوطار تشوفا لما تنتجه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ومجاوزتنا
فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفى هذه
الايام عميت الانباء وتكالبت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء
وعاقت الواردة الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلفى
لاعانتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض
وكان خديمكم الذى رفع من الوفاء راية خافقه وانفق منه فى سوق الكساد بضاعة
نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى أبو محمد بن احيانا سنى الله
مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وقصد الى اللحاق بجنابنا
ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن نتطرق فى تتميم
غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان
التى استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب
والاخرى بمرسى المريه فى كنف العناية الالهيه فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة
بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر
وحركتكم المعروفة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالاوطان التى يؤمن
قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويسكن
أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور
واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها
ونهوض طيور الرجا من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق
ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها

قلائد السير الحسان ومأمنها الامن باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده
وابتهل اليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل
الانتظار بديوان آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عمن استشعر دنو
حبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر وراجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده
مراده فلما بلغناه هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا
ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو
أن ييسر الله تعالى أسبابها ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من استعاضتنا لذلك
المقام الذى ندين له بالتشيع الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب
الاعتداد ما يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم
الرفيع العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا فعدلهم ما يكون عليه عملهم فى بر من
يرد عليهم من جهة ابوتكم الكريمه ذات الحقوق العظيمه والايادى الحديثة والقديمه
وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى انا لولم تعق
العوائق الكبيره والموانع الكثيره والاعداء الذين ذهبت بهم فى الوقت هذه الجزيره
ما قدمنا عملا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفى لابوتكم الكريمة حقها
ونوضح من المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والله العالم
بالسرائر والى الله تعالى نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل السعد لكم
مصاحبا ورفيقا ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم
السارة وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه اعمال ضراعتنا وابتهالنا
هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به اسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار
بسعادة ملككم السامى المقدار وييسر ماله من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس
مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة
ما مارس من أمور ملوك الاندلس وسلاطين فاس كثيرا ما يدس لاقارب الملوك القيام على
صاحب الامر ويزين له الثورة ويعده بالامداد بالمال والعدة وقصده بذلك كله توهين المسلمين
وافساد تدبيرهم ونسخ الدول بعضها ببعض لماله فى ذلك من المصلحة حتى بلغ أبعده الله تعالى
من أمله الغاية (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس
الى سلطان فاس المرينى يعتذر عن فرار الامير أبى الفضل المرينى الذى كان معتقلا بغرناطة
فتحيل الطاغية فى أمره حتى خرج طالبا للملك (ما نصه) المقام الذى شهد الليل والنهار
باصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمناويه فاطرد
والحمد لله جريان عادته فوليه متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع
الالهية تضفو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من
كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها
الالطاف العجائب فسبحان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم مجمل سعوده

من تصوّر والوهم ولا زال مرهوب الحدّ ممتثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم فائزا بفلج الخصام عند لدّ الخصم معظم قدره وملتزم برّه مبتهج بما يسّره الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سليم كريم طيب برّ عميم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التي حازت في الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أمّا بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع في العز مدى وعرّفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضرّه ضرّ نفسه وهاد اليه اهدى وما هدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا من اسم الحق وقد صارت طرائق قددا اعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطع أبدا والرضى عن آله وأصحابه الذين رفعوا لسماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سعيكم سفاحا وعلمكم منصورا ورايكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يملأ افئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به في كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم في آفاق العنايه واعتقاد جميل صنع الله في البداية والنهايه والعلم بأن ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآيه وأجرى جياد السعد في ميدان لا يحد بغايه وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولايه ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر قه حلفا ونعد التشيع له مما يقرب بنا الى الله زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى وتروى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن اخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بموارد الآل وفال رأيه في اقتحام الاهوال وتورّط في هفوة سار فيها حيرة أهل الكلام في الاحوال وناصب من أمركم السعد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال وأخلف الظن منافى وفائه واضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بعين قلما يرى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند وان الطاغية اعانه وانجده ورأى انه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمّل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده الهلك وأظلم الحلك علمنا أن طرف سعادته

كتاب وصاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد في غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر في بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المؤمل فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقوده وخمود تلك الشعلة الموقوده وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدي طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الاسرار فاعاد في الافادة وابدى وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلمنه مآل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويشب عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام ولم يدر انكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد في مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا تسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات والاستعمال فيا له من زجر استنطق لسان الوجود بخذله واستنصر البحر بخذله وصارع القدر بجذله المبتذله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيده ومنتسب الى نسبة غير سعيده وشافي غمرته من الكفار خدام المال وأولياء النار تحكمت فيهم اطراف العوالي وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام في قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واحماد الله لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل في الاوهام وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كلما قدح انغلاف زندا اطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألما ابرأ من طائركم علته ماذاك الا لنية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التي اهمت فنحن نهنيكم بنعم الله ومننه ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوقى جننه فاملنا أن تطرد آمالكم وتنجح في مرضاة الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التي يدافع العدو بسلاحها وتنبلج ظلمات صفاحها وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود وما فاقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عاده ولا يعدمكم عناية وسعاده وهو سبحانه يعلي مقامكم وينصر أعلامكم ويهنئ الاسلام ايامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته (وكان) سلطان الاندلس في الازمان المتأخرة كثيرا ما يشم ارج الفرج في سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر في الغالب على مقاومتهم ولذلك لما قتل السلطان أبو الحجاج الذي كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده ابنه محمد الغني بالله الذي ألقى مقاليده للسان الدين أكد أمر السلم وانتظر ما يبرمه القضاء الجزم والقدر الحتم (ومن انشاء لسان الدين) في ذلك على لسان الغني مخاطبا سلطان فاس والمغرب أبي عنان (ما صورته) المقام الذي يغني عن كل مفقود بوجوده ويعزى الى جميل العوائد اعطاف

باسه

باسمه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه اسنى ذخر يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذي رعى الاذمة شانه وصلة الراعي سجية انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولازال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها الاولاد هما أولياؤه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضيء في ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي لا رادّ لامره ولا معارض لفعله مصرّف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذي بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شيء عن ميقاته ولا يبرح عن محله جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بعائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذي نعتصم بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونجدد الافتقار الى فضله ونجاهد في سبيله من كذب به أو حاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرقها الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يزاحم أبرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطافه تعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوي هو المستند الاقوى والمورد الذي ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابتكم العدة التي تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فاننا لما نعلم من مساهمة مجدكم التي تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم وتدعو اليها ذمم الرعي ورعي الذمم نعرفكم بعد الدعاء لكم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التي ألبسه حلتها والشهادة التي في أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التي حتمها له وأوجبها وبما تصير الينا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجمل الله سبحانه فيها الدفع وشرح محياها وان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضي الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا

سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا
فى حلل نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس باقصى
استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد
انفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على
حين الشباب غض جلبابه والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد اينع بالأمن جنابه
وأمر من يقول للشئ كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب
وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الا شقى قيضه الله لسعادته غير معروف ولا منسوب
وخبيث لم يكن بمعتبر ولا محسوب تخلل الصفوف المعقوده وتجاوز الابواب المسدوده
وخاض الجموع المشهوده والامم المحشورة الى طاعة الله المحشوده لا تدل العين عليه
شارة ولا بزه ولا تحمل على الحذر من مثله انفة ولا عزه وانما هو خبيث ممرور وكلب
عقور وحية سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته
وأعلق به شرك الحين فما افلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم
تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا بعقل ولا عثر على شئ عنه ينقل لطفا من الله افاد
براءة الذمم وتعاورته للحين ايدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد
رحمه الله تعالى الى القصر وبه دماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتعاقب
الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى التكسير
الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن اقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع بناء عماد
ملكه ولم شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم
وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم يختلف علينا كلمه
ولا شذ منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى
ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستنفد
النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد فمهدها وسكنها
وقرر الطاعة فى النفوس ومكنها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل
من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للغرار عاجلناه بالانكار
وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة ترى ما عنده
فى صلة السلم الى امدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعنى على حزن
المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا انطير بهم أجنحة الابتدار
جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار
واختلاف الليل والنهار واعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو
الطاغى والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد
كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب
يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعتد منكم لبنيه فقد تيسرت
من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل

موصول والفروع لهاقى التشيع اليكم أصول وفى تقرير نخركم محصول وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقرّ هذا الامر الذى تبعث المحنة فيه المنحه وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتزاحمت على رقها المنشور خطوط أعيانهم وتأصلت قواعد ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسرّ وأحلى وأمرّ عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقرّ والحب الذى ما مال يوما ولا ازورّ وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد خاطبنا من شدّ امكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه أمر له ما بعده وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البرّ وأشرح للصدر وأوعب للبيان نوجهنا اليكم وزير أمرنا وكاتب سرّنا الكذا ابن فلان وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاعنى والثمرة العذبة الجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقطع أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية المعالى والله عزوجل يديم أيامكم اصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقوله فى هذه الرسالة فوجهنا اليكم وزير أمرنا الى آخره هو لسان الدين رحمه الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير فى هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس وبالمغرب رحمه الله تعالى وقد أكرمه السلطان أبو عنان فى هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام وكان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغنىّ بالله بالسلطان أبى عنان على طاغية النصارى كما ألمعنا بذلك فى الباب الثانى من القسم الثانى الذى يتعلق بلسان الدين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبى الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء وخصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به ان أمّر عليه ولده أبا بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه ما خاطب به الامير السعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التى أشرق فى سماء الملك شهابها واتصلت بأسباب العز أسبابها واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها وأجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذى تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه

وجدّة عمره وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره لما يسره من سعادة نصبته وحباه من عز نصره الامير الاجل الاعز الارفع الاسنى الاطهر الاظهر الامنع الاصعد الاسمى الموفق الارضى محل أخينا العزيز علينا المهداة أنباء مأمول جواره الينا أبي بكر السعيد ابن محل والدنا الذى مقاصده للاسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جاريه وعزائمه على نصر الملة الحنيفية متباريه السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى مقسمة آماله رحيبا فى السعد مجاله يكنفه من الله تعالى ومحل أبينا غمام وارفة ظلاله هامى نواله حتى يرضى الله تعالى مصاعه بين يديه ومصاله وتمضى فى الاعداء أمام رايته المنصورة نصاله أخوه المسرور بقربه المنطوى على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برّ عميم يخص اخوتكم الفضلى وامارتكم التى آثار رضاها بحول الله تتلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله على ما كيف من ألطافه المشرقة الانوار ويسره لهذه الاوطان بنصرته من الاوطار فكلما دجت بها شدّة طلع الفرج عليها طلوع النهار وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك واختاره الى حال السكون والقرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذى أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار الذى وصانا بالالتئام واتصال اليد فى نصرة الاسلام فنحن نقابل وصاته بالبدار ونجرى على نهجه الواضح الآثار ونرتجى باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه أكرم الآل والاصحاب والاحزاب والانصار الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الاخيار رحماء بينهم أشداء على الكفار والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق الذى تجرى به الامور على حسب الاختيار والعز المنيع الذمار والسعد القويم المدار والوقاية التى يأمن بها أهلها من الشرار فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للامراء الارضياء الاخيار ومتعكم من بقاء والدكم بالمدّة العظمى والسيرة الرحمى والجلال الرفيع المقدار من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أوضح برهانه الا ألطاف باهره وعناية من الله تعالى باطنة وظاهره وبشارة بالقبول واردة وبالشكر صادره والله تعالى يصل لدينا نعمه ويوالى فضله وكرمه والى هذا فانه اتصل بنا فى هذه الايام ما كان من عناية والدكم محل أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة الى تأميل مجده واقتطاعها الغاية التى لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده وتعيينكم الى المقام بجبل الفتح ابلاغا فى اجتهاده الدينى وجده فتلقينا هذا خبرا ان صدق مخبره وتحصل منتظره فهو ثغر تجددت أثوابه واعتناء تفتحت أبوابه وعمل عند الله تعالى ثوابه فان الاندلس عصمها الله تعالى وان أنجدته عدده وأمواله ونجحت فى نصرها مقاصده الكريمة وأعماله

لا تدرى ووقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه فى العناية على أمسه حتى يسمح لها بولده ويخصها بقرة عينه وفلذة كبده فلما ورد الخبر الذى راقت منه الحبر ووضحت من سعادته الغرر بأجازتكم البحر واختياركم فى حال الشبيبة الغضر وصدق مخيلة الدين فيكم واستقراركم فى الثغر الشهير الذى افتتحه سيف جدكم واستنقذه سعد أبيكم سررنا بقرب المزار ودنو الدار وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار ووثقنا وان لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الاقطار وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقة والنعم المغدقة والصنائع المتألقة بادرنا نهنى أخوتكم أولا بما يسره الله تعالى لكم من سلامة المجاز ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز فامارتكم الامارة التى أخذت بأسباب السماء وركبت الى الجهاد فى سبيل الله تعالى جياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشبيبة شجا فى حلوق الاعداء ونحن أحق بهذا الهناء ولكنها عادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطائر متهلل البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجرى خبر سعادتكم مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ومزيد ايثاره ويجازيه أجزل جزاء من سعى فى ذاته بعظنة ادخاره ومذ رأينا ان هذا الغرض لا يجتزى فيه بالكتابه دون الاستنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجرى من تقرير ما لدينا على أوضح طرقه وهو القائد الكذا ومجدكم يصغى لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى *وكان الطاغية الملعون أيام السلطان أبى عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره فى ذلك التاريخ

(ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس والمغرب ما نصه المقام الذى رمى له الملك الاصيل بأفلاذه وأذى منه الاسلام الى ملجئه الاحمى وملاذه وكفلت السعود بامضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبة الكرم فكان وحيد آحاده وفذ افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام محل أخينا الذى أركان مجده راسية راسخه وغرر عزه بادية باذخه وأعلام فخره سامية شامخه وآيات سعده محكمة ناسخه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك ويجلى بنور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشهد بفضل بأسه وندائه النادى والمعترك معظم حقوقه التى تأكد فرضها المثنى على مكارمه التى أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم يخص أخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى هيأ لملة الاسلام بمظاهرة ملككم المنصور الاعلام اظهارا واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بين مقامكم الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقد سامتها صروف الايام لياوا عوازا وأتاح لها منكم وليا يسوم أعداءها استلابا وابتزازا ويسكن آمالها وقد استشعرت الحذر ازا حمدا يكون على حلل النعم العميمة والآلاء

الكريمة طرازا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بهرت آياته وضوحا واعجازا واستحقت الكمال صفاته حقيقة لا مجازا ونبيه الذي بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعا وجوازا ويسر لهم وقد ضلوا في مفاوز الشك مفازا والرضى عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصا بها وامتيازا فكانوا غيوثا ان وجدوا محلا وليوثا أن شهدوا برازا والدعاء لمقام اخوتكم الاسمى بنصر على أعدائه تبدى له الجياد الجرد ارتياحا والرماح الملداء اهتزازا وعز يطأ من أكتاف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلا وعزازا ويمن يشمل من بلاد الايمان اقطارا نازحة ويعم أحوازا وسعد تجول في ميدان ذكره المذاع أطراف ألسنة اليراع اسهابا وايجازا وتفرع جوب جيوب الاقطار جوب المثل السيار عراقا وحجازا ولا زالت كتائب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازا وتوسع ملكات الكفر انتهابا واحتيازا فانا كتبناه الى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز وعزا لا تلين قناته في يد الغامز وثناء لا يثني عنان سراه عرض المفاوز وصنعا رحيب الجوانب رغيب الجوائز من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وفضله عز وجل قد أدال العسر يسرا وأحال القبض بسطا وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذي كان لا يلين لمن استمطى وقرب غريم الرجاء في هذه الارجاء وكان مشتطا والتوكل عليه سبحانه وتعالى قد أحكم منه اليقين والاستبصار المبين ربطا ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا جد حفاظه وظله الظليل اذا لفح للكفر شواظه والمرء الذي تنام في كنف امنه أيقاظه ووزره الذي الى نصره تمتد أيديه وتشير ألحاظه فنى أرجاء ثنائه تسرح معانيه وألفاظه ونلطب تمجيده وتحميده بقول قسه وتحتفل عكاظه وتشيعنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض ومقدمات ودنا اياه لا يعترضها نقيض وأفلاك تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض والى هذا أيبسكم الله تعالى ثوب السعادة المعادة فضفاضا كما صرف بركة آيائكم الكريمة على ربوع الاسلام ووجوه الليالي والايام وقد ازورت اعراضا وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضا فانه ورد علينا كتابكم الذي كرم ألحاء وأغراضا وجاءت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا ووردت الافكار من معانيه الغرائب وألفاظه المزرية بدرر النحور والترائب بحورا صافية وحياضا فاجتلينا منه حلة من حلل الود سابغه وحجة من حجج المجد بالغه وشمسا في فلك السعد بازغه الذي بين المقاصد الكريمة وشرحها وجلا الفضائل العميمة وأوضحها فيا أكرم شيم ذلك الجلال وأسمحها وأفضل خلال ذلك الكمال وأرجحها حثثتم فيه على احكام السلم التي تحوط الانفس والحريم بسياج ويداوي القطر العليل منها بأنجع علاج والحال ذات احتياج وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ومتبوأ أعلاج ومظنة اختلاف للظنون الموحشة واختلاج فحضر لدينا محمله وزيركم الشيخ الاجل الاعظم الموقر الاسمى الخاصة الاحظى أبو علي ابن الشيخ الوزير الاجل الحافل الفاضل المجاهد

قوله محلي هكذا في الاصل ولعله محرف عن علي وليحرر اه

الكامل أبي عبد الله بن محلي والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبي عبد الله القشتالي وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز وواردين على أحلى القبول الذي لا تشاب حقيقته بالمجاز عملا بما يجب علينا لمن يصل الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقينا ما اشتملت عليه الاحالة السلطانية من الود الذي كرم مفهوما ونصا والبر الذي ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما أخلف الظنون وشرح الصدور وأقر العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد مقامكم الذي راق غررا في المكرمات وأوضاحا ومد يده الى سهام المواهب الالهية فحاز أعلاها قداحا فتشوفت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وبدت في القضية التي أشرتم باعمالها الوجوه وانبعثت الآمال الى ما آلت اليه هذه الحال انبعاثا والتاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا واحتملت المسئلة التي تفضلتم بعرضها وأشرتم الى فرضها مأخذا وأبحاثا فألقينا في هذه الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى وما يتزيد عندنا من الامور فركائب التعريف بها اليكم محثوثه وجزئياتها بين يدي مقامكم الرفيع مبثوثه وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه واستحكم بالشتات داؤه وارتفعت بزوال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه وما هو الا السعد يذلل لكم صعب العدو وبروضه والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه وأما الذي لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه والثناء الذي هو الروض تأرج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذا أشرقت طلائعه جعله الله تعالى في ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولاكم يشرحان لكم الحال بجزئياته ويقرران ما عندنا من الود الذي سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعدا سامي المراتب والمراقي ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وأبين من هذا في القضية كتاب آخر من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى صورته من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذي نثني على مجادته أكرم الثناء ونجدد له ما سلف بين الاسلاف الكرام من الولاء ونتحفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار السارة والانباء السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم بر عميم يخص جلالكم الارفع ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد ابائه والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه الهادى الى سبيل الرشد وسوائه مطلع نور الحق يجلو ظلم الشك بضيائه والرضى عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلفائه السائرين فى الدنيا والآخرة تحت لوائه الباذلين نفوسهم فى اظهار دينه القويم واعلائه والدعاء لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه واختصاصه بأوفر الحظوظ من اعتنائه فانا كتبناه اليكم كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه وعرفكم عوارف السعادة المعادة فى نهاية كل أمر وابتدائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانه وعظم أمره ورفع شانه ثم بما عندنا من الود الكريم وتجديد العهد القديم لمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه الاانخبر الهامى السحاب والتيسير المتين الاسباب واليمن المفتح الابواب والسعد الجديد الاثواب ومقامكم معتمد بترفيع الجناب متعمد بالود الخالص والاعتقاد اللباب معلوم له فضل الدين وأصالة الاحساب والى هذا وصل الله تعالى سعدكم مديد الاطناب ثاقب الشهاب وأطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب فانه قد كان بلغكم ما آلت الحال اليه بطاغية قشتالة الذى كلب على هذه الاقطار الغربية من وراء البحار وماساءها من الاوصاب والاضرار وانه جرى فى ميدان الاملاء والاغترار ومحص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار وانه نكث العهد الذى عقده وحل الميثاق الذى أكده وحمله الطمع الفاضح على أن أجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله ودهمها بتيار سيله وقطع ليله وأمل أن يستولى على جبل الفتح الذى يدعى منه فتحها وطلع للملة المحمدية صبحها فضيقه حصارا واتخذه دارا وعند ما عظم الاشفاق وأظلمت الآفاق ظهر فيها القدرة لله تعالى الصنع العجيب ونزل الفرج القريب وقبل الدعاء السميع المجيب وطرق الطاغية جند من جنود الله تعالى أخذه أخذة رابيه ولم يبق له من باقيه فهلك على الجبل حتف انفه وغالته غوائل حتفه فتفرقت جموعه وأحزابه وانقطعت أسبابه وتجلى لنا رالله تعالى ما آيه وأصبحت البلاد مستبشرة ورأينا أن هذه البشارة التى يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الموفور ويشارك فيما جلبته من السرور أنتم أولى من تحفه بطيب رياها ونطلع عليه جميل محياها لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم المبين وعملكم فى المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين فاذلك الافضل نيتكم للمسلمين فى هذه البلاد وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد وقد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح أعزه الله تعالى متررا ما لديكم من الود الراسخ القواعد والخلوص الصافى الموارد الواضح الشواهد وأثنى على مكارمكم الاصيله وأتى ما عندكم من المذاهب الجليله فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتصل سيبه ويتضح مذهبه وسألنا الله تعالى أن يجعله ودا فى ذاته ووسيلة الى مرضاته وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبح محاولته وسوء معاملته فأمرنا بقطع جرايته وثقافه بمطمورة القصبة جزاء لجنايته ولولا اننا توقفنا أن يكون عظيم عقابه

عما لا يقع من مقامكم بوقعه لمشهور عفافه ورفقه بالعلماء نكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا جفنا سفريا لايساق الخيل التي ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ما تزيد عندنا عرفناكم به عملا على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجملة والتفصيل فعرفونا بما يتزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضلة ومكارمكم الحافلة والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانتم الاغنى لها عن العدوة وغير ذلك ما صورته المقام الذي بنور سعادته تنجلي الغماء وتتصل النعماء من نيته قد حصل منها بجانب الله تعالى الاحتماء واتفقت منها المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذي تتفيأ هذه الجزيرة الغربية أفياء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله وتجتني ثمار النجح من أفنان آرائه المتألقة تألق الصبح حالي ريثه وعجله وتتعرف حالي المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويحلي موارد العاقبة كلما أمرت ويعفي على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل ما عليه استقرت معظم مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه في الفخر والعز طريق ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق أما بعد حمد الله المثيب المعاقب الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب المشيد بالعمل الصالح الى أرفع المراقي والمراقب يهدي من يشاء ويضل من يشاء فبقضائه وقدره اختلاف المسالك والمذاهب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم الرؤف الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب والرضى عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ظاهروه في حياته باعمال السمر العوالي والبيض القواضب وخلفوه في أمته بخلوص الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا في معاملته كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذي يقضي بعز الكتائب والصنع الذي تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل بالتمهيد أوطانه الا تشيع ثابت ويزيد واخلاص ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد وتعظيم أشرق منه جيد وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص والاعتقاد عنوان وفي الاحتجاج على الرضى والقبول برهان تنطق بالفصل أصوله وتشير الى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك الفخر الاصيل محصوله عرفتمونا بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه وسبيل الصواب الذي تنكبه وتنبهون على ما حده الحق في مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه ولا يظاهره مهما ندبه ولا يسعف في الايواء طلبه فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وجلبه وخطه القلم الفصيح

وكتبه وليعلم مقامكم وهو من أصالة النظر غني عن الاعلام ولكن لا بد من الاستراحة بالكلام والتنفث بنفثات الاقلام انا انما تجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رمينا بجواره وبلينا والحمد لله بمصادمة تياره على تعداد أقطاره واتساع براريه وبحاره بأن تكون الامة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق وأسواق النفاق غير ذات نفاق والجماهير تحت عهد من الله تعالى وميثاق فمهما تعرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد ووقع بينهما في قبول الطاعة ردّ ساءنا واقعه وعظمت لدينا مواقعه وسألنا أن يتدارك الخرق راقعه لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا وتفرغ العدو الى ضرنا فكيف اذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرنا انما هي شعلة في بعض بيوتنا وقعت وحادثة الى جهتنا أشرعت وان كان لسوانا لفظها فلنا معناها وعلى وطننا يعود جناها فنحن أحرص الناس على اطفائها واخمادها وأسعى في اصلاح فسادها والمثابرة على كفها واستنفادها وما الظن بدار فسد بابها وآمال رثت أسبابها وجزيرة لا تستقيم أحوال من بها الا بالسكون وسلم العدو المغرور المفتون حتى تقضى منه باعانتكم الديون وان اضطرابها انما هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب وهدف خطب نرميه من عزمكم بسهم مصيب وأمر نضرع في تداركه الى سميع للدعاء مجيب ونحن فيه يد أمام يدكم ومقصدنا فيه تبع لقصدكم وتصرفنا على حد اشارتكم جار وعزمنا الى منتهى مرضاتكم متبار وعقدنا في متابعة أمركم غير متوار وقد كان لاول اتصال هذا الخبر القبيح العين والاثر بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا في شانه ولم نطو عنكم شيأ من أسراره ولا اعلانه وبعثنا رسولنا الى بابكم العلي نستمد بسلطانه ونرتجي تمهيد هذا الوطن تمهيد أوطانه وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة واسطبونة تثبت بصائرهم في الطاعة وتقويها ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها وعجلنا الى بعضها مددا من الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها وعدلا ما أوجب الله تعالى من الاعمال التي يزلف بها ويرتضيها وكيف لا نظاهر أمركم الذي هو العدة المذخوره والفئة الناصرة المنصوره والباطل سراب يخدع والحق اليه يرجع والبغي يردي ويصرع وكم تقدم في الدهر متنزّ شذّ عن الطاعه وخرج عن الجماعه وخالف على الدول في العصور الاول بهرج الحق زائفه ورجم بشهب الاسنة طائفه وأخذت عليه الضيعة وهادته وتنائفه فتقلص ظله ونبا به عن الحق محله وكما قال يذهب الباطل وأهله لا سيما وسعادة ملككم قد وطأت المسالك ومهدتها وقهرت الاعداء وتعبدتها وأطفأت جداول سيوفكم النار التي أوقدتها وكأن بالامور اذا أعملتم فيها رأيكم السديد وقد عادت الى خير أحوالها والبلاد بين تدبيركم قد شفي ما ظهر من اعتلالها وعلى كل حال فانما نحن الى تكميل مرضاتكم مبادرون وفي أغراضكم الدينية واردون وصادرون ولاشاراتكم التي تتضمن الخبر والخبرة منتظرون عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصها التأويل ولا يقبل صحيحها التعليل فلتسكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل فشمس النهار لا تحتاج الى دليل والله تعالى يبقي لكم عوائد الصنع الجميل حتى لا يدع عزمكم مغصوبا

الاردة ولا ثلما فى ثغر الدين الاسده ولا هدفا متداعيا الاهده ولا عرقا من الخلاف الابده وهو سبحانه يبقى ملككم ويصل سعده ويعلى أمره ويحرس مجده والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى) من جملة رسالة على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب الرعايا ما نص محل الحاجة منه والى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذى جرى فى ميدان الامل جرى الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح حتى طمح بسكر اغتراره وعص المسلمون على يده بالوقائع التى تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال الكلمة مطامح أفكاره ووثق بانه يطفئ نور الله بناره ونازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره وادار اشياعه فى البر والبحر دور السوار على أسواره وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب وانبهام الابواب والامور التى لم تجر للمسلمين بالعدو تبين على مألوف الحساب وتكالب التثليث على التوحيد وساءت الظنون فى هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافره والبحور الزاخره والمرام البعيد وانتصارنا بالله تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه فى جنح هذا الخطب ودجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصى الخلائق واعتلقنا من حبله المتين باوثق العلائق وفسحنا مجال الامل فى ذلك الميدان المتضايق واخلصنا لله مقيل العثار ومؤوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ولم نقصر مع ذلك فى ابرام العزم واستشعار الحزم وامداد الثغور باقصى الامكان وبعث الجيوش الى ما يلينا من بلاد على الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا الى حرمه فجلى بفضله سبحانه ظلم الشده ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته الممتده وعرفنا عوارف الصنع الذى قدم به العهد على طول المده ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى عن ايجاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد كان جمجع على الحق بباطله وسد المجاز باساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب شره وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم مرقبة الا على الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحمد لله على العمل الحميد والسعى فيما يعود على الدين بالتأييد وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمه وحل تلك العزمه وموت شاة تلك الرقعه وأبقاء الله تعالى على تلك البقعه وانه سبحانه أخذ الطاغية أكمل ما كان اغترارا وأعظم أنصارا وزلزلت أرض عزه وقد اصابت قرارا وان شهاب سعده قد أصبح آفلا وعلم كبره انقلب سافلا وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلته عاجلها التباب والتبار وعاثت فى منازلها النار وتمحص عن سوء عاقبتها الليل والنهار وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم وينادى بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق

الفرسان من جبل الفتح المعقل الذى عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط الذى من حاربه فهو المحروب فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائق عن الطريق وبرء الداء الذى أشرق بالريق وان النصارى دمرها الله تعالى جدت فى ارتحالها وأسرعت بجيفة طاغيتها الى سوء مآلها وحالها وسمحت للنار والنهب باسلابها وأموالها فبهرنا هذا الصنع الالهى الذى مهد الاقطار بعد رجفانها وأنام العيون بعد سهاد أجفانها وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التى ان سلطت عليها قوى البشر فضحتها وربحتها ورأينا سر اللطائف الخفية كيف سريانه فى الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الالهية والجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين الحنيف ايدت من صنع الله تعالى ببنيان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهره ومننك الوافره انك ولينا فى الدنيا والآخره انتهى (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى) من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالاندلس ما صورته وان تشوفتم الى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين فاعلموا اننا فى هذه الايام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ونتوقع الا ان وقى الله تعالى خطوبا كبارا ونمد اليد الى الله تعالى انتصارا ونلجأ اليه اضطرارا ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا ونستشير من خواطر الفضلاء ما يحفظ اخطارا وينشئ ريح روح الله طيبة معطارا فان القومس الاعظم قيوم دين النصرانية الذى يأمرها فتطيع وتخالفه لا تستطيع رمى هذه الامة الغريبة المنقطعة منهم بجراد لايسد طريقها ولا يحصى فريقها التفت على أخى صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بلده وتبلغه أمله ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين وهى شدة ليس لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها نجد ولا وهد وقد اقتحموا الحدود القريبه والله تعالى ولى هذه الامة الغريبه وقد جعلنا مقاليد أمورنا بيد من يقوى الضعيف ويدرأ الخطب المخيف ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو فى حسن العقبى والمآل ونصر فئة الهدى على فئة الضلال وما قل من كان الحق كنزه ولا ذل من استمد من الله عزه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية ودعاء من قبلكم من المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة من جملتها ما صورته وقد اتصل بنا الخبر الذى يوجب نصح الاسلام ورعى الجوار والذمام وما جعل الله تعالى للمأموم على الامام ايقاظكم من مراقدكم المستغرقه وجمع أهوائكم المتفرقه وتهييئكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقه وهو أن كبير دين النصرانية الذى اليه ينقادون وفى مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما فلم تبق عصبا ولا عظما ونثرت ما كان نظما اعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ويرفع ما طرق ويرفو ما خرق الشتات وخرق فرى

الاسلام بامة عددها القطر المثال وأمرهم وشأنهم الامثال أن يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعه ويجمعوا الى ملته الجماعه ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعه وأنطعهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد والطارف والتلاد وسوغهم الحريم والاولاد وبالله تعالى نستدفع مالا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج فاسدت طريقه الا انا رأينا غفلة الناس مؤذنة البوار واشفقنا للدين المنقطع من وراء البحار وقد أصبح مضغة في لهوات الكفار واردنا ان نهزكم بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة اليه والانكسار ونسخ الاعسار بالايسار وانجد اليمين باختها اليسار والا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار فان من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف معروف وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفذ فيه أوله قدر الله في أداء الواجب وبذل المجهود وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدوه المحشور اليه المحشود صبرا على المقام المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تمين يد الله في ذلك البناء المهدوم بقوة الله والمهدود والسواد الاعظم الممدود كان على امر به بالخيار الموجود قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى *(وقال) صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الاندلس وأقطارها ما صورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في سلك الانقياد والوفاق الى ان طما بمترفيها سيل العناد والنفاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط راسه وجعله معقلا يعتصم فيه من المخاوف باقراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه في عقر داره الى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين يعادى ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادى حتى لم يبق في أيديهم منها الا ما هو في ضمان هدنة مقدره واتاوة في كل عام على الكبير والصغير مقرره كان ذلك في الكتاب مسطورا وقدرا في سابق علم الله مقدورا انتهى * وهذا قاله قبل أن يستولى العدو على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولنرجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أول ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ما جرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى اسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر اراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدو على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذي النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط

قوله فاسدت في نسخة فما سدت اه

قوله نهزكم في نسخة نهزكم اه

الكافر العدل على أهل المدينة وحبب التنصر الى عامة طغامها فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الاول سنة ست وتسعين وأربعمائة ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المقامي رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه وأمر مريدا له بالقراءة ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى وتكاثروا لتغيير القبلة فما جسر أحد منهم على ازعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل للملك النصارى ينبغي أن تلبس التاج كمن كان قبلك في هذا الملك فقال حتى تأخذ قرطبتهم وأعد لذلك ناقوسا تأنق فيه وفيما رصع به من الجواهر فأكذبه الله وازعجه وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين فما قصر فيما اثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدراك أمور المسلمين انتهى ملخصا وقدمر مطولا ٭ وكانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة واهلها جاهلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون على لذات المذات من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكمن في عدة أماكن جماعة من الفرسان وخرج أهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبي عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حصنه أجله وخلص الامير بنفسه ومما حفظ عنه انه أنشد لما أعياه الامر

خليلي ليس الرأي في صدر واحد ٭ اشيرا على اليوم ما تريان

وفي أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا في ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم ٭ حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها ٭ لولم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم في ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بلد برطانية وهي تقرب من سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش الاردمليش نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الاولى في خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجرى فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب باسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل

والقاضي

والقاضى ابن عيسى فى نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة مالا يحصى حتى ان الذى خص بعض مقدمى العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية ابكارا ومن اوقار الامتعة والحلى والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل واسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ماجرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادى من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها اولولدها فيقول لها أعطينى مامعك فتعطيه مامعها من كسوة وحلى وغيره قال وكان السبب فى قتلهم أنه خاف من يصل لنجدتهم وشاهد من كثرتهم ماهاله فشرع فى القتل لعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتامين من بقى وأمر أن يخرجوا فازدحموا فى الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار فى الحبال للخشية من الازدحام فى الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحيز فى وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا فى نفوسهم وانتظروا ماينزل بهم فلما خلت ممن اسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك فى الزحمة نودى فى تلك البقية بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وأرهقوا وازعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله فى منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فامنهم الملك على نفوسهم وبرزوا فى صورة الهلكى من العطش فأطلق سبيلهم فبينما هم فى الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا بأجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال مالم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك فى خادم أوذات مهنة أووخش اعطاهن خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثه وبلغ الكفرة منهم يومئذ مالا تلحقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفا عدة حملهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله ببربشتر ألفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان وأشنع هذه الاخبار الموقظة لقلوب أولى الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهى أن بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن فى سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا فى نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات فى خدمته فرحب بى وسألنى عن قصدى فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما أبذله فى بعض اللواتى على رأسه وفيهن كانت حاجتى فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك أعرض عمن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصنى من سبيى واسراى من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأى لى فيه وبقربك

أنست وفي كنفك اطمأننت فسمني ببعض من هنا فاني أصير الى رغبتك فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ما ليس عندي يا باجه ينادي بعض أولئك الوصائف يريد يا بهجة فغيره بعجمته قومي فاعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت ببدر الدنانير وأكياس الدراهم وأسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها أدني الينا من تلك التخوت فأدنت منه عدة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر مما حار له ناظري وبهت واسترذلت ما عندي ثم قال لي لقد كثر هذا عندي حتى ما ألذ به ثم حلف بالهه انه لو لم يكن عنده شيء من هذا ثم بذل له بأجمعه في ثمن تلك ما سمحت بها يدي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه اصطفيتها لمزيد جمالها لولادي حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم وقد ردت لنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى قائمة الى ناحية مغنية والدها التي كانت تشدو له على نشواته الى أن أيقظناه من نوماته يا فلانة يناديها بلكنة خذي عودك فغني زائرنا بشجوك قال فأخذت العود وقعدت تسويه واني لأتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارق العلج مسحه واندفعت تغني بشعر ما فهمته أنا فضلا عن العلج فصار من الغريب أن حث شربه هو عليه وأظهر الطرب منه فلما يئست مما عنده قمت منطلقا عنه وارتدت لتجارتي سواه واطلعت لكثرة ما لدى القوم من السبي والمغنم على ما طال عجبي به فهذا فيه مقنع لمن تدبره وتذكر لمن تذكره (قال ابن حيان) قد أشفينا بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة طالما حذر أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من أثارة ولا شك عند ذوي الالباب أن ذلك مما دهانا من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادي عليه على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لا محالة انتهى ببعض اختصار * وذكر بعده كلاما في ذم أهل ذلك الزمان من أهل الاندلس وانهم يعللون أنفسهم بالباطل وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى أطل عدوهم الساعي لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقري بسائط بقاعهم ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما ان يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكر لهم أو داع فضلا عن نافر اليهم أو ماش لهم حتى كأنهم ليسوا منا أو كان بثقهم ليس بمفض الينا وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء عجائب فاتت التقدير وعرضت للتغيير ولله عاقبة الامور واليه المصير انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فان البثق سرى اليهم جميعا كما استراه ولا حول ولا قوة الا بالله (وقال) قبله ان بربشتر هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدورس القرآن الى أن طرق الناعي بها قرطبتنا صدر رمضان من العام فصك الاسماع وأطار الافئدة وزلزل أرض الاندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس في التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله أياما لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة الهمل الذين هم منهم ما بين

فشل

فتشل وكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم تزل آئمة
الناس منذ خلقوا في صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم
يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا
بمالا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن
الجماعة وجريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم
من التبيين لهم قد أصبحوا مابين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم وبين مستشعر
مخافتهم آخذ في التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول في أرض فسد ملحها
الذي هو المصلح لجميع أغذيتها وما هي الا مشفية من بوارها ولقد طما العجب من افعال هؤلاء
الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد
الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القائمين يومئذ بأيديهم
اليه أمور اقبيحات الصور موذنات الصدور باعجاز الغير

أمور لو تدبرها حكيم * اذا انتهى وحبب ما استطاعا

انتهى باختصار * ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٤٥٧ شاع الخبر
بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها
لانصرافهم الى أخيه جمع لها مع امداد الخليفة عباد وسعى لاصمات سوء المقالة عنه
وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يجوه الاعقوه فتأهب المقتدر بمن ترافد من جموع من
المسلمين لجهاد الكفار بها اجلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحفيظة
والشجعان وحمي الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا
الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الا من فر من
مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فأجيل السيف في الكافرين واستؤصلوا أجمعين الا من
استرق من أصاغرهم وفدى من اعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم
وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب في مقصة النصر المتاح طائفة من حماة
المسلمين المجاهدين في نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فيها من أعداء الله
الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها
من صدا الافك انتهى وليت طليطلة الباقية استرجعت كهذه ومع هذا فقد غلب العدو
بعد على الكل والله سبحانه المرجو في الادالة (وقال) ابن اليسع أخذ العدو مدينة تطيلة
وأختها طرسونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صار أمر بلنسية الى الفقيه القاضي
أبي أحمد بن جحاف قاضيها اميرها الامير المسلمين يوسف بن تاشفين فصر بها القادر
ابن ذي النون الذي مكن اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضي في ملة من المرابطين وقتله
ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتمد
بهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيبطئ عليه وفي أثناء ذلك انتهز يوسف بن أحمد
ابن هود صاحب سرقسطة رد ريق الطاغية لاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضي
ابن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذي النون فأقسم أنها ليست عنده

فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فاحرقه بالنار وعاث في بلنسية
وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يادار * ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القنبطور لعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل في التي قبلها وبه جزم ابن الابار قائلا فتم حصار القنبطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الاديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير أبا محمد مزدلي فنقصها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوالى عليها أمراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثم حين ولي جميع شرق الاندلس فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة في المائة السادسة أخرجه منها مروان بن عبد العزيز الى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا لابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض وقدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى أن رجع أبو الحجاج الى جهة بني عبد المؤمن الى أن ولي عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص ابن أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي فلما ثار العادل بمرسية تمنع واعتز وأظهر طاعة في باطنها معصية ودام على ذلك مع أبي العلاء المأمون وكان قائد الاعنة المشار اليه في الدفاع عن بلنسية الامير زيان بن أبي الحملات بن أبي الحجاج بن مردنيش فأخرجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها الى أن حصرها ملك برشلونة النصراني فاستغاث زيان بصاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيرهما فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها وكادوا منها من جاراها وهي

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا * للحادثات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بارقة * يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحاف نائبة * تثني الامان حذارا والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم * الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة * ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

قوله أمير المسلمين في نسخة أمير المؤمنين اه

مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان منتئسا
وصيرتها العوادى العابثات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفى عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثانى أصبحت درسا
وأربعا نمنمت أيدى الربيع لها * ماشئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النضر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا * عيث الدبا فى مغانيها التى كبسا
وابتز بزتها مما تحيفها * تحيف الاسد الضارى لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جليناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما احاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلاله الجو فامتدت يداه الى * ادراك مالم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحى ما طمست منها العداة كما * احييت من دعوة المهدى ما طمسا
أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بأمر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كتب التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضى الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الامير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعلوها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذى ترجى السعود له * ما جال فى خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضى العزيمة والايام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا

كأنه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت * وعرف معروفه واسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته * وأنشرت من وجود الجود ما رمسا
مبارك هديه باد سكينته * ما قام الا الى حسنى وما جلسا
قد نور الله بالتقوى بصيرته * فما يبالى طروق الخطب ملتبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل * فى الليث مفترسا والغيث منبجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل * حيا لقاحا اذا وافيته بخسا
فرب أصيد لا تلفى به صيدا * ورب أشوس لا تلقى له شوسا
الى الملائك ينمى والملوك معا * فى نبعة أثمرت للمجد ما غرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره * وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا * أعز من خطتيه ما سما ورسا
حسب الذى باع فى الاخطار يركبها * اليه محياه ان البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ القى بحضرته * عصاه محتزما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما * وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا * آماله ومن العذب المعين حسا
كأنما يمتطى واليمن يصحبه * من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا أسرته * من صفحة فاض منها النور وانعكسا
وقبل الجود طفاحا غواربه * من راحة غاض فيها البحر وانغمسا
يا أيها الملك المنصور أنت لها * علياء توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء انك من * يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم * حتى يطأطئ رأسا كل من رأسا
وانصر عبيدا بأقصى شرقها شرقت * عيونهم أدمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الامر وهى الدار قد نهكت * داء متى لم تباشر حسمها انتكسا
فاملأ هنيئا لك التأييد ساحتها * جردا سلاهب أو خطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه * لعل يوم الاعادى قد أتى وعسى

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم فى هوة الحصار الى أن تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار بأهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صلحا يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحركت من جنانه أخفض جناح ولشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمجاوبتها غير واحد وحال العدو بين بلنسية وبينه وتعاهد أهلها مع النصرانى على أن يسلمهم فى أنفسهم وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة أعادها الله تعالى للاسلام * وكانت وقعة كتندة على

المسلمين

المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكتندة ويقال قتندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيهما من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيهما من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو على الصدفى السابق الذكر وقرينه فى الفضل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها ٭ وقال غيره واحد ان العسكر انصرف مفلولا الى بلنسية وان القاضى أبا بكر بن العربى كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخيامه بمعنى انه ذهب جميع ماله به ٭ ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبى محمد البياسى فى الفتنة التى كانت بينه وبين العادل فعاثوا فيها أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتى ٭ ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدى عن أبى عبد الله بن سعادة الشاطبى المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه فى النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه فى عضديه من خلفه وهزه هزا عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

ألا أيها المغرور ويحك لاتنم ٭ فلله فى ذا الخلق أمر قد انبهم
فلا بد أن يرزوا بأمر يسوءهم ٭ فقد أحدثوا اجراما على حاكم الامم

قال وكان هذا فى سنة أربعين وخمسمائة فلم يمض الايسير حتى تغلب الروم على المرية فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين أو نحوهما انتهى ٭ وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ فى كتاب التكملة له ٭ وفى وقعة المرية هذه استشهد الرشاطى الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمى الرشاطى المرى وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار فى نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه وأحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب أبى سعد بن السمعانى الحافظ المسمى بالانساب ٭ وولد الرشاطى سنة ٤٦٦ بقرية من أعمال مرسية يقال لها اوريوالة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفى شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٠ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطى بضم الراء وفتح الشين المخففة وذكر أن أحد أجداده كان فى جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته عجمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطى انتهى ملخصا من وفيات الاعيان وبعضه بالمعنى ٭ وبعد أخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدى أهل الاسلام سنين ٭ وكان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبد المؤمن بن على رجلا يقال له يوسف بن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقتلوه وقدموا على أنفسهم الرميمى فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا وأحصى عدد من سبى من أبكارها فكان أربعة عشر ألفا ٭

قوله اللخمى فى نسخة ابن الحم اه

قوله أبى سعد فى نسخة أبى سعيد اه

وقال ابن حبيش آخر الحفاظ بالاندلس كنت فى قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها أعادها الله تعالى للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السلطين وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له انى أحفظ نسبك منك الى هرقل فقال لى قل فذكرته له فقال لى اخرج أنت وأهلك ومن معك طلقاء بلا شئ * وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبى الربيع الكلاعى رحمهم الله تعالى * ولما أخذت المرية أقبل اليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرا النصارى بها وزحف اليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه فى قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنيش الا وقد جاءهم مدد فاصطلحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت الى أن أحيا رمقها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال وذلك ان أخته أخذت سبية فى دخلة عبد المؤمن لبجاية فاحتلت بقصره واعتنت بأخيها فولاه بلده فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها فى مدة بنى عبد المؤمن فى المائة السابعة الامير أبو عمران بن أبى حفص عم ملك افريقية أبى زكريا * ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثارت الاندلس على مأمون بنى عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام فى المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى يحيى بن الرميمى وجده أبو يحيى هو الذى أخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل أمره معه الى أن أغراه بان يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة وهو يبغى ذلك عدة لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمى بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمى فتغدى به قبل أن يتعشى به وأخرج من قصره ميتا ووجهه فى تابوت الى مرسية فى البحر واستبد ابن الرميمى بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الامر بعد أحوال الى أن تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة وبقيت فى يد أولاده بعده الى أن أخذها العدو الكافر عند ما طوى بساط بلاد الاندلس كما سننبه عليه والله غالب على أمره * وما أحسن قول أبى اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلى فى هزيمة العقاب باشبيلية

وقائلة أراك تطيل فكرا * كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها أفكر فى عقاب * غدا سببا لمعركة العقاب
فما فى أرض أندلس مقام * وقد دخل البلا من كل باب

وقول القائد أبى بكر ابن الامير ملك شلب أبى محمد عبد الله ابن وزيرها يخاطب منصور بنى عبد المؤمن وقد التقى هو وأصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا ثم كان الظفر للمسلمين

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد

قوله لما تلاقينا الخ قد سبقت هذه الابيات فتنبه اه مصححه

فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصر بني عبد المؤمن مدينة قصر أبي دانس في الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم انه يروم القيام عليه * ومن شعره قوله في ابن صاحب أعمال اشبيلية

لاتيأسن من الخلافة بعدما * ولي ابن عمر وخطة الاشراف

تبا لدهر هـــذه أفعاله * يضع النوافج في يدي كناف

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهي قاعدة بلاد البلوف في مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هي مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلامدافع ولامنازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة المظفري خمسون مجلدا اشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله مايمنعني من اظهار الشعر الا كوني لا أقول مثل قول أبي العشائر بن حمدان

أقرأت منه ماتخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبي فراس ابن عمه

وجدنا العوالي في مقام * تحدث عنه ربات الحجال

كأن الخيل تعلم من عليها * ففي بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولي

أنفت من المدام لان عقلي * أعز علي من أنس المدام

ولم أرتح الى روض وزهر * ولكن للصمائل والحسام

اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغي الشفوف على الانام

وله رحمه الله تعالى

يا الحظ زدفتورا * تزد علي اقتدارا

فاللحظ كالسيف أمضا * مارق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رحال الآداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبدالله محمد الفازازي وقيل انها وجدت برقعة في جيبه يوم موته

الروم تضرب في البلاد وتغنم * والجور يأخذ مابقي والمغرم

والمال يورد كله قشتالة * والجند تسقط والرعية تسلم

قوله ودخل الخ هكذا في الاصل واعل صوابه وأخذ الخ فتأمل اه مصححه

وذووا التعين ليس فيهم مسلم * الا معين فى الفساد مسلم
أسفى على تلك البلاد وأهلها * الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حيا ضربت عنقه * وهذا الفازازى أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبى زيد عبد الرحمن الفازازى صاحب الامداح فى سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى والقدح المعلى أبرع من ألف وصنف وأبدع من قرظ وشنف فقد طاع القلم لبنانه والنظم والنثر لبيانه كان نسيج وحده رواية واخبارا ووحيد نسجه روية وابتكارا وفريد وقته خبرا واخبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا صاحب فهوم ورافع ألوية علوم أما الادب فلا يسبق فيه مضماره ولا يشق غباره ان شاء انشا أنشا ووشى سائل الطبع عذب النبع له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع البيان لها وسلم أعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا وأوجز فى تعبير تلك الآيات البينات فجلا سحرا ورفع للقوافى راية استظهار تخبير فيها الاظهر فجسم وعشر وشفع وأوتر وأما الاصول فهى من فروعه فى متفرق منظومه ومنثور مجموعه وأما النسب فالى حفظه انتسب وأما الايام والدول ففى تاريخه الاواخر والاول وقد سبك من هذه العلوم فى منثوره وموزونه ما يشهد باضافتها الى فنونه وله سماع فى الحديث وروايه وفهم بقوانينه ودرايه سمع من أبى الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقى القاضى ومن أبى الحسن جابر بن أحمد القرشى التاريخى وهو آخر من حدث عنه ومن أبى عبد الله التجيبى كثيرا وهو أول من حدث عنه فى حياة الحافظ أبى الطاهر السلفى اذ قدم عليهم تلمسان وأجازه الحافظ السهيلى وابن خلف الحافظ وغيرهما وولد بعد الخمسين والخمسمائة وتوفى بمراكش سنة ٦٣٧ رحمه الله تعالى انتهى ملخصا (رجع) ولما ثارت الاندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالى بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبى عمران التينملى فأخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى * وقال المخزومى فى تاريخ ميورقة ان سبب أخذها من المسلمين ان أميرها فى ذلك الوقت محمد بن على بن موسى كان فى الدولة الماضية أحد أعيانها ووليها سنة ست وستمائة واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ طريدة بحرية وقطعة حربية فعلم بها والى طرطوشة فجهز اليهما من أخذها فعظم ذلك على الوالى وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رأيا مشؤما ووقع بينه وبين الروم * وفى آخر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه ان مسطحا من برشلونة ظهر على يابسة ومركبا آخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده فى عدة قطع اليه حتى نزل فى مرسى يابسة ووجد فيه لاهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المسطح فقتله وأخذه وظن انه غالب الملوك وغاب عنه انه أشأم من عاقر الناقة وان الروم لما بلغهم الخبر قالوا لملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين ألفا من أهل البلاد وجهز فى البحر ستة عشر ألفا

وشرط عليها حل السلاح * وفي سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي وميز نيفا على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك في شهر ربيع الاول من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن يأتيه بأربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيري ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيري فأخبروه بما نزل وعزوه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على طلب الثار وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال والناس من خوفه في أهوال ومن أمر العدو في اهمال فأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالي وأخبره بأن الروم قد أقبلت وانه عد فوق الاربعين من القلوع وما فرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدو قد تظاهر وقال انه عد سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كأنما نشروا من قبورهم ثم ورد الخبر أن العدو قرب من البلد فانهم عدوا مائة وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول فباتوا على المرسى في الرجل والخيل وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الحزينة من جهة باب الكحل ولم يزل الامر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيري ان العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا قتلوا على دم واحد وأخذ الوالي وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت العذاب وأما ابن سيري فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل وما زال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وجده من آل جبلة بن الايهم الغساني وأما الحصون فأخذت في آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفي شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد الاسلام انتهى ما ذكره ابن عميرة المخزومي ملخصا * وكان بميورقة جماعة اعلام وشعراء ومن شعر ابن عبد الولي الميورقي

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران
مهجتي منك في جحيم ولكن * جفوني قد متعت في جنان
فتنتني لواحظ ساحرات * لست أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة في التاريخ المتقدم ثار بجزيرة منورقة وهي قريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي وكان وليها من قبل الوالي أبي يحيى المقتول وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن علي بن سعيد أخبرني أحد من اجتمع به انه لقي منه براحب اليه الاقامة في تلك الجزيرة المنقطعة وذكر انه ركب معه فنظر الى

حمالة سيف ضيقة قد أثرت في عنقه فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه

حمالة السيف توهي جيد حاملها * لاسيما يوم اسراع وانجاز
وخير ما استعمل الانسان يومئذ * لجسم علتها الباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق * وأصل أبي عثمان من مدينة طلبيرة من غرب الاندلس وقد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب ككتاب روح الشعر وروح الشحر وغيره * وأخذ العدو ميورقة بعد مدة * وأخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع وثلاثين وستمائة في آخرها * وأخذ العدو دمره الله تعالى مدينة سرقسطة يوم الاربعاء لاربع خلون من رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة * وكان استيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من يشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة * وكان استيلاء العدو دمره الله تعالى على مدينة قرطبة يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة * وكان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والي مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وحصر العدو اشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة * وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان لسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر أو نحوها * وقال ابن الابار في ترجمة أبي علي الشلوبين من التكملة ما صورته وتوفي بين يدي منازلة الروم اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة وفي العام القابل ملكها الروم انتهى * وكانت وقعة أنيجة التي قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله تعالى متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين أعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برّد الله تعالى مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

ألما باشلاء العلا والمكارم * تقدّ بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومفازة * مصارع خصت بالطلى والجماجم
نحيي وجوها في الجنان وجيهة * بما اسدمن نسج الظبا والهازم

وهي طويلة ومن شعر الحافظ أبي الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون * ووافى صباح للرشاد مبين
وكاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهزته منون
ولا كذب الرحمن فيما أجنه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخل أن الرياء يشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين
وآلمني وخط المشيب بلمتي * فخطت بقلبي للشجون فنون

وليل

وليل شبابي كان انضر منظرا * وآنق مهما لاحظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا ومجون
ويا ويح فودى أو فؤادى كلما * تزيد شيبى كيف بعد يكون
حرام على قلبى سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فمالى عرانى للمشيب جنون
وقالوا شجاك الشيب حدثان ماأتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال أيضا

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى * وما أحد يارب منك بذا أولى
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فاوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذى * أقل حلى عليائه يخرس القولا
تبرأت من حولى اليك وقوتى * فكن قوتى فى مطلبى وكن الحولا
وهب لى الرضا مالى سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسى على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا الرجاله ريان من الادب خطيب بلنسية واستقضى وكان مع ذلك من أولى الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وابلى بلاء حسنا وروى عن أبى القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم فى الحديث والاربعون عن أربعين شيخا لاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث الصدفى وحلية الامالى فى الموافقات والعوالى وتحفة الرواد ونجعة الورّاد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازى الثلاثة الخلفاء وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين فى غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخارى الامام والمعجم فى مشيخة أبى القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب فى سنى الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج فى ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقى السبيل ومجازفى اللحن للاحن الممتحن مائة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم فى مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثر والنظيم لكان أحسن وله كتاب الصحف المنشرة فى القطع المعشرة وديوان رسائله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبى بحر صفوان بن ادريس المرسى عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحنّ الى نجد ومن حل فى نجد * وماذا الذى يغنى حنينى أو يجدى
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقى اليهم * ووجدى فساوى ما أجن الذى أبدى

وضاقت على الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقى من الجوى * وبعض الذى لاقيته من جوى يردى
فراق اخلاء وصد أحبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فياسرحتى نجد نداء متيم * له أبدا شوق الى سرحتى نجد
ظمئت فهل طل يبرد لوعتى * ضحيت فهل ظل يسكن من وجدى
ويازمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرم من رد
ليالى نجنى الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان بأكناف حاجر * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لى بنجد من سرى ممجد * ولا كأبى ادريس أخى البشر والجد
أخو همة كالزهر فى بعد نيلها * وذو خلق كالزهر غب الحيا العد
تجمعت الاضداد فيه حميدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
أبا راحلا أودى بصبرى رحيله * وفال من عزمى وثلم من حدى
أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * الام ذنا يتم ما يعيد ولا يبدى
فياليت شعرى هل تعود لنا المنى * وعيش كما غنت حاشيتى برد
عسى الله أن يدنى السرور بقربكم * فيبدو ومنا الشمل منتظم العقد

انتهى * وقال الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا ما صورته ولقد نزل بنا العدو قصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجاس ديارنا وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا فى عدد حدد الناس عدده فكان كثيرا وان لم يبلغ ما حددوه فقلت للوالى والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركة ولتكن منكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة فليخرج اليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد فى جميع الاقطار فيحاط بهم فانه هالك لا محالة وان يسركم الله له فغلبت الذنوب ورجفت بالمعاصى القلوب وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوى الى وجاره وان رأى المكيدة بجاره فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الاندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها مما قدمنا ذكره والبدايات عنوان النهايات * وقال أبو جعفر الوقشى البلنسى نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

ابت غير ماء بالنخيل ورودا * وهامت به عذبا لحام برودا
وقالت لحاديها أتم زيارة * على العشر فى وردى له فازيدا
عليك لما هذا القنوع وما أنا * عهدتك لا تثنين عنه وريدا
أفونا اذا ما كنت منه قريبة * وضبا اذا ما كان عنك بعيدا
وذى حضرة الملك الظليل رواقه * لعمرى ففيها تحمدين ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضله * جميع البرايا مبدئا ومعيدا
أعاد اليها الانس بعد شروده * وأحيا لنا ما كان منه أبيدا

والــين أيام الزمان بعـــده * وكانت حديدا في الخطوب حديدا
فـلا ليـلة الا يروقك حسـنها * ولا يوم الاعاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويحث على الجهاد

الاليت شعرى هل يمد لى المدى * فأبصر شمـل المشركين طريدا
وهل يعد يقضى فى النصارى بنصرة * تغادرهم للمرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب * يعيــد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على افرنجهم عب كلكل * فيتركهم فوق الصعيد هجودا
يغادرهم جرحى وقتـلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويفتـك من أيدى الطغاة نواعما * تبدلن من نظم الحجول قيودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالما * سحبن من الوشى الرقيـق برودا
وغير منهن التراب ترائبا * وخدد منهن الهجير خدودا
تحـق لدمعى أن يفيض لازرق * تملكها دعج المدامع سودا
ويالهف نفسى من معاصم طفلة * تجاور بالقيد الاليم نهودا
ويا أســـفى ما ان يزال مرددا * على شمـل أعياد أعيد بديدا
وآها يمد الصوت منتصبا على * خلو ديار أو يكون مفيدا

وقال فى آخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليه من نظامى قلادة * يلقبها أهـل الكلام قصيدا
غدت يوم انشاد القريض وحيدة * كما قصدت فى المعلوات وحيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المؤمن وبنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولى بعده ملكها ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فرض فمات وشرع السلطان يوسف فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس واغارت سراياه على طليطلة اذ هى قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة * ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق فمن القصائد الموجهة فى ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبا زكريا عبد الواحد بن أبى حفص

نادتك أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها * من عاطفاتك ما يقى حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * تردد عــلى أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى أوت لايالة * ضمنت لها مع نصرها ايواءها

وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى * سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها * لما رأت أبصارهم ما ساءها
دفعوا لابكار الخطوب وعونها * فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالى فاقتضت * سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها اذا * لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها * واعقد بارشية النجاة رشاءها
اشفق على طرف الحياة ذماؤها * فلما ستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد * قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها * ترجو بيحيى المرتضى احياءها
واستشرفت أمصارها لامارة * عقدت لنصر المستضام لواءها
يا حسرتى لعقائل معقولة * سم الهدى نحو الضلال هداءها
ايه بلنسية وفى ذكراك ما * يمرى الشؤن دماءها لا ماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد * شبّ الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعرمن * حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها * وتطلعت غرر المنى أثناءها
بأبى مدارس كالطلول دوارس * نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها * فيخاله الرائى اليه مساءها
ناحت بها الورقاء تسمع شدوها * وغدت ترجع نوحها وبكاءها
عجبا لاهل النار حلوا جنة * منها تمد عليهم أفياءها
املت لهم فتعجلوا ما أملوا * أيامهم لا سوّغوا املاءها
٢٠ بعدا النفس ابصرت اسلامها * فتوكفت عن حزبها اسلاءها
أمّا العلوج فقد أحالوا حالها * فمن المطيق علاجها وشفاءها
أهدى اليها بالمكاره جارح * للكفر كدر ماءها وهواءها
وكفى أسى أن الفواجع جمة * فمتى يقاوم أسوها أسواءها
هيهات فى قطر الامارة كف ما * تخشاه ليت الشكر كان كفاءها
مولاى هاك معادة أنباءها * لتنيل منك سعادة أبناءها
جرّد ظباك لمحو آثار العدا * تقتل ضراغمها وتسب ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها * تسبق الى أمثالها استدعاءها
لا غروان يعزى الظهور لملة * لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
ان الاعاجم للاعارب نهبة * مهما امرت بغزوها أحياءها
تالله لو دبت لها أدبابها * لطوت عليها أرضها وسماءها
ولو استقلت عوفها لقتالها * لاستقبلت بالمقربات عفاءها
أرسل جوارحها تجئك بصيدها * صيدا وناد لطعنها أرماءها

هبوا لها يا معشر التوحيد قد * آن الهبوب وأحرزوا علياءها
ان الجزيرة تستغيث من خلال الكم الحق * لا يرهب الداعي بهن خلاءها
هي نكتة المحيا فحيهلا بها * تجدوا سناها في غد وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغي على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها * فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشاكم أن تضمروا الغاءها * في أزمة أو تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم * رهوا وجوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ مثوبا يدعو لها * فلتجملوا قصد الثواب ثواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها
هذي رسائلها تناجي بالتي * وقفت عليها ريثها ونجاءها
ولربما أنهت سوالب النهى * من كائنات حملت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتني * آلاءها أو تجتلي آراءها
مستسقيات من غيوث غياثها * ما وقعه يتقدم استسقاءها
قد امنت في سبلها أهواءها * اذ سوغت في ظلها أهواءها
وبحسبها أن الأمير المرتضى * مسترقب بفتوحها آناءها ٢
في الله ما ينويه من ادراكها * بكلاءة يفدي أبي أكلاءها
بشرى لأندلس تحب لقاءه * ويحب في ذات الاله لقاءها
صدق الرواة المخبرون بأنه * يشفي ضناها أو يعيد رواءها
ان دوخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيع اباءها
فكأن بفيلقه العرمرم فالقا * هام الأعاجم ناسفا أرجاءها
أنذرهم بالبطشة الكبرى فقد * نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لا يعدم الزمن انتصار مؤيد * تتسوغ الدنيا به سراءها
ملك أمد النيرين بنوره * وأفاده لألاؤه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له * فسما اليها حاملا أعباءها
سل دعوة المهدي عن آثاره * تنبيك أن ظباه حسن ازاءها
فغزا أعاديها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له في قدة امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لهداه شرف وسمه أسماءها
تطمو بتونسها بحار جيوشه * فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة * والأرض طرا ضنكها وفضاءها
ما ازمع الايغال في اكنافها * الا تصيد عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلى شماءها

ردّت سعادته على أدراجها * ليل الزمان ونبهت علماءها
ان يعتمِ الدول العزيزة بأسه * فالآن يولي جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو راس راسخ * فيها يوقع للسعود جلاءها
كالطود في عصف الرياح وقصفها * لاردوها يخشى ولا هوجاءها
سامي الذوائب في أعز ذؤابة * أعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته * شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه * فسقى عمائرها وباد قواءها
يغمه عبد الواحد الارضي الى * عليا فتجنح بأسها وسخاءها
في نبعة كرمت وطابت مغرسا * وسمت وطالت نضرة نظراءها
ظهرت لمعتمدها السماء وجاوزت * لسرادقات فخارها جوزاءها
نشأة كرام لاتكف عن الوغى * حتى تصرع حولها أكفاءها
وتكب في نار القرى فوق الذرى * من عزة الوبها وكباءها
قد خلقوا الايام طيب خلائق * فثنت اليهم حمدها وثناءها
ينضون في طلب النفائس أنفسا * حبسوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم * ابصرت فيهم قطعها ومضاءها
لاعذر عند المكرمات لهم متى * لم يستبن لعفاتكم عذراءها
قوم الامير فمن يقوم بمالهم * من صالحات أفحمت شعراءها
صفحا جميلا أيها الملك الرضى * عن محكمات لم نطق احصاءها
تقف القوافي دونهن حسيرة * لاعيها تخفي ولا اعياءها
فلعل علياكم تسامح راجيا * اصفاءها ومؤملا اغضاءها

قوله لم يستبن الخ هكذا في الاصل ولا يخفى ما فيه فلعل الاولى أن يقال (ما يستبين عفاتهم عذراءها) أو نحو ذلك تأمل اه مصححه

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة أعادها الله تعالى للاسلام

لثكلك كيف تبتسم الثغور * سرورا بعد ما بئست ثغور
اما وأبي مصاب هدّ منه * ثبير الدين فاتصل الثبور
لقد قصمت ظهور حين قالوا * أمير الكافرين له ظهور
ترى في الدهر مسرورا بعيش * مضى عنا لطيته السرور
أليس بها أبيّ النفس شهم * يدير على الدوائر اذ تدور
لقد خضعت رقاب كنّ غلبا * وزال عتوّها ومضى النفور
وهان على عزيز القوم ذلّ * وسامح في الحريم فتى غيور
طليطلة أباح الكفر منها * حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى * ولا منها الخورنق والسدير
محصنة محسنة بعيد * تناولها ومطلبها عسير
ألم تك معقلا للدين صعبا * فذلله كما شاء القدير
وأخرج أهلها منها جميعا * فصاروا حيث شاء بهم مصير

وكانت

وكانت دار ايمان وعلم * معالمها التي طمست تنير
فعادت دار كفر مصطفاة * قد اضطربت بأهليها الامور
مساجدها كنائس أي قلب * على هذا يقر ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا * يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حسن ليس يطوى * الى يوم يكون به النشور
اديلت قاصرات الطرف كانت * مصونات مساكنها القصور
وأدركها فتور في انتظار * لسرب في لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات أولى * لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين * وكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الاخوان انا * باحزان وأشجان حضور
نذور كان للايام فيهم * بهلكهم فقد وفت النذور
فان قلنا العقوبة أدركتهم * وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم وأشد منهم * نجور وكيف يسلم من يجور
أنأمن أن يحل بنا انتقام * وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار * اليه فيسهل الامر العسير
ولكن جرأة في عقر دار * كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم اذا ما * على العصيان أرخيت الستور
يطول علي ليلي رب خطب * يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثأر الديانة وانصروها * فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب * تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى * بكم من أن تجاروا أو تجوروا
اصبرا بعد سبي وامتحان * يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذكار ولود * وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا * وليس بعجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا * ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى * أمات المخبرين بها الخبير
أتتنا الكتب فيها كل شر * وبشرنا بانحسنا البشير
وقيل تجمعوا لفراق شمل * طليطلة تملكها الكفور
فقل في خطة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعول * على نبأ كما عمي البصير
تجاذبنا الاعادي باصطناع * فينجذب المخول والفقير
فباق في الديانة تحت خزي * تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه * مصائب دينه فله السعير

كفى حزنا بأن الناس قالوا * الى أين التحول والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها * وليس لنا وراء البحر دور
ولا ثم الضياع تروق حسنا * نباكرها فيعجبنا البكور
وظل وارف وخرير ماء * فلا قر هناك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طرى * ويشرب من جداولها غدير
يؤدى مغرم فى كل شهر * ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى * بناوهم الموالى والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين * وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولاد نيا ولكن * غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق يالله ماذا * رآه وما أشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه * فما ينفى الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا فى فلاة * حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تجنح الى سلم وحارب * عسى أن يجبر العظم الكسير
أنعمى عن مراشدنا جميعا * وما ان منهم الا بصير
ونلقى واحدا ويفر جمع * كما عن قانص فرت حمير
ولو أنا ثبتنا كان خيرا * ولكن ما لنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل * فليس بنافع عدد كثير
الا رجل له رأى أصيل * به مما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ما هذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * باندلس قتيل أو أسير
اذكر بالقراع الليث حرصا * على أن يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تخسف البدور
يوسع للذى يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جيرة اذ لا مجير
فليل فيه هم مستكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ما قيل فى ذلك قول الاديب الشهير أبى البقاء صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان

ويتنضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذووا التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ماشاده شداد فى ارم * وأين ماساسه فى الفرس ساسان
وأين ماحازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لامرد له * حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لاعزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ماشان مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة * حتى المنابر ترثى وهى عيدان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة * ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ماتقدمها * ومالها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها فى ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر فى دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم * وأنتم ياعباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا فى منازلهم * واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لادليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يارب أم وطفل حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان

انتهت القصيدة الفريدة ويوجد بأيدي بعض الناس زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبته ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقاربها في البلاغة وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الاندلس اذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب فكان بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض فليراجع وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الاندلس ومن بديع نظمه قوله

سلم على الحي بذات العرار * وحي من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم * فما على العشاق في الذل عار
ولا تقصر في اغتنام المنى * فما ليالي الانس الا قصار
وانما العيش لمن رامه * نفس تدارى وكؤس تدار
وروحه الراح وريحانه * في طيبه بالوصل أو بالعقار
لا صبر للشئ على ضده * والخمر والهم كماء ونار
مدامة مدنية للمنى * في رقة الدمع ولون النضار
مما أبو ريق أباريقها * تنافست فيها النفوس الكبار
معلق والسر من علقي * ما أطيب الخمرة لولا الخمار
ما أحسن النار التي شكلها * كالماء لو كف شرار الشرار
وبي وان عذبت في حبه * بعد على اقتراب المزار
ظبي غرير نام عن لوعتي * ولا أذوق النوم الا غرار
ذو وجنة كأنها روضة * قد بهر الورد بها والبهار
رجعت للصبوة في حبه * وطاعة اللهو وخلع العذار
يا قوم قولوا بذمام الهوى * أهكذا يفعل حب الصغار
وليلة نبهت أجفانها * والفجر قد جردنهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استخفى السها خيفة * وطولب النجم بثار فثار
كذلك ما شابت نواصي الدجا * وطير النسر أخاه فطار
وفي الثريا قد رسا فر * عن غرة غيرمنها السفار
كأنها عنقودا تنى به * اذ صار كالعرجون عند السرار

كأنها

كأنها تسبك دينارة * وكفها يفتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومة * تحكم الفجر عليها الجار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غنى من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبى عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * شخص له فى كل معنى يشار
أما المعالى فهو قطب لها * والقطب لاشك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلى * مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لخم وساداتها * وتنتمى قيس له فى الفخار
يفيض من جود يديه على * عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * واليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر عما قد جنى فى اعتذار
فان شكرنا فضله مرة * فقد شكرنا من نداه مرار
ونحن منه فى جوار العلى * تدور للسعد بنا منه دار
اللها فظ الله وأسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضى أبو المطرف ابن عميرة المخزومى الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهى

ألا قسة للدهر تدنو بمن نأى * وبقيا يرى منها خلاف الذى رأى
ويامن عذيرى منه يعذر من أوى * اليه ولايدرى سوى خلف من وأى
دنا ثرما فى البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا بقى عليه ولا وأى

أيها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه بعد أن أدهش خاطرى من اغبابه وسرنى من بشره ايماض بعد أن ساءنى من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة فقوم قدح نبعتها وروى أكناف قلعتها وأحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤسه وسقى بماء الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغريبة مرآه فبورك فيه أحوذيا وصل رحمه وكسا منظره من البهجة ما كان حرمه وحيا الله تعالى منه وليا على سالف عهدى تمادى وبشعار ودى نادى وبين والاحسان شيمته وأبان والبيان لاتنجاب عنه ديمته ولاتغلو بغير قلبه قيمته واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ودعوة ذكر يوم الندى لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفه وتوغر زعم صدور قلم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غرة من الناجى برأس طمرة ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله وعكر عكرمة المغطى بحمله على أبى جهله وعند ذكر كتيبة خالد أحجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلجم فاعتذر عما قال وأضمر الحذر الآن يقال فهلا أيها الموفى على علمه النافث بسحر قلمه أتظن منزلتك فى البلاغة ومهيعها لاحب ومنزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترفعت أو تخفى وان تلفعت

عرفنا الدياسوده . وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده فلم حين تهيب الاخ الاوحد من قصى غطارفها ولو استشار من حفاظها تالدها وطارفها لم يذكر يدقومه عند أبيها وقد رام خطة أشرف على تأبيها حين أهاب بكم لمهمه ودعا منكم أشاه لامه ولولا ذلك لما خلا له وجه الكعبه ولا خلص من تلك المضايق الصعبه وبأن أعرتموه نجدتكم الموصوفه غلب على ما كان بأيدى صوفه فكيف نجحد السد عند عمنا أو نشحذ أسنة الالسنة لذمتنا أو كيف نلقاكم بجدنا وأبوكم بكر معدنا وما تيامنكم الى سبا ين يشجب وان أطلنا فيه التعجب بالذى يقطع أرحامنا ويمنع اشتباكا كانوا لتحامنا بعد أن شددنا فعالنا بفعالكم ورأينا أقدامنا فى نعالكم ولو شئتم توعدتم بأسود سوددكم عند الاقدام والحاح الحافكم فى ضرب الهام لكن نقول ان قومنا الكرام ولو شاؤا كان لنا فيكم شره وعرام وأعود من حيث بدأ الاخ الذى أشبه شوقى وأنطم حلاوة عشرته باقية فى حاسة ذوقى طارحنى حديث. وردجف وقطين خف فيالله لاتراب درجوا وأصحاب عن الاوطان خرجوا قصت الاجنحة وقيل طيروا وانما هو القتل أو الاسر أو تسيروا فتفرقوا أيدى سبا وانتشروا ملء الوهاد والربا ففى كل جانب عويل وزفره وبكل صدر غليل وحسره ولكل عين عبره لاترقأ من أجلها عبره داء خامر بلادنا حين أتاها ومازال بها حتى سجى على موتاها وشجا ليومها الاطول كهلها وفتاها وأنذر بها فى القوم بحران أنيجه يوم أثاروا أسدها المهيجه فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب وباكورة البلاء المصبوب أثكلتنا اخوانا أبكانا نعيهم ولله أحوذيهم وألمعيهم ذلك أبو ربيعنا وشيخ جميعنا سعد بشهادة يومه ولم ير ما يسوءه فى أهله وقومه وبعد ذلك أخذ من الاثم بالمخنق وهى بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق وما لبث أن أخرس من مسجدها لسان الاذان وأخرج من جسدها روح الايمان فبرح الخفاء وقيل على آثار من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما تعطف الفاء فأودت الخفة والحصافه وذهب الجسر والرصافه ومزقت الحلة والشمله وأوحشت الجرف والرمله ونزلت بالحارة وقعة الحره وحصلت الكنيسة من جاذرها وظبائها على طول الحسره فأين تلك الخمائل ونضرتها والجداول وخضرتها والاندية وأرجها والاودية ومنعرجها والنواسم وهبوب مبتلها والاصائل وشحوب معتلها دار ضاحكت الشمس بحرها وبحيرتها وأزهار ترى من أدمع الطل فى أعينها ترددها وحيرتها ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها وشقرها حتى أحاطت بجزيرة شقرها فآها لمسقط الرأس هوى نجمه ولفادح الخطب سرى كله وبالجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها وروضة أجاد أبو اسحق نعتها وانما كانت داره التى فيها دب وعلى أوصاف محاسنها أكب وفيها أتته منيته كما شاء وأحب ولم تعدم بعده محبين قشيهم البها ساقوه ودمعهم عليها أراقوه وقد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن له ذلك الموقع

أقلوا ملامى أو فقولوا وأكثروا * ملومكم عما به ليس يقصر

وهل غير صب ماتنى عبراته * اذا صعدت أنفاسه تتحدر

يحن وما يجدى عليه حنينه * الى أربع معروفها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوا * وأين اللوا منه وأين المشقر
تغير ذاك العهد بعدى وأهله * ومن ذا على الايام لا يتغير
وأقفر رسم الدار الا بقية * لسائلها عن مثل حالى تخبر
فلم تبق الا زفرة اثر زفرة * ضلوعى لها تنقد أو تتفطر
والا اشتياق لا يزال يهزنى * فلا غاية تدنو ولا هو يفتر
أقول لسارى البرق فى جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكى ويسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوا والشئ بالشئ يذكر
أتأوى لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر
وتحمل أنفاسا كومضك نارها * اذا رفعت تبدو لمن يتنور
يقر لعينى أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناى تبصر
وان يترا آك الخليط الذين هم * بقلبى وان غابوا عن العين حضر
كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد نفرنا ننفر
وان كلينا من مشوق وشائق * بنار اغتراب فى حشاه تسعر
ألا ليت شعرى والامانى ضلة * وقولى ألا يا ليت شعرى تحير
هل النهر عقد للجزيرة مثل ما * عهدنا وهل حصباؤه وهى جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر
وتلك المغانى هل عليها طلاوة * بما راق منها أو بمارق تسحر
ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر
وقبلى ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر
يصيف بياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر
ليال بماء الورد ينضح ثوبها * وطيب هواء فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادنى هناك خطى لنا * الى اللهو لا تكبو ولا تتعثر
جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر
وموردنا فى قلب قلب كقلة * حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * ويا حسنه مستقبلا حين يذعر
نقود اليه طائعا كل جارح * له مخزر رحب وخصر مضمر
اذا ما رميناه به عبثت به * مدللة الاطراف عنهن تكشر
تضم لا روى الشيق جرذان سهلها * وقد فقدت فيها مهاة وجؤذر
كذلك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشتت منذر
وفرقهم أيدى سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجزيره وطى بساط الجزيره أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف وبيطحائها عروسا فى نهاية الظرف فتخلى عن الذروة من أخلاها

وقيل للكافر شأنك وأعلاها فقبل أن تضع الحرب أوزارها كشط عنها ازارها فاستحل الحرمة أو تأولها وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها وأما تدمير بجاد عودها على الهصر وأمكنت عدوها من القصر فداجى الكفر الايمان وناجى الناقوس الاذان وماوراءها من الاصقاع التي باض الكفر فيها وفرخ وأنزل بها ما أنسي التاريخ ومن أرخ فوصفكم على الحادثة فيها أتى وفي ضمان القدرة الانتصاف من عدو عشا وعتا وانا لنرجوها كرة تفك البلاد من أسرها وتجبرها بعد كسرها وان كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذمارها ورفعت على البقاع نارها فهذه العمرية تلك المنقبة أخلاق والعدو لها أهيب ومنها أفرق ومايستوي نسب مع البقل نبت وبالمستفيض من النقل ماثبت وآخر علت سماؤه على اللمس ورسا ركنه في الاسلام رسوّ قواعده الخمس وكان كما قال أبو حنيفة في خبر المسح جاء نامثل الشمس والايام العمرية هي أم الوقائع المحكيه ومن شاء عدها من البرموكية الى الاركيه وهذه الايام الزاهرة هي زبدة حلاوتها وجدة تلاوتها وامامتها العظمى أيدها الله تعالى تمهل الكافر مدة املائه ثم تشفي الاسلام من دائه وتطهر الارض بنجس دمائه بفضل الله تعالى المرجو زيادة نعمه قبلها وآلائه راجعت سيدي مؤديا ما يجب أداؤه ومقتديا وما كل أحد يحسن اقتداؤه وانما ناضلت ثعليا وعهدي بالنضال قديم وناظرت جدليا وما عندي للمقال تقديم وأطعته في الجواب ولقريحتي يعلم الله تعالى نكول ورويتي لولا حق المسئلة بطيرالحوادث المرسلة عصف مأكول أتم الله تعالى عليه آلاءه وحفظ مودته وولاءه ومتع بخلته الكريمة اخلاءه عنه والسلام انتهت الرسالة * ورأيت في رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ما صورته وأما الكتابة فقد كان حامل لوائها كما قال بعض أصحابنا ألان الله تعالى له الكلام كما ألان الحديد لداود عليه السلام وأخبرني شيخنا أبو بكر أن شيخه أبا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فأعطاه حزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك أو كما قال صلى الله عليه وسلم * وبعد كتبي لهذه الرسالة رأيت أن أذكر رسالة الحافظ ابن الابار التي هذه جواب عنها وهي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهي سيدي وان وجم لها النادي وبجم بها المنادي ذلك لصغرها عن كبره في المعارف الاعلام وصدرها بوغر صدور الصحائف والاقلام وأعيذ بحانة قريش أن تروح من حفيظتها في جيش قدها بتها مغاوير كل حي وأجابتها الغطاريف من قصي تدلف بين يديها كتيبة خالد وتخلف لاقدحت نار الهيجاء بزند صالد أو تنصف من غامطها وتقذف به وسط غطامطها لاجرم اني من جريرتي حذر وعما وضحت به قيني للمجد معتذر الآن يصوح من الروض نبته وجناته ويصرح بالقبول حلمه وأناته الحديث عن القديم شجون والشأن بتقاضي الغريم شؤن فلا غرو أن أطارحه اياه وأفاتحه الامل في لقياه ومن لي بمقالة مستقلة أو ادلة غير مختلة أبت البلاغة الا عمادها ومع ذلك فسأتني عمادهي درجت اللدات والاتراب وخرجت الروم بنا الى حيث الاعراب أيام دفعنا لاعظم الاخطار وفجعنا بالاوطان والاوطار فالام نداري برح الالم وحتى م

تسارى النجم فى الظلم بجمع أوصاب ماله من انفصاض ومضض اغتراب شذ عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ماضرب المثل بالحارث بالله من جلاء ليس به يدان وثناء قلما يسفر عن تدان وعدا الجد العاثر لقاءه فأعجز ورام الجلد الصابر انقضاءه فأعجز هؤلاء الاخوان مكنتهم لايمتع به أوان وبينهم كتبت الارض ألوان بين هائم بالسرى ونائم فى الثرى من كل صنديد بطل أو منطيق غير ذى خطا ولا خطل قامت عليه النوادب لما قعدت به النوائب وهجمت بيوتها افناء الجماجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشيب فيها بمحاسن الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخنى عليها الذى أخنى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتثار والاصطلام حين وقعت أنسرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولا غصن

واها وواها يموت الصبر بينهما * موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين جداولها الطفاحة وخمائلها أين جنابها النفاحة وشمائلها شدما عطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها فأية حيلة لا حيلة فى صرفها مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الارونق الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث داء عقرها أن دب الى جزيرة شقرها فامتر عذبها النمير وذوى غصنها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهى دانيه وبالشاطبة وبطحائها من حيف الايام وانحائها ولهفاه ثم لهفاه على تدمير وتلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص وواديها كلها رعى كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار أكثرها وطمس الكفر عينها وأثرها وتلك البيرة بصددا البوار وريه فى مثل حلقة السوار ولامرية فى المرية وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بهاك لا ولى ناطق بهات ماهذا النفخ بالمعمور أهو النفخ فى الصور أم النفر عاريا من الحج المبرور وما الاندلس أصيبت بأشرافها ونقصت من أطرافها قوض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الاذان أجنت مالم تجن الاصقاع أعقت الحق فحاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع فى أحصن جنه هذه المروانية مع استمداد أركانها وامتداد سلطانها ألقت حب آل النبوة فى حبات القلوب وألوت ماظفرت من خلعة ولا قلعة بمطلوب الى المرابطة باقاصى الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى الهضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه وموالاة الشريعه فليت شعرى بم استوثق تمحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا ماشئت مجرى ومن الانباء مافيه مزدجر جرى بما لم نقدره

المقدور فعسى أن ينفث به المصدور وربنا الحكيم العليم فحسبنا التفويض له والتسليم
وياعجبا لبنى الاصفر أنسيت مرج الصفر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر
دع ذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد هلا تذكرت العامرية وغزواتها وهابت
العامرية وهبواتها أما الجزيرة بخيلها مصدقه وبأحاديث فتحها مصدقه هذا الوقت
المرتقب والزمان الذى زجيت له الشهور والحقب وهذه الامامة أيدها الله تعالى هى
المنقذة من أسرها والمنفذة لسلطانها مراسم نصرها فيتاح الاخذ بالثار ويراح عن
الجنة أهل النار ويعلم الكافر لمن عقبى الدار حاورت سيدى بشار القابى الفاجع
وحاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع وبودى لو تقع فى الارجاء مصاقبه فترفع
من الازراء معاقبه أليس لديه اسواء المكلوم وتدارك المظلوم وبيديه أزمة المنثور
والمنظوم خيال يخترق اقناع اياد وصوغ مالم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد بست
الجبال الطوامح لما بست وأبوقبيسها وغيضت البحار الطوفح فن يعبأ بالركايا ومتحها
أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل وصمصامة عمرو من قلمه الفاصل هذا
صدرها الذى فصل الافاعيل وأحدها الذى سما على ابراهيم واسمعيل وهما اماما
الصناعه وهما ما البراعة والبراعه بهما فخر من نطق بالضاد وبدبهما حسدت
الحروف الصاد لكن دفعهم بالراح وأعرى صدرهم من المراح وشرف دونهم
ضعيف القصب على صم الرماح أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الانواء وزمانه كاذب
الاسواء ولازال مكانه مجاوزا ذؤابة الجوزاء واحسانه مكافأ بأحسن الجزاء
والسلام * وقد عرفت بابن الابار فى ازهار الرياض بما لامزيد عليه غير انى رأيت هنا أن
أذكر فصولا مجموعة من كلامه فى كتابه المسمى بدرر السمط فى خبر السبط قال رحمه
الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فروع النبوة والرساله وينابيع السماحة
والبساله صفوة آل أبى طالب وسراة بنى لؤى بن غالب الذين جاءهم الروح الامين
وحلاهم الكتاب المبين فقل فى قوم شرعوا الدين القيم ومنعوا اليتيم أن يقهر والايم
ما قدمن أديم آدم أطيب من أبيهم طينه ولا أخذت الارض أجمل من مساعيهم زينه
لولاهم ما عبد الرحمن ولا عهد الايمان وعقد الامان ذؤابة غير أشابه فضلهم ما شانه
نقص ولا شابه سراة محلتهم سر المطلوب وقرارة محبتهم حبات القلوب أذهب الله عنهم
الرجس وشرف بحقهم الجنس فان تميزوا فبشريتهم البيضاء أو تحيزوا فلعشيرتهم
الحمراء من كل ينسوب الكتيبه منسوب لنجيب ونجيبه نجاره الكرم وداره الحرم
تمته العرانين من هاشم أبى الذب الاصرح الاوضح الى نبعة فرعها فى السماء ومغرسها
سرة الابطح أولئك السادة أحيى وأفدى والشهادة بحبهم أوفى وأودى ومن يكتمها
فانه آثم قلبه انتهى (فصـــــل) ما كانت خديجة لتأتى بخداج ولا الزهراء لتلد الا
أزاهر كالسراج مثل النخله لا تأكل الاطيبا ولا تضع الا طيبا خلدت بنت خويلد لبزكو
عقبها من الحاشر العاقب ويسمو مرقبها على النجم الثاقب لم تجد بمثلها المهارى ولم
يلد لها غيرها من المهارى آيت من بنواتها قبله لتصل السعادة بحبلها حبله ملاك العمل

قوله لمابست وابو قبيسها هكذا فى الاصل ولا يخفى تحريفه ولعل صوابه قابس روابى سفحها أو نحو ذلك مما يناسب المقام وليراجع ويحرر اه مصححه

خواتمه

خواتمه رب ربات حجال أنفذ من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ولشعار الصدق من شعارات القص ألزم وكنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كما هديت للتسديد يوم نبئ خاتم الانبياء ونبئ بالنور المنزل عليه والضياء (فصل) وكان قبيل المبعث وبين يدى لم الشعث يثابر على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعهد ويزجى تلك المدة فى التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور فيه رفع التضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لاينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالنجح وقد كان لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح فغمره بالكلاءه وأمره بالقراءه وكلما تحبس له غطه ثم أرسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالى رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد علق فاتحة العلق فلا يجرى غيرها على لسانه وكانما كتبت كتابا فى جنانه (فصل) ولما أصبح يؤم الاهل وتوسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل ومانضا الوجل نوجى بما فى الكتاب المسطور ونودى كما نودى موسى من جانب الطور فعرض له فى طريقه ماشغله عن فريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك فى صورة رجل متمثلا يشرفه بالنداء ويعرفه بالاجتباء وانما عضد خبر الليلة بعيان اليوم وأرى فى اليقظة مصداق ما أسمع فى النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ماورد فى الاثر وسرد رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بدع ولا بعيد أن يبدأ الوحى بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لما سمع نداءه وراءه وثبت لايتقدم أمامه ولا يرجع وراءه

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متقدم عنه ولا متأخر

ثم جعل فى الخوف والرجاء لايقلب وجهه فى السماء الا تعرض له فى تلك الصوره وعرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويملك حتى عن التأمل

تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلى بالحياء حقيق

أذود سواد الطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصل) وفطنت خديجة لاحتباسه فأمعنت فى التماسه تزوجوا الودود الولود ولقوو رهابل لفوزها بعثت فى طلبه رسلها وانبعثت تأخذ عليه شعاب مكة وسبلها (ان الحب اذا لم يستزر زارا) طال عليها الامد فطار اليها الكمد والحب حقيقه من لايفيق فيقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفى وجود المحبوب الاشرف وجوده

كان بلاد الله مالم تكن بها * وان كان فيها الخلق طرا بلاقع

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع

نهارى نهار الناس حتى اذا دجى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

لقد نبتت فى القلب منك محبة * كما نبتت فى الراحتين الاصابع

(فصــــل) وبعد لأى ماوردعليها وتعد مضيفا اليها فطفقت بحكم الاجلال تمسح أركانه وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه فباح لها بالسر المغيب وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب فعلمت انه الصادق المصدوق وحكمت بأنه السابق لا المسبوق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومازالت حتى أزالت مابه من الغمه وقالت انى لارجو أن تكون نبى هذه الامه

انى تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ماخانني البصر
أنت النبى ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر

لا ترهب فسوف تبهر وسيبدو أمر الله تعالى ويظهر أنت الذى سجعت به الكهان ونزلت له من صوامعها الرهبان وسارت بخبر كرامته الركبان أنت الذى ماحملت أخف منه حامل ودرت ببركته الشاة فاذا هى حافل

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

(فصــــل) ومالبثت أن غلقت أبوابها وجمعت عليها أثوابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل تطلبه بتفسير ذلك المجمل وكان يرجع الى عقل حصيف ويبحث عمن يبعث بالدين الحنيف فاستبشر به ناموسا وأخبر أنه الذى كان يأتى موسى فازدادت ايمانا وأقامت على ذلك زمانا ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التفنيد وودت أن المجتهد لا يجوز له التقليد طلب العلم فريضة على كل مسلم فرجعت أدراجها فى ارتياد الاقناع وألقى فى روعها القاء الخمار والقناع فهنالك وضح لها البرهان وصح لها أن الآتى ملك لا شيطان

تولى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصدنا * اذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

(فصــــل) سبقت لها من الله تعالى الحسنى فصنعت حسنا وقالت حسنا ومن يؤمن بالله يهد قلبه مافتر الوحى بعدها ولا مطل الحق الحى وعدها وعد الله لا يخلف الله وعده دانت لحب ذى الاسلام فحياها الملك بالسلام من الملك السلام من كان لله كان الله له أغنت غناء الابطال فغناها لسان الحال

هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا * يوم التقينا فلم أنطق من الحصر
لا أرفع الطرف حولى من مراقبة * بقى على وبعض الحزم فى الحذر

يسرت لاحتمال الاذى والنصب فبشرت ببيت فى الجنة من قصب هل امنت اذ آمنت من الرعب حتى غنيت عن الشبع بمافى الشعب

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

واها لها احتملت عض الحصار وما اطاقت فقد النبى المختار

يطول اليوم لا القاك فيه * وشهر نلتقى فيه قصير

والحبيب سمع المحب وبصره وله طول محياه وقصره

انت كل الناس عندى فاذا * غبت عن عينى لم ألق أحد

مكثت للرياسة مواسية وآسيه فثلثت فى بحبوحة الجنة مريم وآسيه ثم ربعت البتول فبرعت نطقت بذلك الآثار وصدعت خير نساء العالمين أربع * (فصـــل) * الى البتول سيرنا الشرف التالد وسبق الفخر بالام الكريمة والوالد حلت فى الجيل الجليل وتجلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وأبيها ان أم أبيها لاتجد لها شبيها ثمرة النبي وطلبة الوصي وذات الشرف المستوى على الامد القصى كل ولد الرسول درج فى حياته وحلت هى ماحلت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لافرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته حفت بالتطهير والتكريم وزفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفو العارفة والمنه وولدا سيدى شباب أهل الجنه عوضت من الامتعة الفاخره بسيدى الدنيا والآخره ما أثقل نحوها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وبحالة لاحيلة معها فى اهداء الحلة السيراء فصاهره الشارع وناله وقال فى بعض صلواته لا مال له نرفع درجات من نشاء (فصـــل)

أآنتهب الايام أفلاذ أحمد * وافلاذ من عاداهم تتودد

ويضحى ويظما أحمد وبناته * وبنت زياد وردها لايصرد

أفى دينه فى أمنه فى بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد

وما الدين الا دين جدهم الذى * به أصدروا فى العالمين وأوردوا

انتهى ماسنح لى ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية فى بابه ولم أورد منه غير ماذكرته لان فى الباقى ماتشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه بمنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ماكنا بصدده فنقول قد ذكرنا فى الباب الثانى رسالة أبى المطرف بن عميرة الى أبى جعفر بن أمية وهى مشتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بلنسية وظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقى من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام فى ذكرها هنا فالمناسبة هنا لها حاصلة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تعالى تتعلق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا مارأيته بخط الاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى اشى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ماصورته حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن ابن القائد الزعيم الافضل سيدى ابراهيم العراف انه حضر مرة لازال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه ولاة الحال دوار

وفارس روحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار

فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

انتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذى ليس له فى الحسن

مثال ونسل الخطب اليه من كل حدب واثال وكل ذلك من اختلاف رؤسائه وكبرائه ومقدميه وقضاته وامرائه ووزرائه فكل يروم الرياسة لنفسه ويجرّ نارها لقرصه والنصارى لعنهم الله تعالى يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد ويضربون عمرا منهم بزيد حتى تمكنوا من أخذ البلاد والاستيلاء على الطارف والتلاد قال الرائس القاضى العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى فى كتابه جنة الرضا فى التسليم لماقدر الله تعالى وقضى ماصورة محل الحاجة منه ومن استقراء التواريخ المنصوصه وأخبار الملوك المقصوصه علم أن النصارى دمرهم الله تعالى لم يدركوا فى المسلمين ثارا ولم يرحضوا عن أنفسهم عارا ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وأمصارا الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف واجتهادهم فى وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيره وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها فى الفتن المبيره ومهما كانت الكلمة مؤتلفه والآراء لامفترقة ولامختلفه والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب الى الله مزدلفه فالحرب اذ ذاك سجال ولله تعالى فى اقامة الجهاد فى سبيله رجال وللممانعة فى غرض المدافعة ميدان رحب ومجال وروية وارتجال الى أن قال وتطاولت الايام مابين مهادنة ومقاطعه ومضاربة ومقارعه ومنازلة ومنازعه وموافقة وممانعه ومحاربة وموادعه ولاأمل للطاغية الافى التربص بالاسلام والمسلمين واعمال الحيلة على المؤمنين واضمار المكيدة للموحدين واستبطان الخديعة للمجاهدين وهو يظهر انه ساع للوطن فى العاقبة الحسنى وانه منطو لاهله على المقصد الاسنى ومهتم براعاة أمورهم وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم وهو يسر حسوا فى ارتغائه ويعمل الحيلة فى التماس هلاك الوطن وابتغائه فتبا للعقول تقبل مثل هذا المحال وتصدق هذا الكذب بوجه أو بحال وليت المغرور الذى يقبل هذا لوفكر فى نفسه وعرض هذا المسموع على مدركات حسه وراجع أوليات عقله وتجريبات حدسه وقاس عدوه الذى لاترتجى مودته على ابناء جنسه فانا ناشده الله هل بات قط بمصالح النصارى وسلطانهم مهتما وأصبح من خطب طرقهم مغتما ونظر لهم نظر المفكر فى العاقبة الحسنه اوقصد لهم قصد المدبر فى المعيشة المستحسنه أو خطر على قلبه أن يحفظ فى سبيل القربة أربابهم وصلبانهم أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحبارهم ورهبانهم فان لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ولم يشرب قلبه حب التثليث ويكون صادق اللهجه منصفا عند قيام الحجه فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولاأمر له ببال وان عكس ذلك هو الذى كان بهذا اغتباط وبفعله ذا احتبال وان نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال وأشد على قلبه من وقع النبال هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد وملته الغراء وشريعته البيضاء ودينه الحنيف القويم ونبيه الرؤف الرحيم وكتابه القرآن الحكيم ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم فكيف نعتقد هذه المرتبة الكبرى والمنقبة الشهرى لمن عقده التثليث ودينه المثلث ومعبوده الصليب وتسميته التصليب وملته المنسوخه

وقضيته المفسوخة وختامه التغطيس وغافر ذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه ليس البين ولا الصحيح وأن ذلك الرب قد ضرّج بالدماء وسقى الخل عوض الماء وان اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مطلوبا وقهرته مغلوبا وانه جزع من الموت وخاف الى سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مقدار الذرة أو يطمع منهم فى جلب المنفعة أو دفع المضرة اللهم احفظ علينا العقل والدين واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ما صورته كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وحام من العدة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الامتعة من عقود فذة وسلوك بجة وأقراط تفضل على قرطى مارية نفاسة فائقة وحسنا رائقا ومن سيوف شواذ بالابداع غرائب فى الاعجاب منسوبات الصفائح فى الطبع خالصات الحلى من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس فى يوم الحرب مشهورة النسبة الى داود نبى الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب ديباجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية التنضيد زبرجدية التقسيم ياقوتية المركز ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مزججة الصفح ومن درق لمطية مصمتة المسام لينة الجسة معروفة المنعة صافية الاديم ومن قسى ناصعة الصبغة هلالية الخلقة منعطفة الجوانب زاوية بالحواجب الى آلات فاخرة من اوتار نحاسية ومنا[٢] بلورية وطيافير دمشقية وسبحات زجاجية وصحاف صينية أكواب عراقية واقداح طباشيرية وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك انتهبه شواظ الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة فرزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهور بمثله وتقصر ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع) ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق الملك بعد اتساعه وصار تنين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقى من الجزيرة ملوك بنى الاحمر فلم يزالوا مع العدو فى تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم قريبا وربما أثخنوا فى الكفار كما علم فى أخبارهم واستصرخوا بملوك فاس بنى مرين فى بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة فى المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بنى مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبى العاصى والشيخ أبا عبد الله الطنجالى والشيخ ابن الزيات البلشى نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى فى الساعة التى كسر خواطرهم فيها صاحب المغرب وظهرت فى ذلك كرامة لسيدى أبى عبد الله الطنجالى رحمه الله تعالى * ثم ان بنى الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا فى جهاد وجلاد فى غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى ادركت دولتهم الهرم الذى يلحق

٢ قوله ومنا هكذا فى الاصل ولعله بعض كلمة ولينظر وكذلك قوله وسبحات محل نظر اه

الدول فلما كان زمان السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الاحمري واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة بعد أن جاء به بعض القواد من عند النصارى وبقي بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى أخيه وبقي من بمالقة من القواد والرؤساء فوضى وآل الحال الى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة أماكن ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر وشانوه وطلبوا مهادنته وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يديه وأعدّ لذلك مجلساً أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثاني والعشرين من محرم السنة التي تليها وهو يوم ختام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب ذلك فبعث الله تعالى سيلاً عرماً على وادي حدره بحجارة وماء غزير كأفواه القرب عقاباً من الله سبحانه وتأديباً لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادي ما على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد وكان بين رؤساء الافرنج في ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات وركن الى الراحات واضاع الاجناد وأسند الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك ليقضي الله تعالى ما شاء وكثرت المظالم والمغارم فانكر الخاصة والعامة ذلك منه وكان أيضاً قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد ولا تنقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب وانقادت له رؤساء الشرك المخالفون ووجدت النصارى السبيل الى الافساد والطريق الى الاستيلاء على البلاد وذلك انه كان للسلطان أبي الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان أبي عبد الله الايسر وكان قد اصطفى على أمهما روميه كان لها منه بعض ذريه وكانت حظيه عنده مقدمة في كل قضيه فخيف أن يقدم أولاد الروميه على أولاد بنت عمه السنيه وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب لميل بعضهم الى أولاد الحرة وبعض الى أولاد الروميه وكان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لامد حدوه وضربوه ولما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشان بين أولياء الدولة بسبب الاولاد وتشكى الناس مع ذلك بالوزراء والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تأخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى لعنهم الله تعالى ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحامة فأخذوها غدراً آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وغدوا للقلعة وتحصنوا بها ثم شرعوا في أخذ البلد فلو الطرق خيلاً ورجالاً لا يبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى فقتل من قضى الله تعالى بتمام

أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عند ما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه واذا بالسرعان من أهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا فاطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفي الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا في جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى وعند ما صح هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد والصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد فعند ما أقلع المسلمون عنها دخلها النصارى الواردون وتشاوروا في اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك اجناده وفرق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وخاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادي آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها * وفي جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا في ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها قصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة من المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فالجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفي هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقرا بوادي آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفي صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش في نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب النقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا في اوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم في كل محل حتى بلغوا مالقة فقتل كبيرهم ومن بقي أسر أو قتل وكان السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب وبقي أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى في هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من

جملتها خال السلطان وصاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب الققيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قواد غرب الاندلس * ولما استقر السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحول السلطان أبو الحسن على المنكب ونواحيها واتى ابنه السلطان أبو عبد الله في جند غرناطة والجهة الشرقية والتقوا في موضع يعرف بالدب فكسر السلطان أبو عبد الله * ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بأن عمه بمالقة غنم من النصارى أعمل السفر للغزو بأهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك في ربيع الاول من السنة الى أن بلغ نواحي لشانة وقتل وأسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحي ومعه كبير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم في جبال وأوعار فانكسر الجند وأسر من الناس كثير وقتل آخرون وكان في جملة من أسر السلطان أبو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة وأراد صاحب قبرة أن يأخذه منه فهرب به ليلا وبلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على جميع القواد وتفاءل به فقلما توجه لجهة أو بعث سرية الا ويعشه فيها * ولما أسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الاندلس وذهبوا الى مالقة للسلطان أبي الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان اصابه مثل الصرع الى أن ذهب بصره وأصابه ضرر ولما تعذر أمره قدم أخاه أبا عبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فأقام بها الى أن مات واستقل أخوه أبو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده * وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبي الحسن فهو في أسر العدو * وفي شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو في قوة الى نواحي مالقة بعد أن كان في السنة قبلها استولى على حصون فاستولى هذه السنة على بعض الحصون وقصد ذكوان فهدّ أسوارها وكان بها جملة من أهل الغربية ورندة ودخل ألف مدرع ذكوان عنوة فاظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا * ثم انتقل في جمادى الاولى الى رندة وحاصرها وكان أهلها خرجوا الى نصرة ذكوان وسواها فحاصر رندة وهدّ اسوارها وخرج أهلها على الامان وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربي مالقة الامن دخل في طاعة الكافر وتحت ذمته وضيق بمالقة وفرق حصصه على بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الى بلاده * وفي تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لتحصين بعض البلاد وبينما هو كذلك اذا بالخبر جاءه ان محلة العدو خارجة لذلك الحصن * وفي صبيحة الثاني والعشرين من شعبان أصبحت جنود النصارى على الحصن كانوا قد سروا اليه ليلا وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين ووصل النصارى الى خباء السلطان ثم التحم القتال واشتد وقوى الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شر هزيمة وقتل منهم خلائق وقصر المسلمون خوفا من محلة سلطان النصارى اذ كانت قادمة في اثر هذه ولما رجعت اليهم الفلول رجعوا القهقرى واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات وجعلوا ذلك كله بالحصن ولم يحدث شئ بعد الى رمضان فتوجه الكافر لحصن قبيل ونازله وهدّ اسواره

ولما

ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين وفر الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدو على عدة حصون مثل مشاقر وحصن اللوز وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الاستأصلها ولا قصد جهة الا أطاعته وحصلها ثم ان العدو دبر الحيلة مع ماهو عليه من القوة فبعث الى السلطان أبي عبد الله الذى تحت أسره وكساه ووعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقي بسطة وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فانه فى الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج لبلش فأطاعه أهلها ودخلت بلش فى طاعته ونودى بالصلح فى الاسواق وصرخت به فى تلك البلاد الشياطين وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذى لا يخفى وتبعهم بعض المفسدين المحبين تفريق كلمة المسلمين وممن مال الى الصلح عامة غرناطة اضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين الى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذى كان مأسورا عند المشركين ووقعت فتنة عظيمة فى غرناطة نفسها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول عام أحد وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام وبلغ الخبر أن السلطان الذى قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزغل صاحب قلعة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت ايالته بلوشة أو بأى المواضع أحب ويكونون يدا واحدة على عدو الدين وبيناهم كذلك اذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذى كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد والمعاضدة واليهم وخاف أهل غرناطة وسواهم من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرخت الالسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة فى ربضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد فى السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهى أعنى لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى فى غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقى السلطان أبو عبد الله الذى كان مأسورا مع النصرانى بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ما جاء للوشة الا ليدخل اليها العدو الكافر ويجعلها فداءه وقيل انه سرح له حينئذ ابنه اذ كان مرهونا فى الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين فى ذلك وظهر بذلك ما كان كامنا فى القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور* وفى نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة فهد بعض الاسوار وتوعد الناس فأعطاه أهل الحصن على الامان فخرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا ولما ضاقوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الامان فخرجوا الى غرناطة

قوله التلين فى نسخة المثلين اه

وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى متن فريد فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة وانتقل للصخرة فأخذها وحصن هذه الحصون كلها وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذى فى أسره بأن من دخل فى حكمه وتحت أمره فهو فى الامان التام وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب افرنسية فخرج لبلش وأطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق وأن من دخل تحت أمره أمن من حركة النصارى عليه وأن معه وثائق بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلهجوا بهذا الصلح وأقاموا على صحته الدلائل وتكلموا فى أهل غرناطة بالكلام القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة فى القلوب فبعث له أهل البيازين انه اذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس فأتى على حين غفلة ولم يكن يظن اتيانه بنفسه فأتى البيازين ودخلها ونادى فى أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا ما يعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين بالرجال سادس عشر شوال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه بالحمراء وانتقل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمره بذلك وعظمت أسباب الفتنة وفشا فى الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخول قتل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد والقواد من أهل بسطة ووادى آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على أن يدهم واحدة على أعداء الدين ونصرة من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة فى ذلك فخرج بجملته قاصدا نواحى بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن المنشأة يذكر ويخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ودخلوا فى ايالته خوفا من صاحب قشتالة وصولته وطمعا فى الصلح وصحته ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش وذكروا لهم سبب دخولهم فى هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها فى ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها ولما صح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فأشاروا بالمسير لاغاثة بلش للعهد الذى عقدوه واتى أهل وادى آش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة منها فى الرابع والعشرين لربيع الثانى من السنة ووصل بلش فوجد العدو نازلا عليها برا وبحرا فنزل بجبل هنالك وكثر لغط الناس وحملوا على النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للحملة بلغ السلطان الزغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا

مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى خائفين وجلين منهم ولا حول ولا قوة الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان فقصدوا وادى آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا رتبوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة ربضها وضيقوا بها وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة وأطاعت النصارى جميع البلاد التى بشرقى مالقة وحصن قارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها النصارى بالميرة ولما نازل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذى كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فاره وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادى آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها برا وبحرا وقاتله أهلها قتالا عظيما بمدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجالهم وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فنى ما عندهم من الطعام فأكلوا المواشى والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون فى الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر فيهم الجوع وفشا فى أهل نجدتهم القتل ولم يظهروا مع ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى فى الامان كما وقع ممن سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التجاءهم تؤمنون من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان ما يعاملكم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم يبق فى تلك النواحى موضع الا وملكه النصارى * وفى عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة خرج العدو الكافر الى الشرقية وبلش التى كانت فى الصلح فاستولى عليها واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها صلحا ثم رجع لبلاده * وفى عام أربعة وتسعين خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب واستولى على ما هنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صاحب وادى آش لما تعين العدو بمحلته بعث جميع جنده وقواده وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدو ببسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تقهقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقى الامر كذلك رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدو شدد الحصار وجد فى القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال فى القعدة والحجة وقل الطعام وفى آخر الحجة اختبروا الطعام فى خفية فلم يجدوا الا القليل وكانوا طامعين فى اقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدو بنى

وعزم على الاقامة وقوى اليأس على المسلمين فتكلموا في الصلح على ما فعل غيرهم من الاماكن وظن العدو ان الطعام لم يبق منه شئ وأن ذلك هو الملجئ لهم للكلام وفهموا عنه ذلك فاحتالوا فى اظهار جميع أنواع الطعام بالاسواق وأبدوا للعدو القوة مع كونهم فى غاية الضعف والحرب خدعة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عين لبرى ما عليه البلد وما صفة الناس وعند تحققهم بقاء الطعام والقوة أعطوهم الامان على أنفسهم دون من أعانهم من أهل وادى آش والمنكب والمرية والبشرات فان دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الامان والا فلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام وخاف أهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادى آش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء فى طاعة العدو على شروط شرطوها وأمور أظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوائد * وفى يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم من بقى بموضعه فهو آمن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدو المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الثورة ثم ارتحل العدو للمرية وأطاعته جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادى اش للمرية ليلقاه بها فالقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته فى البلاد التى تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادى آش ومكنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور وأطاعته جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة وقراها وجميع ما كان فى حكم صاحب وادى آش صار للنصارى فى طرفة عين وجعل فى كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكسار مالا من عند صاحب قشتالة اكراما منه لهم بزعمهم فتبا لعقولهم وما ذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتى هى أحسن ثم أخذ برج الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة وأظهر الصحبة والصلح مع صاحب وادى آش وأباح الكلام بالسوء فى حق صاحب غرناطة مكرا منه وخداعا ودهاء ثم بعث فى السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت ايالته ويعطيه مالا جزيلا على ذلك وأى بلاد شاء من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قالوا وأطمعه صاحب غرناطة فى ذلك فخرج العدو فى محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا فى ما بين السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبراء والاجناد والفقهاء والخاصة والعامة وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفسد عليه الصلح الذى كان بينه وبين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احدى خصلتين الدخول فى طاعته أو القتال فاتفق الرأى على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح وخرج بجملته ثم ان صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة وطلب من أهل غرناطة الدخول فى طاعته والا أفسد عليهم زروعهم فاعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك فى رجب سنة خمس وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون وأصلح برج

همدان والملاحة وتحصنهما بما ينبغي ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة بمن معه الى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات في رجب المذكور فأخذ بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتمكن منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه أبو عبد الله محمد بن سعد بجملة وافرة فقصدهم في شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمرية وأطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش فأخذوها رمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه خلق كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثاني والثالث وألجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة فنقبوها ثم أسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما هنالك من عدة وآلات حرب * وفي آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله وأخذه عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شئ وضيقوا بالقلعة فوصلهم الخبر ان صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة فارتحل صاحب غرناطة عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصولهم غرناطة وصل العدو الى المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج الملاحة واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادي آش فأخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم في المدينة ولا الربض وهدم قلعة اندرش وخاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران ثم لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببني سلطان الاندلس ودخل صاحب قشتالة لاقاصي مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأرادت فتيانه القيام على النصارى بجاء صاحب وادي آش ففتك فيهم * وفي القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك الاوطان من الانس * وفي ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أول عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد الامر في شهر صفر

من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم وقالوا انظروا فى أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فأحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة وتكلموا فى هذا المعنى وان العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا أنه يقلع عنا فى فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم فاتفق الرأى على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك فى اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عددوا مطالب وشروطا أرادوها وزادوا أشياء على ما كان فى صلح وادى آش منها ان صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى فى العهود وتكلم الناس فى ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام فى ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفى ثانى ربيع الاول من السنة أعنى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال وابقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل وأن يفتك جميع من أسر فى غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع الى الاسلام تمادى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع نصرانى للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود واهل الدجن ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون من المغارم سنين معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما ترك كما ذكره وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذه

الشروط

الشروط ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج اليه في الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه باندرش فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ثم احتال فى ارتحاله لبر العدوة وأظهر ان ذلك طلبه منه المذكور فكتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا لا سبيل لاحد أن يمنع مولاى أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له فانصرف فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدوة لقى شدة وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا لان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بلنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى فى الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحى تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفحيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذى أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذى انقرضت بدولته

بمملكة الاسلام بالاندلس وعجبت رسومها ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الانيقة وسلطان دولتهم على الحقيقة وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها الملكة في أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الانفاس وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من أخباره في غير هذا الموضع ابن السلطان أبي الحجاج يوسف ابن السلطان اسمعيل قاتل سلطان النصارى دون بطرة بمرج غرناطة ابن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله تعالى جميعا وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رأيتها ودخلتها وتوفي رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد وعقب هذا السلطان الى الآن بفاس وعهدي بذريته بفاس الى الآن سنة ١٠٣٧ يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي وهي من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى وسماها بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم * رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن * جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا * وأفظع الخطب ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له * وهل مرد لحكم منه منحتم
وهي الليالي وقاك الله صولتها * تصول حتى على الآساد في الاجم
كنا ملوكا لنا في أرضنا دول * نمنا بها تحت أفنان من النعم
فأيقظتنا سهام للردى صيب * يرمي بأفجع حتف من بهن رمي
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا * وأي ملك بظل الملك لم ينم
يبكي عليه الذي قد كان يعرفه * بأدمع مزجت أمواهها بدم
كذاك الدهر لم يبرح كما زعموا * يشم بؤس الصغار الانف ذا الشمم
وصل أواصر قد كانت لنا اشتبكت * فالملك بين ملوك الارض كالرحم
وابسط لنا الخلق المرجو باسطه * واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا بأقوال الوشاة ولم * نذنب ولو كثرت أقوال ذي الوخم
فما أطقنا دفاعا للقضاء ولا * ارادت أنفسنا ما حل من نقم
ولا ركونا بازعاج اسابحة * في زاخر بأكف الموج ملتطم
والمرء ما لم يعنه الله أضيع من * طفل تشكى بفقد الام في اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه * فان محروسه لحم على وضم

كن كالسموأل اذ سار الهمام له * فى جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يبح أدرع الكندى وهو يرى * ان ابنه البر قد أشفى على الرجم
أو كالمعلى مع الضليل الاروع اذ * أجاره من أعاريب ومن عجم
وصار يشكره شكرا يكافئ ما * أسدى اليه من الآلاء والنعم
ولا تعاتب على أشياء قد قدرت * وخط مسطورها فى اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وعد أحرارنا فى جملة الخدم
ايه حنانيك يا ابن الاكرمين على * ضيف ألم بفاس غير محتشم
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت * بنا اليها خطى الوخادة الرسم
وحالك يا رحما يفضى الى رحما * فى النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق فى الجهاد لنا * والخيل عالكة الاشداق للجم
والسيف يخضب بالمحمر من علق * ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف * ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى دهينا بدهياء اقتداريها * سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فيرتقبها * يخال جامحها يقتاد بالخطم
هيهات لو زبنته الحرب كان بها * أعيى يدا من يد جالت على وحم
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا * ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذى طلبت * ولا تناقلنا فى الاعصر الدهم
نفاتنا عنده الجد الخؤون ومن * تقعد به نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش دهته عدا * بالاسمر اللدن أو بالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما * والبين أقطع للموصول من جلم
فرب مبتهج شديد قد أناخ به * ركب البلا فقرته أدمع الديم
قمنا لديه أصيلانا نسائله * اعيا جوابا وما بالربع من أرم
وما ظننا بأن نبقى الى زمن * نرى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضا بالقضا الجارى وان طويت * منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يا من دعانا نحو حضرته * دعاء ابراهم الحجاج للحرم
وأعط الامان الذى رضت قواعده * على أساس وفاء غير منهدم
خليفة الله وافاك العبيد فكن * فى كل فضل وطول عند ظنهم
وبين أسلافنا ما قد علمت به * من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وأنت منهم كأصل مطلع غصنا * أو كالثمار الذى قد قد من أدم
وقد خطوت خطاهم فى مآثرهم * فلم يذموا اذن فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى الشيخ الامام غدا * فى الناس أشهر من نار على علم
سلالة الامراء الجلة الكبرا * العلية الطهراء القادة البهم
بنو مرين ليوث فى عرين أبوا * وريا قرين لهم فى الباس والكرم

النازلين من البيضاء وسط حمى * احمى من الابلق الساى ومن ارم
والخائضين بدهم الخيل كل ذرى * والداعسين بسمر الخط كل كمى
يريك فارسهم ان هز عامله * فى مارق بلظى الهيجاء مضطرم
ليثا على أجدل عار من آجمة * يسطو بأرقم لداغ بغير فم
فى اللام يدغم من عساله ألفا * ولم تجد ألفا أصلا بمدغم
أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم * من عصمة الله ما يربى على العصم
يا من تطير شرارا منه محرقة * لكل مدرع بالحزم محتزم
هم وبطائفة التثليث قد فتكوا * كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
وان يلمهم يوم الوغى رهج * أنسوك ما ذكروه عن ذوى اللثم
تضئ آراؤهم فى كل معضلة * اضاءة السرج فى داج من الظلم
هذا ولو من حياء ذاب محتشم * لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طابت أنفسهم * فاشتقت النسمات اسما من النسم
لله درهم والسحب باخلة * بدرهن على الانعام والنسم
بحيث الافق يرى من لون حمرته * كالشيب يخضب بالحناء والكتم
هناك تنهل أيديهم بصوب حيا * يحيا بالاجداث ما فيها من الرمم
وان بقى زياد طالما ذكروا * اذا الماك أحاديث بذكرهم
أحلام عادوا جسام مطهرة * من المعقة والآفات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم * فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
فروعهم بالدواهى لا تراع ولا * يغتم منها بما يعرو من الغمم
هم البحار سماحا غير أن بها * ما قد اناف على الاطواد من همم
وليس يسلم من حتف محاربهم * حتى يكون اليهم ملقى السلم
كم فيهم من أمير أوحد ندس * يقرطس الغرض المقصود بالفهم
ولا كسبط أبى حسون من حسنت * أمداحه حسن ما فيه من الشيم
هذا كم ابن أبى ذكرى الهمام فقل * فى أصله المنتقى من مجده العمم
خليفة الله حقا فى خليقته * كنائب ناب فى حكم عن الحكم
مهما تنر قسمات منه نيرة * تنل بنازله ما جل من نعم
فوجهه بدجا أو كفه بجدى * أبهى من الزهر أو أندى من الديم
وفضله وله الفضل المبين جرى * مجرى الامثال فى الاقطار والامم
وجوده المتوالى للبرية ما * وجوده بينها طرا بمنعدم
اذا ابتغت نعما منه العفاة له * لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعبس زمان فى وجوههم * لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به * كما تبين سمات الصدق فى الكلم
وراحة لم تزل فى كل آونة * فى نيلها راحة الشاكى من العدم

لله

لله ما التزمته من نوافله * أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائف فى حلم وفى شرف * وفى سخاء وفى علم وفى فهم
فجاز معتمدا منهم ومعتضدا * وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين فى الاقبال فاق وفى * محبة العلم ازرى بابنه الحكم
افعال أعدائه معتلة أبدا * متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
فويل أهل التسلى من حية ذكر * للمؤتلب الهمام الجسر ملتقم
راموا عداوة من ان شاء غادرهم * مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف يأكلهم من جيشه لجب * بكل قرم الى لحمانهم قرم
وان الاعراب اذ ساروا الغائثه * لسائرون الى لقم على لقم
وهم كما قاله ماض أرى قدمى * بسعيه نحو حتفى قد أراق دمى
فقل اذن للمناوى الناو الآن أذى * يا غر غرتك ما أبصرت فى الحلم
له صوارم لو ناجتك ألسنها * لبشرتك بعمر منك منصرم
وان روحك عن قرب سيقبضه * قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذى ماله ند يشابهه * من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه * مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا * ذهى عن أدراكه ألحاظ كل عمى
ويشم النظر المفضى بناظره * لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو نتائجه * عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ومسمع ليس يصغى للوشاة فلم * ينفق لديه الذى عنهم اليه نمى
فعقله لا توازيه العقول وهل * يوازن الطود ما قد طال من أكم
أيدجميع الورى من بدو وحضر * نداء من تبسط بالنصر مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا * قد لفها الليل بالسواقة الحطم
هذا الامام المربى السعيد له * سعد يؤيده فى كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور السنة * من نخبة الاولياء مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا عجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا للناس من يحتم فيه لم يرم
حرز حريز وعز قائم وندى * غمر درالك بلا من ولا إسام
دامت ودام لها سعد يساعدها * فى كل مبتدأ منه ومختتم
فالله عزاسمه قد زانها بحلى * من غر أمداحه كالدر فى النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالجمر يلمع فى مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم

قوله أيد الخ فى نسخة أيه وكلاهما غير ملائمة لقوله نداء فلعله نادى الخ وليحرر اه مصححه

وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت * من حبله بوثيق غير منفصم
فما مخالفه يوما بمضطهد * ولا موالفه يوما بمهتضم
ولا موافيه في جهد بمطرح * ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا محبا محبيه بمنكسف * ولا رجاء مرجيه بمنخرم
وما تكرمه سرا بمنكشف * ولا تشكره جهرا بمكتتم
وليس لائح مرآه بمكتتب * وليس راضح جدواه بمنحطم
ولا مقبل فناه الكريمة في * محل تمتهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى * ما ليس يشكر ما فيها من العظم
وانما هي وما أدراك ما هي من * وسيلة ردها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى * محمد خير خلق الله كلهم
داعي الورى من أولي نيم وأهل قرى * الى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت * أمن تذكر جيران بذي سلم
وما تشفع فيها بالشفيع له * دخيل حرمته العلياء في الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم نعم المولى ونعم النصير أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح يدعو الى سبيل كل فلاح أولي قلوب غافلة ونفوس سواه والرضى عن آله وأصحابه وعترته الأكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامره ونواه وعزروه ونصروه في حال قربه ونواه فيا مولانا الذي اولانا من النعم ما أولانا لا حط الله تعالى لكم من العزة أرواقا ولا أذوى لدوحة دولتكم اغصانا ولا أوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات البشائر مخففة بثمرات السعود ممطورة بسحائب البركات المتداركات دون برق ولا رعود هذا مقام العائذ بمقامكم المتعلق باسباب ذمامكم المترجي لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الارض تحت أقدامكم المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم وماذا الذي يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل بيد أني أقول لكم ما أقوله لربي واجترائي عليه أكثر واجترامي اليه أكبر اللهم لا بريء فاعتذر ولا قوي فانتصر لكني مستقيل مستنيل مستعتب مستغفر وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا على طريق التنزل والاتصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف وأما على جهة التحقيق فأقول ما قالته الام ابنة الصديق والله اني لاعلم أني ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم اني منه بريئة لاقول ما لم يكن ولئن انكرت ما تقولون لا تصدقوني فأقول ما قاله أبو يوسف صبر جميل والله المستعان على ما تصفون على اني لا انكر عيوبي فانا معدن العيوب ولا أجحد ذنوبي فانا جبل الذنوب الى الله أشكو عجري وبجري وسقطاتي وغلطاتي نعم

كل

كل شئ ولا ما يقوله المتقول المشنع المهوّل الناطق بفم الشيطان المسوّل ومن أمثالهم سبق واصدق ولا تفتر ولا تخلق الخلى كان يفعل امثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة احمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة فى فودى تميل الى تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى وقطعتها غير أن الرعاع فى كل وقت وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحمق أو أجهل من أبى ثروان أو أعقل أو أعلم من أشج بنى مروان رب متهم برى ومسربل بسربال وهو منه عرى وفى الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الاحاد المتصل المتماد وللمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ورمينا بما لا يرمى به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لديكم منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تسكاة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد فى تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونظمونا فى سلك الملاحده اكفرا أيضا كفرا غفرا اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا فى سبيله عداة كانوا لنا غائظين فانفتق علينا فتق لم يمكنا له رتق وما كنا للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد فعندجهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يوثقنا فيو بقنا أو يبرئنا فيقينا ايه يا من اشرأبّ الى ملامنا وقدح حتى فى اسلامنا رويدا رويدا فقد وجدت قوة وأيدا وبعدك اغطال لسانك علينا وامتدّ بالسوء الينا لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب الحجاج الوبر وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبنا فاقررنا بالخطا فى كل ورد وصدر فلله در القائل ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر وكأنا بمتعسف اذا وصل الى هنا وعدم انصافه يعلمه الهنا قد ازورّ متجانفا ثم افترّ متهانفا وجعل يتمثل بقولهم اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وبقولهم المرء يعجزه المحال فيعارض الحق بالباطل والحالى بالعاطل وينزع بقول القائل رب مسمع هائل وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به وسنلم الآن بما يوسعه تسكيتا ويقطعه تبكيتا فنقول له ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض مع اجتهادك أثناءه فى اصدارك وايرادك فى وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه فلا بد أن يقر اضطرارا بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن ادراكه فنقول ومسئلتنا من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ماشينا مما يسايرنا فى غرضنا منه

وعاشينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقوله أيضا
لو اجتمع أهل السموات والارض على أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه
ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه أو كما قال
صلى الله عليه وسلم فأخلق به أن يلوذ بأكناف الاجمام ويزم على نفسه فيه كاتما ألم بالجمام
حينئذ تقول له والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ
قل ان الامر كله لله وفى محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ويرحض عن أثواب
أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم وكيفما كانت الحال وان ساء الرأى
والاتصال ووقعنا فى أوجال وأوحال فقل عرشنا وطويت فرشنا ونكس لوانا وملك
مثوانا فنحن أمثل من سوانا وفى الشر خيار ويد اللطائف تكسر من صولة الاغيار
فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على
جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفا والا فتلك بغداد دار السلام ومتبوّأ الاسلام
المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسيه ومقرّ العلماء والفضلاء
أولى السير الاويسيه والعقول الاياسيه قد نوزلت بالجيوش ونزلت وزوولت بالزحوف
وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف ولا تسل اذ ذاك
عن كيف أيام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبديه وجرت الدماء فى الشوارع
والطرق كالانهار والاوديه وقيد الائمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاه
بالعمائم فى رقابهم والارديه وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضبها الى أرساغها
وتهم ظلماؤها بوردها فتنكل عن تجرعها ومساغها فطاح عاصيها ومستعصمها وراح
ولم يغد ظالمها ومتظلمها وخربت مساجدها وديارها واصطلم بالحسام أشرارها
وخيارها فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف حسبما عرفت أو حسبما تعرف فلا تك
متشككا متوقفا فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا فأين
تلك المحافل والآراء المدارة فى المحافل حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجد ولا قلامة
ظفر اذن من سلمت له نفسه التى هى رأس ماله وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله
وكل أو جل أو أقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ثم وجد مع
ذلك سبيلا الى الخلاص فى حال مياسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص بعد ما ظن
كل الظن أن لا محيد ولا مناص فما حقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه
على ما أسداه اليه من رفده وخيره ومعافاته مما ابتلى به كثيرا من غيره ويرضى بكل ايراد
واصدار تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار فالدهر غدار والدنيا دار مشحونة
بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب والدائرات تدور ولا بد من
نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع الا المستطاع وللخالق
القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع ومالى والتكلف
لما لا احتاج اليه من هذا القول بين يدى ذى الجلال والجادة والفضل والطول فلله من
العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاط معه تهمتى بصفره ولا تنفق عنده وشاية

الواشي لاعد من نفره ولا فاز قدحه بظفره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجر براحتها الى المتاعب وقديما للاكياس من الناس خدعت وانحرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب التي جبت وجدعت ولئن رهصت وحصرت فقد نبهت وبصرت ولئن نزعت ومعضت لقد ارشدت ووعظت ويا ويلنا من تنكرها الناجزه ورميها النافذ غمرة أي غمره أيام قلبت لنا ظهر المجن وغيم افقها المصحي وأدجن فسرعان ما عاينا حبالها منبته ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغتته فمن استعاذ من شيء فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأيم الله لقد أرهقتنا ارهاقا وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسا دهاقا ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب والى امه يلجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهي القائل ثم يقول حسبي هذا وكفان ولا ريب في اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دينا تدينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرنا فيها واعطى من امانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهراني الكفر ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعه وأمنا من المطالب المشاغبة شرا لنا لا سعه وادكرنا أي اذكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ في ذلك بابلغ الكلام أنا بريء من مؤمن مع كافر لا تتراآى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتثاقلة عن السير في طريق منجاتها البطيه

وما انا والتلذذ نحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعي الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن ما لامزيد عليه من الرغبات فلم نختر الا دارنا التي كانت دار آبائنا من قبلنا ولم نرتض الانضواء الالمن بحبله وصل حبلنا وبريش نبله ريش نبلنا ادلالا على محل اخاء متوارث لا عن كلاله وامتثالا لوصاة اجداد لانظارهم وأقدارهم أصالة وجلاله اذ قد روينا عمن سلف من أسلافنا في الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ولا يجدوا عن طريقها في التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر

الاجاج فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين ويشفى النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل نطارحا على سدة أمير المؤمنين المحاربة للمحاربين والمؤمن للمستأمنين فهو الخليق الحقيق بأن يسوغ أصفى مشاربه ويبلغ أوفى مآربه على توالى الايام والشهور والسنين ويخلص من الثبور الى الحبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبوله واقباله تسرى الينا فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر

عطفا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وأنت مطوق

لا بل الاحرى بنا والاحجى والانجح لسعينا والارجى أن نعدل عن هذا المنهاج ونقوم وافدنا بين يدى علاء مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وننشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج

الناس يفدونك اضطرارا * منهم وافديك باختيارى
وبعضهم فى جوار بعض * وأنت حتى أموت جارى
فعش لخبزى وعش لمائى * وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاظمت نعماؤه رحمة تجعل فى يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليطرطائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك فى الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا الاوان لله سبحانه فى مقامكم العلى الذى أيده واعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل وترجع فروع البشائر الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتأصلة الى أصل فمثله يجب اللياذ والعياذ واشبه بحق الالتجاء والارتجاء ولا مر ما آثرناه واخترناه بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ويؤوب بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجوا أن يكون ربنا الذى هو فى جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث ارشدنا وهدانا وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفى كريم وفى أعز جارا من أبى دواد واحمى انفا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضر والباد ان أغاث ملهوفا فما الاسود بن قنان يذكر وان انعش حشاشة هالك فما كعب بن مامة على فعله وحده يشكر جليسه كجليس القعقاع بن شور ومذاكره كمذاكر سفيان

المنتسب

المنتسب من الرباب الى ثور الى التحلي بأمّهات الفضائل التي أضدادها أمّهات الرذائل وهي الثلاث الحكمة والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ماشئت من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح نائل فبنور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق ويجده السامي خطره في الاخطار ويمته الذي ذكره في النباهة والنجابة قد طار يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفيع المنتمى والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان الناشئ من السراوة وسط أنجار في ضئضئ المجد وبحبوح الكرم وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرم وذؤابة الشرف التي مجادبتها لم ترم من معشر أي معشر بخلوا ان وهبوا مادون أعمارهم وجبنوا ان لم يحموا سوى ذمارهم بنو مرين وما أدراك مابنو مرين

سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

اهم من الهفوات انتفاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر بن قيس فخرجوا في البر عن القيس مالهم القديم المعروف قد نفد في سبيل المعروف وحديثهم الذي تملته رجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذا بلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمّهات ولدنهم شم الانوف من الطراز الاول اليهم في الشدائد الاستناد وعليهم في الازمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول كأنما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لاكدروها ولا كدوا
وتعذلني أبناء سعد عليهم * وماقلت الا بالذي علمت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم وليس له منهم عاتب ولا واصم فهو أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفض عن نهم منه عن غيث ملث يحيوا آثار المزنه وانشق غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على براثنه للوثبه فقل لسكان الفلا لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يبالي السرحان المواشي سواء مشى اليها النقرى أو الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يبتلع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه أخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع أشده قد احتنكت سنه وبان رشده جاد مجد

محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد

لا يشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل

أسدى القلب آدمى الرواء لابس جلد النمر زدى العناد والنوى

وليس بشارى عليه دمامة * اذا ماسعى يسعى بقوس وأسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالصباء الصباء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ويحيا الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفساد حينئذ يعض ذوا الجهل والفدامة على يديه حسرة وندامة اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات خمود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود زعقات تؤز الكتائب أزا وهمزا تحققا الخيل بعد المدا المشبع للاعنة همزا وسلا للهندية سلا وهزا للخطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ثق خليفة الله بذلك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك فتلك عادة الله سبحانه وتعالى فى ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم بعدما زينا معاطفها باستعطافكم بدرتنا أبهى من درر العقد النظيم منتظمين فى سلك أوليائكم متشرفين بخدمة عليائكم ولا فقد عزة ولا عدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها وان المترامى على سنائكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا وقد قيل فى بعض الكلام من قعدت به نكاية الايام أقامته اغاثة الكرام ومولانا أيده الله تعالى ولى ما يزفه الينا من مكرمة بكر ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ويروى معنعن حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر وغيره من ينام عن ذلك فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ وما عهد منذ وجد الامر يعالى داعى الندى والتكرم بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرم حافظا للجار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه مستفرغا وسعه فى رعيه المستمر ولحظه آخذا من حسن الثناء فى جميع الاوقات والآناء بحظه

فهو من دوحة السنا فرع عز * ليس يحتاج مجتنيه لهز

كفه فى الامحال أغزر وبل * وذراه فى الخوف أمنع حرز

حلمه يسفر اسمه لك عنه * فتفهم بامدعى الفهم لغزى

لا تسله شيأ ولا تستنله * نظرة منه فيك تغنى وتجزى

فنداه هو الفرات الذى قد * عام فيه الانام عوم الاوز

وحماه هو المنيع الذى تر * جع عنه الخطوب مرجع عجز

فدعوا

فدعوا ذهنه يزاول قولي * فهو أدرى بما تضمن رمزي
دام يحيي بكل صنع ومن * ويماقي من كل بؤس ورجز

وكانا به قد عمل على شاكلة جلاله من مدظلاله وتمهيد خلاله وتلقى ورودنا بحسن تهلله واستهلاله وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا به في حله وارتحاله وما له وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين في نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق ما نصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وأرساله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومرددهما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادى آشي في حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس واليراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذى قطف الكمال المأثور ورتب محاسن البديع في درر فقره وطور وغرف من بحر عجاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور تندم ضلة * مخافة شؤم الضلالة وشره
فان يرتفع عند النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف جبل بجره

وقال الوادى آشي أيضا في موضع آخر مانصه ولشاعر العصر مالك زمامي النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدى محمد العربى وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

الحب في جمهور أنواره * فأين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لهن الاسباب
وأين بنت الجبن لما بدت * طارت اليها شوقا ألباب
وأين الالبان لا كوابها * في برم الارز تسكاب
واللحم بالبسباس قد ألفت * لطبخه في القدر الاحطاب
والعود ذو دندنة يطبي * آثارها الطار دبداب
وملح الاصوات قد طورحت * وجاء معبد وزرياب
وفض للهوى ختام ولم * يسد في وجه الهوى باب
وقيل للوقار قم قبل أن * تسلب عنك الآن الاثواب
وكل انسان وما يشتهي * ليس على مناه حجاب
مسترسلا ليس له عاذل * كلا ولا عليه رقاب
في راحة خلعت أرسانها * لمثلها تعصر الاعناب

فكل بستان قد استأسدت * فيه النواوير والاعشاب
وأطلع الترب أدواحه * كأنها العرب الاتراب
لما تحلت بحلى زهرها * داخلها بالحسن الاعجاب
عرائس ليس لها في سوى * مائه اذ تبسم خطاب
أمام تبدى ثمرات بدا * في جنبها حسن الارطاب
كأنه في العين ياقوت أو * كأنه في الفم جلاب
هيهات هيهات أمان لها * خلب برق لك خلاب
ماحوت الرؤس أمثالها * فكيف تحويهن الاذناب
قد عاق عن ذلك دهر به * تعدم الافراح والاطراب
يروم الانسان غلابا له * والدهر للانسان غلاب

وقال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى لمحاصرة غرناطة

بالطبل في كل يوم * وبالنفير نراع * وليس من بعد هذا * وذاك الا القراع
يارب خيرك يرجو * من هيض منه الذراع * لاتبلني صبرا * منه لقلبي اذراع

وله رحمه الله تعالى في الموشحات اليد الطولى نحو ذلك قوله

بدر أهل الزمان الرفيع القدر * لاتزل في أمان من كسوف البدر

وله من أخرى

هل يصح الامان من شبيه البدر * وهو مثل الزمان متم للغدر
لم يغتر الاغر غير غمر باهل * عيشه الحلو مر وهو فيه ناهل
والصبا الغض مر وهو عنه ذاهل
مرشف البهرمان فوق ثغر الدر * مطمع للامان باقتراب الدر

وعارض رحمه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة

ضاحك عن جمان سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

وممن عارض هذه الموشحة ابن ارقم اذ قال

مبسم البهرمان في المحيا الدرى * صاد قلبى وبان وأنا لم أدر

والانصاف أن معارضة العربى أحسن من هذه وله أيضا معارضتان غير ما تقدم الاولى قوله

بان لى ثم بان ذا خدود حمر * يثنى مثل بان في ثياب خضر

والثانية قوله

هل لمرآك ثان في سنان الدر * أولو باى ثان عن هواها العذرى
يامليحا جلا عن محيا جميل * همت فيه ولا هيمان جميل * مل قليلا الى من اليك يميل
عاشق فيك فان كاتم للسر * لك منه مكان في صميم الصدر

ومن نظم العربى المذكور لما عرض عليه السلطان رياسة كتابه من قصيدة

أوجه سعدى انحط عنه اللثام * أم بدر أفق فض عنه الغمام

أم أنا في حالي لا عقل لي * أم حلم قد لاح لي في المنام
يا قلّ مرأى من رأى حسنه * هاج اقلبه غراما فهام
كأنما أقبس نورا بها * من وجه مولانا الامام الهمام
ابن أبي الحسن الاسرى الذى * قد كان للاملاك مسك الختام
ضرغام قد أنجب شبها له * في صدق باس ومضاء اعتزام
حامي وسامي فاقا عيله * تنقلها ابناء سام وحام
دام له النصر الذى جاءه * والسيف من طل أعاديه دام
فيا أمير المؤمنين الذى * له بعروة اليقين اعتصام
أبشر بجد مقبل لم يزل * الى انصراف لا ولا لانصرام
وعزة لم يقض بنيانها * الى انهداد لا ولا لانهدام
لله منك ملك جنده * زهر النجوم وهو بدر التمام

ومنها

يطرب من مادحه مثل ما * يطرب قلب الصب سجع الحمام
فيفعل الشعر بأعطافه * ما ليس تفعل بجنّ المدام
سلطان حكى في مدحه يوسفا * لحسنه يشبه زهر الكمام

ومنها

فداره ليست بغدادهم * سمّ أنها تدعى بدار السلام

ومنها

اسأله الاعفاء من كل ما * أعجز عن حمل له والتزام

ومنها

مستشفعا له بخير الورى * محمد عليه أزكى السلام

ومنها

وكل انسان وما اختاره * ورب ذى عذر قد أضحى يلام

وآخرها

فالحمد لله على أن غدا * للشمل بعد الانصداع التئام

واختم هذه الترجمة بقوله

جز بالبساتين والرياض ترى * أبهج مرئيها وأحلاه
واعجب بها للنبات ولتك في * أسفله ناظرا وأعلاه
وقدس الله عند ذا وقل * سبحانه لا اله الا هو

سبحان وارث الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين والحمد
لله رب العالمين

تم

١٢٨٤

تم طبع الجزء الثانى بعون من أزل السبع المثانى من
كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
وكان تمام طبعه وحسن تمثيله
ووضعه بالمطبعة المديرية
المصريه فى الايام
السعيديه
م

ويليه الجزء الثالث أوله القسم الثانى

(هذا الجزء خالص الجمرك)